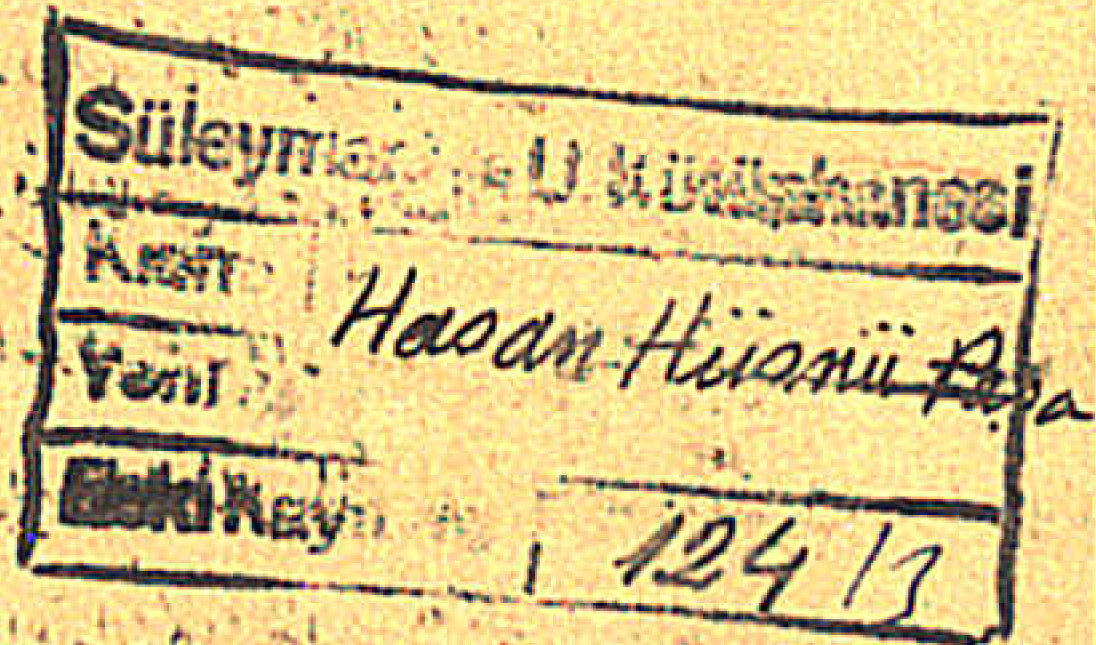
سورة النحل مكية

الا وان عاقبتم الى آخر السورة بسم الرحمن الرحيم
اتى امر الله اى جاء وقرب عذابه لان ما هو آت قريب وهو وعيد
للمشركين بيوم القيمة نزل حين كانوا يستبطئون نزول العذاب
بعد قوله تعالى اقترب الساعة فانهم قالوا بعضهم لبعض ان محمدا يزعم
ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض اعمالكم من التكذيب والاستهزاء
والكيد حتى ننظر ما هو كاين فلما لم ينزل قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله
اقترب للناس حسابهم فاشفقوا منه فلما امتدت الايام قالوا يا محمد
ما نرى من شيء مما تخوفنا به فانزل الله اتى امر الله فوثب النبى عليه السلام
ورفع الناس رؤسهم وظنوا انه اتى حقيقة فنزل **فلا تستعجلوه** اى لا تطلبوا
امر الله قبل حينه والاستعجال طلب الشيء قبل اوانه فاطما قيل وقيل المراد
من امر الله العذاب بالكسيف المستعجل به النضر بن الحارث حيث
قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء فقتل يوم بدر صبرا ولما استهزؤا بالنبى عليه السلام باستعجال
العذاب ولم يأتهم جعلوا اصنامهم شركاء لله فى العبادة فنزه تعالى
نفسه عن الشرك بقوله **سبحانه وتعالى عما يشركون** بالياء والتاء اى تعاظم
وتنزه عن اشراك معبودهم لصفاته الحميدة او عن الذى يشركون به



من الاوثان فما مصدرية او موصولة ولما كان شركهم من جهلهم وموت
قلوبهم اراد ان يعلمهم ان العبادة لا يكون الا بالوحي الموجب لحيوة القلب
ورفع الجهل بقوله ينزل بضم الياء وكسر الزاء مخففا ومشددا والفاعل
الله والمفعول الملائكة بالروح اي بالوحي لانه سبب حيوة القلوب او بالنبوة او
بالرحمة او بجبرئيل فالباء بمعنى مع من امره اي بامره وارادته على من يشاء من عباده
من الانبياء ومحل ان انذروا جر بدل من الروح فان مصدرية اي
بان انذروا او بانه انذروا فالضمير للشان وان مخففة من المثقلة ويجوز
ويجوز ان يكون مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول اي يقول
الله لهم اعلموا ايها الناس انه لا اله الا انا فاتقون اي خافون ولا تشركوا بي
شيئا من نذرت لكذا اذا علمته ثم دل على وحدانيته بخلق ما يعجز عنه
غيره تعالى فقال خلق السموات والارض بالحق اي للحق وهو ان ينظر اليه
ويعتبر فيوحد ولا يشرك به تعالى اي ارتفع وتعاظم عما يشركون به من
الاصنام وغيرها خلق الانسان من نطفة اي من ماء الرجال الذي لا حس به ولا
حركة دلالة على قدرته فاذا هو خصيم اي جدل باطل مبين اي ظاهر
الجدال وجاء بالفاء واذا المفاجأة اشارة الى سرعة نسيانهم ابتداء
خلقهم مع ظهور المذكور نزل في شان ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث
جاء بعظم رميم وجعل يفتته بيده وقال يا محمد اتقول ان الله يحيي هذا بعد ما رم

والصحيح ان

والصحيح ان الآية عامة لبيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوا من جحد نعم
الله مع ظهورها عليهم والانعام نصب المضمر يفسره خلقها اي الله خلق
الانعام الابل والبقر والغنم لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس
الانسان فيها دفء وهو ما يستدفأ به اي يستمتع به من الحر والبرد
كالاكسية والاردية والاخبية ومنافع بالنسل ودر اللبن وركوب
الظهور وحمل الاثقال ومنها تاكلون اي من لحومها بالذبح وقيد
الاكل من الانعام لانه هو المعتمد وان اكل غيره كالبط والدجاج فللتفكه
والتداوي ولكم فيها اي في الانعام جمال اي زينة وحسن المنظر
حين تريحون اي ترجعونها بالعشي من مراعيها الى مراحها وحين تسرحون
اي تخرجونها بالغدوة الى مسارحها وقدم الروح لان المنافع
توخذ منها بعد الرواح ويكون مالكها اعجب بها اذا راحت من مسارحها
الى مراحها لانها اكثر لبنا واحسن خلقا وتحمل اثقالكم اي احمالكم وزادكم
الى بلد آخر لم تكونوا بالغيه اي واصليه الا بشق الانفس اي بمشقتها
والشق النصف ايضا فكان الجهد ذهب نصف القوة يعني لم تكونوا
واصلين اليه الا بقوة النفس وذهاب نصفها ان ربكم لرؤف بكم
بخلق هذه الحوائل تيسيرا لمصالحكم رحيم بكم حيث لم يعجل بعقابكم
بترك شكر نعمه والخيل عطف على الانعام اي وخلق الخيل وهي اسم جنس

لا واحد له من لفظه كالابل والنساء والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
نصبه مفعول له اى للزينة عطف على محل لتركبوها وانما خولف بينهما فى
النظم لان الركوب فعل المخلوق المخاطب والزينة فعل الخالق اى وجعلها
زينة لكم مع المنافع التى فيها واحتج بهذه الآية من حرم لحوم الخيل وهو
ابو حنيفة ومالك لانه علل هذه الاصناف الثلثة بالركوب والزينة ولم يذكر
الاكل منها بخلاف الانعام فانها خلقت للركوب والاكل كما قال ومنها
تاكلون والشافعى واحمد واسحق اباحوا لحوم الخيل وقالوا ليس المراد من
الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله تعالى عباده نعمه
وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته واحتجوا بما قال جابر نهى النبى عليه السلام
يوم خيبر لحوم الحمر ورخص فى لحوم الخيل وروى عن اسماء انها قالت نحرنا
على عهد النبى فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه ويخلق الله سواها ما لا تعلمون
وهو ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره مع الدلالة
على قدرته او الملائكة والجن وغيرهما من الخلق او ما اعد فى الجنة لاهلها وفى
النار لاهلها ما لم تره عين ولم تسمعه اذن ولا خطر على قلب بشر وقيل ما لا
تعلمون كيف يخلقه وهو السوس فى النبات والدود فى الفواكه وعلى الله
قصد السبيل اى بيان الطريق الموصل الى الحق بالآيات والبراهين كقوله
تعالى ان علينا للهدى معناه علينا بيان طريق الهدى والضلال واجب

لطفا وكرما

لطفا وكرما فان كلمة على وجوب الكرم منا عند اهل السنة اذ العقل يأبى
وجوب شىء على الله تعالى وقيل القصد من السبيل دين الاسلام وما فيه من
الشرايع والاحكام ومنها جائر اى ومن السبيل ما هو مائل عن الاستقامة
بارادته تعالى دون رضاه وهو سبيل الشيطان والبدع والهوى يقال
جار فلان عن القصد اذا مال عن الجادة بسوء اختياره وقيل اليهودية والنصرانية
وسائر اديان الكفر لقوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله والمعنى ان السبيل بعضه سبيل القصد الذى يؤدى الى
رضا الله وثوابه وبعضه سبيل الجور الذى يعدل عنه الى سخط الله وعقابه
وكلاهما بمشيئة الله تعالى وبهذا المعنى تناسب الجملتان فى الاسلوب
فاندفع به قول من قال كان اسلوب الكلام ان يقول وعليه جائرها
مكان قوله ومنها جائر وانما غيره ليعلم بما لا يجوز اضافته اليه من السبيلين
وهو الجائر وهذا القول لاهل الاعتزال ولو شاء لهديكم اجمعين اى لو
شاء مشيئة قسر فى هداية الخلق لارشدكم الى صلاحكم اجمعين بان نزل
آية يلجئكم الى الايمان هو الذى انزل من السماء ماء اى مطرا لكم منه شراب
اى ما تشربون من الماء المنزل وتشرب انعامكم ومنه شجر اى ومن ذلك
الماء حصول نباتكم والعرب يطلق الشجر على النبات ومنه حديث عكرمة
لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت اراد منه النبات وذلك قبل الاحراز

وثبوت الملك فيه تسيمون اى فى الشجر ترعون مواشيكم يقال سامت الماشية
اذا رعت ينبت بالنون والياء اى الله يرفع من الارض لكم به اى بالماء
الذى انزله الزرع والزيتون والنخيل والاعناب اى الكروم ومن كل الثمرات
اى ومن انواعها من فيه تبعيض لان كل الثمرات فى الجنة وانما انبتت فى
الارض بعض من كلها للتذكرة ان فى ذلك اى فى نزول الماء من السماء
وخروج النبات من الارض بسببه لاية اى لعبرة لقوم يتفكرون فيستدلون على
قدرته وحكمته وسخر لكم الليل والنهار اى ذللهما لمعاشكم واستراحتكم والشمس
والقمر والنجوم بنصب الثلثة اى وذلل الكل لكم لتعلموا عدد السنين والحساب
بالشمس والقمر وتهتدوا فى طرقكم بالنجوم مسخرات اى ونفعكم بها حال
كونها مذللات لما خلقن له بامره اى باذنه وبرفع الكل على الابتداء والخبر
وبرفع النجوم ومسخرات كذلك دون غيرهما ان فى ذلك اى فى اختلاف
الوانه لاية لقوم يذكرون اى يتعظون فيؤمنون وهو الذى سخر البحر
اى سخر لكم البحر العذب والملح لتاكلوا منه لحما طريا اى سمكا غضا
واطلاق اللحم على خلاف العادة لان من حلف لا ياكل لحما فاكل
سمكا لم يحنث لان مبنى الايمان على العادة وتستخرجوا منه اى من البحر
الملح حلية اللؤلؤ والمرجان تلبسونها تتزينون بها والمراد تزيين
النساء بها لاجل الرجال فكانها زينتهم وفيه دليل على ان اللؤلؤ والمرجان

الحلى وترى الفلك مواخر اى جوارى فيه اى فى البحر مقبلة ومدبرة بريح
واحدة والمخر الشق لانها اذا جرت تشق الماء بصدرها وفى الحديث اذا
اراد احدكم البول فليستمخر الريح اى فليستدبرها حتى لا ترد عليه البول
قوله ولتبتغوا عطف على مقدر اى لتركبوها ولتطلبوا من فضله اى من
رزقه بالتجارة ولعلكم تشكرون اى لكى تفكروا اذا رايتم صنع الله فيما
سخر لكم والقى اى وضع الله فى الارض رواسى اى جبالا ثوابت
ان تميد اى لئلا تميل بحذف لا وارادة ثبوتها او كراهة ان تميل
بكم من ماد اذا مال واضطرب قيل لما خلق الله الارض جعلت تميل
فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا وقد ارسيت
بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وانهارا وسبلا اى وجعل فى
الارض لكم انهارا وطرقا مختلفة لعلكم تهتدون اى تصلون الى ما تريدون
وعلامات اى وجعل فى الارض معالم الطرق فى الجبال والاشجار
والمياه لتهتدوا وتعرفوا بها طرقكم فى حال السفر وبالنجم هم يهتدون
فيه اورد بضمير الغيبة بعد الخطاب مع تقديم النجم على هم للاختصاص
وارادة قريش كان لهم اهتداء بالنجوم فى اسفارهم يعنى ان لهم
بذلك علما لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم فلذلك
خصصوا بالذكر فى الاهتداء بالنجم والمراد بالنجم الجنس لا العهد كما قيل

الثريا والجدى وبنات النعش والفرقدان لان فيه من التحكم افمن يخلق اى
انتم تشركون الله غيره فى العبادة فمن يخلق اى الله اى الله القادر كمن
لا يخلق اى الاصنام العجزة ومن للعقلاء لان الهتهم اجريت مجرى
العقلاء لتسميتهم الهة قيل اصل النظم ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق
لانهم سموا الاصنام آلهة تشبيها بالله فقد فعلوا غير الخالق اجيب
بانهم لما سووا بينه وبينها فى العبادة فكانهم جعلوا الله من جنس المخلوقات
فانكر عليهم بذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق اى لا يشبه القادر بغير القادر
افلا تذكرون اى افلا تتعظون فى صنعه فتعلموا انه واحد لا شريك له
فتؤمنوا به فتعبدوه ولا تشركوا به شيئا سيها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
اى لا تستنبطوا اعدادها فكيف تطيعون القيام بشكرها ان الله لغفور
لتقصيركم وشكر نعمه رحيم بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم
بالتقصير والمعاصى والله يعلم ما تسرون اى ما تضمرون فى قلوبكم وما
تعلنون اى وما تجهرون بالقول والذين يدعون بالتاء والياء اى
تعبدون من دون الله اى الاصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
لانهم ينحتون من الاحجار وغيرها قوله اموات خبر مبتدا محذوف اى هم
ميتون لا روح فيهم يعنى الاصنام ولم يقل موتا لانهم صوروا على
شكل ذى الروح غير احياء صفة اموات للتاكيد يعنى ليسوا من الاموات

التى يخلقون

التى يخلقون اويعقلون شيئا كالنطف بل هى جمادات لا يعقب موتها
حيوة كالحجارة وما يشعرون اى لا يعلم الاجسام التى سميتموها الهة
ايان اى فى اى وقت يبعثون اى احياء وهذا تهكم بحالهم لان
شعور الجماد محال قيل دل القرآن على ان الاصنام تبعث وتجعل فيها
الحيوة فتتبرأ من عابديها وقيل معناه ما يدرى الكفار عبدة الاصنام
متى يبعثون وقيل ما يدرى آلهتهم متى يبعث عابدوهم وفيه تهكم
للمشركين لان من كان الها ينبغى ان يعلم وقت بعث عابديه للجزاء
لانه من لوازم التكليف ثم اشار الى نفى الوهية الاصنام واعلمهم
ان الاله الحقيقى من هو فقال الهكم اله واحد اى رب واحد لا شريك
له فاعبدوه ولا تعبدوا غيره لانه يجازيكم فى الآخرة فالذين لا يؤمنون
بالآخرة قلوبهم منكرة اى جاحدة للوحدانية اوخشية لا يدخل فيها
المعرفة وهم مستكبرون اى متعظمون عن الايمان لا جرم اى حقا
او لا بد ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وهو وعيد لهم من المكر والكيد
فى امر محمد عليه السلام انه لا يحب المستكبرين اى متعظمين عن الايمان
ويجوز ان يكون عاما فى كل مستكبر قال عليه السلام لا يدخل الجنة
مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار مثقال ذرة من الايمان وهو اولى
شئ من يقين حمله على ذكر الله تعالى يوما عن اخلاص او زجره عن

محذور مخافة الله واذا قيل لهم اي لمشركي مكة الذين اقتسموا اعقابها
اي مداخل مكة اذا سالهم الحجاج من المسلمين ماذا انزل ربكم اي اي ما
شي انزله الله على محمد فماذا منصوب بانزل ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء
بمعنى اي شي انزله بتقدير الضمير قالوا اي كفار مكة سخرية في جوابهم المنزل
اساطير الاولين اي احاديث الباطلة اضلالا للناس وصدا عن رسول
الله فحملوا اوزار ضلالهم على الكمال فقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة علة لقولهم
من غير ان يكون غرضا اي قالوا ذلك ليحملوا ذنوب انفسهم تامة يوم
الجزاء وانما ذكر الكمال لان اعمالهم الحسنة في الدنيا والبلايا التي تصيبهم
فيها لا تكفر عنهم شيئا كما يكفر الحسنات من المؤمنين اوزارهم من
الصلوة الى الصلوة ومن رمضان ومن الحج الى الحج وتكفر بالشدائد
والمصائب ايضا في الدنيا قوله ومن اوزارهم عطف على اوزارهم
اي ليحملوا من ذنوب الذين يضلونهم عن الهدى بغير علم نصب
على الحال مفعول يضلونهم اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال بغير حجة
وانما حملوا اوزار من اتبعوهم لانهم دعوهم الى الضلالة فاتبعوهم بغير عذر
فاشتركا في اثم الضلالة فحملوا جميع آثامهم وبعض آثامهم وبعض آثام
متبعيهم دون البعض لان المضل والضال شريكان هذا اضله وهذا
اطاعه على اضلاله فيتقاسمان الوزر فمن للتبعيض ويجوز ان يكون زائدة

على مذهب الاخفش فيحملون الكل منهم والمراد مثل اوزارهم قال عليه السلام
من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك
من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل
آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا الا ساء ما يزرون اي
قبح جدا بئس ما يحملون من الذنوب التي لا تغفر ثم هددهم بصنيع من
تقدمهم من الكفار فاهلكهم الله بسببه فقال قد مكر الذين من قبلهم
اي وقد صنع كيدا الذين من قبل المقتسمين فابطل الله كيدهم قيل منهم
نمرود بن كنعان حيث بنى قصرا عاليا في غاية الحصانة ببابل ليصعد
الى السماء ليقاتل على من في السماء بزعمه وكان طوله خمسين الاف
ذراع وعرضه ثلثة الاف ذراع وكان لسان الناس يومئذ
بالسريانية فاهب الله تعالى الريح عليه فالقت راسه في البحر
وخر عليهم الباقي وهم تحته ولما سقط الصرح تبلبلت السن الناس
من الفزع فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا بحيث لم يفهم بعضهم لسان
آخر فتعطل قصره من الاعادة ولذا سميت تلك البقعة بابل لذلك
قوله تعالى فاتى الله بنيانهم اي قصد امره تخريب بنيانهم من القواعد اي
من اساطين البناء التي تعمده وتقويه او من اصوله واساسه فخر اي
سقط عليهم السقف اي اعلاه من فوقهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون بمجيئه

وقيل من آمنهم ثم يوم القيمة يخزيهم الله اى يهينهم بالعذاب ولم يكن
ما اصابهم فى الدنيا من العذاب الكفارة لذنوبهم ويقول اين شركائى
الذين كنتم تشاقون بكسر النون اى تشاقوننى وبفتح النون لاتخالون
الجمع اى يخاصمون فيهم اى فى شأنهم وتخالفون المؤمنين بسببهم
وعبادتهم مالهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم العذاب قال الذين اوتوا العلم
اى الانبياء والعلماء الناصحون والملائكة ان الخزى اى الهوان اليوم
والسوء اى العذاب الاليم على الكافرين الذين تتوفيهم بالتاء والياء اى
تقبض ارواحهم الملائكة اى ملك الموت واعوانه ظالمى انفسهم
بالكفر نصب على الحال اى فى حال كفرهم فالقوا السلم اى استسلموا وانقادوا
وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر والكفر قائلين
ما وجد منهم فى الدنيا وقالوا ما كنا نعمل من سوء اى شركا وشقاقا
وغيرهما فقال لهم الملائكة ان الله بلى اى اشركتم بالله اصنامكم
ان الله عليم بما كنتم تعملون من الشرك وغيره فيجازيكم عليه وهذا ايضا
من الشماتة قيل هم قوم مؤمنين باللسان خرجوا مع المشركين
يوم بدر فلما رأوا قلة المؤمنين وكثرة الكافرين رجعوا الى الشرك
فقتلوا ثمه ويقول انهم الخزنة يوم القيمة فادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فلبئس مثوى المتكبرين اى مستقرهم ومنزلهم جهنم لاستكبارهم

عن الايمان

عن الايمان فى الدنيا ثم نقل من قصة الكافرين الى قصة المؤمنين
بقوله وقيل الذين اتقوا نزل فى المؤمنين الذين يدعون الناس الى
الى الايمان على عقاب مكة حين بعث النبى عليه السلام رجالا من
الصحابة لتكذيب المشركين الذين يصدون الناس الذين يقصدون
من بعيد النبى عليه السلام و وصفه فقال المؤمنون ان هولاء المشركين
كذبوا بل محمد يدعوا الى الحق ويأمر بصلة الرحم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
فاخبر تعالى عن قولهم للمؤمنين مدحا بقوله وقيل اى وقال الوافدون
للمؤمنين الذين يتقون الشرك ماذا انزل ربكم اى من الوحى
على محمد قالوا اى المؤمنون خيرا اى انزل خيرا للناس وهداية
لهم من الضلالة وانما نصب الجواب ههنا ورفع فيما قبله ليكون فرقا
بين جواب المقر وجواب المنكر بجعل الجواب بينا مكشوفا مطابقا
على السؤال مفعولا للانزال بخلاف ما تقدم من المرفوع فانه ليس
فى شئ من الانزال ثم ابدل من خيرا قوله للذين احسنوا اى وحدوا
الله واطاعوه فى هذه الدنيا حسنة اى جنة فى الآخرة وقيل النصرة
والفتح او الرزق الحسن ولدار الآخرة ولدار الحال الآخرة خير من دار
الدنيا ولنعم دار المتقين اى الخائفين المطيعين الجنة ثم وصفها بقوله
جنات عدن اى اقامة يدخلونها رحمة الله تجرى من تحتها الانهار

لهم فيها ما يشاؤون اى يتمنون من المستلذات كذلك اى مثل ذلك الجزاء
يجزى الله المتقين اى يثيب الخائفين منه ويطيعونه ثم وصفهم مدحا بقوله الذين
يتوفاهم الملائكة طيبين حال من ضمير المفعول اى طيبة نفوسهم بانتقالهم
الى لقاء ربهم وطاهرين من الذنوب يقولون حال من الملائكة اى
قائلين لهم عند الموت سلام عليكم تبليغا من الله او من نفوسهم ويقولون
لهم فى الآخرة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى الدنيا من عمل الخيرات ثم قال تعالى استبطاء
لاتيان اهل مكة هل ينظرون اى ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة بالنداء
والبلاء اى ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم او يأتى امر ربك اى
عذابه كيوم بدر او عذاب يوم القيمة ثم قال تسلية للنبى عليه السلام من
تكذيبهم اياه واستهزائهم به كذلك اى مثل هذا التكذيب فعل الذين
من قبلهم رسلهم كما فعل بك قومك من التكذيب والاستهزاء
فاهلكهم الله وما ظلمهم الله باهلاكهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتكذيبهم
رسلهم واصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء اعمالهم الخبيثة من انكار البعث
واستعجال العذاب استهزاء وتكذيب الرسل وعنادا الحق وحاق اى
ونزل بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب انه لا ينزل بهم وقال الذين
اشركوا اى اهل مكة على سبيل الاستهزاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ
يعنى ان شاء عبادتنا الآلهة غيرنا فلو لم يشاء ما عبدناهم نحن ولا آباؤنا عطف

على فاعل

على فاعل عبدنا ولا عبد آباؤنا من قبل ولا حرمنا من دونه اى سوى
تحريم الله من شئ يعنى البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فلولا ان الله
رضيها لنا لغيرها ولهدانا الى غيرها ثم قال تعالى تسلية للنبى عليه السلام
وتصبيرا له على تكذيبهم كذلك اى مثل ذلك الفعل فعل الذين من
قبلهم من تكذيب الرسل او الاشراك والتحريم والتحليل فلما نبهوا على قبح
فعلهم احالوا ذلك التحريم والتحليل على ربهم فاهلكهم الله تعالى فهل على
الرسل الا البلاغ المبين اى ليس على الرسل الا تبليغ الرسالة بالبيان
والبرهان ان الله لا يشاء الشرك والمعاصى مشية الرضا وانما يشاء
منهم التوحيد والطاعة وليس عليهم الهداية والقسر على الايمان ثم قال
لكفار مكة حثا على الايمان والطاعة وتهديدا عن التكذيب بالرسول
عليه السلام ولقد بعثنا فى كل امة اى فى كل جماعة قبلكم رسولا كما بعثنا
فيكم ان اعبدوا الله اى وحدوه واطاعوه واجتنبوا الطاغوت اى
الشيطان والصنم وغيرهما من دون الله فمنهم من هدى الله
اى لطف بهم وارشدهم الى دينه الاسلام ومنهم من حقت اى وجبت
عليه الضلالة اى الشقاوة بترك اللطف بالقضاء السابق
حتى مات على كفره فسيروا يا اهل مكة فى الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين بالرسل حتى لا يبقى لكم شبهة فيما افعل بهم من اهلاكهم

وتخريب منازلهم بالعذاب فلما قرء النبي عليه السلام هذه الآية عليهم فلم
يؤمنوا عنادا وهم تأسف بتركهم الايمان فنزل قوله ان تحرص على هداهم اى
على ايمانهم يا محمد فان الله لا يهدى من يضل اى لا يلطف من يخذله
لانه قد علم انه ليس اهلا لذلك فيكون عبثا قرئ لا يهدى معلوما والفاعل
الله مجهولا ومرفوعه من يضل ولا خلاف فى يضل انه بضم اليا وكسر الضاد
قال ابن عباس معناه من يضلله الله لا يهدى يعنى لا يهديه احد وما لهم
من ناصرين اى مانعون من نزول العذاب بهم وهو يدل على ان المراد بالاضلال
الخذلان لانه نقيض النصرة قوله واقسموا بالله وهو اسم اليمين يعنون انها
اغلظ الايمان واكدها فيما يقسم به فحلفوا بالله لا يبعث الله من يموت لانكارهم
البعث فرد الله عليهم بقوله بلى اى نعم يبعثهم الله لان بلى اثبات
لما بعد النفى وعدا عليه حقا اى وعد البعث واوجبه على نفسه وعدا حقا
اى ايجابا صدقا لا خلف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى لا يصدقون
بالبعث بعد الموت قوله ليبين يتعلق بفعل بلى اى يبعث الله جميع
الخلق يوم القيمة ليكشف لهم الذين يختلفون فيه من الحق وهو دين الاسلام
والبعث الموعود لهم وليعلم الذين كفروا عند خروجهم من قبورهم انهم
كانوا كاذبين فى الدنيا بقولهم لا يبعث الله من يموت قوله انما
قولنا لشئ اذا اردناه اى قصدنا حدوثه مبتدا خبره ان نقول له اى

عطف على قوله وقال الذين
اشركوا للجمع بين الكفرين
العظيمين فى التدوين والحكاية
بها وهى سبهم وذنوبهم على
مشية الله وانكارهم البعث
بالاقسام عليه اى وحلفوا
بالله جهد ايمانهم صح

لذلك

لذلك الشئ والمراد البعث كن اى احدث فيكون بالرفع اى فهو يكون
وبالنصب عطف على نقول اى فيحدث بسهولة بلا مهلة فكان تامة المعنى
ان ايجاد كل مقدور علينا يسير فاذا اردنا ان نبعث الموتى فلا تعب
علينا فى احيائهم من شق المقدورات والذين هاجروا من مكة الى مدينة
فى الله اى فى طاعته من بعد ما ظلموا اى عذبوا واوذوا فى الله لنبوئنهم
اى لننزلنهم فى الدنيا حسنة اى تبوئة جميلة بالمدينة او المراد المنزلة الحسنة
وهى الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وانعام الغنيمة عليهم والتوفيق والهداية
فهذا ثوابهم فى الدنيا نزلت الاية فى بلال وصهيب وخباب وعمار وجبير
وابى جندل بن سهيل اخذهم المشركون بمكة فعذبوهم ولاجر الآخرة اى ثوابها
اكبر اى افضل لو كانوا يعلمون اى يصدقون بالثواب المذكور ثم وصفهم
مدحا بقوله الذين صبروا اى هم الصابرون فى الدنيا على ما اصابهم
من مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلب
رجل هو مسقط راسه وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله وعلى
ربهم يتوكلون اى يثقون به فى الرزق وغيره قوله وما ارسلنا من قبلك
يا محمد الا رجالا مثلك يوحى اليهم كما يوحى اليك نزل حين قال قريش
الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا لانه لو اراد ارسال رسول
لارسل الينا الملائكة الذين عنده ثم قال تعالى ان لم يصدقك

فويلك فقل فاسئلوا اهل الذكر اى اهل التورية والانجيل ليعلموا ان
الله لم يرسل الى الامم المتقدمة الا بشرا لا ملكا ان كنتم لا تعلمون. ذلك قوله
بالبينات متعلق بنوحى او بارسلنا مضمرا استينافا كان قائلا قال
بم ارسلوا فاجيب ارسلنا بالبراهين الظاهرة كالمعجزات والزبر اى الكتب
النبوية التى تبين الحلال والحرام وانزلنا اليك الذكر اى القران لتبين للناس
ما نزل اليهم وغير ذلك من الشرايع ولعلهم يتفكرون اى ولكى
يتفكروا فيه فيؤمنوا ثم قال تهديدا لهم افامن اى احجد الحق فغفل الذين
مكروا السيئات اى عملوا الحيل القبيحة فى ابطال دين الحق وهم اهل مكة من
ان يخسف الله بهم الارض اى ان يدخلهم فيها احياء الى الارض السفلى او
ياتيهم العذاب من حيث لا يشعر اى لا يدركون هلاكهم لغفلتهم او ياخذهم
بالعذاب فى تقلبهم اى فى تصرفهم وتنقلهم من بلد الى بلد فى تجاراتهم
فما هم بمعجزين اى بنا جين من عذابه تعالى او ياخذهم بالعذاب على تخوف
اى تنقص شيئا فشيئا فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا جميعا يقال تخوفهم
الدهر اذا نقصهم واخذ اموالهم وحشمهم او ياخذ القرية بالعذاب وترك
قرية اخرى قريبة فيخوفها بتلك وان لم ينتهوا اخذ الاخرى فان ربكم
لرؤف رحيم بالامهال مع استحقاق العذاب وترك العجلة بالعقابة
قوله اولم يروا الى ما خلق الله بالتاء والياء اخبار عن الذين مكروا السيئات

الم ينظروا

اى الم ينظروا ولم يعتبروا الى الذى خلق الله من شئ اى جسم قائم
له ظل عند طلوع الشمس وعند غروبها يتفيئوا ظلاله بالتاء والياء
اى تدور وترجع بتغييرها على بروجها والفئ الرجوع عن اليمين والشمائل
وهو استعارة من يمين الانسان وشماله والشمائل جمع شمال
وهو اليسار وانما جمعه دون اليمين مع ان المراد منه الايمان ليجرى
الكلام على عادة العرب حيث يكتفون بواحدة من العلامتين
اذا اجتمعتا كقوله تعالى وعلى سمعهم وابصارهم ونصب على الحال
من الظلال قوله سجدا لله اى مائلات ودائرات بالانقياد لامر الله
فالسجود هنا استعير للاستسلام من السجود للطاعة قيل سجود
الظلال ميلانها ودورانها من جانب الى جانب اما عن اليمين
فهو فى اول النهار واما عن الشمال فهو فى آخر النهار وقيل الظل
قبل الطلوع وبعد الغروب يحتوى جميع جهاتك وعند الطلوع
كان قدامك وعند الارتفاع كان عن يمينك ثم يكون خلفك ثم
يكون عن يسارك قبل الغروب فهذا التقلب عبارة عن سجوده
وقيل المراد من سجود الظلال سجود الاشخاص وفيه تامل لان الاية
الاتية تغنى عنه فالاولى ان يحمل على حقيقته تعريضا للمتكبرين
عن السجود حيث يعجزون ان يكونوا مثل الظلال فى الانقياد لامره

تعالى مع ضعفها وهم داخرون الجملة حال من ضمير سجدا اى والحال ان
الظلال ذليلون فى حال السجود وجمع الداخر بالواو والنون لان الدخور من
صفات العقلاء. ولله يسجد اى ينقاد لارادة الله وتخضع ما فى السموات
وما فى الارض والمراد منه العقلاء وغيرهم لارادة العموم ولذا اختار ذكر ما
على من من دابة بيان لما فيهما على تقدير ان يكون فى السماء خلق يدبون
وهو منقول عن اهل التفسير وبيان لما فى الارض ان لم يقدر ذلك
فى السماء قوله والملائكة عطف على ما فى السموات مع انهم من جملة ما فيها
تشريفا لهم ورفعا لشانهم وقيل اراد ولله يسجد ما فى السموات من الملائكة وما
فى الارض من دابة ويسجد الملائكة وهم لا يستكبرون اى لا يتعظمون عن السجود
لله تعالى يخافون ربهم من فوقهم اى عاليا عليهم بالاطلاع على حالهم وتقهرهم
بالامر والنهى فمن فوقهم يتعلق بيخافون فمعناه يخافون ان يرسل عليهم عذابا
من فوقهم والجملة حال لبيان نفى الاستكبار لان من يخاف الله لا يستكبر
عن السجود له ويفعلون اى الملائكة ما يؤمرون اى لا يعصون امره
تعالى طرفة عين وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون بالامر والنهى والوعد
والوعيد وانهم بين الخوف والرجاء كسائر المكلفين وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين نزل حين وصف طائفة الله باثنين احدهما اله والثانى
الصنم فنهاهم الله عن ذلك فقال لا تصفوه الهين اثنين والكذبهم

يقولوا

يقولوا انما هو اله واحد اى ليس هو الا اله واحدا لا اثنان وانما جمع بين العدد
والمعدود ههنا وهو انما يكون فيما وراء الواحد والاثنين تاكيدا لالهين
لان الهين يدل على شيئين الجنسية والعدد والغرض من ذكره بالنهى
هو العدد لا الجنسية فشفع بما يؤكده الا ترى انه لو قال فى الكلام الثانى
انما هو اله ولم يؤكده بواحد لم يحسن لان المخاطب انه يثبت الالهية لا الوحدانية
فاياى فارهبون اى اخشونى ووحدونى ولا تشركوا بى شيئا وفيه نقل من
الغيبة الى التكلم ليكون ابلغ فى الترهيب من قوله فاياه فارهبوا وله ما
فى السموات من الملائكة والارض من الجن والانس وغيرهما كلهم عبيده
ينقادون له وله الدين واصبا اى لله الاسلام والطاعة دائما وواجبا
ثابتا المعنى ان الطاعة ثابتة تدوم له لا يجوز لاحد ان يميل عنها
والوصب التعب ونصبه حال عمل فيه الظرف افغير الله تتقون
اى تعرضون عنه فتعبدون غيره وتطيعون قوله وما بكم من نعمة خطاب
عام للكفرة لا المشركين خاصة اى والحال ان الذى بكم من غنى وصحة
الجسم فمن الله اى من قبله لا من غيره ثم اذا مسكم الضر اى الفقر
والقحط والمرض فاليه اى فالى الله تجارون اى تتضرعون
او ترفعون اصواتكم بالدعاء والاستغاثة ليكشف عنكم الضر لا الى غيره
لعلمكم ان الغير عاجز عن ذلك ثم اذا كشف الضر عنكم بقولكم ربنا اكشف

عنا العذاب انا مؤمنون اذا فريق منكم وهم المنافقون والكافرون بربهم
يشركون لعبادة غيره قوله ليكفروا اللام فيه لام العاقبة اى حاصل امرهم
بعد كشفنا الضر عنهم هو كفرهم بما آتيناهم اى بما اعطيناهم من النعم
وكشف الضر والبلاء فتمتعوا اى عيشوا بقية آجالكم فى الدنيا وامر تهديد
لهم وتخلية فى معنى الخذلان فسوف تعلمون لما يفعل بكم فى الآخرة ثم قال
استقباحا لفعلهم ويجعلون لما لا يعلمون اى للذين لا علم لهم من الاصنام او لا
يعلم الكفار منه ضرا ولا نفعا نصيبا اى حظا مما رزقناهم من الاموال يعنى
من الحرث والانعام ثم قال اقساما بنفسه تالله لتسئلن بالكفار يوم القيمة
عما كنتم تفترون اى تكذبون على الله بقولكم الله امرنا بهذا او انها آلهة
تصلح للتقرب ثم قال ويجعلون لله البنات اى يصفون ان الملائكة بنات
قوله سبحانه اى وهو منزه عن الولد اعتراض وتعجب من قولهم ولهم ما يشتهون
اى يجعلون لانفسهم ما يحبون من الاولاد وهم البنون لانهم يكرهون البنات
وفى محل النصب لانه مفعول يجعلون واذا بشر احدهم بالانثى عند ولادة امرأته
ابنة له ظل اى صار وجهه مسودا اى متغيرا الى السواد من الغم لوكراهية
والخجل وهو كظيم اى مملو حزنا وغيظا على المرأة التى ولدتها والجملة حال
عن ضمير وجهه يتوارى اى يختفى من القوم حياء من سوء ما بشر به من البنت
او ما ظهر فى وجهه من العار والحزن ويتفكر كيف اصنع بها ايمسكه اى يحفظه

والضمير

والضمير يرجع الى ما بشر على هون اى على هوان يميل اليها بالشفقة والرحمة
ام يدسه اى يدفنه ويخفيه فى التراب الا ساء ما يحكمون اى بئس ما يقضون
لله البنات ولانفسهم البنين او بئس حكمهم واد البنات خوف الفقر والعار
للذين لا يؤمنون بالآخرة اى لمنكرى البعث بعد الموت مثل السوء اى صفة
الشر وهو كفرهم بوصف الولد لله تعالى ووأد البنات وكراهيتها مع
احتياجهم البنين للتزوج والنسل قال ابن عباس مثل السوء النار ولله
مثل الاعلى اى الصفة العليا وهو الغنى عن جميع الخلق والنزاهة عن صفاتهم
والعلم والقدرة والبقاء وغيرها من صفات الجلال والكمال اوالاولياء
الله المثل الاعلى بتقدير المضاف وهو التقوى والمعرفة وقال ابن عباس
المثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وهو العزيز على اعدائه الحكيم
فيما يأمر عباده وينهاهم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم اى بعصيانهم
وشركهم فيعاجلهم بالعقوبة ما ترك عليها اى على الارض وهو اضمار
قبل الذكر بدلالته قوله من دابة يعنى لاهلاكها بشوم الظالمين قيل قد فعل
الله ذلك فى زمان نوح عليه السلام الا من نجا بالسفينة من الاناسى والدواب
قال ابن مسعود ان الجعل ليعذب فى جحره بذنب ابن آدم وقيل المراد من
الدابة ههنا المشرك وقيل معناه لو يؤاخذ الله الآباء بظلمهم لانقطع النسل
فلم يبق فى الارض احد ولكن يؤخرهم بالفضل والعفو الى اجل مسمى اى

الى وقت معلوم وهو منتهى آجالهم فاذا جاء اجلهم اذا قرب وقت عذابهم
لا يستأخرون ساعة اى عن الوقت ولا يستقدمون بالتعذيب قبل الموت
ويجعلون لله اى يقولون له ما يكرهون لانفسهم وهو البنات ويعطون له ارذل
اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف اى وتقول السنتهم الكذب مفعول لا
تصف ان لهم الحسنى بفتح انّ فى محل النصب بل من الكذب اى تقول
السنتهم ان لهم البنين لقول قريش لنا البنون وقيل الحسنى الجنة يعنى لنا الجنة
فى الآخرة مع اعمالهم الخبيثة كقوله لان رجعت الى ربى ان لى عنده
للحسنى ثم قال تعالى لا جرم اى حقا ان لهم النار يوم القيمة وانهم
مفرطون بكسر الراء اى مسرفون فى العصيان على انفسهم وبفتحها
اى متركون فى النار ومنسيين من افرطته اذا تركته خلفك وقيل
متقدمون الى النار ومنه حديث النبى عليه السلام انا فرطكم على الحوض
اى متقدمكم وامامكم عليه تالله لقد ارسلنا رسلا الى امم من قبلك يا محمد
كما ارسلناك الى هذه الامة فزين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة حين اطاعوه
وكذبوا الرسل فهو اى الشيطان وليهم اى ناصرهم يعنى ليس لهم
ناصر غيره اليوم اى فى زمان الدنيا او فى الآخرة فيكون حكاية للحال
الآتية يعنى هو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصر غيره ففيه نفى للناصر
بابلغ الوجوه او هو قرينهم فى النار ولهم عذاب اليم اى وجيع دائم فى

الآخرة

الآخرة فهذا تهديد للكفار وتسلية للنبى عليه السلام وليصبر على اذاهم
كما صبر الرسل قبله وما انزلنا عليك الكتاب اى القرآن لتبين لهم
الذى اختلفوا فيه وهو دين الحق او البعث والحلال والحرام والمراد
بالمختلفين المؤمنون والكافرون قوله وهدى ورحمة عطف على التبيين اى
وللهداية من الضلالة وللرحمة من عذاب النار لقوم يؤمنون اى يصدقون
بالقرآن ثم قال تبيينا لطريق التوحيد والله انزل من السماء ماء فاحيا به
الارض بالنبات بعد موتها اى بعد يبسها منه ان فى ذلك اى فى احيائها
بعد يبسها لعبرة ثم يبينها بقوله نسقيكم بضم النون وفتحها مما فى بطونه
اى ببعض ما فى بطون الانعام لانه اسم مفرد يؤدى معنى الجمع وليس
بجمع تكسير نعم وقيل يرجع الضمير الى النعم وهو مذكر ذكر فى الانعام ويجوز
ان يراد به جنس الانعام وقد روى عن سيبويه ان انعاما افعال موضوع
على النعم فالنعم والانعام واحد فعلى هذا لا يكون جمعا فى اللفظ كقولهم
ثوب اكياس يضرب من الثياب اى نشربكم مما يحصل فى بطون الانعام
من بين فرث ظرف فى موضع الحال اى كائنا فى مكان وسط بين
ثفل الكرش ودم وهو الدم المعروف فمن فيه ابتدائية لبنا خالصا
مفعول به لا يشوبه شئ من الدم والفرث لما بينه وبينهما حاجز من
قدرة الله تعالى يعنى ليس عليه لون دم ولا فيه رائحة الفرث بل خالص

من ذلك كأسا سائغا للشاربين اى هنيئا يجرى على السهولة فى حلق من
يشربه وهو حجة لمن يقول بطهارة المنى وان جرى مجرى البول لامكان الحاجز
بينه وبين مجرى البول كما كان الحاجز بين اللبن وبين الفرث والدم
فلم يمتنع خروجه طاهرا قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف استقر
فى كرشها فطبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلط
على هذه الاوصاف الثلثة يقسمها بتقدير الله تعالى فيجرى الدم فى العروق
واللبن فى الضرع ويبقى الفرث كما هو فسبحان من يخلق الاشياء بحكمها
قوله ومن ثمرات النخيل يتعلق بمحذوف دل عليه نسقيكم قبله اى وان
لكم لعبرة ايضا فيما نسقيكم ونرزقكم من عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب
تتخذون منه اى من عصير الثمرات او من الثمر المحذوف قبل تتخذون ان
مبتدا، ومن ثمرات النخيل خبر له فيكون الجملة مستأنفة لا عطفا على ما قبله
تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه اى من بعض الثمر
سكرا اى خمرا وكان هذا قبل تحريم الخمر والسكر والخل فلا نسخ او النبيذ
وهو الذى طبخ حتى ذهب ثلثاه وترك الى الاشتداد فهو حلال عند ابى حنيفة
الى حد السكر حرام عند الشافعى ورزقا حسنا وهو ما يتخذ من الثمرات
كالزبيب والتمر وكل ما يدخر منه رطبا ويابسا ان فى ذلك لآية اى لعبرة
لقوم يعقلون اى يفهمون توحيد الله وقدرته واوحى ربك الى النحل وهو مذكر

فى اللفظ ومؤنث فى المعنى كالنخل فى الشجر اى الهمها وقذف فى انفسها
وهى زنابير العسل وقيل جمع واحدتها نحلة ان اتخذى ان فيه مفسرة من
الجبال من فيه تبعيض بيوتا اى مساكن تاوين اليها ومن الشجر ومما يعرشون
اى يبنون لك من الاماكن ثم كلى من كل الثمرات اى من حلوها وحامضها
وغيرها فاسلكى اى فادخلى سبل ربك اى طرقه التى الهمك وعرفك
الرجوع الى سكنك ذللا حال من سبل اى مسهلة المسالك فى الجبال
وخلال الاشجار او حال من النحل جمع ذلول اى مطيعة منقادة للمراد
منك بالتسخير يقال ان اربابها ينقلونها من مكان الى مكان لمصلحتها
ولهم ثم اخبر عن وصفها تعجيبا فقال يخرج من بطونها اى افواهها شراب
اى عسل لانه يشرب منه مختلفا الوانه من ابيض واحمر واصفر
واسود قيل انه يختلف باختلاف الشابة والكهولة والشيخوخة وغيرها
من النحل ويحتمل ان يكون الاختلاف فى الالوان باختلاف الاغذية كما
يختلف طعم العسل من حلوه ومره بها روى ان العسل ينزل من السماء
فيستقر فى مكان فتاتيه النحل وتشربه ثم تاتى الخلية فتلقيه فى الشمع
المهيأ له لا كما يظن بعضهم انه من فضلات الغذاء يستحيل فى المعدة
عسلا وفى هذه الرواية ضعف لان اهل الخبرة من اصحاب النحل
قالوا ان الزنابير تاكل من الثمار والانوار فغير الله تعالى بقدرته الثمر

والنور في بطونها عسلا فاذا استلأت بطونها يجئ من مسالكها
التي ونبهت الى بيوتها فتلقيه الى الشمع من بطونها كما صرح الله تعالى
به سبحانه من يحيل النور المر عسلا في احواف الزنابير فيه شفاء للناس
اي في العسل شفاء الاوجاع التي تعرف شفاؤها منه يعني انه من جملة
الاشفية المشهورة النافعة لامراض الناس وليس الغرض انه شفاء لكل
مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء يعني من بعضها كقولهم الماء
حيوة من كل شئ ومنه ما يقتل المريض قال عليه السلام عليكم بالشفائين
القران والعسل يعني القران شفاء لما في الصدور والعسل شفاء لما
في الابدان ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فيعتبرون من امر النحل الطبيعة
لوحي ربه العالم باذنه ما لا يقدر عليه احد من خلقه فيؤمنون والله
خلقكم ثم يتوفاكم اي يقبض ارواحكم صبيانا او شبابا او كهولا ومنكم
من يرد الى ارذل العمر اي اردئه الى الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا اي لكيلا
يعقل بعد عقله الاول شيئا لشدة هرمه فشيئا منصوب بلا يعلم او بعلم
يعني يعتريه حال النسيان عند هرمه فلا يفهم ما كان يفهم قبل هرمه
وكبره وقيل هذا في الكافر لان المسلم يزداد عقله بصلاحه في طول عمره
كرامة له قال عليه السلام من قرء القران لم يرد الى ارذل العمر واراد
من يتدبره ويعمل به قيل ارذل العمر تسعون سنة وقيل ثمانون وقيل
خمسة

خمسة وسبعون ان الله عليم لا يزول علمه عن ذاته ابدا قدير يقدر على
ازالة علم كل عالم والقادر قال انس بن مالك كان رسول الله عليه السلام
يدعوا اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال
وفتنة المحيا والممات والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي وسع الرزق على البعض
وضيق على البعض من الناس بان كثره وقلله او فضل الموالي على العبيد في المال
والرزق يعني جعل رزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم ليظهر التفاوت بينكم
وبينهم فما اي فليس الذين فضلوا وهم الموالي برادي رزقهم الذي
اعطاهم الله وزاد عن حاجتهم على ما ملكت ايمانهم اي على عبيدهم فهم فيه
فان الموالي والعبيد في الرزق سواء اي يتساوون لا يكون تفاوت
بينهم في الرزق بحسب اصل الخلقة لانهم مثلهم في البشرية واخوانهم فكان
ينبغي ان يردوا افضل رزقهم عليهم حتى يتحدوا في المطعم والملبس بناء على ما روي
عن النبي عليه السلام انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون
لكن الحكمة الالهية منعته او المعنى انهم لا يرضون ان يكونوا مع مماليكهم فيما رزقهم
الله سواء يردوا الفضل عليهم كراهة الشرك فيه وهم قد جعلوا عبيدي شركائي
في ملكي وسلطاني فهذا مثل ضربه الله عز وجل الزاما للحجة على كفار مكة حيث
يشركون بالله خلقه وعبيده الذين هو خالقهم ورازقهم ثم قال انكارا عليهم
افبنعمة الله التي هي هذا التفضيل يجحدون بالتاء والياء اي يكفرون بالاشراك

به فجعل جحود ذلك من جملة جحود النعمة وقيل معنى الآية انى ارزقكم جميعا
فهم فى رزقى سواء فلا يحسبن الموالى انهم يردون على مماليكهم رزقهم من عندهم
فان ذلك رزقى الذى ارزقهم اياه ومن ايديهم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا
اى من جنسكم نساء وقيل المراد حواء لانها خلقت من قصيراء آدم عليه السلام
وجعل لكم من ازواجكم اى نسائكم بنين وحفدة اى اولاد الاولاد جمع
حافد من الحفد وهو العون والقوة وقيل هم الاختان على البنات وقيل هم
الاصهار فالمعنى على هذا القول والله جعل لكم من ازواجكم بنين وبنات
تزوجهن فيحصل بسببهن الاختان والاصهار وقيل الحافد هو المسرع فى اطاعة
الامر وخدمته ومصالحه من الاقرباء والمماليك وغيرهم ورزقكم من الطيبات
اى الحلالات افبالباطل اى الاصنام التى لا منفعة لها ولا شفاعة يؤمنون
اى يعبدون او بالشيطان يصدقون حيث امرهم بتحريم البحيرة والسائبة
وبنعمة الله اى توحدانيته المعاينة المشاهدة التى لا شبهة فيها الذى عقل
وتمييز والاسلام والقران او بتحليله هم يكفرون اى يجحدون ويعبدون
من دون الله اى الاصنام ما لا يملك لهم رزقا من السموات اى انزال المطر
والارض اى النبات شيئا بدل من رزقا او مفعوله ولا يستطيعون كما
لا يقدرون ذلك لعجزهم وهو تاكيد الاول فلا تضربوا اى لا تصفوا لله
الامثال فى العبادة يعنى لا تشبهوه بشئ من خلقه فان التشبيه به اشراك

بانه

بانه ان الله يعلم ان لا شبيه له وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فى
الكفر بضرب الامثال او لانه يعلم كنه فعلكم وعظمه فيعاقبكم عليه وانتم لا تعلمون
كنهه وهو الذى جراكم عليه ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر فقال ضرب الله مثلا
اى شبها وابدل منه عبدا مملوكا وصف به ليخرج منه الحر لان الخلق كلهم عبيد
الله لا يقدر على شئ اى ليس له مال ينفق منه ويتصرف فى سبيل الخير لعجزه
عن التصرف فيه وبه ليخرج المكاتب لان له يدا فى التصرف وان كان
عبدا وكذلك المأذون له واختلفوا فى العبد هل يصح له ملك والظاهر
انه لا يصح له خلافا لمالك قوله ومن رزقناه عطف على عبدا وهى موصوفة
نكرة لكون المعطوف عليه نكرة اى وحرا رزقناه منا رزقا حسنا اى مالا
طيبا يقدر على التصرف فيه فهو ينفق منه سرا وجهرا فى سبيل الله ورضاه
فاثابه الله عليه الجنة هل يستوون اى العبد والحر فى الخير والطاعة
ولم يقل يستويان لكان من فانه يصلح للواحد والمثنى والجمع المعنى
لا يستوى العبد الفقير والغنى السخى فى الانفاق فى سبيل الخير كذلك
لا يستوى الكافر العاصى والمؤمن المطيع عند الله ثم قال الحمد لله
حامدا لنفسه ودالا لخلقه على حمده على ظهور الحق من الباطل بل اكثرهم
لا يعلمون الحق من الباطل يعنى قد ظهر ان الامر ليس كما يقول المشركون
اذ ليس للاوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل

لله عز وجل لانه المنعم والخالق والرازق ولكن اكثر الكفار او جميعهم لا يفقهون
ذلك ثم اوضح ذلك بضرب مثل آخر فقال ضرب الله مثلا رجلين اى مثل رجلين
فالثانى بدل من الاول المفعول حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
للعلم به ثم وصف رجلين بقوله احدهما ابكم اى اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر
على شىء من مال ولا منفعة وهو كل اى ثقل وعيال على مولاه اى على من
يلى امره ويعوله اينما يوجهه بجزم الهاء لوجود الجازم فيه اى حيث ما يرسله
فى كفاية مهم وتحصيل حاجة لا يأت بخير اى لا يجئ به لانه لا يفهم ما يقال له
ولا يفهم عنه ورجل آخر على خلاف ذلك ولم يذكره لانه اكتفى بذكر احدهما وهو
الابكم كسرابيل تقيكم الحر ولم يقل البرد وهذا مثل للاصنام ومن يعبدها فذكر
رجلين تغليبا او المراد المؤمن والكافر وللاول انسب لان الصنم لا يسمع
ولا يسمع ولا يعقل وهو كل على عابده يحتاج الى ان يحمله ويضعه ويخدمه او
العبد ومولاه حقيقة كعبد عثمان فان عثمان يأمره بالتوحيد وهو يأتى
بالكفر ويكره الاسلام ثم استفهم على سبيل الانكار هل يستوى هو اى الابكم
او الكافر ومن يأمر بالعدل اى الله والمؤمن يعنى لا مساواة بين الابكم
والآمر بالخير وهو الله القادر المتكلم الآمر بالتوحيد او المؤمن الذى يأمر
به ويعمل العمل الصالح وهو على صراط مستقيم اى دين الاسلام قال عطاء
الابكم ابى بن خلف المنكر للبعث ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان ثم قال

الكفار

الكفار الذين استعجلوا القيامة استهزاء ولله غيب السموات والارض اى
وله علم ما غاب عن العباد فيهما وما امر الساعة اى قيام القيمة الا كلمح
البصر اى الا كرجعه فى قرب كونها اذا قال له كن فيكون او هو اقرب اى بل
هو اسرع المعنى ان قيام الساعة والبعث فى قدرة الله ومشيئته اقرب
من كل قريب ان الله على كل شىء قدير والبعث من مقدوراته فلا تنكروه
والله اخرجكم من بطون امهاتكم بكسر الهمزة وفتح الميم وبكسر الهمزة مع فتح الميم
اى خلقكم والحال انكم لا تعلمون شيئا من الاشياء اى من حقوق المنعم
الذى خلقكم فى البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة جمع فؤاد جمع قلة استعمل فى موضع
جمع الكثرة وهو وسط القلب لازالة الجهل الذى ولدتم عليه لعلكم تشكرون
اى تشكروا رب هذه النعم ثم بين طريقا يؤدى الى معرفة وحدانيته
بقوله الم تروا بالتاء والياء الى الطير مسخرات اى مذللات للطيران بما خلق
لها من الاجنحة فى جو السماء اى فى الهواء المتباعد من الارض فى سمت
العلو ما يمسكهن نصب على الحال من الطير اى ما ياخذهن فى الهواء عند
قبض الاجنحة وبسطها الا الله بقدرته ان فى ذلك اى فى تسخيرهن وامساكهن
فى الهواء لآيات اى لدلالات على وحدانيتى لقوم يؤمنون به تعالى
بنظر الاستدلال قيل ان الطير ترتفع اثنى عشر ميلا فى جو السما ولا

ترفع فوق هذا والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اى سكنا تسكنونه اى وفقكم
لبناء البيوت للسكنى والقرار وجعل لكم من جلود الانعام اى شعرها وصوفها
ووبرها بيوتا اى خياما والقباب من الادم والانطاع تستخفونها اى
يخف عليكم حملها يوم ظعنكم بفتح العين وسكونها اى وقت رحلتكم فى
سفركم ويوم اقامتكم فى بلادكم لا يثقل عليكم فى الحالين وجعل لكم من اصوافها
اى اصواف الغنم واوبارها اى اوبار الابل واشعارها اى اشعار المعز
والضماير راجعة الى الانعام قوله اثاثا ومتاعا نصبه عطف على سكنا
بتقدير جعل وهما بمعنى واحد وقيل الاثاث متاع البيت والمتاع كل ما
يتمتع به اى متاعا تنتفعون بها من الفرش والاكسية الى حين اى الى
الموت او الى ان تبلى وتهلك والله جعل لكم مما خلق ظلالا اى
اشجارا تستظلون بها من شدة الحر والمراد ظلال البيوت وجعل
لكم من الجبال اكنانا اى اسرابا وغيرانا الواحد كن وجعل لكم سرابيل
اى دروعا من الحديد وغيره تقيكم اى تمنعكم باسكم اى اذاكم او يدفع
فى حربكم ان يصيبكم السلاح وقيل البأس العدو والمحارب كذلك
اى مثل هذا الاتمام المذكور يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى تنقادون
بذلك لرب هذه النعم وتخلصون له العبادة ثم قال للنبى عليه السلام
فان تولوا اى اعرضوا عن الاسلام فانما عليكم البلاغ المبين اى التبليغ

الظاهر

الظاهر وتبيين الهدى يعنى لا يلحقك فى ذلك عتب اذا لم يكن فى
تبليغك تقصير يعرفون نعمة الله اى نبوة محمد عليه السلام وقيل دين
دين الاسلام او كل نعمة عدت فى هذه السورة ثم ينكرونها يعنى يعرفون
ان خالق كلها هو الله ثم يجحدونها بعبادة غير منعمها او ينكرون اذا ذكر
لهم هذه النعم ان كلها من الله لكنهم يقولون انها بشفاعة الهتنا او يقولون
كان هذا لآبائنا ثم ورثناها بعدهم وثم فيه للاستبعاد واكثرهم
الكافرون اى الجاحدون نعم الله او نبوة محمد عليه السلام وقيل الاكثر
ههنا بمعنى الكل ويوم نبعث اى اذكر يوم نبعث من كل امة شهيدا اى
نبيا يشهد على امته بالرسالة انه بلغها فيمنعون من الكلام ثم لا يؤذن
الذين كفروا فى الاعتذار او فى الكلام يعنى لا حجة لهم ولا عذر ليتكلموا
بها ثم ولا هم يستعتبون اى لا يسترضون يعنى لا يكلفون ان يرضوا
ربهم بصالح عمل لان الآخرة ليست بدار تكليف او لا يرجعون الى الدنيا
فيتوبوا وحقيقة الاستعتاب التعرض لطلب الرضا وهو مسند على
الكفار فى الآخرة واذا رأى الذين ظلموا اى الكفار العذاب نقمة لحقتهم
وثقل عليهم فلا يخفف عنهم اى لا يسهل العذاب عنهم حين عاينوه ولا
هم ينظرون اى يمهلون ساعة ليستريحوا واذا رأى الذين اشركوا بالله
شركاءهم اى الهتهم التى دعواها شركاء والشياطين لانهم شركاؤهم

في الكفر قالوا معترفين ربنا هولاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا اي نعبد من
دونك وهم امرونا بذلك فالقوا اي الاوثان والشياطين اليهم اي الى عابديهم
القول اي يقولون لهم انكم لكاذبون في تسميتنا الهة وفي امرنا بعبادتكم
ايانا والقوا اي المشركون الى الله يومئذ السلم اي الانقياد يعني استسلموا
وانقادوا ولو خضعوا لعبدة الاباء والاستكبار في الدنيا لامر الله وحكمه فيهم
يوم القيمة لجلال الله وكبريائه وضل اي غاب وفات عنهم ما كانوا يفترون
اي يكذبون ان الهتهم تشفع لهم يعني لم تغن عنهم الهتهم شيئا من العذاب
من ضل واضل بقوله الذين كفروا بالتوحيد وصدوا اي منعوا الناس
عن سبيل الله اي عن توحيده وطريق الحق زدناهم عذابا فوق العذاب
المعد لهم من وهو عقارب كالبغال لها انياب امثال النخل الطوال وحيات
امثال البخت تلسع صاحبها فيجد اربعين خريفا وقيل يسلط عليهم الجوع
والجرب بما كانوا يفسدون في الدنيا بكفرهم وصدهم الناس عن الايمان
ونبعث في كل امة شهيدا اي رسولا يشهد عليهم من انفسهم اي من البشر
لان الانبياء كانت تبعث الى الامم منها وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء
اي على امتك التي بعثت اليها ونزلنا عليك الكتاب اي القران تبيانا اي
بيانا بليغا لكل شيء يحتاج اليه من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود
والاحكام والقصص والامثال بعضه مفسر وبعضه مجمل فاتت تفصيله لهم

مادمت حيا

دامت حيا ثم من بعدك من المجتهدين المستنبطين من الكتاب بواسطة الادلة
الشرعية المستفادة منه كالسنة والاجماع والقياس بالاجتهاد والصحيح
فلذلك كان تبيانا لكل شيء وهدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن به
وعمل بما فيه وبشرى بالجنة للمسلمين اي المنقادين بالاخلاص قوله ان
الله يامر بالعدل اي بالتوحيد او الانصاف والاحسان اي وباداء الفرائض
او الاخلاص في التوحيد وذلك معنى قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه او العفو عن الناس وايصال النفع اليهم مالا ونفسا
وايتاء ذي القربى اي وصلة الرحم وينهى عن الفحشاء اي الزنا او كل ما قبح
من القول والفعل والمنكر اي وبما لا يعرف شرعا ولا عقلا والبغي اي التكبر
والظلم يعظكم الله بالامر بثلثة اشياء والنهي عن ثلثة وهي علم الاولين و
الآخرين في مكارم الاخلاق لعلكم تذكرون اي لكي تتعظوا وترشدوا
نزل سببا لاسلام عثمان بن مظعون وذلك انه قال دعاني رسول
الله عليه السلام الى الاسلام فاسلمت حياء منه ولم يقر الاسلام في قلبي
فحضرت ذات يوم وهو بفناء بابه محتبي جالسا فدعاني فجلست اليه
فبينما يحدثني اذ رايت بصره شخص الى السماء حتى رايت طرفه قد انقطع
فلبث زمانا ثم خفض راسه عن يمينه ثم رفعه مرة اخرى الى السماء ثم
خفضه عن يساره ثم اقبل علي محمرا وجهه يفيض عرقا فسالت عن تلك

الحالة النازلة عليه فقال بينما احدثك اذ رفعت بصري الى السماء رايت
جبرئيل نزل على فلم يكن ثمة غيره حتى نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر
بالعدل الآية قال عثمان فاستقر الايمان في قلبي يومئذ قال ابن مسعود
ليس في القرآن آية اجمع آية لمكارم الاخلاق من هذه الآية وتقدير المعنى
فيها فافعلوا ما امرتم به واتعظوا واوفوا بعهد الله اي واتموا عهده الذي
بينه وبينكم اذا عاهدتم الله وهو البيعة لرسول الله عليه السلام او المراد
هو العهد الذي بينكم وبين غيركم من الناس وهو اليمين وكفارة اليمين
اذا حلفتم ثم نقضتم ولا تنقضوا الايمان اي ولا تنكثوا العهد بعد توكيدها
اي بعد تشديدها باسم الله واكد ووكد واحد والاصل الواو والهمزة
بدل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شهيدا على الوفاء بها لان الكفيل من
يرعى حال المكفول به رقيب عليه والحال ان الله يعلم ما تفعلون في وفاء
العهود ونقضها ثم ضرب الله مثلا لنقض العهد بقوله ولا تكونوا في نقض
العهد واليمين كالتي اي كالمرأة التي نقضت غزلها من قريش ريطة الحمقاء
بنت عمرو بن سعد وكانت بها وسوسة من الشيطان من بعد قوة اي
احكام وابرام فجعلته انكاثا ونصبه حال من غزلها جمع نكث بمعنى منكوث
وهو ما يحل بعد الفتل غزلا وحبلا وكانت تلك المرأة تغزل الغزل من
صوف وغيره وتأمر جواريها بذلك فكن يغزلن من الغداة الى نصف

النهار

النهار ثم امرتهن بنقض جميع ما غزلن بعد الزوال فهذا كان دابها والمعنى
انها لم تكف عن العمل وحين عملت لم تكف عن النقض فكذلك اذا
نقضتم العهد لا كففتم عن العهد ولا وفيتم به حين عهدتم تتخذون ايمانكم
اي عهودكم محله نصب على الحال من اسم كان دخلا بينكم اي دغلا
وخيانة ومفسدة فيكم ونصبه مفعول ثان لتتخذ والدخل اسم ما يدخل في
الشيء للفساد ان تكون اي بسبب ان يثبت امة اي جماعة هي اربى اي
ازيد عددا واوفر مالا من امة اي من جماعة خالفتموهم والجملة في
محل الرفع صفة امة لا نصب خبر لكان قيل انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا
وجدوا قوما اكثر منهم واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر لطلب
العزة بنقض العهد فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقال تأكيدا للنهي انما
يبلوكم الله به اي يختبركم بامره اياكم بالوفاء بالعهد والنهي عن النقض
وليبينن لكم الله يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا بنقض
العهد وغيره ويجازيكم به ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي على ملة الاسلام
بطريق الالجاء لانه قادر عليه ولكن يضل من يشاء بحكمته المقتضية اضلاله
يعني بخذلانه اياهم عدلا منه ويهدي من يشاء بلطفه وتوفيقه اياهم فضلا منه لمن
علم انه يختار الايمان فبنى الامر على الاختيار المرتب عليه الثواب والعقاب
على الاجبار الذي لا يستحق به شيء وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم تعملون من

الوفاء بالعهد ونقضه يوم القيمة ثم قال تاكيداً للنهي عن نقض العهود واظهار
العظم ما يرتكبون منه ولا تتخذوا ايمانكم دخلا اى فسادا وخديعة بينكم فتغرون
بها الناس فيسكنون الى ايمانكم ويأمنون ثم تنقضونها فتزل قدم اى قدمكم
بعد ثبوتها اى بعد الاستقامة وافراد القدم وتنكيرها ليدل على استعظام
زلة قدم واحدة عن طريق الحق فكيف باقدام كثيرة ونصب الفعل جواب
النهي يقال فلان زلت قدمه اذا وقعت في ورطة بعد سلامة وتذوقوا
السوء اى وتجرعوا العذاب في الدنيا بما صددتم اى صرفتم غيركم عن سبيل
الله اى دينه الاسلام لانكم اذا سهلتم طريق نقض العهد على الناس اتخذوها
سنة يستنون بها لغيرهم ولكم عذاب عظيم اى شديد في الآخرة قوله ولا
تشتروا اى ولا تخاروا بعهد الله اى بنقض عهده ثمنا قليلا اى
يسيرا يعني لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا يسيرا من الدنيا
ولكن اوفوا بها انما عند الله اى ان الذي عنده من الثواب لكم على
الوفاء هو خير اى انفع لكم اى في الآخرة مما اخذتم من اليسير على النقض
في الدنيا ان كنتم تعلمون فضل ما بين العوضين نزل في رجل من حضرموت
اسمه عبدان بن الاشوع جاء الى رسول الله وادعى ان امرأ القيس
غصب ارضي بالمجاورة ولم يكن له شهود فامر رسول الله امرأ القيس ان
يحلف فلما قام ليحلف اخر رسول الله وقال له انظر فانصرف من عنده

فجا

فجاء جبريل بالآية فاقر بالحق لصاحبه ثم بين تعالى فضل ما عنده من
الثواب بقوله ما عندكم ينفد اى الذي عندكم من حطام الدنيا يفنى وما
عند الله من الثواب في الجنة باق اى دائم لا بدل فيها ولنجزين بالياء
والنون اى لنثيبن الذين صبروا عن اليمين واقروا بالحق المستحق او
على اذى المشركين ومشاق الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
اى بافضل اعمالهم ويبقى سائر الاعمال فضلا فلما سمع امرؤ القيس
الآية قال ان صاحبي صادق فيما قال لقد قطعت ارضه ولكني ما ادري
كم هي يأخذ ما يشاء من ارضي ومثلها معها بما اكلت من ثمارها فقال
النبي عليه السلام من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر
بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ونزل من عمل صالحا من ذكر او انثى
وانما فصل مع عمومه لكون من متناولا للذكور في الظاهر دون
الحقيقة فبينه ليعم الثواب الموعود النوعين جميعا اى كل شخص عمل
عملا صالحا من الفريقين كالصلوة وقراءة القرآن وهو مؤمن الواو
للحال ايماء الى ان العمل الصالح لا يقبل بدون الايمان فلنحيينه
في الدنيا حيوة طيبة اى رزقا حلالا قال ابن عباس او قناعة قاله
الحسن وقيل استقامة في طاعة الله وقيل رزق يوم بيوم من
حيث لا يحتسب وقيل التوفيق في القلب مع حلاوة العبادة وقيل

الحيوة الطيبة في الآخرة الجنة اذ لا تطيب الحيوة لاحد الا في الجنة ولنجزينهم
اجرهم اي ثواب اعمالهم باحسن ما كانوا يعملون ولما كان من جملة الاعمال الصالحة
التي يجزي الله على احسنها الثواب في الجنة جودة القراءة في الصلوة التي
هي وجه دين الله ورايه اورد عقيب العمل الصالح قوله فاذا قرأت القرآن
اي اذا اردت قراءته في الصلوة او في غيرها وانما عبر بلفظ الفعل
من ارادته بالملابسة ظاهرة بينهما وجوده عندها من غير فاصل فاستعذ
بالله اي التجئ به وتعوذ من الشيطان الرجيم اي المرجوم او المطرود والاستعاذة
سنة عند قراءة القرآن والاكثر على انها قبل القراءة خلافا لمالك عملا بالظاهر
وهي ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال ابن مسعود قرأت على
رسول الله فقلت ابتداء اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل
عن القلم عن اللوح المحفوظ ومعنى الاستعاذة الاستعصام بالله
من السوء انه اي ان الشيطان ليس له سلطان اي تسلط وحجة على الذين
يتولون اي وحدوا الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريده من
اتباعهم اياه وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون في امورهم دون غيره
يعني ليس له ولاية على ان يحملهم على ذنب لا يغفر انما سلطانه اي ولايته
على الذين يتولونه اي يطيعونه الشيطان ويدخلون في ولايته و

على

على الذين هم به اي بالله مشركون او بالياء السببية والضمير للشيطان
واذا بدلنا آية مكان آية اي اذا نسخنا حكم آية فازلنا مكانه حكما آخر
بانزال آية والله اعلم بما ينزل اي والحال انه اعلم بما هو اصلح لخلقه فيما يبدل
من احكامه على حسب اختلاف الازمان بنسخ الشرايع بالشرايع لحكمة
فيه قالوا اي كفار قريش انما انت مفتر اي مختلق يا محمد وذلك انهم
قالوا ليسخر محمد اصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله
من تلقاء نفسه فاكذبهم الله تعالى بقوله بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة القرآن
وعلم الناسخ والمنسوخ فان الشرايع مصالح للناس فجاز ان يكون
مصلحة الامس مفسدة اليوم وخلافها مصلحة والله عالم بها فيثبت ما يشاء
لحكمته المقتضية اياه قل يا محمد نزله اي القرآن روح القدس اي
جبرئيل من ربك بالحق اي بالوحي او بالصدق والنسخ ايضا من قبيل
الحق وهو في محل النصب على الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة ليثبت اي ليحفظ
قلوب الذين آمنوا بالناسخ ويعلموا صدقه عن الاضطراب ويزدادوا
ايمانا ويقينا وهدى من الضلالة وبشرى بالجنة للمسلمين وهما
في محل النصب مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت تقديره تثبيتا
لهم وهداية وبشارة وفيه تعريض لحصول اضدادها لغير المسلمين فان الله
تعالى حكيم لا يفعل شيئا الا بالحكمة ولقد نعلم انهم اي كفار مكة يقولون

انما يعلمه بشر اى ما يعلم محمد القران الا آدمى وهو جبر ويسار وكانا غلامين
نصرانيين من اهل اليمن فى مكة يصنعان السيوف فيها ويقران التورية
والانجيل فربما مربهما النبى عليه السلام وهما يقران فيقف ويستمع فقال
المشركون انما يتعلم محمد منهما فقال تعالى فى جوابهم تكذيبا لهم بالاستيناف
لسان الذين يلحدون بفتح اليا وكسر الحاء معلوما من الحد ومن لحد بفتح
اليا والحا اى لسان الذين يميلون السنتهم بزعم انهم يعلمه اليه
لسان اعجمى وهو الذى لا يفصح وان كان عربيا والعجمى هو المنسوب
الى العجم وان كان فصيحا وهذا اى القران لسان عربى مبين اى مفصح
واللسان اللغة هنا روى ان الرجل كانوا يلحدون اليه اسلم وحسن
اسلامه وهو يسار ثم اسلم وحسن اسلامه وهو يسار ثم اسلم جبر بعده
وهاجر مع سيده ثم قال تعالى ان الذين لا يؤمنون بايات الله اى
القران لا يهديهم الله فى الدنيا اى لا يرشدهم لغفلة رغبتهم فى
الايمان ولهم عذاب اليم فى الآخرة ثم اخبر تعالى ان صفة الافتراء
مخصوصة بالمشركين من قريش بقوله انما يفترى الكذب اى ما يختلقه
الا الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون لا محمد عليه
السلام فهو رد لقولهم انما انت مفتر يعنى عادتهم الكذب لا يبالون
به فى كل شئ قال عبد الله بن جراد قلت يا رسول الله ايزنى المؤمن قال

قد يكون

قد يكون قلت ايسرق قال قد يكون قلت ايكذب قال لا افتراء انما
يفترى الكذب الاية قوله من كفر بالله من بعد ايمانه نزل فى ناس
من اهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض اصحاب رسول الله ان هاجروا
فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش
فى الطريق ففتنوهم فكفروا كارهين وقلوبهم مطمئنة بالايمان منهم
عمار ويسار وياسر وامه وصهيب فاخبر رسول الله ان عمارا كفر بعد
الايمان فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان
بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكى فقال رسول الله ما وراءك
قال شر يا رسول الله قلت منك وذكرت الهتهم بالخير قال كيف
وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبى عليه السلام يمسح
عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فاوحى الله اليه ربه
من تكلم بكلمة الكفر فقد استحق الغضب والعقاب من الله الا من اكره
استثناء متصل لتناول الكفر على القول والاعتقاد الا من اجبر
على كلمة الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان اى ثابت على ما كان
منه ثم اخبر عن حال من لم يثبت على الايمان بقوله ولكن من شرح اى
فتح بالكفر صدرا يعنى اختاره وقبل قلبه الكفر وطابت نفسه به فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم اى شديد فى الآخرة قيل اجمع العلماء

على ان من اكره على كلمة الكفر يجوز له ان يقول بلسانه دون قلبه
خوفا من الله فهو مؤمن حقا وان الى ان يقول بلسانه حتى تقبل كان
افضل من قوله غير معتقد روى ان ياسرا ابا عمار وامه سمية قتلا بعد
التعذيب لاجل الاسلام وهما اول قتيلين فيه وامرهما افضل من امر عمار
لان فى ترك التقية والصبر على القتل اعزاز الاسلام ذلك اى الغضب
والعذاب الاليم لحقاهم بانهم استحبوا اى اختاروا الحيوة الدنيا على
الاخرة وان اى وبسبب ان الله لا يهدى القوم الكافرين اى لا يرشدهم
الى الايمان لعدم رغبتهم فى قلوبهم اليه اولئك الذين طبع الله اى ختم
بخذلانه على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون اى
الكاملون فى الغفلة لان اشد الغفلة وغايتها الغفلة عن امور العواقب
ولاجل ذلك اجترؤا على ترك امر الله ونهيه لا جرم اى حقا انهم فى
الآخرة هم الخاسرون اى المغبونون وفى قوله ثم ان ربك للذين هاجروا
دلالة على تباعد حال هولاء من حال اولئك هم عمار واصحابه واللام
فيه للاختصاص اى هو ناصرهم لا عدوهم كما كان عدوا لهولاء
الكفار ولهجرتهم من بعد ما فتنوا مجهولا اى عذبوا ومنعوا من الاسلام
يعنى عذبهم اهل مكة بالاكراه على الكفر وقرئ معلوما اى فتنوا
الناس واوقعوهم فى الضلالة وانفسهم بردتهم بعد الاسلام

قيل زلت

قيل نزلت فى شان ابى السرح وكان اخا عثمان لامه حين ارتد ثم اسلم
يوم فتح مكة وحسن اسلامه ثم جاهدوا مع النبى عليه السلام فى سبيل
الله وصبروا على الايمان والهجرة والجهاد ان ربك من بعدها اى بعد
ذلك الفتنة والهجرة والصبر لغفور لذنوبهم رحيم بادخالهم الجنة
قوله ويوم يأتى ظرف لرحيم او لفعل مقدر اى اذ يوم تحضر كل نفس
اى انسان تجادل اى تخاصم وتعتذر عن نفسها اى عن ذاته
لا يهمه شان غيره بل يشتغل بالاعتذار عن نفسه وهو المراد من الجدال
فيقول ما اشركت انا ولا عصيت او يقول هولاء اضلونى فى طريق
الحق وفى نفسها اضافة الشئ الى نفسه وتاويلها ان المراد من النفس
الاولى الجملة كما هى ومن الثانية العين وهو غيرها كانه قيل تجادل
عن ذاتها والذات اعم منها وتوفى اى توفد كل نفس سواء كانت
فاجرة او صالحة ما عملت اى جزاء عملها فى الدنيا من خير او شر
وهم لا يظلمون بالنقص من حسناتهم ولا بالازدياد على سيئاتهم
قيل يكون ذلك اذا زفرت جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا
نبى مرسل الا وقع جاثيا على ركبته حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول
لا اسئلك الا نفسى اى اريد خلاص نفسى لا غير وروى ان الروح
تخاصم الجسد يوم القيمة فيقول الروح يا رب لم يكن لى يد ابطش بها ولا عين

ابصر بها ويقول الجبد يارب جعلتني كالخشب اليابس لا يتحرك بنفسه
من جانب الى جانب ولا يقدر على شيء فيضرب الله لها مثل الاعمى
والمقعد فيعذبان معا وضرب الله مثلا اى شبها لمن انعم الله عليه فابطره
النعمة فكفر وتولى قرية اى بقرية هى مكة او ايلة كانت آمنة اى لا يهاج
اهلها ولا يغار عليها مطمئنة اى قارة باهلها لا يحتاجون الى الانتقال
للانتجاع كما يحتاج اليه سائر العرب يأتيها رزقها رغدا اى واسعا
من كل مكان يعنى يحمل اليها من البر والبحر فكفرت اى طغت
بانعم الله جمع النعمة بعد طرح التاء منها كدرع وادرع روى ان
اهلها كانوا يستنجون بالخبز او كفرت بمحمد والقرآن والاسلام فاذاقها
الله اى عاقب اهلها لباس الجوع اى ببلاء القحط سبع سنين
حتى اكلوا ما يقرطونه والخوف اى وبلباس خوف العدو او خوف
سرايا النبى عليه السلام بما كانوا يصنعون اى بسبب صنيعهم الخبيث
قبل شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر البشع اللذع
فاستعمل الاذاقة على اصابته فيقال اذاق فلان الضر والبؤس
واذاقه العذاب اى اصابه ذلك ثم يستعمل الذوق عندهم على
الملابسة لا الحقيقة لشيوعه فى الشدائد والبلايا فيقال اذاقه
فلان الضر اذا لابسه وكذا اللباس يشبه به سوء الحال الذى يغشى

الانسان

الانسان والتبس به من كل جانب كاشتمال اللباس على اللابس
فيستعار اللباس له ولما كان الخوف والجوع متغشيا لهم تغشى الثوب
للابس استعير فى الآية اللباس لكل من الجوع والخوف فكان اللباس
قد صار جوعا وخوفا فيلابس بها فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع
والخوف يعنى ابتلاهم الله بهما وظهر عليهم سوء آثارهم وتغير الحال
الحال عليهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم وذلك بدعاء النبى
عليه السلام حين قال اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم كسنى
يوسف فاستجيب دعائه فوقع القحط فيهم حتى اكلوا الجيف والكلاب
والعظام المحرقة ولقد جاءهم رسول منهم وهو محمد عليه السلام
فكذبوه فاخذهم العذاب اى الجوع وهم ظالمون والواو للحال
ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله وقالوا انت عاديت الرجال
فما بال الصبيان والنساء فاذن رسول الله ان يحمل الطعام
اليهم وهم بعد مشركون فانزل تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا اى من الحرث والانعام وهم جزاعة وثقيف واشكروا
نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون اى توحدون وترضونه بعبادتكم
فان رضاه ان تستحلوا ما احل وتحرموا ما حرمه هو ثم عرفهم
المحرمات ليجتنبوا عنها بقوله انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل

رفع الصوت في ذبحه لغير الله به اي لغير اسمه تعالى بسبب ذلك
الشيء فالباء يتعلق بقوله اهل فمن اضطر بشيء مما حرم الله عليه
فاكل منه غير باغ اي غير متجاوز عند الاكل بالضرورة عن الشبع
ولا عاد ولا معتد بالسفر فيأكل للضرورة فيه اشارة الى ان العاصي
بسفره لا يجوز له ان يأكل الميتة للضرورة هذا عند الشافعي او المراد
منه ولا يرجع الى اكله من غير ضرورة بعد اكله للضرورة فان الله
غفور فيما اكل رحيم لترخيصه في اكل الميتة للضرورة ثم نهاهم
عن الحكم بالرأي في التحليل والتحريم بلا حجة بقوله ولا تقولوا لما تصف
اي لاجل الذي تصفه السنتكم الكذب مفعول لا تقولوا جعله
عين الكذب مبالغة وابدل منه بقوله هذا حلال وهذا حرام
يعني لا تقولوا الكذب للذي تصفونه بالحل والحرمة من البهائم
في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
من غير اسناد الى الله هذا حلال وهذا حرام فما موصولة والعائد
محذوف ويجوز ان تكون مصدرية والكذب مفعول تصف
ويتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقول على معنى ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب يعني لا تحرموا ولا تحلوا
لاجل قول ينطق به السنتكم لا لاجل حجة وبينة من الوحي بل قول

الباطل

الباطل والدعوى الفارغة لتفتروا على الله الكذب بتحريم البحيرة
والسائبة وغيرها واللام فيه للصيرورة متعلق بلا تقول ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون اي لا ينجون من العذاب في الآخرة
وفيه تهديد لاهل الفتوى والقضاء قوله متاع خبر مبتدأ محذوف
اي بقاؤهم في الدنيا وعيشهم تمتع قليل ولهم عذاب اليم اي
دائم في الآخرة لاجل ذلك القليل وعلى الذين هادوا اي مالوا عن
الاسلام وهم اليهود حرمنا ما قصصنا عليك من قبل اي قبل هذه
السورة الانعام وما ظلمناهم بتحريمنا ذلك عليهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بترك الايمان وبالمعاصي فحرمنا عليهم ببغيهم ثم ان ربك
ولي وناصر للذين عملوا السوء اي المعصية بجهالة في موضع الحال
اي جاهلين بالله وبعقابه يعني غير متفكرين للعاقبة لغلبة الشهوة
عليهم ثم تابوا من بعد ذلك اي بعد عمل السوء واصلحوا اي واستقاموا
على التوبة ان ربك من بعدها اي بعد التوبة لغفور لذنوبهم
رحيم بهم بالثواب ثم بين حال ابراهيم لكفار مكة لتتبعوا ملته فقال
ان ابراهيم كان امة اي كان واحدة امة من الامم لكماله في
جميع صفات الخير او الامة بمعنى المأموم لقصد الناس اياه ليأخذوا
منه الخير او لانه كان اماما في الدين علما للخير يأتم به الناس وقيل

كان مؤمنا وحده في زمانه والناس كلهم كفار قانتا لله اي مطيعا
لربه وقائما باوامر الله حنيفا اي مائلا الى الحق غير زائل عنه لكثرة الاستعمال
ولم يك من المشركين اي كان عارفا ذاكرا لما انعم الله عليه من انواع النعم لانه
لا يأكل الا مع الضيف وينفق على الفقراء واليتامى والمساكين اجتباه
اي اختاره الله للنبوة وهداه الى صراط مستقيم اي دين الحق وهو الاسلام
وآتيناه اي اعطيناه في الدنيا حسنة اي رسالة وخلة او لسان الصدق
والثناء الجميل وقيل القبول العام في جميع الامم وقيل الاموال
والاولاد وانه في الآخرة لمن الصالحين اي مع الانبياء في الجنة ثم اوحينا اليك
ثم فيه لتعظيم النبي عليه السلام واجلال محل ابرهيم ليتبع المشركون
دين الاسلام لانه ملة ابراهيم عليه السلام اي امرناك مع هذه
الكرامة العظيمة التي اعطيناك ان اتبع ملة ابراهيم اي دينه حنيفا
حال من فاعل اتبع اي مستقيما عليه او حال من ابراهيم اي حال كونه
مسلما وما كان من المشركين قال العلماء كان النبي عليه السلام
مأمورا بشريعة ابراهيم عليه السلام الا ما نسخ في شريعته وما لم ينسخ
صار شرعا له انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه نزل تحريضا
على الاستقامة في دين الحق لان الميل عنه يورث الطرد واللعنة اي
ما جعل السبت لعنة او ما فرض تعظيم السبت وترك الاصطياد فيه الا

على قوم

القوم الذين اختلفوا في السبت وهم اليهود واختلافهم انهم حرموا الصيد
فيه تارة واحلوه تارة ولم يتفقوا على تحريمه وقيل اختلافهم ان الله
افترض عليهم تعظيم الجمعة بالوحي على موسى بقوله تفرغوا في كل
سبعة ايام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه لصنعتكم
وسبعة ايام لصناعتكم فابوا وقالوا لا نريد الا اليوم الذي
فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد
فيه عليهم ثم جاء عيسى بيوم الجمعة فقالوا لا نريد ان يكون عيدهم
بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا يوم الاحد فاعطى الله الجمعة هذه
الامة فقبلوها وبورك لهم فيها بمغفرة الذنوب ونزول الرحمة عليهم
وان ربك ليحكم اي ليقضي بينهم ببيان الحق معاينة يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون من دين الحق يعني لا يجازيهم جزاء اختلافهم
في التحليل والتحريم وتعيين يوم من الاسبوع للعبادة وتعظيم
غير ما فرض الله عليهم ثم قال لنبيه عليه السلام ادع الى سبيل ربك
اي الى الاسلام بالحكمة اي بالقران والنبوة والموعظة الحسنة
اي بالقول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف قال عليه
السلام امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقيل الموعظة
الحسنة الدعوة الى الله بالترغيب والترهيب وجادلهم بالتي هي احسن

اى وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التى هى المرضية عند الله وهى ان لا
يكون لكم فيها غرض من اغراض الدنيا ولا اذى لهم ولا تقصير فى
تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق وهذا منسوخ بآية السيف ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله اى فى دينه الحق هو اعلم بالمهتدين اى المستقيمين
فى الدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزل بالمدينة فى شهداء
احد وذلك لان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بحمزة وحاله من
المثلة والسيئة وهى تبقير بطنه وجدع انفه واذنه وجب مذاكيره وجزعوا
جزعا شديدا وقالوا لئن اظفرنا بقريش لنمثلن بهم مثلة لما يفعلها احد
من العرب باحد ثم رأى النبى عليه السلام عمه حمزة بحاله التى بها رآه
فقال والله لئن ظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فقال
تعالى ان كنت لا بد فاعلا عوقبتهم فافعل بهم ما فعلوا بموتاك فكف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المثلة وكفر عن يمينه قيل لا خلاف فى
تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهى عنها حتى الكلب العقور روى انه
لم يبق احد من قتلى احد من المسلمين الا وقد مثل به غير حنظلة بن الراهب
ولئن صبرتم بالعفو على ترك القصاص لهو اى صبركم خير فى الثواب
للصابرين اى لكم من الانتقام فقال عليه السلام بل نصبر عليه ونمسك
عن المكافات قيل كان هذا قبل نزول براءة حين امر النبى عليه السلام

لقتال من

لقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال فلما اعز الله الاسلام
واهله ونزلت براءة وامروا بالجهاد ونسخت هذه الاية واصبر اى دم
على الصبر ففيه عزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه للصبر
وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اى على كفار قريش ان لم يؤمنوا ولا
تك فى ضيق اى لا تضيق صدرك مما يمكرون اى مما يفعلون
من الحيل معك قرئ بفتح الضاد وكسرها حيث ما كان وهما
ضد السعة وقيل بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقيل الكسر فى قلة
المعاش وبالفتح الحزن فى الصدر ان الله مع الذين اتقوا المعاصى
بالنصرة والذين هم محسنون اى ومع المحسنين فيما امروا به او الى
من اساء اليهم بالعفو والنفع سورة بنى اسرائيل مكية
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى اسرى قيل سبحان
كلمة لازمة الاضافة دالة على التنزيه البليغ من كل قبيح
وهو وصف الله تعالى بالبراءة من كل نقص وعيب بالمبالغة
قيل انه اسم مصدر هو التسبيح لا ينصرف بالعلمية والزيادة فيه
كعثمان منصوب بفعل متروك اظهاره ثم نزل منزلة الفعل وفيه
معنى التعجب اى سبحوا الله من كل عيب يضيفه اليه الاعداء وتعجبوا
من امره الذى يسرى لعبده محمد عليه السلام اى سيره ليلا اى فى

بعض الليل بدلالة التنكير قيل انما ذكر الليل ولم يكتف بذكر اسرى
الدال عليه ايذانا بان الاسراء والرجوع كان في جزء من ليلة واسرى
وسرى بمعنى واحد لا يستعملان الا في سير الليل خاصة يعني صار بعبده
ليلا من المسجد الحرام اي من الحرم وسمي به لاحاطته بالمسجد و وصفه بلان
قال ابن عباس الحرم كله مسجد اراد انه سيره من مسجد مكة وقيل من
دار ام هاني بنت ابي طالب وكانت من الحرم بعد البعثة قبل الهجرة بسنة
في شهر رمضان او في رجب بجسده في اليقظة لتواتر الاخبار الصحيحة
على ذلك وعليه الاكثرون وقد روي عن النبي عليه السلام بينا انا في
المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان اذا اتاني جبرئيل بالبراق
فذكر حديث الاسراء الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي اقصى لانه
ابعد من المسجد الحرام اولم يكن حينئذ وراءه مسجد يعبد الله فيه الذي
باركنا حوله ظرف اي كثرنا فيه الثمار واجرينا الانهار وجعلناه
مقرا للانبياء والصالحين والمراد ما حوله دمشق والاردن وفلسطين
وغيرها لنريه اي محمدا عليه السلام متعلق باسرى من آياتنا اي علاماتنا
العجيبة الدالة على وحدانيتنا في تلك الليلة من عجائب السموات
السموات والارض انه اي ان الله هو السميع باقوال محمد واقوال اهل
مكة البصير بافعاله وافعالهم والافعاله في ظلمة الليل وضوء

النهار ذكر في حديث المعراج ان رسول الله قال فرج عن سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبرئيل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم
جاء بطست من ذهب ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغ في صدري ثم
اطبقه ثم اتيت براق ملجم مسرج وهو دابة ابيض فوق الحمار
دون البغل يقع حافره منتهى طرفه فركبته فاستصعب علي فقال
جبرئيل امحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فرفض عرقا
فانطلقت مع جبرئيل حتى اتيت بيت المقدس فربطته في الحلقة
التي يربط فيها الانبياء فدخلت المسجد فصليت فيه ركعتين
ثم خرجت فجاءني جبرئيل باناء من خمر واناء من لبن فاخذت
اللبن فقال جبرئيل اخترت الفطرة ولو اخذت الخمر لغوت امتك
فانطلق بي جبرئيل حتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا
قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال
نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت اي وصلت فاذا فيها
آدم فقال جبرئيل هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام
فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح او في رواية فاذا فيها
رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر
قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقلت من هذا قال آدم

ابوك وهذه الاسودة عن يمينه اهل الجنة والاسوده عن شماله اهل النار
ثم صعد بي حتى اتى السما الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد وقد ارسل اليه قال نعم قيل ومرحبا به فنعم
المجى جا ففتح فاذا خلصت فاذا فيها يحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال
قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قالا مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما الثالثة فاستفتح
قيل من هذا ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا
(قال جبريل قيل)
به فنعم المجى جا ففتح فلما خلصت فاذا يوسف قال هذا يوسف فسلم
عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
ثم صعد بي الى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجى
جا ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت
عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى
السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل وقيل ومن
معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجى
جا ففتح فلما خلصت فاذا هرون فسلمت عليه فرد السلام ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما السادسة

فاستفتح

فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجى جا فلما خلصت فاذا موسى
قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح فلما جاوزت بكى قيل له ما يبكيك ابكي لان غلاما بعث بعدي
يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من امتي ثم صعد بي الى السما السابعة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجى جا فلما خلصت فاذا
ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام
ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فرفع الى البيت المعمور
فسألت عنه جبريل فقال هو البيت المعمور الذي يصلي فيه كل يوم
سبعون الف ملك فاذا خرجوا لم يعودوا اليه ابدا ثم ذهب بي الى
السدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان
الفيل فلما غشيها من امر الله ما غشيها يعني خمس صلوة تغيرت
اي بحسن الثواب فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
وفي اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران
فقلت ما هذان يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة
واما الظاهران فالنيل والفرات ثم دنوت الجبار رب العزة

فتدلیت حتی کنت منه قاب قوسین او ادنی فاوحی الیّ ما اوحی ففرض
علیّ خمسون صلوة فی کل یوم ولیلة فنزلت الی موسی فقال ما فرض ربک
علی امتک فقلت خمسین صلوة قال ارجع الی ربک فاسئله التخفیف
فان امتک لا تطیق ذلک فانی قد جربت الناس قبلک وعالجت
بنی اسرائیل اشد المعالجة فرجعت الی ربی فوضع عنی عشرا فرجعت
الی موسی فقال مثله فرجعت فوضع عنی عشرا فرجعت الی موسی فقال
مثله فرجعت فوضع عنی عشرا فرجعت الی موسی فقال مثله فرجعت
فوضع عنی عشرا فرجعت الی موسی فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوة
کل یوم فرجعت الی موسی فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوة کل یوم
فرجعت الی موسی فقال ارجع الی ربک فاسئله التخفیف فان امتک
اضعف اجسادا وقلوبا قلت والله سئلت ربی حتی استحییت ولکنی
ارضی واسلم وقیل لم ارجع وسئل وقال تعالی یا محمد قال لبیک وسعدیک
قال انهن خمس صلوة کل یوم ولیلة لکل صلوة عشر هی خمس علیک
وهی خمسون فی ام الکتاب لا یبدل القول لدی من هم بحسنة فلم
یعملها کتب له حسنة فان عملها کتب له عشر ومن هم بسیئة فلم یعملها
لم یکتب علیه شیء فان عملها کتب سیئة واحدة فلما جاوزت نادی
منادی امضیت فریضتی وخففت عن عبادی ثم ادخلت الجنة

فاذا فیها

فاذا فیها حبائل اللؤلؤ ای القباب واذا ترابها المسک قال الراوی
ثم اهبط بسم الله فاستیقظ وهو فی المسجد الحرام فلذلک اختلف
اهل العلم ان المعراج فی المنام او فی الیقظة وقبل الوحی او بعده فقال
المحققون ان هذا کان رؤیا فی المنام راه الله عز وجل قبل الوحی
بدلیل آخر الحدیث یعنی فاستیقظ وهو فی المسجد الحرام ثم عرج به
فی الیقظة بعد الوحی قبل الهجرة بسنة تحقیقا لرؤیاه من قبل کما انه
رای فتح مکة فی المنام عام الحدیبیة سنة ست من الهجرة ثم کان تحقیقه
سنة ثمان ونزل قوله تعالی لقد صدق الله رسوله الرؤیا بالحق
وروی انه لما رجع رسول الله لیلة اسری به وکان بذی طوی قال
یا جبرئیل ان قومی لا یصدقونی قال لا یصدقک ابو بکر وهو الصدیق
روی زهری عن عروة ان النبی علیه السلام لما اصبح لیلة اسری
به واخبر الناس بذلک ارتد ناس ممن صدقوه وفتنوا وسعی رجال
من المشرکین الی ابی بکر فقالوا هل لک فی صاحبک یزعم انه اسری
به اللیلة الی بیت المقدس قال لئن قال ذلک لقد صدق قالوا
تصدقه انه ذهب الی بیت المقدس فی لیلة وجاء قبل ان یصبح
قال نعم انی لاصدقه بما هو ابعد من ذلک اصدقه بخبر السماء بغدوة
او روحة فلذلک سمی ابو بکر الصدیق ثم قالوا للنبی علیه السلام هل

تستطيع ان تنعت لنا المسجد قال نعم قالوا اخبرنا عن نعته فاخبرهم
عنه كما كان فقال قوم اما النعت فوالله لقد اصاب ثم قالوا يا محمد
اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيئا قال نعم مررت
على عير بني فلان وهي بالروحاء وقد اضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه
وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان
فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه آية
قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها
واحمالها وهيئتها ومن فيها قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان
تقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع
الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية حتى اتوا عليها
فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه وبعضهم على ثنية اخرى
ينتظرون العير اذ قال قايل منهم والله هذه الشمس قد طلعت وقال
الآخر والله هذه الابل قد طلعت تقدمها بعير اورق فيها فلان
وفلان كما قال لهم فلم يؤمنوا وقالوا ان هذا الا سحر مبين قال
النبي عليه السلام لقد رايتني في الحجر وهو حطيم البيت وقريش
تسئلني عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا اكرب
مثله قط فرفعه الله لي الى ان انظر اليه ما يسئلوني عن شيء الا انبأتهم

به قيل

به قيل سير الاسراء به من مكة الى بيت المقدس قبل العروج الى السماء
هو ان يكون سببا لتصديقه بالصعود الى السماء ايضا عقلا ثم
اخبر تعالى عن حال موسى وقومه تهديدا للمكذبين النبي عليه السلام
من اهل مكة فقال وآتينا موسى الكتاب اي التورية جملة واحدة وجعلناه
اي الكتاب هدى لبني اسرائيل من الضلالة الا تتخذوا بالياء غيبة
اي لئلا يتخذوا او ان تفسيرية بمعنى النهي اي تخذ بنو اسرائيل من
دوني وكيلا اي ربا كفيلا يكون امورهم اليه وبتاء الخطاب
لزيادة التخويف يعني لا تتخذوا من دوني ربا ذرية من حملنا مع نوح
نصب ذرية مفعول ثان لقوله لا تتخذوا يعني لا تتخذوا ذرية المحمولين
في السفينة وهي عيسى وعزير او منادى محذوف حرف النداء ينادي
كفار مكة اي يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا من دوني وكيلا
ولا تشركوا بي وانتم ذرية من آمن به وحمل معه وهذا منة على
جميع الناس لان كلهم من ذرية من انجاه الله من الغرق بالسفينة
وتوبيخ لمن اشرك منهم بالله يعني انهم كانوا مؤمنين به فكونوا
مثلهم في الايمان بالنبي عليه السلام ثم اثنى على نوح بقوله انه كان
عبدا شكورا اي كثير الشكر لله كثير الخير للمساكين قيل كان يعرض
عشاءه عند فطره على من آمن به فان وجده محتاجا به آثره به وقيل

كان قائلا الحمد لله اذا اكل وشرب او قام وقعد وذهب وقضينا اى
بيّنا الوحى وانهينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب اى فى التورية او فى اللوح
المحفوظ او الى بمعنى على اى قضينا عليهم حكما مقطوعا لتفسدن اى
والله لتفسدن فى الارض اى ارض الشام وبيت المقدس مرتين
نصب على المصدر من غير لفظ الفعل اى افسادين الافساد فى المرة
الاولى قتلهم النبى شعيا او قيل هو مخالفتهم احكام التورية وارتكابهم
المحارم والافساد فى المرة الثانية قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى
بن مريم ولتعلن اى ولتعظمن علوا كبيرا اى تعظما شديدا والعلو
العتو بالقهر الشديد والظلم العظيم فاذا جاء وعد اوليهما اى موعود
اولى المرتين وهو عقابها بعثنا اى سلطنا عليكم عبادا لنا اى
عبيدنا ومماليكنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس اولى بأس
شديد اى ذو بطش قوى فى الحرب وهم العمالقة او سنجاريب
الملك من ارض نينوى والاظهر عند الاكثر بخت النصر ملك بابل
ولاية نمرود فجاسوا اى داروا يطلبونكم من جاس الشئ اذا طلبه
بالاستقصاء خلال الديار اى وسطها ووسط الازقة للقتل والاسر
والفساد وكان مجئ العقاب لهم وعدا مفعولا اى مقدارا فى اللوح
لا محالة من ان يفعل بهم ذلك قال محمد بن اسحق كان اول ما نزل

بنى اسرائيل بسبب ذنوبهم هو ان الله كان اذا ملك ملكا عليهم
بعث معه نبيا يسدده ويرشده وكان لهم بعد موسى ملك صالح
يعبد ربه ويعدل بين الناس وبعث معه شعيا بن امصيا قبل
بعثة زكريا ويحيى وعيسى وشعيا هو الذى بشر بمجئ عيسى ومحمد عليهما
السلام اذ قال ابشروا اتاكم راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك
الملك بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا ثم قبض الله ملك بنى اسرائيل
اسمه صديقة فمرج امر بنى اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم
بعضا وعصوا ربهم ونبيهم شعيا معهم ولا يقبلون منه فلما فعلوا
ذلك اوحى الله تعالى الى شعيا ان قم وانذرهم وعظهم وحذرهم
لينزجروا عن افعالهم الخبيثة فقام وانذر وبالغ فى الوعظ
والتحذير فلم يقبلوا منه فقصدوا قتله فهرب منهم فلقيه شجرة
فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بثوبه فاراهم
اياه فوضعوا فى وسطها المنشار فقطعوه ثم استخلف الله على
بنى اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم وقال له ناشية بن اموص
وبعث لهم ارميا بن خلقيا نبيا وكان من سبط هرون
بن عمران وكان يسدد ذلك الملك ويرشده ثم عظمت
الاحداث والذنوب فى بنى اسرائيل واستحلوا المحارم واوحى

الى ارميا ، خوفهم بما امرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم باحداثهم
فقام ارميا ، فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله في الوقت خطبة بليغة بين
فيها لهم ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل
واني حلفت وبعزتي لاقضين لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم
جبارا قاسيا البه الهيبة وانزل صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد
الليل المظلم ثم اوحى الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث اهل
بابل فلما اخبرهم بذلك اخذوه وحبسوه فسلط الله عليهم بخت النصر
فخرج في ستمائة الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام
وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وقتل علمائهم واحرق
التورية وامر جنوده ان يملا ، كل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس
ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا من بلدان بيت المقدس الغنايم
والرجال والنساء ، فاجتمع كل صغير وكبير من بني اسرائيل عنده فاختار
منهم سبعين الف صبي قيل كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على المسلمين
ويسلطهم عليهم اجيب بان معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوه بقطع
لطفنا عنهم ومنه اسناد التولية الى نفسه في قوله وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون فلما خرجت غنايم جنده واراد ان
يقسم قالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك لك غنايمها كلها

دانهم

واقسم بيننا هولاء الصبيان فاعطاهم اياهم فاصاب كل رجل منهم اربعة
غلمة ثم ادخل من بقي من بني اسرائيل ارض بابل فلبثوا بها سبعين
سنة حتى مات ملكهم بخت نصر وقيل مسخه نسرا في الطير ثم مسخه ثورا
في الدواب ثم مسخه اسدا في الوحوش لتخريبه بيت المقدس واحراقه التورية
ثم غزا رجل من اهل همدان يقال له كورش اهل بابل فظهر عليهم وسكن
ديارهم وتزوج امراة من بني اسرائيل وطلبت من زوجها ان يرد
قومها بني اسرائيل الى ارضهم ففعل فجاؤا الى بيت المقدس فلبثوا
في ارضها فرجع حالهم الى احسن ما كانوا عليه تائبين مطيعين لله
ثم انهم لما دخلوا الشام وحولها وليس معهم عهد من الله لا صلاح
دينهم وكانت التورية قد احرقت وكان عزير غلاما من السبايا
التي كانت ببابل فرجع الى الشام يبكي عليها ليله ونهاره واذا
قبل عليه رجل وقال يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله
وعهده الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح دنيانا واخرانا
غيره قال افتحب ان يرد الله اليك التورية ارجع فصم وتطهر
طهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير وصام وتطهر
وطهر ثيابه ثم عمد الى المكان الذي وعده فجلس فيه واتاه ذلك
الرجل باناء فيه ماء ، وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء

فمثلت التورية في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التورية فاحبوا
حبه شيئا فكان بينهم يا رحم وبينها هم بالتورية فهذه هي الوقعة الاولى
التي انزل الله ببني اسرائيل لظلمهم انفسهم ثم رددنا اي اعدنا لكم الكرة
اي الدولة والرجعة عليهم اي على الذين قتلوكم بعد مائة سنة لما تبتم ورجعتم
عن الفساد والقلق وهي قتل بخت نصر واصحابه يعني لظفرناكم بهم بعد
ان ظفروا بكم وظلموكم بالقتل والسبي وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا تميز جمع نفر كالعبيد جمع العبد اي اكثر رجالا والنفير من ينفر
معك من قومك وقيل النفير العدد ان احسنتم اي ان اطعتم ربكم
بالتوحيد والعبادة الخالصة احسنتم لانفسكم اي علمتم الثواب لاجلكم
في الجنة وان اسأتم فلها اي اشركتم وخالفتم امر ربكم فلانفسكم عقاب
الاساءة وجزاؤها وقيل اللام فيه بمعنى على كما في قوله تعالى فسلام
لك المعنى ان الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى
النفع والضر الى غيركم فاذا جاء وعد الآخرة اي المدة الآخرة وهي قتلهم
يحيى وقصد قتلهم عيسى حين رفع وافسادهم بعثنا عليكم من قتلكم
وسباكم ونفوا من دياركم ليسوءوا وجوهكم اي ليقبحوها بالقتل
والسبي والفساد وليظهروا اثره في وجوهكم من حزن وكآبة وانما
اختصت الوجوه لان اثار الاسائة انما يظهر في وجوه الناس كما يظهر آثار البشارة فيها

من فرح

من فرح ومسرة قرئ بواو الجمع وياء الغيبة وبفتح الهمزة والياء
والفاعل الوعد او الله وبالنون وفتح الهمزة اخبارا عن الله وليدخلوا
المسجد اي بيت المقدس كما دخلوه اول مرة من المرتين المذكورتين وليتبروا
اي ليهلكوا ويخربوا ما علوا اي الذي ظهروا من بلادكم تتبيرا اي اهلاكا
شديدا وهو في الاصل التكسير ومنه التبر للمتكسر من الذهب والفضة عسى
ربكم ان يرحمكم يا بني اسرائيل بعد المرة الثانية ان تبتم عن معاصيكم
فترد الدولة اليكم وان عدتم عدنا اي ان رجعتم عن توبتكم الى المعصية
رجعنا الى عقوبتكم قال قتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمدا عليه السلام
فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين بامر الله
ونهيه عن لسان رسله حصيرا اي حبسا يحبسون فيها ولا يخرجون ابدا
من قولهم حصرت اذا صار محصورا اي محبوسا وقيل الحصير هو الفراش
يبسط ويجلس عليه وروي في بيان المرة الآخرة ان بني اسرائيل لما
مات عزير جعلوا بعد ذلك يحدثون الاحداث والذنوب واستحلوا
المحارم فبعث الله الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان
آخر من بعثه الله فيهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام
وكانوا من بيت آل داود فمات زكريا وقيل قتلوه فلما رفع الله
عيسى من بين اظهرهم لقصدهم قتله قتلوا يحيى بن زكريا فبعث الله عليهم

ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس فسار اليهم باهل بابل فظهر عليهم
ثم دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم
فوجد فيها دما يغلي فسألهم عنه فقال يا بني اسرائيل ما شان
هذا الدم يغلي اخبروني خبره قالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل
منا فلذلك يغلي قال ما صدقتموني ما هذا الا امر عظيم صدقتكم فغضب
عليهم فذبح منهم على الدم سبع مائة وسبعين زوجا من رؤسهم
فلم يهدا الدم فقال يا بني اسرائيل ويلكم اصدقتموني واصبروا على
امر ربكم فقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون فيها ما شئتم قبل ان
لا اترك منكم نافخ نار انثى ولا ذكرا الا قتلته فلما راوا الجهد وشدة القتل
صدقوا الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن امور كثيرة
من سخط الله فلو اطعنا فيها لكان اشد لنا وكان يخبرنا بامركم
فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه قال ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا
قال الآن صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما راى الملك انهم
صدقوه خر ساجدا لله وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا
جيوش من كان هنا فاخرج كلهم منها وخلى بني اسرائيل فيها
ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد اصاب قومك من اجلك
وما قتل منهم في الحرب فاهدا اي اسكن باذن ربك قبل ان لا ابقي

احدا من

احدا من قومك فهدا الدم باذن الله وقال آمنت به بنوا اسرائيل
واتقنت انه لا رب غيره ثم انصرف الى بابل وذهب ببني اسرائيل
كلهم معه وبقي بيت المقدس خرابا حتى بناه عمر مع المؤمنين بعد النبي
عليه السلام قال تعالى ان هذا القرآن يهدي اي يرشد للتي هي
اقوم اي الى الملة والطريقة التي هي اسدها واصوبها وهي شهادة
ان لا اله الا الله والايمان برسله والعمل بطاعته ويبشر القرآن بضم
الياء وكسر السين بالتشديد وبفتح الياء وضم الشين بالتخفيف
بالمؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا اي ثوابا
عظيما ويبشر ايضا ان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا اي هيانا
لهم عذابا اليما اي وجيعا دائما وذكر المؤمنين الصالحين والكافرين
دون الفسقة لان الناس كانوا حينئذ اما مؤمن تقي او كافر
بالله ويدع الانسان بحذف الواو لالتقاء الساكنين وفي الخط
ايضا وهي غير محذوفة في المعنى ومعناه ان الكافر يدعو على ماله
وولده ونفسه بالشر فيقول عند غضبه اللهم العنه واهلكه ونحوهما
دعاءه بالخير اي دعاء مثل دعائه ربه بان يهب له النعمة والعافية
يعني يطلب الشر كما يطلب الخير ولو استجاب الله دعاءه على نفسه
لهلك ولكن لا يستجيب بفضله وكان الانسان عجولا اي يتسرع الى الطلب

ما يقع في قلبه وقيل العجول الضجور الذي لا يصبر على سراء ولا ضراء
والمراد منه النضر بن الحارث حيث قال فامطر علينا حجارة من السماء
فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين اي
خلقناهما علامتين لوحدانيتنا فمحونا آية الليل اي ازلنا بعض ضوء
القمر قيل في الزمان الاول لا يعرف الليل من النهار فبعث الله جبريل
فمسح جناحه بالقمر فذهب بعض ضوءه وبقي اثر جناحه فيه وهو السواد
الذي في القمر قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر
كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس وجعلنا
آية النهار مبصرة اي مضيئا تبصر فيها الاشياء يعني جعلنا القمر ذا محو
والشمس ذات اضاءة لتبتغوا اي لتطلبوا بيانا من النهار فضلا
اي رزقا من ربكم في النهار ولتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد
السنين والحساب اي حساب الاوقات قيل لو ترك الله الشمس والقمر كما
خلقهما لم نعرف الليل من النهار ولم يعد الصائم متى يفطر ولم
يدر المؤمن وقت الحج ولا وقت حلول آجال المعاملات
ولا وقت السكون والراحة وكل شيء يحتاج اليه فصلناه
تفصيلا اي بيناه بيانا ظاهرا فلم يبق لكم علينا حجة وزوال
عذركم وعلتكم وكل انسان الزمناه طائره اي عمله من خير وشر في عنقه لا

يفارقه

لا يفارقه كلزوم القلادة في العنق حتى يحاسب به يوم البعث وخص
العنق بالذكر لان الالزام فيها اشد وقيل هذا من جري الكلام على عادة
العرب بنسبة الاشياء اللازمة الى الاعناق ونخرج بالنون له اي
للانسان يوم القيامة كتابا يلقاه بضم الياء وتشديد القاف اي يعطاه
وبفتح الياء وتخفيف القاف اي يراه منشورا اي مفتوحا يقرؤه اميا
كان او غيره قيل ما من مولود الا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي
او سعيد وفي الآثار ان الله تعالى يامر الملك بطي الصحيفة اذا تم عمر
العبد فلا تنشر الى يوم القيمة فاذا بعث يقال له اقرأ كتابك اي ما
في كتابك كفى بنفسك اي الباء زائدة في الفاعل اي كفى شخصك
اليوم حسيبا تمييز فعيل بمعنى الفاعل اي محاسبا لما ترى فيه كل حسنة
وسيئة محصاة عليك وانما فوض حسابه اليه لئلا ينسب الله الى الظلم
ولتجب الحجة عليه باعترافه من اهتدى اي من اجتهد حتى وصل
الى الهداية والاستقامة فانما يهتدي لنفسه اي فثوابه لها ومن
ضل فانما يضل عليها اي عقابه على نفسه ولا تزر وازرة وزر اخرى اي
لا يؤاخذ احد بذنب آخر قوله وما كنا معذبين امة حتى نبعث رسولا
اليهم اثباتا للحجة وقطعا للعذر فيه دليل على ان ما وجب على العبد
بالسمع دون العقل فان اجابوا الرسول والا عذبوا ورد لقول من

يقول ان الحجة لازمة لهم بالعقل قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل
التي يعرف بها الله تعالى وقد تركوا النظر مع تمكنهم منه فاستوجبوا العذاب
بتركهم ويجعل بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر في ادلة العقل وهذا
القول اعتزال واذا اردنا ان نهلك قرية اي اهلها امرنا امرنا بالتخفيف
بلا مد اي كثرنا من امر القوم اذا كثروا يعني اذا دنى وقت اهلاك قرية
كثرنا الجناية مترفيها اي منعميها واغنيائها او امرناهم بالطاعة لان الامر
لا يكون الا بها فحذف المامور به بدليل ففسقوا اي عصوا فيها فحق
اي وجب عليها القول اي العذاب فدمرناها تدميرا اي خربناها باهلاك
من فيها بالاستيصال وكم اهلكنا من القرون بيان وتمييز لكم وكم
مفعول اهلكنا والقرن اربعون سنة وقيل ثمانون سنة وقيل مائة
وهو الاصح لما نقله عبد الله بن بسر رحمه لما روي عن النبي عليه السلام
اي اهلكنا قرونا كثيرة كعاد وثمود وقوم لوط من بعد نوح وكفى بربك
الباء زائدة فيه بذنوب عباده يتعلق بقوله خبيرا بصيرا وهما منصوبان
على الحال من ربك اي كفى الله عالما بسرهم وجهرهم قادرا على اخذهم
ومجازاتهم لا يغفل عنهم ولا يعجز عن عقابهم وفيه تهديد وتشديد
لهذه الامة وتنبيه على ان الذنوب اسباب الهلكة لا غير من كان يريد
العاجلة اي ثواب الدنيا بعمله عجلنا له فيها اي اعطيناه في الدنيا ما نشاء

من البسط

من البسط والتقتير لا ما يشاء هو او بدل من له بدل البعض بتكرير العامل
قوله لمن نريد اي نهلكه كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد
للذكر او الغنيمة ثم جعلنا له جهنم اي اوجبناها له يصليها اي يدخلها
مذموما مدحورا اي مطرودا من الرحمة مبعدا من كل خير ومن اراد الاخرة
من الناس بعمله وسعى لها سعيها كما هو حقه فليس مشوبا بالغرض من اغراض
الدنيا وهو مؤمن اي مخلص في ايمانه فما يبالي اوتي في الدنيا حظا
من الحظوظ ولم يؤت فاولئك اي اهل هذه الصفة كان سعيهم مشكورا
اي مقبولا بالثواب كلا اي كل واحد من المؤمنين والكافرين نمد
اي نعطي هؤلاء وهؤلاء ما قسم لهم فمحل هؤلاء النصب بدل من كلا
وهو مفعول نمد من عطاء ربك اي من رزقه يعني رزق المطيع
والعاصي جميعا ثم يختلف بهما الحال في المال وما كان عطاء ربك اي
رزقه محظورا اي ممنوعا عن خلقه للعصيان والمراد من العطاء
الدنيا والا فلا حظ للكفار في الاخرة مختصة بالمؤمنين انظر
يا محمد بعين العبرة كيف فضلنا بعضهم على بعض اي جعلناهم متفاوتين في
التفضل اي في الرزق والعمل الصالح يعني طالب الدنيا وطالب
الاخرة ونصب كيف على الحال بفضلنا وللاخرة اكبر درجات اي افضلها
للمؤمنين بما فضلوا في الدنيا واكبر تفضيلا في الثواب لهم قيل الرجل

الاعلى في الجنة يرى فضله على من اسفل منه والرجل الاسفل لا يرى ان
فوقه احدا ثم قال مخاطبا للنبي عليه السلام ومسمعا لغيره لا تجعل يا محمد
مع الله الها آخر فتقعد اي فتبقى في النار مذموما يذمك الناس مخذولا
اي ذليلا بلا ناصر وقضى ربك اي وحكم امرا مقطوعا به واوصى ربك
ان اي بان لا تعبدوا الا اياه اي لا توحدوا احدا الا الله وبالوالدين
احسانا اي وامر برهما عطفا عليهما اما يبلغن عندك الكبر ان شرطية زيدت
عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت
عن ما لم يصح دخول النون في الفعل لا تقول ان تضربن زيدا اضربك
قرء يبلغان بالالف والتثنية والتشديد لذكر الوالدين قبله فيكون
احدهما بدلا من الف الضمير الراجع الى الوالدين او كلاهما عطف على احدهما
وقرئ مبلغين على التوحيد والتشديد وفاعله احدهما وكلاهما عطف
عليه اي ان بلغ احد الابوين الهرم عندك او كلا الابوين فلا
تقل لهما اف بالكسر مع النون للتنكير وبالفتح وبالضم بلا تنوين
وقد رفيه التعريف وهو اسم سمي به الفعل فبني ومعناه التضجر
اي لا تتضجر عند خروج مكروه منهما واماطة البول في الخلاء عنهما كما كانا
يميطانه عند صغره ولا تقل لهما قولا رديا ولا تنهرهما اي ولا تغلظ
عليهما بالقول وقل بدل التافيف والنهر لهما قولا كريما اي لينا حسنا

عاريا عن

عاريا عن اللغو واخفض لهما جناح الذل من باب اضافة حاتم الى
الجواد اي الن لهما جانبك الذليل وتواضع ولا ترفع عليهما يدك
تعظيما لهما وتحسينا للادب من الرحمة اي من الشفقة لهما وقل رب
ارحمهما اي اجعل رحمتهما في قلبي حتى اربيهما كما ربياني صغيرا وادع
لهما بشرط الاسلام او بالهداية والارشاد قال النبي عليه السلام
رضاء الله في رضاء الوالد وسخطه في سخط الوالد وقال عليه السلام
لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وقال عليه السلام الوالد
وسط ابواب الجنة فحفظ ان شئت او ضيع قيل بر الوالدين ان
لا تقوم الى خدمتهما وانت كسل ثم خاطب بخطاب عام ربكم اعلم
بما في نفوسكم اي في ضمائركم من بر الوالدين وعقوقهما ان تكونوا
صالحين اي بارين بالوالدين محسنين اليهما ثم صدر منكم ما يؤدي
الى اذاهما ثم انبتم الى الله بالاستغفار منه فانه اي الله كان للاوابين
اي الراجعين اليه بالتوبة من الذنوب الى طاعته غفورا قيل الاواب
هو الذي يذنب ثم يرجع عن ذنبه ويتوب قيل الاواب هم الذين
يصلون صلوة الضحى قال عليه السلام صلوة الاوابين اذا
رمضت الفصال من الضحى اي اذا فرت من حرها الى ظل امها وقيل
هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء فان الملائكة تحف بهم وآت

اى اعط ذا القربى حقه اى صلته بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة
والمعاضدة اذا كانوا عاجزين عن الكسب محتاجين اليك يعنى به
صلة الرحم وقيل اراد به قرابة الرسول والمسكين اى واعط السايل
وابن السبيل اى الضيف النازل وحقه ثلثة ايام ولا تبذر تبذيرا اى
لا تنفق مالك فى غير طاعة الله قيل لو انفق انسان ماله كله فى سبيل
الحق لم يكن تبذيرا ان المبذرين اى المنفقين اموالهم فى غير سبيل
الحق كانوا اخوان الشياطين اى اعوانهم وامثالهم فى الشر وكان
الشيطان لربه كفورا اى جحود النعمة فلا ينبغى ان يطاع لانه يدعو الى
مثل عمله واما تعرضن عنهم اى ان اعرضت عن هولاء الذين امرتك
بالانفاق عليهم من ذى القربى وغيرهم غير مجيب لهم اذا لم يكن عندك
شئ حياء منهم من سوالهم عنك شيئا ابتغاء رحمة يعنى لفقد رزق
تطلبه من الله فوضع الابتغاء الذى هو المسبب موضع الفقد الذى
هو السبب لطلب رزق من ربك ترجوها اى ترجوا ان ياتيك عطا الله
وتنتظره فقل لهم قولا ميسورا اى لينا سهلا يعنى عدهم عدة جميلة
تطييبا لقلوبهم ولا تتركهم بلا جواب لهم لتشتغل قلوبهم وقل
رزقنا الله واياكم قيل يجوز ان يتعلق ابتغاء بنفس الشرط كما عرفت
ويجوز ان يتعلق بجوابه مقدما عليه اى فقل لهم قولا جميلا ابتغاء رحمة

من الله

من الله عليك برحمتك عليهم قيل نزلت الاية فى بلال وصهيب
وسالم وغيرهم من الفقراء كانوا يسئلون النبى ما يحتاجون اليه
ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم فيمسك عن القول قوله ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك بخلا عن النفقة ولا تبسطها كل
البسط فى الاسراف فتعطى جميع ما عندك فيجى الاخرون ويسئلونك
فلا تجد ما تعطيهم خطابا للنبى عليه السلام بالاقتصاد الذى هو بين
الاسراف والتقتير نزل حين جاء صبى الى رسول الله وقال ان امى
تسالك الدرع الذى عليك فدخل النبى عليه السلام داره ونزع قميصه
فاعطاه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلوة فانتظروه فلم يخرج فشغل
قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فراه عريانا فقال تعالى لا تمسك يدك
عن النفقة فى الحق كالمغلولة يده ولا تبسطها كل البسط فى العطية فتقعد
ملوما يلومك سائلوك بالامساك اذا لم تعطيهم محسورا اى نادما
على ما فرط منك او منقطعا عن المال فلا تجد عندك شيئا تنفقه على
سائلك ثم سلى نبيه عليه السلام عما فيه من الضيق والفقر بقوله
ان ربك يبسط الرزق اى يوسعه لمن يشاء من كان صلاحه فى التوسعة
ويقدر اى ويضيق على من يشاء من كان صلاحه فى التضييق
لا الهوان منه عليه ولا البخل به عليه انه كان بعباده خبيرا بصيرا العلم صلاح

كل واحد منهم من البسط والقبض فمشيئته تابعة للحكمة قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي مخافة الفقر نزل نهيا عن فعل الجاهلية حيث كانوا يقتلون بناتهم خشية الفاقة واخبر ان الله ضامن لهم ان يرزقهم ويرزق اولادهم بقوله نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا اي ذنبا عظيما قرئ بكسر الخاء وسكون الطاء وبفتح الخاء والطاء بلا مد وبكسر الخاء وفتح الطاء مع المد ومعنى الكل واحد ولا تقربوا الزنا وهو نهي عن مقدمات الزنا كالنظر واللمس فالنهي عن الزنا اولى وليس المراد نفس الزنا والا لقال ولا تزنوا انه كان فاحشة اي قبيحة اشد القبح وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه لانه غصب على الغير من غير سبب شرعي وهو الطهر الذي شرعه الله قال ابن مسعود لا احد اغير من الله تعالى ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق اي باستحقاقها القتل لما روي عن النبي عليه السلام لا يحل دم امرء مسلم الا باحد ثلث رجل كفر بعد ايمانه او زنا بعد احصانه او قتل نفسا بغير نفس ومن قتل مظلوما اي غير راكب واحدة من ثلث فقد جعلنا لوليه اي لقريبه المظلوم سلطانا اي قوة وولاية على القاتل بالقتل قصاصا فهو بالخيار ان شاء عفى عنه وان شاء اخذ الدية اذا اصطلحا عن ذلك وان شاء قتله فلا يسرف بالتاء على الخطاب وبالياء في القتل اي الولي لا تقتل بالواحد اثنين

ولا غير قا

ولا غير قاتل حميمه ولا تقتل بعد ما عفى او اخذ الدية وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا لا يرضون بقتل الواحد وحده حتى يقتلوا معه جماعة من اقاربه فنهوا عن ذلك انه كان منصورا اي ان ولي المقتول منصور من الله على القاتل باستيفاء القصاص والدية فلا يتعدى على ذلك ومن لم يكن له قريب يطالب دمه فالسلطان وليه قيل يجوز ان يكون الضمير في انه للمظلوم بمعنى ان الله ناصره حيث وجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي اي بالخصلة والطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره بالتعامل الشرعي وتربيته حتى يبلغ اشده اي منتهى بلوغه واوفوا بالعهد الذي بينكم وبين ربكم اي بينكم وبين الناس اذا عاهدتم لكل احد وهو ما يلتزمه الانسان على نفسه ان العهد كان مسؤولا اي يسئل الناكث عنه يوم القيمة او يسئل العهد لم نكثت يا عهد توبيخا لناقضه كسؤال الموؤدة لم قتلت توبيخا لقاتلها قيل العهد هنا الاتيان بما امر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه واوفوا الكيل اذا كلتم لغيركم وزنوا بالقسطاس المستقيم اي بميزان العدل قرئ بكسر القاف وضمها وهو الميزان بلغة الروم صغر او كبر وقيل عربي ماخوذ من القسط وهو العدل ذلك اي الوفاء في الكيل والوزن وبجميع ما امركم الله به خير من الغدر والنقص واحسن تاويلا اي عاقبة وهي ما يؤول اليه الامر من الخير والشر ولا تقف

اى لا تتبع بالحدس والظن ما ليس لك به اى بحقيقته علم يعنى لا تقل
رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه من القفو وهو اتباع
الاثر ويدخل فيه النهى عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته ولا
فساده ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك رفع مبتداء مضاف الى اسم
الاشارة اى جميع هذه الاعضاء من السمع والبصر والفؤاد والخبر كان عنه
مسئولا والضمير فى كان وفى عنه يرجع الى كل لتذكر اللفظ وقدم عليه
مسئولا لرعاية الفاصلة فالوجه ان يكون عنه فى محل الرفع لمسئولا
المقدر قبله بدلالة المذكور تفسيرا واولئك جمع ذا وذا اشارة الى العقلاء وغيرهم
قيل فى معنى هذه الآية يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسأل
السمع والبصر عما فعله المرء عن ابى حميد انه قال اتيت النبى عليه السلام
فقلت يا نبى الله علمنى تعويذا اتعوذ به فاخذ بيدى ثم قال قل اعوذ بك
من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى ومن شر قلبى ومن شر منيى فحفظتها والمنى
ماؤه ولا تمش فى الارض مرحا بفتح الراء مصدر فى موضع الحال او مفعول
وهو تغير للمشى اى بطرا وكبرا او بكسر الراء رواية حالا اى اذا فرح مختالا
تمشى مرة على عقبيك ومرة على صدور قدميك فيقال انك لن تخرق
الارض اى لن تثقبها بكبرك حتى تخرج منها ولن تبلغ الجبال طولا
نصبه حال او تمييز او مفعوله اى لا تقدر ان تطاول الجبال وبناءها

بكبرك

بكبرك ان تثبت على صدور قدميك قال ابو هريرة ما رأيت احسن
من رسول الله عليه السلام كان الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت احدا
اسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى
له انا لنجهد انفسنا وانه غير مكترث كل ذلك اى كل الذى ذكرناه كان
سيئه بالاضافة اى سيء ما عددناه عليك عند ربك مكروها اى اثما
ومعصية وهو ما سوى الامور الحسنة كقوله فآت ذى القربى حقه واخفض
جناح الذل وغير ذلك وقرئ سيئة منصوبة بالتنوين فمعناه كل ما
ذكرناه من قوله ولا تقتلوا اولادكم الى هذا الموضع كان سيئة لا حسنة
ذلك احاطته بما نهى عنه خاصة وانما لم يقل مكروهة بالتاء ليطابق الموصوف
وهو سيئة نظرا الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر لان
تانيثها غير حقيقى ذلك اى كل ما امر الله ونهى عنه مما اوحى اليك ربك من الحكمة
اى هو حكمة هادية الى الرشد سمى بها لانها محكمة لا يتطرق عليه فساد وما
فى قوله من الحكمة بيان لما اوحى قوله ولا تجعل مع الله الها آخر خطاب للنبى
والمراد غيره اى لا تشرك بالله فتلقى اى فتطرح فى جهنم ملوما
اى يلومك الناس مدحورا اى مبعدا من كل خير ثم خاطب المشركين
من اهل مكة توبيخا بقوله افاصفاكم الهمزة فيه للانكار اى اشركتم
وشاركتم بالله يا كفار مكة فخصكم ربكم على وجه الخلوص بالبنين اى

بافضل الاولاد واتخذ لنفسه من الملائكة اناثا باصفاكم اليه الاولاد لانهم
كانوا يقولون الملائكة بنات الله انكم لتقولون قولا عظيما اى منكرا شديدا
باشراككم به شيئا وتفضيلكم عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون
وبجعل اشرف خلق الله اهونه بتسميته اناثا ثم قال تعالى ولقد صرفنا اى بينا
فى هذا القرآن الحكم والامثال والحجج والاحكام ليذكروا بالتخفيف
والتشديد اى ليتعظوا بما فيه وينتهوا عن عبادة الاوثان وما يزيدهم
تصريفنا بالقرآن الا نفورا اى تباعدا عن الحق قل يا محمد لهولاء المشركين
لو كان معه اى مع الله الهة كما يقولون بالياء والتاء اذا كلمة تدل على
ان ما بعدها جزاء للو وجواب عن مقالة المشركين وهو لابتغوا اى لطلب
تلك الآلهة الى ذى العرش اى خالق العالمين سبيلا بالمبالغة والقهر
ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض ثم نزه نفسه عن الشركة
بقوله سبحانه اى نزه تنزيها له وتعالى اى ارتفع وتعظم عما يقولون
اى المشركون من ان معه شريكا فى الالوهية علوا كبيرا اى تعاليا بعيدا
متصلا بالاستحالة وفى وصف الكبر بالعلو المبالغة فى البراءة مما قالوا
من المحال تسبح بالتاء والياء له السموات السبع والارض بلسان الحال
الدال على وجود الخالق وقدرته وحكمته و يسبح له من فيهن من الملائكة
والانس والجن بلسان القال الناطق بالتسبيح منهم وان من شىء الا

ليس موجود

ليس موجود من الحيوانات والنباتات الا يسبح بلسان الحال
ملتبسا بحمده فينزه عما لا يجوز عليه من الشرك والولد لان كل شىء يدل
على الصانع وقدرته وحكمته فكانها تنطق به كذلك قال عكرمة الشجرة تسبح
والاسطوانة لا تسبح والشجرة او النبات فاذا قطع تسبح ما دام رطبا
وقيل كل الاشياء يسبح الله حيا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله
وبحمده وهذا ممكن عقلا وقدرة قيل ان الثوب تسبح ما دام جديدا
فاذا وسخ ترك التسبيح والتراب تسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك
التسبيح وان الماء يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وكذا
كل حيوان يسبح ما دام يصوت فاذا سكت ترك التسبيح ولكن لا تفقهون
تسبيحهم لانه ليس بلغتكم او الخطاب للمشركين اى لا تعلمون ايها
المشركون تسبيح ما عدا من يسبح بالسنتكم لتتوضحوا الدلالة على
خالقكم الذى هو الله بجعلكم له شريكا مع اقراركم بانه خالق
السموات والارض اذا سئلتم عن خالقها لعدم الاقرار الثابت
فى قلوبكم الذى يورث النظر الصحيح على وحدانيته والحال ان هذا
التسبيح ما يفقهه كل ذى عقل ونظر صحيح انه كان حليما حيث لم
يعجل بعقوبة من اتخذ معه شريكا غفورا لمن تاب منهم الى
التوحيد واذا قرأت القرآن اى اذا شرعت يا محمد فى قراءته جعلنا بينك

وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اي بالبعث حجابا مستورا يحجب قلوبهم
عن فهمه والانتفاع به والحجاب الاكنة والمستور بمعنى الساتر
كما في بمعنى الآتي في قوله تعالى انه كان وعده مأتيا وقيل مستورا
عن اعين الناس فلا يرونه روي انه لما نزلت تبت يدا ابي لهب
ومعها حجر والنبي عليه السلام مع ابي بكر فلم تره فقالت لابي بكر اين
صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال ابو بكر والله ما ينطق بالشعر
ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ
راسه فقال ابو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني
وبينها يسترني منها وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية كراهة
ان يفقهوه حتى لا يرغبوا في الحق وفي آذانهم وقرا اي ثقلا وصمما لئلا
يسمعوه واذا ذكرت يا محمد ربك في القران وحده اي بقول لا اله الا الله
وانت تتلو القران ووحده مصدر ساد مسد الحال من ربك
بمعنى واحدا وحده ولوا اي اعرضوا على ادبارهم نفورا اي نافرين
متباعدين عن الايمان جمع نافر كقعود جمع قاعد وذلك حين قال
عليه السلام قولوا لا اله الا الله تملكوا بها العرب وتذل لكم بها
العجم ثم نزل تهديدا لهم وتسلية للنبي نحن اعلم بما يستمعون به اي بالامر
الذي يستمعون القرآن ملتبسين به من اللغو والهزء والكلام

وغيرها وهو في موضع الحال ويجوز ان يكون الباء صلة اي يطلبون
سماعه وقوله اذ يستمعون ظرف لاعلم اي اعلم وقت استماعهم اليك بما
يستمعون به وانت تقرأ القران واذ هم نجوى جمع نجي اي يتناجون في امرك
بان قال بعضهم هذا مجنون وبعضهم هذا ساحر وابدل من اذ هم اذ
يقول الظالمون اي المشركون وهم الوليد بن المغيرة واصحابه ان تتبعون
الا رجلا مسحورا اي مطبوبا مغلوب العقل او له سحر وهو الرئة
يعنون انه بشر مثلكم بالطعام والشراب يأكل ويشرب انظر يا محمد
كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه حيث قالوا ساحر او مجنون فضلوا
اي اخطئوا في المقالة وتحيروا في الطريق فلا يستطيعون اي لا يجدون
سبيلا اي وصولا الى طريق الحق وقالوا ءاذا كنا اي صرنا
عظاما ورفاتا اي حطاما كالفتات بعد الموت وهو ما يكسر ويبلى
من كل شيء ءانا لمبعوثون اي لمحيون في الآخرة خلقا جديدا والاختلاف
في قوله ءاذا وءانا مثل ذلك في الرعد من القراءة قل لهم
يا محمد توبيخا وتعجيزا كونوا حجارة او حديدا في القوة او خلقا آخر مما يكبر
اي يعظم في صدوركم كالسماء والارض والجبال وغيرها مما قيل
الحيوة ثم انظروا باستدلال العقل هل نحن قادرون على ان
نجعل الروح في ذلك بعد ان احييناكم واوجدناكم من العدم

فانه لا يمتنع عليها جعل الروح فيها واحياؤها وقيل المراد من الخلق
الآخر الموت اذ ليس في نفس ابن آدم شيء اكبر من الموت يعني او كنتم
حجارة يابسة او حديدا صلبا او موتا بعينه لانعشنكم باحيا والروح فيكم لا
نعجز عنه فسيقولون استبعادا من يعيدنا اي من يبعثنا بعد الموت قل لهم
يعيدكم الذي فطركم اي انشأكم اول مرة لان القادر على الانشاء
قادر على الاعادة فسينغضون اي يحركون اليك رؤسهم وقت قولهم
ذلك مستهزئين بها او متعجبين من قولك ويقولون متى هو اي البعث
او العذاب يوم القيمة قل عسى ان يكون ان يكون البعث او العذاب قريبا
اي هو قريب بارادته وعسى من الله للوجوب ثم قالوا يا محمد متى هذا القرب
فنزل يوم يدعوكم اي يعيدكم يوم ينفخ اسرافيل في الصور لدعوتكم
من قبوركم بالنفخة الاخرة فتقومون للحساب فتستجيبون اي فتجيبون
بحمده تقصدون نحو الداعي بامر الله تعالى او تقرون بانه خالقكم
وباعثكم وتحمدونه حين لا ينفعكم الحمد او الخطاب للمؤمنين فانهم
يبعثون حامدين والاول اظهر وتظنون اي تتيقنون ان لبثتم
في الدنيا او في القبور الا قليلا اي يسيرا قيل يرفع العذاب عنهم
فيما بين النفختين وبينهما اربعون سنة فينسون العذاب فيظنون
انهم لم يلبثوا الا يسيرا وهذا يدفع قول من قال اذا وضع الميت

في قبره

في قبره لا يعذب الى البعث فيظن انه مكث في القبر قليلا وقيل
يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيمة قوله وقل لعبادي المؤمنين يقولوا
الخصلة التي هي احسن للمشركين ولا يكافئوهم بسفههم نزل حين كان
المشركون يؤذون المسلمين فشكوا الى رسول الله فامر الله ان
يجيبوهم بجواب حسن لين لا خشن قيل هو رد السلام بلا فحش
سلام مباركم وقيل هو كلمة الاخلاص يعني لا اله الا الله وقيل
يهديكم الله فنسخ باية السيف ان الشيطان ينزغ اي يفسد بينهم بالقاء
العداوة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي ظاهر العداوة
فاتخذوه عدوا ربكم اعلم بكم اي باحوالكم يا كفار مكة ان يشأ يرحمكم
اي يوفقكم بالتوبة عليكم فتؤمنوا وان يشأ يعذبكم يميتكم بالكفر
فتعذبوا وقيل هو خطاب للمسلمين اي ان يشأ يرحمكم فينجيكم
من اهل مكة اذا صبرتم وان يشأ يعذبكم ويسلطهم عليكم
ان لم تصبروا وما ارسلناك عليهم وكيلا اي موكولا اليك
امرهم فتجبر على الاسلام فداراهم الى الاذن بالقتال وربك اعلم
بمن في السموات والارض اي عالم بحالهم لانه خلقهم مختلفين في
صورهم واخلاقهم ومللهم فيعلم من هو اهل للرسالة والايمان ويعلم
من لا يصلح لذلك وهو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم

ان يكون يتيم فى قريش نبيا وبلال وصهيب وخباب وغيرهم
من الفقراء من المؤمنين ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ففضل
ابراهيم بالخلة وموسى بالكلام وادريس برفعه حيا الى الجنة
ومحمدا عليه السلام بجسمه المعراج وآتينا داود زبورا بفتح الزاء و
ضمها اسم كتاب عليه السلام داود ويستعمل باللام وغيره كالفضل
اسم وهو يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتحميد وتمجيد
وثناء على الله ليس فيها حلال وحرام ولا فرايض وحدود
المعنى انكم لن تنكروا زبور داود الذى فيه ذكر ان محمدا عليه السلام
خاتم الانبياء وان امته خير الامم فكيف تنكرون فضل محمد
عليه السلام واعطاءه القران وهذا خطاب لمن يقر بتفاضيل
الانبياء عليهم السلام من اهل الكتاب وغيرهم قوله قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه نزل حين اصاب المشركين قحط شديد
حتى اكلوا الكلاب والجيف واستغاثوا بالنبى عليه السلام ليدعو لهم
بالكشف فقال تعالى قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم انهم
الهة من دون الله وتعبدونهم مع عجزهم فلا يملكون كشف الضر اى
لا يقدرون صرف السوء عنكم من البلايا والامراض اذا نزل
بكم ولا تحويلا اى ولا تبديلا الحال من العسر الى اليسر اولئك الذين يدعون

بالياء والتاء

بالياء والتاء مبتدا صفته اى هولاء الذين تعبدونهم وتزعمون انهم
الهة كالملائكة وعيسى وعزير والشمس والقمر والنجوم والحجر يبتغون
اى يطلبون الى ربهم الوسيلة اى القربة بالتضرع اليه فى طلبها وقيل
هى الدرجة العليا وقيل كل ما يتقرب بسببه الى الله وهو الاعمال الصالحة
مع الايمان واى فى ايهم بدل من واو يبتغون وهو اسم موصول
والجملة بعد صلته اى يبتغى من هو اقرب فكيف بالابعد او الوسيلة
المقربون عند الله فاى اسم استفهام مبتدا خبره اقرب والجملة
نصب بيبتغون بتضمين الفعل فمعناه ينظرون ايهم من هولاء
المقربين اقرب الى الله بالكرامة فيتوسلون به ويرجون رحمته اى جنته
ويخافون عذابه اى ناره كما يخاف ويرجو غيرهم من العباد فكيف
يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا اى يطلب منه الحذر
وقيل سبب نزول الاية ان نفرا من العرب كانوا يعبدون نفرا
من الجن فاسلم الجنيون على يد النبى عليه السلام ولم يعلم الانس
الذى كانوا يعبدونهم باسلامهم فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله تنزيل
هذه الاية ثم اخبر تعالى هلاك كل قرية وذنوب سكانها تهديدا للكفار
مكة فقال وان من قرية اى ليس قرية من القرى الا نحن مهلكوها
اى مهلكوا اهلها بالموت والاستيصال قبل يوم القيمة نحن معذبوها

عذابا شديدا بانواع العذاب من السيف والزلزلة والغرق والحرق
وغير ذلك اذا كفروا او عصوا قبل مهلكوها في حق المؤمنين بالاماتة
او معذبوها في حق الكافرين بالقتل وانواع العذاب قال عليه السلام
هل تدرون ما يخرب القرى قالوا الله ورسوله اعلم قال عليه السلام
اعمال السوء فاجتنبوها كان ذلك اى الاهلاك والتعذيب قبل البعث
في الكتاب مسطورا اى مكتوبا في اللوح المحفوظ قال عليه السلام اول ما خلق
الله القلم فقال له اكتب قال القدر وما هو كائن الى الابد قبل اول الارض
تصير خرابا الشام والبصرة اسرع الارضين خرابا واخبثهم ترابا قوله
وما منعنا اى صرفنا عن ان نرسل بالآيات التى اقترحوا منك الا ان كذب
بها الاولون فان الاولى مع ما بعدها مفعول منعنا والثانية فاعله
اى الا تكذيب المتقدمين من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود فاهلكناهم
لان سنة الله فيمن تقدم انه اذا اوتى بآية مقترحة فلم يؤمن يهلكه
وكان تعالى قد حكم بامهالهم لان يتم امرك يا محمد نزل حين سأل اهل
مكة ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي الجبال عنهم فيزرعوا في ارضيهم
فقال نعلم انهم لو ارسلت الآيات اليهم لكذبوا بها كتكذيب الاولين
فيهلكوا لكنا امهلناهم في العذاب لحكمة بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر ثم قال وآتينا اى اعطينا ثمود الناقة

بسؤالهم

بسؤالهم اياها مبصرة اى آية موضحة لنبوة صالح فظلموا انفسهم
بها اى بتكذيبها يعنى جحدوا انها من عند الله فاهلكناهم ثم قال وما
نرسل بالآيات اى بالمعجزات للعبرة وآيات القران الا تخويفا للعباد
ليؤمنوا فان ابوا اتاهم العذاب وهو مفعول له قيل ان الله تخوف
الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون واذ قلنا اى اذكر وقت قولنا
لك بالوحى ان ربك احاط بالناس كلهم وهو قريش علما وقدرة فهو في قبضته
قادر عليهم فامض لامرك ولا تخش احدا وهذا تبشير له بوقعة بدر بالنصرة
عليهم لتبليغ الرسالة وما جعلنا الرؤيا التى اريناك ليلة المعراج الا فتنة للناس
اى اختبارا لجميع الخلق ولقريش لان منهم مصدق ومكذب بالوحى
رؤيا عين اريها النبى عليه السلام ليلة الاسراء من العجائب والآيات
والرؤيا يستعمل للرؤية ايضا وهى رؤيا منام روى انه عليه السلام
راى مصارع قريش في القتال فلما ورد ماء بدر قال هذا مصرع
فلان وهذا مصرع فلان من قريش فتسامعت قريش بما اوحى اليه
من امر بدر فكانوا يضحكون ويستهزؤن قوله والشجرة الملعونة عطف
على الرؤيا اى وما جعلنا الشجرة التى لعن اكلها اى كره ولعن اصحابها
الا فتنة لهم وهى شجرة الزقوم يقال لكل شئ كريه الطعم ملعون وهى
مذكورة في القرآن حيث قال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والفتنة

من الشجرة الملعونة من وجهين احدهما ان ابا جهل قال ان ابن ابي كبشة
يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم زعم انها تنبت فيها شجرة وتعلمون ان
النار تحرق الشجر وثانيهما ان عبد الله بن الزبعرى قال ان محمدا
تخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فقال ابو جهل يا جارية
زقمينا فاتتنا بالزبد والتمر فاتت بهما فقال يا قوم تزقموا فان هذا
ما يخوفكم به محمد فصار ذلك فتنة وبلية لهم ولو نظروا النظر الصحيح لما
استبعدوا ذلك من قدرة الله تعالى كاكل النعامة النار والجمرة
المحمى ونخوفهم اي نخوف اهل مكة بذكر الشجرة الملعونة ليؤمنوا فما يزيدهم
تخويفنا الا طغيانا كبيرا اي الا تمردا عظيما وتماديا في المعصية فكيف
يخاف قوم هذه صفتهم بارسال ما يسئلون عنك من الآيات
يا محمد ثم قال ايماء لهم الى ان التمرد من امر الله لا ينفع صاحبه
كما لا ينفع لابليس واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قالوا الظاهر
انه تعالى قال قبل كل آدم من الشجرة فسجدوا الا ابليس فانه ابى
عن السجود لآدم تكبرا قال ءاسجد لمن خلقت طينا نصبه حال من من
والعامل فيه اسجد على اسجد له وهو طين في الاصل او من الضمير
المحذوف العائد اليه على اسجد لمن كان في وقت خلقته طينا ولما
امر بالسجود لآدم قال ابليس متغيظا عليه ارايتك اي اخبرني يا رب

والكاف

والكاف لتأكيد المخاطبة هذا الذي كرمت اي فضلت اخبرني عنه
لم فضلته علي وانا خير منه لانه خلق من طين وانا خلقت من نار وقد
بين فساد قياسه في سورة الاعراف ثم ابتداء فقال لئن اخرتني اي
امهلتني الى يوم القيمة لاحتنكن اي لاستأصلن ذريته بالاضلال
يقال احتنك الجراد الزرع اذا اكله كله يعني لاستزلنهم عن طريقك
المستقيم حيث ثبت الا قليلا اي المعصومين منك قيل من اين
علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب بانه علمه من قول الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها وقيل علمه من الملائكة الذين اخبرهم الله
الله تعالى بانه سيفعله وقيل ادركه من كونه خلقا شهوانيا بنظر الفراسة اليه
قال الله تهديدا له وتحذيرا اسنه اذهب اي امض لشأنك الذي
اخترته خذلانا فمن تبعك اي اطاعك منهم فان جهنم جزاؤكم
اي جزاؤك وجزاء اتباعك وفيه تغليب المخاطب على الغائب
وتنصب على المصدر او على الحال قوله جزاء موفورا اي تجزون جزاء
وافرا مكملا لا ينقص عنكم واستفزز اي حرك واستزل من
استطعت منهم اي من ذرية آدم بصوتك اي بدعائك الى معصية
الله فكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس واجلب اي
صح بصيحتك عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك اي

بجماعة من فرسانك ومنه قول النبي عليه السلام يا خيل الله اركبي
ورجلك بكسر الجيم وسكونها اى ومشاتك وهو اسم جمع للراجل
يعني اجمع عليهم مكرك وحيلك وما امكنك فلن اعجز عن منعك
ومنعهم اذا شئت وشاركهم في الاموال المحرمة كالربا والمغصوب او ما
جعلوا من الحرث والانعام نصيبا لشركائهم قبل كل طعام
لم يذكر اسم الله عليه فللشيطان شركة فيه وفي الاولاد من
الزنا او تسميتهم عبد الحرث وعبد العزى وقيل هو تهويدهم
وتمجيسهم وتنصيرهم وقيل كل معصية بسبب الولد قيل ان الشيطان
يقعد على ذكر الرجل عند الجماع فان لم يقل بسم الله اصاب معه
امرأته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وقال رجل لابن عباس
ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار قال عليه السلام
ذلك من وطي الجن وعدهم اى قل لهم بان لا جنة ولا نار او عدهم
بالوعد الجميل في طاعتك من الاكاذيب وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وهو تزيين الباطل في صورة الحق قيل كيف جاز ذكر الله هذه
الاشياء فان امره تعالى ابليس بذلك تسليط على عباده
بالاغواء وهو يقول ان الله لا يامر بالفحشاء اجيب عنه بانه
ذكرها اياها على طريق التهديد والخذلان والتخلية لقوله تعالى للعصاة

اعلموا ما شئتم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اى حجة وتولية
يعني لا تقدر على اغواء عبادي الصالحين المعصومين وكفى بربك وكيلا
اى حافظا لهم اذا اعتمدوا عليه وتوكلوا به في كل امر كالاستعاذة
منك ومن شرك ثم ذكر ما يحملهم على اطاعة الرحمن واجتناب اطاعة
الشيطان فقال ربكم الذي يزجي لكم اى يسوق لكم الفلك في البحر
لتبتغوا اى لتطلبوا من فضله اى من رزقه انه كان بكم رحيما بالحفظ
عن الهلاك والضلال واذا مسكم الضر اى الخوف من الغرق في البحر ضل
اى غاب من تدعون اى تعبدون من الالهة الا اياه استثناء
متصل اى ذهب عن قلوبكم كل ما يستغاث به الا الله وحده او
منفصل ومعناه ضل كل الاصنام التي هن آلهتكم لكن الله هو الذي
ترجونه بعرف الثواب عنكم فتخلصون بالدعاء له فلما نجاكم الى
البر من اهوال البحر اعرضتم عن الايمان بالله تعالى وترك التضرع
اليه ورجعتم الى عبادة الاصنام وكان الانسان اى الكافر كفورا
اى جحودا لانعم ربه والعاقل من يستوي خوفه في البر والبحر كما يستوي
قدرة ربه فيهما افامنتم الهمزة فيه للانكار اى انجوتم من الخوف فامنتم
ان يخسف بكم جانب البر اى يغور بكم الى الارض السفلى كقارون واصحابه
ويجوز ان يكون جانب البر منصوبا بانه مفعول به وبكم نصبا على

الحال اى يغلب جانب البر وانتم عليه والمراد جانب البر جميع الجهات الست
اذ لا اختصاص لقدرة الله تعالى بمكان دون مكان او يرسل عليكم
حاصبا وهى التى تحصب اى ترمى الحصباء يعنى يمطر حجارة من السماء
كما امر على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا اى مانعا يمنعكم من العذاب ام
آمنتم ان يعيدكم فيه اى فى البحر تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح
وهو الريح الشديدة التى تتقصف اى تتكسر فى هبوبها ولا تمر بشئ
الا تقصفه يعنى تدق كل شئ وتحطمه فيغرقكم بما كفرتم بالله تعالى ونعمه
ثم لا تجدوا لكم علينا به اى بما فعلنا تبيعا اى تابعا لنا يطلب منا ثأركم
انتصارا لكم قرئ فى الافعال الخمسة نخسف ونرسل ونعيدكم فنغرقكم
بالنون لقوله علينا او بالياء لقوله الا اياه ثم ذكر ما يدل على وجوب
شكر الله تعالى بقوله ولقد كرمنا بنى آدم من التكريم وهو ابلغ من الاكرام
لا فقصنا ، ذلك الشكر دون هذا وفى ذكر كرمنا كرمنا تغليب للبر على
الفاجر اى كرمناهم كافرين كانوا او مؤمنين على البهايم وهو انهم يأكلون
بالايدى وغير الادمى يأكل بفيه من الارض وقيل بالعقل وقيل
بالنطق وقيل بحسن الصورة وقيل كرم الله الرجال باللحى والنساء
بالذوائب وقيل بتعديل القامة وامتدادها لان الدواب
خلقت منكبة على وجوهها وقيل بتدبير امر المعاش والمعاد وقيل

بتسليطهم

بتسليطهم على ما فى الارض وتسخيره لهم وحملناهم فى البر على الدواب
وفى البحر على السفن ورزقناهم من الطيبات اى من لذيذ المطاعم والمشارب
وقيل من السمن والعسل والزبد والتمر وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى
كالتبن والشعير وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية يدل على انهم
فضلوا على كثير من خلقه لا على الكل وانهم فضلوا على غيرهم من ذوى العقل
ايضا لان من لم يعقل واجمعوا على انهم مفضلون على جميع
المخلوقات سوى الملائكة وفى تفضيلهم على الملائكة اختلاف قال قوم
هم مفضلون عليهم ايضا فوضع الاكثر موضع الكل واستدلوا بقوله
عليه السلام لما خلق آدم وذريته قالت الملائكة يا ربنا خلقتهم
يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال
تعالى وعزتى وجلالى لا اجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى
كمن قلت له كن فكان وبعضهم فضل الملائكة كلهم على بنى آدم
وبعضهم يفضل المقربين من الملائكة كجبرئيل على خواص بنى آدم
والاولى ان يقال عوام الملائكة افضل من عوام المؤمنين وخواص
المؤمنين افضل من خواص الملائكة والتفضيل حقيقة لا يعلمه الا
الله ومن شاء من خلقه وهو لا يظهر الا فى الآخرة بدليل قوله
يوم ندعو كل اناس نصب بقوله تفضيلا وقيل بدل من يوم ندعوكم

وقيل مفعول لفعل مقدر اي اذكر يوم ندعو كل امة بامامهم اي بمن يأتمون
به من نبي او كتاب انزل عليهم او كتاب فيه اعمالهم من الخير والشر
فيقال يا اصحاب الخير ويا اصحاب الشر او بمقدم يجتمع الناس اليه
في الخير والشر وهو رؤسهم فمن اوتي اي اعطي كتابه اي كتاب
اعماله بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم اي ما فيه من الحساب ويعطون ثوابها
ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقص من حقهم قدر فتيل وهو كناية عن ادنى
شيء وفي الاصل وسخ يفتل بين الاصبعين او قشر في شق النواة
وهو طائفة السعداء ولم يذكر الاشقياء وان كانوا يقرؤن كتبهم
ايضا لانهم اذا نظروا فيه يأخذهم حبسة اللسان من الخوف والحياء
فلا يظهرون قراءتهم كل القراءة بخلاف السعداء فانهم يظهرون
قراءتهم باحسن قراءة وابينها ولا يقنعون بذلك وحده حتى يقول
القاري منهم لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ثم قال تعالى حثا
على التوحيد والعمل الصالح ومن كان في هذه الدنيا وفي النعم التي
قد عاينها ولم يشكر ربها اعمى اي اعمى القلب عن رؤية قدرة الله
وعن رؤية الحق او عن الهداية فهو في الآخرة اعمى كذلك عن اثبات
الحجة او هو بمعنى افعل التفضيل ومن اي اشد عمى في حال الآخرة
لانه غاب عنها لم يرها فشك فيها بخلاف ما عاين من نعم الله

او اشد عمى

او اشد عمى من كونه اعمى في الدنيا فلفقد النظر العقلي الموصل الى المعرفة
واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه لا بالتوبة ولا بالشفاعة فلذلك
قال واضل سبيلا من الاعمى لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل
توبته قرئ اعمى في الموضعين بالامالة لكون الالف فيهما طرفا لانه بمعنى
عام من عمى القلب وبفتحها على الاصل وبين بين تخفيفا وبامالة
الاول وفتح الثاني عند من جعله افعل التفضيل ومن لكون الفه
وسطا بتقدير من لانه كالجزء منه فاشبه بالفا اعمالكم فلا يمال لان
الامالة من لواحق الطرف بخلاف الاول فانه لم يتعلق به شيء
فيكون الفه في الطرف قوله وان كادوا ليفتنونك نزل حين طلب
المشركون وهم ثقيف من رسول الله ان يطرد الفقراء عنه وطمعوا
في اسلامهم وان يستلم آلهتهم وان يجعل آية رحمة مكان آية
عذاب فمال الى بعض ذلك بخطور قلب لا بعزم منه فقال تعالى
وان الشأن قاربوا ان يخدعوك ويصرفوك عن الذي اوحينا اليك
اي عن القران لتفتري اي لتختلق علينا غيره اي غير القران بالتبديل
كما طلبوا منك واذا اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا اي وليا
وصفيا وحينئذ خرجت من ولايتي ودخلت في [illegible] لي ولولا
ثبتناك اي على الحق بالعصمة والحفظ لقد كدت تركن [illegible] اي لقاربت

بان تميل اليهم اى الى مرادهم شيئا قليلا وفيه دليل على ان النبي
عليه السلام قد عصم ولم يمل اليه فى شيئ ما بالقلب وهذا الكلام تهييج
من الله او فضل تثبت على الحق وعدم الميل اليهم اذا اى لو كنت اليهم
لاذقناك ضعف الحيوة اى ضعف عذاب الحيوة الدنيا وضعف الممات اى
وضعف عذاب الممات من عذاب القبر وعذاب النار بتقدير المضاف
فيها وقيل يستعمل الضعف بمعنى العذاب والمعنى لضعفنا لك العذاب فى
الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك علينا نصيرا اى مانعا يمنع عذابنا عنك روى
ان النبي عليه السلام كان يقول بعد نزوله اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة
عين وان كادوا ليستفزونك اى ليزعجونك من الارض قيل الآية مدنية ان كان
المراد من ضمير كادوا اليهود روى ان النبي عليه السلام لما قدم المدينة
كره اليهود اقامته بها حسدا فقالوا يا ابا القاسم لقد علمت ما هذه
بدار الانبياء وان ارض الانبياء هى ارض الشام لان فيها الارض
المقدسة وكان فيها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت
نبيا مثلهم فات الشام وقيل مكية ان كان المراد منه المشركين لانهم
قصدوا ان يخرجوه من مكة فكفهم الله منه حتى امره بالهجرة فخرج
بنفسه وهذا اصح لان ما قبله خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل
هم الكفار كلهم لانهم ارادوا ان يخرجوه من ارض العرب باجماعهم

ونظاهرهم

ونظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما ارادوا فاخبر تعالى
عنهم فقال وان الكفار قد قاربوا ان يزعجونك بسرعة من ارضهم ليخرجوك
منها اى من الارض واذا اى ولو اخرجوك منها لا يلبثون خلافك
وقرئ خلفك اى بعد خروجك الا قليلا اى زمانا مقدارا بهلاكهم
فى ارضهم ولم يعمل اذن هنا النصب لان واو العطف الغتها عن العمل
يجعل الجملة بعدها متصلة بما قبلها لانها عطف الفعل على الفعل الذى
هو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل فى خبر كاد واقع موقع الاسم
فلذا لما عطفت عليه فلم تعمل اذن فيه فصارت حشوا فيه سنة من
قد ارسلنا منصوب بنزع الخافض اى كسنة او بفعل مقدر اى سن
الله سنة فى الذين بعثناهم للرسالة قبلك من رسلنا اذا كذبتهم الامم
ان لا يعذبهم ما دام نبيهم بين اظهرهم فاذا خرج نبيهم يستأصلهم
بالهلاك ولا تجد لسنتنا اى لعادتنا هذه تحويلا اى تغييرا ثم امر النبي
عليه السلام بان يقيم الصلوة ليلا ونهارا متوكلا عليه فى كل حال
بقوله اقم الصلوة المفروضة لدلوك الشمس اى لزوالها او لغروبها
واصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت وغربت والاكثر
على معنى الزوال لتكون الآية جامعة لمواقيت الصلوة كلها لانها
ان اريد منه الغروب خرج عنها الظهر والعصر وان اريد الزوال

وَ خلا قوله الى غسق الليل اى الى الظهور للظلمة فى محلّ النصب على الحال
اى ممتدة اليه ويجوز ان يتعلق الجار باقم قيل المراد من دلوك الظهر
والعصر والمغرب والعشاء ليتناول الدلوك صلوة الظهر والعصر
ويتناول غسق الليل المغرب والعشاء وقران الفجر اى واقم صلوة
الفجر لانها يكثر عليها الناس فى العبادة ليسمعوا القران فيكثر الثواب
وقيل نصبه على الاغراء اى وعليك بقراءة الفجر ان قران الفجر كان مشهودا
لان من حقه ان يشهده الجماعة الكثيرة او لكونه مشهودا بان يشهده
ملائكة الليل وملائكة النهار اذا صعد هولاء نزل هولاء ومن الليل اى
وقم بعض الليل بعد نومك فتهجد به اى فاتهجد للصلوة بالقران
والتهجد قيام الليل بعد النوم للصلوة وكانت صلوة الليل فرضا
على النبى وامته فى الابتداء فنسخ الوجوب فى حق الامة بالصلوة
الخمس وبقى الاستحباب واما فى حق النبى عليه السلام فلم ينسخ لقوله
عليه السلام ثلث هن على فريضة وهى لكم سنة الوتر والسواك
وقيام الليل قوله نافلة لك نصب على الحال اى صلوة نافلة او مصدر
فى موضع تهجد من غير لفظه ومعناه فريضة زائدة على سائر الفروض
فرضها الله عليك وذهب قوم الى ان الوجوب صار منسوخا فى
حقه كما فى حق الامة فصارت نافلة اى زائدة دون فرض لقوله لك

لا عليك

لا عليك قيل فما معنى التخصيص بقوله لك اذا لم يكن فرضا عليه كما لم
يكن على الامة اجيب بان التخصيص لرفع الدرجات فى حقه لانه قد غفر
له ما تقدم وما تاخر والزيادة فى حق الامة كفارة لذنوبهم وتتميم لصلواتهم
قالت عائشة رضى الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى
ليالى رمضان ولا فى غيرها على احدى عشرة ركعة يصلى اربعا فلا
تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى اربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن
ثم يصلى ثلثا قالت فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال عليه السلام
يا عائشة تنام عيناى ولا ينام قلبى وفى رواية يسلم فى كل ركعتين
ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يقرا احدكم خمسين آية قبل
ان يرفع رأسه قوله عسى اى الله واجب ان يفعل ما يطمع منه عباده
يتعلق بقوله اقم اى دم على ما امرت من اقامة الصلوة بالليل والنهار
رجاء ان يبعثك يوم القيمة ربك مقاما محمودا وهو نصب على الظرف
اى يثبتك فى المقام المحمود وهو مقعد على العرش وقيل على الكرسى
والاكثر انه مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والاخرون
لما روى عن النبى عليه السلام هو المقام الذى اشفع فيه لامتى
وهى نائلة من امته لكل من مات ولم يشرك بالله شيئا عن
عبد الله عمران الشمس تدنو يوم القيمة حتى تبلغ العرق نصف

اذن فيبتا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضي
بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا
يحمده اهل الجمع كلهم وهو الوسيلة في الحديث قال النبي عليه السلام
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي صلوة صلى الله
عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي ان
تكون لعبد من عباد الله وانا ارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة ثم قال تعالى بعد خروجه
من مكة مهاجرا الى المدينة وقل رب ادخلني في المدينة مدخل صدق اي ادخال
صدق يعني بالسلامة ونيل المراد واخرجني من المدينة مخرج صدق اي
اخراج صدق الى مكة يعني بالفتح والظهور عليها وادخلني في القبر
مرضيا طاهرا من الذنوب واخرجني من القبر مرضيا الى البعث ملقى
بالكرامة آمنا من السخط واجعل لي من لدنك اي من حضرتك سلطانا
نصيرا اي برهانا بينا قاهرا اعداء الدين ينصرونك على جميع الاديان
فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله لك
وشهد عليه قوله ليظهره على الدين كله وليستخلفنهم في الارض وقل
جاء الحق اي القرآن وزهق الباطل اي ذهب الشيطان او جاء
الاسلام وزوال الشرك او جاء عبادة الحق وذهب عبادة الصنم

والزهوق

والزهوق خروج النفس من البدن واكد ذلك بما هو كالمثل
السائر وهو قوله ان الباطل كان زهوقا اي مضمحلا غير ثابت في كل وقت
وننزل من القرآن ما هو شفاء من الجهل والضلالة ومن للتبعيض
او للتبيين اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء ورحمة للمؤمنين لازدياد
ايمانهم وبصلاح دينهم وبما فيه كالشفاء للمرض او شفاء حقيقة للاجسام
لما فيه من البركة قال النبي عليه السلام من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه
الله ولا يزيد اي القرآن الظالمين اي المكذبين الا خسارا اي نقصانا لانهم
يكذبون القرآن فيخسرون واذا انعمنا على الانسان اي الكافر بلغ البلاء
منه وسعة الرزق عليه اعرض عن ذكر الله وعن التضرع والالتجاء اليه
مستغن عنه ونأى بجانبه اي تباعد جانبه عن الحق وترك التقرب اليه
بالدعاء وقيل تعظم وتكبر ولم يلتفت اليه وهو تأكيد للاعراض لان
الاعراض عن الشيء ان توليه عرض وجهه وهو جانبه والنأي بجانبه اي
يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره وقرئ بفتح النون والهمزة وبكسرهما
وبفتح النون وبكسر الهمزة وبكسر النون وبفتح الهمزة وبامالة الهمزة
وبين بين وناء مثل جاء واذا مسه الشر اي الفقر في الجسد والشدة في
المعيشة كان يؤسا اي قنوطا عن رحمة الله فيترك الدعاء اليه او معناه
انه يتضرع ويدعو عند الشدة فاذا تأخرت الاجابة ترك الدعاء

ولا ينبغي للمؤمن ان ييأس من الاجابة وان تأخرت فيدع الدعاء
قل كل يعمل على شاكلته اى كل واحد من الناس يعمل على طريقته التى اختارها
من طرق الضلالة والهدى لنفسه وهى من الشكل وهو الشبه يعنى كل
يعمل ما يشبهه ومنه المثل كل امرئ يشبهه فعله فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا اى اوضح طريقا يعنى يعلم المهتدى والضال فيجازى كلا بعمله
قوله ويسئلونك عن الروح هو الذى يحيى به الانسان اختلفوا فى ماهيته
قال قوم هى الدم وقوم هى النفس وقوم هى معنى ذو نور اجتمع
فيه العلم والطيب والبقاء والعلو ولم يات احد على ما اختاره دليلا
يدل على حقيقته فالاولى ان يوكل علمه الى الله تعالى وهو قول اهل
السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا نزل حين اجتمع قريش وقالوا ان محمدا نشأ فينا
بالصدق والامانة وما اتهمناه بالكذب وقد ادعى النبوة فابعثوا
نفرا الى اليهود بالمدينة ليسئلوا عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا جماعة
اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلثة اشياء فان اجاب عن كلها
او لم يجب عن شئ منها فليس بنبى وان اجاب عن اثنين ولم يجب
عن واحد فنبى فسئلوه عن فتية فقدوا فى الزمان الاول وامرهم
العجيب وهم اصحاب الكهف وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها

وهو ذو القرنين فقالوا اخبرنا عنهما وعن الروح فقال عليه السلام
اخبركم غدا بما سئلتم ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى خمسة عشر يوما
وقيل اربعين يوما وقال اهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا واصبحنا
لا يخبرنا بشئ حتى حزن النبى عليه السلام من مكث الوحى وشق عليه
قولهم ثم انزل جبرئيل ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله وانزل فى الفتية ام حسبت الآية وفى ذى القرنين
يسئلونك عن ذى القرنين الآية وفى الروح يسئلونك عن الروح
قل الروح من امر ربى فاشاره الى ان معرفة حقيقته متعذرة يعنى
علم الروح من علم ربى لا يعلمه غيره فبين القصتين عنهما كما هما
وابهم الروح وهو مبهم فى التورية فندموا عن سؤالهم فدل هذا
على صدق نبوته قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا خطاب عام للنبى وغيره
لما روى ان اليهود قالوا له انحن المختصون بهذا الخطاب ام انت
معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا اى يسيرا
فى جنب علم الله تعالى والشئ قد يكون كثيرا بالنسبة الى ما دونه
قليلا بالنسبة الى ما فوقه والاصح الاول لظاهر الآية من العموم
ولقوله ولئن شئنا لنذهبن واللام الاول التى فى ان الشرطية
للتوحيد والثانية جواب قسم محذوف مع نيابة عن جزاء الشرط

اى والله لو شئنا لنمحون بالذى اوحينا اليك اى بالقران من
الصدور والمصاحف حتى لا يوجد له اثر يعنى نحن منعنا علم الروح عنك
وعن غيرك بمشيتنا وقدرتنا ولو شئنا لمحونا القران ايضا فلم نترك له اثرا
وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب ثم تجد لك به علينا وكيلا اى متوكل
برد القران اليك بعد الذهاب به فالعلم فى الحقيقة كله لنا لا لكم قال
عليه السلام اقرأوا القران قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع
قوله الا رحمة مفعول له اى ما حفظناه عليك الا للرحمة او تقديره لكنا
لم نشا ذلك لرحمة من ربك او تقديره لكنا رحمناك رحمة تركته غير
مذهوب به فيكون استثناء منقطعا ان فضله اى عطاء ربك كان
عليك كبيرا اى فضلا عظيما لاعطائك الاسلام دينا واصطفائك
بالرسالة من بينهم وبالنصرة والغلبة عليهم وتنزيل القران اليك
والقائه محفوظا عليك وفيه امتنان عظيم على اهل العلم والقران
ببقاء القران محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه فى الصدور
والمصاحف فعليهم ان لا تغفلوا عن هاتين المنتين والقيام بشكره
قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى الصدور وعن ابن عمر لا تقوم
الساعة حتى يرفع القران من حيث نزل له دوى كدوى النحل يقول الله
مالك فيقول يا رب اتلى ولا يعمل بى ونزل حين قال الكفار لو نشاء

لقلنا مثل هذا قل لئن اجتمعت الانس والجن متظاهرين على ان ياتوا
بمثل هذا القران فى بلاغته وحسن نظمه والاعجاز والاخبار عن
الغيوب مع ما اضمر فيه من الاحكام والحدود وغيرهما لا يعرف الا بالوحى
لا ياتون بمثله جواب قسم محذوف لا جواب الشرط ولولا اللام الموطئة
لجاز ان يكون لا ياتون مع النون جواب الشرط لان الشرط وهو
اجتمعت وقع ماضيا لا يعمل فيه الاداة فجاز ان لا يعمل فى الجواب
المعنى انهم عاجزون عن الاتيان بمثله لانه كلام فى اعلى طبقات
الكلام فى البلاغة لا يشبه كلام الخلق ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
اى معينا ولقد صرفنا اى كررنا للناس بالبيان فى هذا القران
من كل مثل اى من كل شئ كالمثل فى الغرابة والحسن لما فيه من
الاخبار العجيبة والاحكام والامثال والوعد والوعيد والعبر فابى
اى امتنع اكثر الناس عن القبول او عن الشكر الا كفورا اى جحودا
او كفرانا مكان الشكر وهذا استثناء مفرغ فى المفعول لان هنا فى
معنى لم يرضوا وقالوا اى قال عبد الله ابن ابى امية واصحابه للنبى عليه
السلام لن نؤمن اى لن نصدق لك حتى تفجر لنا بضم التاء وكسر
الجيم مشددا من التفجير وبفتح التاء وضم الجيم مخففا اى تشقق
من الارض ينبوعا اى عينا يخرج منها الماء او تكون لك جنة اى

بستانا من نخيل واعناب فتفجر اى تشقق الانهار خلالها اى وسطها
تفجيرا اى تشقيقا ظاهرا والتشديد فيه اجماعى لذكر الجمع بعده وهو
الانهار بالتشديد لكون مفعوله جمعا وقد يذكر بالتشديد فيه اجماعى
لذكر الجمع بعده وهو الانهار يقال فجرت نهرا بالتخفيف لان مفعوله
واحد وفجرت الانهار بالتشديد لكون مفعوله جمعا وقد يذكر بالتشديد
في الواحد ايضا اذا قصد المبالغة فيه او تسقط السماء كما زعمت بقولك ان
نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء علينا كسفا
بسكون السين على التوحيد اى توقعها مرة واحدة وجمعه كسوف واكساف
وبفتح السين جمع كسفة او توقع السماء علينا قطعا يعني قطعة بعد قطعة
ونصبه حال من السماء او تأتي بالله والملائكة قبيلا اى كفيلا يكفلونه بما تقول
وضامنا به شاهدا بصحته او تأتي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة وهو جمع
قبيلة نصبه حال من الملائكة او بمعنى مقابلة وعيانا يشهدون لك بانك
نبي الله نصبه حال من الله والملائكة او يكون لك بيت من زخرف اى من
ذهب واصله الزينة او ترقى اى تصعد في السماء اى في معارجها
ولن نؤمن اى لن نصدق لرقيك اى لصعودك فيها فرضا حتى تنزل
علينا من السماء كتابا كتابا فيه تصديقك نقرؤه اى فنتبعك
فقال تعالى لنبيه عليه السلام قل سبحان ربي تعجبا من قولهم وقرئ قال

اخبارا

اخبارا عن النبي عليه السلام هل كنت الا بشرا رسولا اى لست الا بشرا
ارسل اليكم فكيف تطلبون مني شيئا لا يقدر البشر على الانبيا ولو كان
رسولا الا باذن الله قيل لو اراد الله ان ينزل ما طلبوا منه لفعل ولكن لا
ينزل الآية على ما يقترحه البشر من العبث لانه يلتبس في طوق البشر وانما رد
الله سؤالهم لانه تعالى اعطى النبي عليه من الآيات والمعجزات ما يغني عن
هذا كله في الايمان به مثل القرآن وانشقاق القمر وغيرهما مما اشتهر بين القوم
ولكن كفار مكة كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا
فردهم الله تعالى لشك ريب في صدورهم لا يزول بكل آية نزلت يدل على
ذلك قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا بالقرآن ونبوة محمد عليه السلام
اذ جاءهم الهدى اى القرآن ومحمد عليه السلام الا ان قالوا اى الا قولهم
محله رفع فاعل منع وان يؤمنوا مفعوله مقدم عليه وقولهم بالاستفهام
للانكار ابعث الله بشرا رسولا ولم يبعث ملكا فلا نؤمن به ولا حجة لهم سوى هذا
القول فرد الله عليهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة مكان البشر يمشون
على اقدامهم كما يمشي الانسان ولا يطيرون باجنحتهم كالطير مطمئنين الى
مقيمين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم لينذرهم ويعلمهم
الخير لان القلب الى الجنس اميل منه الى غير الجنس وانزال الملائكة على الانبياء
لاتصافهم بالصفة الملكية في الصورة البشرية كانهم من جنس الملائكة وذلك

ايضا لارسالهم الى ابن آدم للانذار والتبيين ولما سمعوا ذلك قالوا من يشهد لك يا محمد بانك رسول من الله قال تعالى كفى بالله شهيدا نصبه على الحال اى كفى الله شهيدا بيني وبينكم على انى رسول الله باظهار المعجزة منى وبلغت ما ارسلت به اليكم وانتم كذبتم به وعاندتم انه كان بعباده خبيرا بصيرا فيجازيهم بعلمهم من يهدى الله اى من يرشده الى دينه فهو المهتد باثبات اليا وحذفها وصلا اى على طريق الحق بالاستقامة ومن يضلل اى يخذله عن دينه فلن تجد لهم اولياء اى احباء وانصارا من دونه يرشدونهم من الضلالة الى طريق الحق ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم محله نصب على الحال اى يسحبون عليها فى النار قالوا يا رسول الله كيف نحشر الكافر على وجهه يوم القيمة فقال النبى عليه السلام ان الذى امشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه قوله عميا حال اخرى اى لا يرون فيه ما يفرحهم وبكما اى لا ينطقون بحجة واعتذار وصما اى لا يسمعون ما يتلذذون به وذلك حين يساقون الى الموقف الى ان يدخلوا النار مأواهم ومستقرهم ومنزلهم جهنم كلما خبت اى سكن لهبها او طفئت نارها فى راى الغير زدناهم سعيرا اى وقودا او لهبا واشتعالا ذلك اى العذاب الموصوف يوم القيمة جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا اى القرآن ومحمد عليه السلام وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا اى ترابا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا بعد الموت

والفناء

والفناء فاجابهم الله تعالى بقوله اولم يروا اى انكروا الاعادة ولم يخبروا فى القرآن ان الله الذى خلق السموات والارض فى عظمها وشدتها قادر على ان يخلق مثلهم فى صغرهم وضعفهم كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وعطف على اولم يروا قوله وجعل لهم اجلا لان تقدير المعنى فيه علموا بالعقل ان القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل اى عين وقتا لعذابهم وقيل هو الموت او يوم القيمة لا ريب فيه عند المؤمنين انه يأتيهم فابى الظالمون اى لم يرضوا مع وضوح الدليل عن الايمان الا كفورا اى عنادا او جحودا لقبولهم الكفر مكانه وذلك كله لحبهم الدنيا واطمئنان قلوبهم بها قل لو انتم تملكون لو حرف شرط حقه ان يدخل على الفعل لكنه حذف هنا واضمر على شريطة التفسير وتقديره لو تملكون انتم تملكون فحذف تملك وابدل من الضمير المتصل الفاعل ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره نزل لاهل مكة الذين طلبوا من النبى عليه السلام تفجير الينبوع والانهار وغيرها من من نعم الله قل يا محمد لهم لو ملكتم خزائن رحمة ربى اى جميع نعمه اذا لامسكتم اى لبخلتم وحبستم من قولهم للبخيل ممسك جعل الفعل المتعدى كاللازم لارادة التعميم خشية الانفاق اى لخوف الفقر والفاقة تعالى

انفق الرجل اذا ذهب ماله وصار فقيرا ونفق الشيء اذا ذهب وكان
الانسان قتورا اي بخيلا ممسكا ثم قال تهديدا لاهل مكة ولقد آتينا اي
اعطينا موسى تسع آيات بينات اي علامات واضحة وهي العصا
وبياض اليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان ثم اختلف
في الآيتين الاخيرين قال بعضهم فلق البحر وانحلال العقدة التي كانت
بلسانه وقال بعضهم فلق البحر ونطق الجبل وقال بعضهم السنون
ونقص الثمرات فسئل يا محمد بني اسرائيل اي من آمن منهم يخبروك وهم
عبد الله بن سلام واصحابه عن آيات موسى لتزداد يقينا وطمانينة قلب
لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت ولتحتج به على من
لم يؤمن منهم وليظهر كذبهم مع قومهم او سلهم عن موسى وما جرى له مع
فرعون اذ جاءهم اي حين جاء آباءهم موسى فقال له فرعون لما جاءه بالآيات
اني لاظنك يا موسى مسحورا اي مغلوب العقل بالسحر ومصروفا عن
الحق قال له موسى لقد علمت بضم التاء يخبر موسى عن نفسه انه ليس
بمسحور كما قال فرعون وان ما جاء به حق وبفتح التاء خطابا لفرعون اي
لقد علمت يا فرعون اني لست بمسحور لاني كنت في تربيتك ولم تكن
رأيت مني شيئا يدل على ما قلت في حقي وعلمت ما انزل هؤلاء الآيات
التسع الا رب السموات والارض وهو الله الخالق الرازق لاهلها بصائر

على الحال من هؤلاء جمع بصيرة وهو ما يبصر به الحق اي بينات مكشوفات
على اني على الحق ولكنك معاند مكابر بعد ظهور الحق عندك واني لاظنك
يا فرعون مثبورا اي هالكا مصروفا عن كل خير فاراد فرعون ان يستفزهم
اي يبغي ويخرج موسى وبني اسرائيل من الارض اي ارض مصر او ينفيهم
عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فنزل به مكر فاغرقناه اي فرعون
ومن معه من الكفار جميعا ونجينا موسى وقومه من الغرق وقلنا من بعده اي
بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يخرجكم
فرعون منها وهي مصر او الشام فاذا جاء وعد الآخرة اي قيام الساعة
جئنا بكم لفيفا اي مجتمعين مختلطين انتم وهم ثم نحكم بينكم ونميز السعداء
والاشقياء منكم واللفيف الجمع الكثير من كل صنف ثم قال وبالحق
اي بالحكمة المقتضية لانزاله انزلناه اي القرآن وبالحق اي وبتلك الحكمة
نزل عليك ولم يتغير لاشتماله على الهداية الى كل خير وقيل معناه انزلناه
من السماء محفوظا بالملائكة الحرس ونزل عليك محفوظا من تخليط
الشياطين وما ارسلناك الا مبشرا للناس بالجنة ونذيرا لهم من النار
وليس عليك غير هذا من القهر والاكراه على الدين قوله وقرآنا
نصب بفعل يفسره فرقناه بالتخفيف اي انزلناه متفرقا بالنجوم يعني في ازمان
مختلفة او فرقناه بمعنى بيناه بيانا او جعلناه فارقا بين الحق والباطل

لتقرأه على الناس على مكث بضم الميم اي على مهل وترسل ونزلناه تنزيلا اي في
ثلث وعشرين سنة على حسب الحوادث قل يا محمد تهديدا لهم آمنوا به اي
بالقرآن او لا تؤمنوا به فان الله غني عنكم وعن ايمانكم وفيه امر له عليه السلام
بالاعراض عنهم لاحتقار شأنهم ثم اخبر تعالى توبيخا لهم وتعبيرا بان خيرا
منهم وافضل من علماء اهل الكتاب قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم
انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي القرآن عليهم خروا سجدا لله
تعظيما لامره بقوله ان الذين اوتوا العلم وهو بمعنى التعليل بآمنوا او لا تؤمنوا او
لانهم اعطوا علم كتابهم وهو مؤمنوا اهل الكتاب من قبله اي قبل القرآن او
قبل محمد عليه السلام اذا يتلى عليهم اي يعرض عليهم القرآن فيعرفونه
يخرون اي يسقطون للاذقان اي على الوجوه فاللام بمعنى على والمعنى
يجعلون الخرور مختصا باذقانهم فاللام للاختصاص وخصه الاذقان
بالذكر لانها اقرب شيء من الوجه الى الارض وهي جمع ذقن والذقن
ملتقى اللحيين سجدا اي ساجدين شكرا لله تعالى ويقولون في السجود
سبحان ربنا اي نزهه تنزيها من الشرك ومن كل نقص في وعده انه
ان كان اي ان الشأن كان وعد ربنا الذي وعده بان يبعث محمدا نبيا
من العرب لمفعولا اي لكائنا حقا ويخرون اي ويسقطون للاذقان لها
على وجوههم يبكون نصب على الحال من ضمير يخرون ويزيدهم نزول القرآن خشوعا

اي خضوعا

اي خضوعا لربهم او لين القلب ورطوبة العين قيل من العلم ما لا
يبكيه لخليق ان لا يكون اوتي علما ينفعه وروي عن النبي عليه السلام
لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى وكرر الخرور للاذقان لاختلاف
الحالين حال السجود وحال البكاء، قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل
حين قال اهل الكتاب انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة
هذا الاسم فقال تعالى قل يا محمد سموا ربكم الله او سموا الرحمن فالدعاء
بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، والا يلزم تعدد آلهة ويجوز ان يكون
نصب الله والرحمن على نزع الخافض تقديره نادوا ربكم بالله او بالرحمن
فلا يلزم ذلك الدعاء، يتعدى الى مفعولين مثل دعوته زيدا وقد يذكر
احدهما ويترك الآخر استغناء عنه نحو دعوت زيدا اي سميته
زيدا او فيه للتخيير وقيل نزل حين قال ابو جهل ينهانا محمد عن الهتنا
وهو يدعو الهين فقال ايا ما تدعوا اي بهذين الاسمين سميتم او
ذكرتم فله اي فلمسمى هذين الاسمين الاسماء الحسنى اي الصفات العلى
فهذان الاسمان منها فيكونان حسنين وايا كلمة استفهام وشرط
عمل فيها تدعوا لاقتضائه مفعولا ما زائدة لتأكيد الابهام في اي
وتدعوا مجزوم باي لانه شرط جازم يقتضي جزاء، وقوله فله جزاؤه والضمير
فيه يرجع الى مسمى هذين الاسمين وهو ذاته تعالى لان التسمية

للذات لا للاسم والاصل ايا ما تدعوا منهما فهو حسن فوضع موضعه
قوله فله الاسماء الحسنى بمعنى كونه احسن الاسماء انها مستقلة بمعانى التحميد
والتقديس والتعظيم قيل كان المشركون اذا سمعوا اذكار رسول
الله عليه السلام او قراءته فى الصلوة لغوا وسبوا الاله كان يرفع
صوته فامر بالخفض بقوله ولا تجهر بصلوتك اى بقراءتك فى صلوتك ولا
تخافت بها اى لا تخفها عن اصحابك لينتفعوا بقراءتك وابتغ اى واطلب
بين ذلك اى بين فعلك من الرفع والخفض سبيلا اى طريقا
وسطا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل معنى
بصلوتك بدعائك لان الصلوة تستعمل بمعنى الدعاء وقيل الآية نسخت
بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله امر النبى عليه السلام بان
يحمد الله على وحدانيته لانه المنعم لكل نعمة ظاهرة وباطنة لا غيره ثم وصفه
بقوله الذى لم يتخذ ولدا اذ لا جنس له ولم يكن له شريك فى الملك اذ لا مثل
فيعان فى عظمته ولم يكن له ولى اى ناصر ينصره من الذل اى من يعرض له
المذلة لانه منزه عنه فلا يحتاج الى الناصر قيل كيف لاق هذا الوصف النافى
الاشياء المذكورة بكلمة التحميد اجيب بان الموصوف بالواحد القادر
على ايلاء كل نعمة فهو المستحق لكل حمد فحمده وكبره تكبيرا اى بالغ فى
تعظيمه على قدر معرفتك فنزهه كائنه نفسه على اتخاذ الولد والشريك

والولى من الذل قال عليه السلام اول يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين
يحمدون الله فى السراء والضراء وقال النبى عليه السلام ان افضل الدعاء
الحمد لله وافضل الذكر لا اله الا الله وقال عليه السلام احب الكلام الى
الله اربع لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدأت
روى ان رجلا جاء الى النبى عليه السلام فقال يا رسول الله انى رجل كثير
الدين كثير الهم فقال عليه السلام اقرأ اخر بنى اسرائيل قل ادعوا الله
حتى تختم ثم قل توكلت على الحى الذى لا يموت ثلث مرات وهذه الآية
تسمى آية العزة وكان النبى عليه السلام يعلمها الصغير اذا فصح من بنى
عبد المطلب اى جاد فى الكلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين
والحمد لله رب العالمين فالله فالله خير حافظا وهو

ارحم الراحمين

سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشر آية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله تلقين من الله لعباده كيف يحمدونه على اعظم نعمه الذى يوجب
نجاتهم من العذاب وفوزهم بالثواب يوم القيمة اى جميع المحامد لله الذى
انزل بجبرئيل على عبده محمد صلى الله عليه السلام الكتاب اى القرآن
انما خص الرسول عليه السلام بالذكر لبيان انزال القرآن الذى هو
نعمة عظيمة عليه على الخصوص وان كان على غيره على العموم قيل ذكر التحميد

في انزال الكتاب والتسبيح في الاسراء مبدا درجات كماله ومقام التحميد نهاياتها لكونه مكملا للبشر بالكتاب قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى كمال الكتاب نحو لا ريب فيه اي لم يجعل الكتاب عوجا اي ميلا عن الصواب فهو بالغ في الصحة حتى يجب للعاقل ان لا يرتاب فيه قوله قيما منصوب بتقدير جعله وليس بحال من الكتاب لانه يلزم العطف على الصلة قبل تمامها ويجوز ان يكون ولم يجعل حالا منه وقيما حال اخرى ويكون اشارة الى تكميل غيره لان القيم هو القايم بمصالح الغير نحو هدى للمتقين اي انزله الله قيما بمصالح عباده لما فيه من الاحكام والشرايع الموجبة لاستقامة الدين وقيل بل جعله مستقيما لا نقص فيه بوجه كالتناقض والاختلاف ففي نفي العوج عنه ووصفه بالقيم دلالة على انه في غاية الاستقامة فيكون ذكره للتاكيد لينذر اي ليخوف عبده بالكتاب الذين كفروا بالبعث باسا شديدا اي بالعذاب القوي يعني النار ولم يذكر المفعول الاول لان المنذر به هو الغرض بالانذار من لدنه بضم الدال وسكون الدال وكسر النون اي صادرا من عنده وقدم الانذار لان دفع الضرر اهم من تحصيل النفع ويبشر بالكتاب المومنين الذين يعملون الصالحات ان اي بان لهم اجرا حسنا وهو الجنة ماكثين فيه اي مقيمين في الاجر لم يبس ابدا لا يخرجون منه وينذر

ويخوف ايضا

ويخوف ايضا الذين قالوا اي قال كفار مكة اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم اي ليس لهم بانهم باتخاذ الولد له تعالى علم على حقيقته ولكن قولهم به عن جهل مفرد وتقليد الاباء وتسويل الشيطان ولا لابائهم اي ليس لابائهم من قبلهم من علم ايضا لانه مستحيل في حقه تعالى لا للجهل بالطريق الموصل اليه كبرت اي عظمت مقالتهم وتميزت لقوله كلمة تخرج اي تظهر بخروج النفس من افواههم فيه معنى التعجب اي ما اكبرها ووصفها بالخروج من افواههم استعظاما لجراتهم على النطق بها وهي قولهم اتخذ الله ولدا ان يقولون اي ما يقولون الا قولا كذبا فلعلك باخع نفسك اي مهلكها على اثارهم اي من بعد ذهابهم عن مجلسك بحال الكفران لم يومنوا بهذا الحديث اي بالقران اسفا مفعول له اي للاسف وهو اشد الحزن او اشد الغضب او حال من ضمير باخع انا جعلنا ما على الارض اي عليها من النبات والاشجار وزخارف الدنيا زينة لها ولاهلها لنبلوهم اي لنختبر الناظرين اليها ايهم احسن عملا اي ازهدوا اشكر في الدنيا وهم كفروا مكان الشكر واغتروا بها مكان الزهد وانا لجاعلون ما عليها اي انا لنجعل عند النفخة الاولى ما على الارض من الزينة والبهجة صعيدا جرزا اي ارضا بيضاء يابسا لا نبات فيها ولا ماء ولا حيوان يتحرك فيها

قوله ام حسبت نزل حين ارسل اهل مكة خمسة رهط منهم الى يهود المدينة
وقالوا سلوهم عن امر محمد وصفته فانه يزعم انه نبي مرسل فقالت اليهود
سلوه عن قصة اصحاب الكهف وقصة ذي القرنين والروح فان اخبركم
عن القضيتين دون الروح فاعلموا انه نبي مرسل فاتبعوه والا فهو كاذب
فسئلوه فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فرجعوا ولم ينزل عليه جبرئيل
الى ثلثة ايام في رواية فقالوا ودعه ربه وابغضه فشق ذلك على رسول الله
فنزل جبرئيل فقال عليه السلام له يا اخي لم ابطأت علي فقال انا عبد كـ
مثلك ما اتنزل الا بامر ربك فلما قرأ عليهم الرسول آية ام حسبت الى آخر
القصة قالوا هذا ساحر كموسى فلم يصدقوه وام بمعنى بل والهمزة وهو
يقتضي الاستفهام قبله لفظا او تقديرا فتقديره احسبت ان ذلك المذكور
من الآيات اي تزيين الارض بما ذكرنا ثم جعلنا اياه كله كأن لم يكن قط
عجب من قصة اصحاب الكهف ليقف من بعدهم على خبرهم او هو اسم
للجبل الذي فيه الكهف كانوا من آياتنا عجبا اي آية عجيبة يعني عجب
منها او محل من آياتنا حال من عجبا قدم عليه وقيل معناه انهم
ليسوا باعجب من آياتنا يعني ام حسبت ان ما خلقنا من السموات
والارض وما فيهن من العجائب اعجب منهم والاول اقرب لان
الاضراب عن الكلام الاول الى الكلام الثاني انما يحسن اذا كان

ام حسبت اي بل اظننت وعلمت بالقرآن ان اصحاب الكهف اي الغار

الواسع والرقيم اسم للجبل او للوادي او كتب فيه اسماؤهم على باب الكهف ع

الثاني اعزب

روي انهم [illegible] اذ اووا الى الغار

الثاني اعزب واحسن ليحصل الترقي اذ اوى جمع فتى وهو الشاب الكامل
الى الكهف ليجعلوه مأوى لهم خوفا على دينهم من قومهم الكفرة
فقالوا ربنا آتنا من لدنك اي من خزاين رحمتك رحمة اي مغفرة وامنا
من الاعداء وهيئ اي اصلح لنا من امرنا اي للامر الذي نحن فيه وهو الايمان
وترك الكفر رشدا اي هداية تحفظنا عن الضلالة فضربنا على آذانهم
حجابا من ان تسمع اي انمناهم نوما ثقيلا لا يؤثر فيه صوت ما قوله في
الكهف ظرف لضربنا ومفعوله محذوف وهي حجابا قوله سنين عددا ظرف
آخر لضربنا اي ذوات عدد يريد الكثرة كما اختاره الزجاج لان
الكثير يحتاج الى العد والقليل لا يحتاج ثم بعثناهم اي ايقظناهم
بعد ما انمناهم لنعلم اي ليتعلق علمنا ما يظهر في الوجود من امرهم
اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم احصى اي ضبط لما لبثوا
امدا اي امد اوقات لبثهم اي غايتها فامدا مفعول به لاحصى لانه فعل
فعل ماض وقوله لما لبثوا في التقدير صفة امدا فلما قدم صار حالا اي
امد الاوقات لبثهم وقيل احصى افعل التفضيل بعد حذف الزيادة على
غير قياس نحو هو اعطى للمال فامدا حينئذ منصوب بمضمر دل عليه
احصى وهو ضبط لان افعل لا يعمل ولا يعمل فيه لبثوا لانه يختل
بالمعنى اذ المقصود هو العلم بغاية لبثهم لا العلم بلبثهم في الغاية

نحن نقص عليك نبأهم اى خبرهم بالحق اى بالصدق انهم فتية آمنوا
بربهم وزدناهم بعد الايمان بالتوفيق والتثبيت هدى اى بصيرة
فى دينهم وربطنا على قلوبهم اى قويناها على القيام بكلمة الحق والتظاهر
بالاسلام والصبر على هجر الاوطان وترك اللذات اذ قاموا بامرنا
بين يدى الجبار وهو دقيانوس الملك وكان جبارا اكره اهل الانجيل
على عبادة الاصنام حين دخل مدينة افسوس بعسكره وتسلط عليهم
فمن كفر بالله واتبع دينه تركه ومن لم يتبعه قتله واراد فتية من اشراف
قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابواعنه وقاموا باثبات الحجة
واظهار الاسلام بعدان امرهم بالسجود للاصنام والتشديد على عباد
غير الله تعالى وقول الكفر فقالوا بالاخلاص والتوكل على الله راضين
عليه من غير مبالاة به ربنا رب السموات والارض لن ندعو
اى لن نعبد من دونه اى من دون الله الها ولا نسأل من غيره
ولئن دعونا غيره فرضا لقد قلنا اذا قولا شططا اى ذا شطط
وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد قوله هؤلاء قومنا
انكار منهم لحال قومهم وقومنا عطف بيان لهؤلاء وهو مبتدأ
خبره اتخذوا من دونه اى من دون الله بالجهل آلهة لعبادتهم وهذا
اخبار فى معنى الانكار بدليل لولا يأتون اى هلا يجيئون عليهم اى على

عبادتهم بسلطان بين اى حجة ظاهرة وهو تبكيت لهم لان الاتيان
بذلك محال ودليل على فساد التقليد اذ لا بد فى الدين من الحجة على الصحة
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشرك اليه تعالى فاخذهم وسلمهم
الى آبائهم ليحفظوهم حبسا الى ان يطلبهم ثم هربوا منهم الى الكهف ومروا بكلب
فى الطريق وقيل مروا براع له كلب فتبعهم على دينهم فطردوا الكلب فانطقه
الله فقال انا احب من يحب الله وانا احرسكم فتركوه ومشوا قائلين فى
طريقهم واذ اعتزلتموهم وما يعبدون ومعبوديهم الا الله استثناء متصل
لانه داخل فيما يعبدون روى انهم كانوا يقرون بالله ويشركون به قوله فأووا
الى الكهف مقول للفتية اى التجئوا بالفرار بدينكم الى الكهف والفاء فى جواب
اذ وجواب الامر ينشر لكم اى يفيض عليكم ربكم من رحمته ويعدكم من اعدائكم
ويهيئ لكم من امركم مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس ما يرتفق به اى ينتفع
المعنى يحصل لكم سهولة بدل الصعوبة قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا
عليه قيل كان بعضهم نبيا يقول لهم ثم ذهب آباؤهم الى الملك واخبروا
انهم هربوا من عندهم فتبعهم الملك والناس معه حتى انتهوا الى باب
الكهف فوجدوا آثارهم داخلين فيه فدخلوا الكهف ولم يجدوا شيئا
لما اعمى الله تعالى عليهم فقال الملك سدوا عليهم باب الكهف ليموتوا
من الجوع فيكون قبورهم ثم انصرف الملك والناس معه الى المدينة

فكتب رجلان مسلمان يكتمان ايمانهما اسمائهم واسماء آبائهم ونسبهم
مدينتهم وفرارهم من دقيانوس الملك الكافر في لوح من الرصاص فالزقاه
من داخل الكهف فمن ظهر عليهم يعلم انهم مسلمون وترى الشمس يا محمد او
يا انسان اذا طلعت تزاور بالرفع مع التشديد اصله تتزاور اي تعدل وتميل
وقرئ تزور من ازور وتزاور بالتخفيف والمعنى واحد وهو الميل عن
كهفهم ذات اليمين اي جهة يمين الكهف قيل كان كهفهم بازاء بنات
النعش ولذلك لا يقع عليهم الشمس وقيل ان هذا القول خطاء لان
الله تعالى صرف عنهم الشمس بقدرته وحال بينها وبينهم اكراما لهم
فعلى هذا يكون كهفهم نحو المشرق وهم في فجوة اي في متسع منه اي من
الكهف يصل اليهم النسيم ويرفع عنهم وخامة الغار ولا تصل اليهم الشمس
عند طلوع وغروب ذلك اي ما ذكر من حال كهفهم من ان الشمس
تصيبه ولا تصيبهم كرامة من الله لهم او شأنهم وحديثهم من آيات الله
الدالة على قدرته ثم مدحهم فقال من يهد الله فهو المهتد بحذف الياء واثباتها
وصلا يعني انهم قد جاهدوا في الله واسلموا له فارشدهم الى نيل تلك الكرامة
السنية اي من يهده الله ويسلك طريقتهم فهو الذي اصاب الفلاح
واهتدى واخلص في ايمانه ثم ذم من خالفهم فقال ومن يضلل اي يضلله
اي من يلقيه ويرشده الى فلاحه بعد خذلان الله اياه وتحسبهم ايقاظا اي

فلن تجد له وليا مرشدا

متنبهين

متنبهين وهم رقود جمع راقد اي نيام لان اعينهم كانت مفتحة لئلا
تذوب فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وهي جمع يقظ اي متيقظ ونقلبهم
ذات اليمين وذات الشمال وهم يتنفسون مع ذلك ولا يتكلمون قيل لهم تقلبان
في السنة او تقلب واحد في يوم عاشوراء وكلبهم باسط ذراعيه حكاية
حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل ماضيا واذا اضيف كانت اضافته
حقيقية معرفة نحو غلام زيد الا اذا نويت حكاية حال الماضية ومعناه
ماد يديه بالوصيد وهو الباب او الفناء او العتبة وهو مثلهم في النوم
واليقظة والتقلب لو اطلعت عليهم اي لو نظرت اليهم يا محمد لوليت اي لرجعت
خوفا منهم فرارا مصدر بمعنى الفاعل اي هاربا ولملئت منهم مثقلا
ومخففا اي لامتلئت منهم رعبا وهو الخوف الذي يملأ الصدر قيل ذلك
لوحشة مكانهم وقيل لما البسهم الله من الهيبة لئلا يصل اليهم احد حتى يبلغ
الكتاب اجله فيوقظهم الله بقدرته من رقدهم وقيل دخل قوم في زمان
معاوية لينظروا اليهم فبعث الله ريحا فاحرقتهم وكذلك اي كما انمناهم
تلك النومة بقدرتنا مثل ذلك بعثناهم اي ايقظناهم من نومهم
جياعا ليتساءلوا بينهم عن حالهم اي ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيعتبروا ويزدادوا يقينا ويشكروا على ما اكرموا به
واللام لام العاقبة لانهم لم يبعثوا للسؤال قال قائل منهم وهو رئيسهم

لمكسلمينا كم لبثتم فى نومكم هذا قالوا لبثنا يوما لانهم قد دخلوا الغار عند
طلوع الشمس وانتبهوا عند غروبها فلما راوا بقية منها قالوا او بعض يوم
ظنا منهم انه اليوم المدخول فيه فلما لم يتيقنوا مدة لبثهم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
وهو انكار من بعضهم عليهم لما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم
فاستيقنوا انهم لبثوا اكثر من يوم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم بفتح الواو
وكسر الراء وبسكون الراء ايضا كان بعضهم قال ربكم اعلم بذلك لا طريق
لكم الى علمه فاتركوه واشتغلوا بما يهمكم فابعثوا اى ارسلوا واحدا منكم
بفضتكم هذه المعدة للنفقة والورق بسكون الراء مع الفتح والضم والكسر
على الواو وفتح الواو وكسر الراء الفضة مضروبة او غير مضروبة الى المدينة
وهى التى خرجوا منها واسمها افسوس والآن طرسوس فلينظر ايها
ازكى طعاما مبتدا وخبر اى اهلها اى احل طعاما لانه كان فيهم من يذبح لغير الله
فليأتكم برزق منه اى بشىء وليتلطف اى ليتكلف اللطف فى امر المبايعة
حتى لا يغبن او فى امر التخفى فى ذهابه وايابه حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا
اى لا يفعلن شيئا يؤدى الى الشعور بنا انهم اى قومكم ان يظهروا اى يطلعوا
عليكم يرجموكم اى يقتلوكم بالاحجار وكان ذلك عادتهم او
يعيدوكم فى ملتهم اى فى كفرهم بالاكراه ولن تفلحوا اذا ابدا ان فعلتم ذلك فدفعوا
هو الورق الى يمليخا فدخل فى طريق المدينة فاشكل عليه لتغيره فقال هذه

غير تلك

غير تلك المدينة فسأل انسانا فقال انها افسوس فقال لقد تغير عقلى ام عرفها
فلما دخلها جعل يمشى بين ظهرى سوقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن
مريم فبقى حيرانا فقام مسندا الى جدار من جدار المدينة يقول فى نفسه
عجبا كان امس من يذكر عيسى بن مريم قتل واليوم كل انسان يذكره
ولا يخالف فقال فى نفسه ايضا والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل ان
افطن لى لكنت اكيس فجاء الى خباز فدفع اليه الدرهم فانكره وقال من
اين هذا وكان من ضرب دقيانوس فاجتمع اليه الناس فاتهموه بانه وجد
كنزا ففرق فرقا شديدا ان يعذب فذهبوا به الى الملك وكان مسلما اسمه
بيستفاد الملك فقص عليه القصة فذهب الملك مع اهل المدينة فابصروهم
وحمد الله على الآية الدالة على البعث ثم قال الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم واماتهم الله
ه لقى الملك عليهم ثيابه وامر ببناء المسجد على باب الكهف فاخبر تعالى
عن ذلك بقوله وكذلك اى وكما انمناهم وايقظناهم لحكمة لنا اعثرنا
عليهم اى اطلعنا الناس على حال الفتية لحكمة ايضا وهى قوله ليعلموا اى
ليعلم قومهم المطلعون على حالهم ان وعد الله بالبعث حق لا خلف
فيه وان الساعة لا ريب فيها لان حالهم فى نومهم وانتباههم بعده كحال من
يموت ثم يبعث قيل سيحييهم الله تعالى فى زمان عيسى عليه السلام ويكونون

مقدمة عسكره ناصرين لدين الاسلام معه قوله اذ يتنازعون متعلق باعثرنا
اى اعثرناهم عليهم حين يتنازعون اى المسلمون والكافرون بينهم امرهم اى
امر دينهم وكان ذلك قبل ان يبعث اصحاب الكهف من منامهم وبعد ان
ملك المدينة الملك الصالح روى ان اهل مملكته كانوا يتنازعون فيما بينهم
فى الدين ويختلفون فى حقيقة البعث وكان بعضهم قال انما يبعث الارواح دون
الاجساد وبعضهم قال انما يبعث الاجساد مع الارواح فدخل الملك يوما بيته
واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسئل ربه ان يظهر الحق فالقى
الله فى نفس راع هدم باب الكهف ليجعل حظيرة لغنمه فايقظهم الله من منامهم
ليرتفع الخلاف وقيل كانوا يتنازعون فى امر الفتية من الاسلام والكفر
قبل الاطلاع على حالهم فقالوا اى المسلمون بعضهم لبعض ممن اطلعهم الله على حالهم
ابنوا عليهم اى على باب الكهف بنيانا يسترهم عن العيون لانهم كانوا على
ديننا وقال الكافرون بل نحن نبنى عليهم لانهم كانوا على ديننا وذلك القول
حين توفى الله اصحاب الكهف وارادوا ان يحفظوا تربتهم عن تطرق الناس
اليهم فلما لم يتحقق المتنازعون امرهم من المسلمين والكافرين الذين لم يطلعهم
الله على حالهم قالوا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم اى امر الفتية
من المسلمين الذين اطلعوا على حالهم مع ملكهم وهم اولى بالبناء عليهم
لنتخذن عليهم اى على باب الكهف مسجدا يصلى فيه المسلمون تبركا بمكانهم

سيقولون

سيقولون الضمير فيه لمن خاض فى قصتهم من اهل الكتاب السيد والعاقب
واصحابهما من نصارى اهل نجران فانهما اختلفا مع المؤمنين فى عهد
رسول الله فسأل المؤمنون خبرهم عن النبى عليه السلام فاخر الجواب الى
ان يوحى اليه فيهم فنزلت الآية اخبارا بما سيجرى بينهم من تنازعهم فى عدد
الفتية بان بعضهم يقولون يعنى السيد واصحابه هم ثلثة رابعهم كلبهم وبعضهم
يقولون يعنى العاقب واصحابه هم خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب اى
ظنا به ورميا بالخبر الخفى من غير يقين باق المصيبين منهم يعنى المؤمنين
هم الذين يقولون سبعة وثامنهم كلبهم اسمه قطمير او قرقير ولونه
خلنج او ابلق روى انه يكون معهم فى الجنة وادخل السين فى الفعل الاول
دون الاخيرين اكتفاء بعطفهما عليه فيدخلان فى حكم السين والواو
فى وثامنهم قيل هى الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة وفايدتها
تاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت
متحقق والايذان بان هذا العدد المذكور بعدها هو الحق خاصة دون
العددين قبله والذين قالوه لم يرجموا بالظن بل قالوه عن علم وطمانينة
نفس ويدل عليه قوله فى الاولين رجما بالغيب وفى الاخير قل ربى اعلم
بعدتهم ما يعلمهم الا قليل من الناس قال ابن عباس انا من القليل
فلا تمار فيهم اى فلا تجادل يا محمد فى اهل الكهف مع اهل الكتاب الا مراء ظاهرا

اى جدالا ظهرلك بالوحى ولاتزد عليه من تجهيل وتعنيف بهم فى الرد
عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا اى لاتطلب الفتوى فى اهل الكهف من
احد من اليهود لانك عالم بحالهم فلا تسأل لهم سوال استرشاد لان الله
تعالى قد عرفك الحق منهم بالوحى اليك ولا سوال تعنت لاحد منهم لانه خلاف
المدارات به بان يقول شيئا فترد عليه ولا تقولن لشىء اى لاجل شىء تعزم
عليه انى فاعل ذلك الشىء غدا اى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد
خاصة قوله الا ان يشاء الله استثناء من النهى لا من قوله انى فاعل اى لا تقولن
افعل ذلك فى حال الا متلبسا بمشية الله اى قائلا ان شاء الله وقيل
معناه الا بان يأذن لك الله فيه وهذا نهى تاديب له نزل حين قال لهم
ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن وقد ذكرناه آنفا واذكر ربك اى مشية
ربك او معناه قل ان شاء الله واذكره بالتسبيح والاستغفار اذا
نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها او اذكره اذا نسيت شيئا ما
لتذكره واكثر الفقهاء لا يجوز الاستثناء حتى يكون متصلا وقيل يجوز
الى سنة وهو قول ابن عباس وقيل ما دام فى المجلس وهو قول الحسن
قوله وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب بيان لقوله واذكر ربك اذا نسيت
يعنى واذكر ربك عند نسيان شىء ان تقول عسى ان يرشدنى ربى
الى شىء آخر بدل الشىء اقرب من هذا اى من نبأ اهل الكهف وغيره رشدا اى

خيرا ومنفعة

خيرا ومنفعة فاللام فى الاقرب بمعنى الى قوله ولبثوا فى كهفهم الآية بيان لما
اجمله فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا اى ولبثوا احياء
نياما فى كهفهم ثلثمائة سنين قيل سنين بدل من ثلث او من مائة بمعنى
سنين او عطف بيان لا تمييز والا لكان اقل مدة لبثهم عند الخليل ستمائة
سنة لان اقل الجمع عنده اثنان وعند غيره تسعمائة لان اقله ثلثة
عندهم هذا على قراءة مائة بالتنوين واما على قراءة الاضافة فاقيم الجمع
مقام المفرد لان حق المائة ان يضاف الى المفرد فى ثلثمائة درهم فى
المعنى جمع فحسن اضافته الى لفظ الجمع كما فى الاخسرين اعمالا فانه تمييز بالجمع
وحقه المفرد نظرا الى تمييزه قوله وازدادوا تسعا اى تسع سنين اشارة
الى ان ذلك الحساب على اعتقاد اهل الكتاب شمسى واما عند العرب فهو قمرى
والقمرى يزيد على الشمسى تسعا فلذلك قال وازدادوا تسعا وهو مفعول
ازدادوا وروى ان نصارى نجران قالوا اما الثلثمائة فقد عرفناها واما التسع
فلا علم لنا بها فنزل قل الله اعلم بما لبثوا اى قل هو اعلم بمدة لبثهم لان علم
الخفيات مختص به تعالى ولذلك قال له غيب السموات والارض بتقديم له
اى لله العلم بما خفى فيها على غيره تعالى من احوال اهلها وغيرها
ابصر به واسمع الضمير فى به لله محله رفع لكونه فاعلا لفعل التعجب
والباء زائدة والهمزة فى الفعلين للصيرورة اصله ابصر الله واسمع

ثم غير لفظ الخبر الى لفظ الامر وليس بامر اذ لا معنى للامر هنا ومعناه ما ابصره
وما اسمعه وانما جاء به ليدل على التعجب من ادراكه تعالى بكل مسموع وكل مبصر
لانه خارج عن حد ما عليه ادراك كل سامع وكل مبصر اذ هو يدرك الطف
الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر
فلا يغيب عنه شيء ما لهم اي ليس لاهل السموات والارض من دونه اي من
غير الله من ولي اي متول لامورهم ولا يشرك بالياء اي الله في حكمه اي قضائه
وعلمه احدا منهم لانه غني عنه وقرئ بالتاء خطابا مع جزم الكاف نهيا
للانسان قوله واتل ما اوحي نزل حين قالوا له عليه السلام ائت من السماء
بقرآن غير هذا او بدله اي اقرأ الذي اوحي اليك من كتاب ربك اي من القرآن
واعمل به ملتحدا اي ملتجأ تلجأ اليه ان هممت بذلك التبديل فرضا قوله
واصبر نفسك نزل حين طلب رؤساء الكفار طرد فقراء المسلمين
من مجلسه كصهيب وعمار وخباب وغيرهم وقالوا لو اطردهم حتى نجالسك
فان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء
لانهم قوم ارذلون فامره الله تعالى بالصبر معهم اي احبس نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي حال اي دائبين على الدعاء في
كل وقت وقيل المراد الصلوة الخمس وصلوة الفجر والعصر يريدون
بعبادتهم وجهه تعالى لا لاشياء آخر من اعراض الدنيا ولا تعد اي لا تنصرف

اي ولا تجاوز عيناك عنهم لرثاثة حالهم نظرا الى زي الاغنياء قوله تريد
زينة الحيوة الدنيا حال من ضمير تعد ولا تطع اي في طردهم من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا اي القرآن والتوحيد بالخذلان واتبع هواه في الكفر ونيل شهواته
وكان امره فرطا اي اسرافا ومجاوزة الحد في التفريط لانه نابذ للحق
وراء ظهره فلما نزلت هذه الآية قال عليه السلام الحمد لله الذي جعل في
امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم ثم امر الله النبي عليه السلام ان يقول
الحق الذي ارسل به فقال وقل الحق هو اي ترك طرد المؤمنين هو الحق
من ربكم لا طردهم فانه باطل فمن شاء الايمان فليؤمن ومن شاء الكفر
فليكفر فلست بطاردهم من عندي فاعملوا ما شئتم انا اعتدنا
للظالمين اي جاحدين الحق نارا احاط بهم سرادقها وهي الحجب حول
الفسطاط كالحائط قيل هي دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم
النار وقيل حائط من نار يحيط بهم في النار وهي اربعة جدر كثف
كل جدار اربعون سنة قوله وان يستغيثوا يغاثوا اشير الى انهم عند ذلك
يعطشون فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو صديد اهل النار
والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت ثم وصف
المهل بقوله يشوي الوجوه اي ينضجها من حره قال عليه السلام هو كعكر
الزيت فاذا قرب الى الكافر ليشرب سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك

وهو المخصوص بالذم وساءت النار مرتفقا اى متكأ ومنزلا للاستراحة
وانما نبه هنا لتشاكل قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق ولا اتكاء لاهل
النار ان الذين آمنوا بالقرآن وعملوا الصالحات بما فيه قوله انا لا نضيع اجر من
احسن عملا منهم خبر ان الذين ويجوز ان يكون انا لا نضيع الآية اعتراضا
والخبر اولئك لهم جنات عدن اى اقامة وخلود فيها تجرى من تحتهم الانهار الاربعة
الخمر واللبن والعسل والماء العذب يحلون فيها اى يلبسون فى الجنة
من اساور جمع اسورة وهى جمع سوار وهو ما يلبس فى اليد من حلقة
ومن فيه ابتداء ومن فى من ذهب بيان قيل تحلى كل واحد منهم ثلثة اسورة
من ذهب ومن فضة ومن لؤلؤ ويواقيت ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
جمع سندسة وهى مارق من الديباج واستبرق جمع استبرقة وهى ما غلظ
من الديباج المنسوج من الذهب وجمع بينهما جمعا بين النوعين
قوله متكئين حال من ضمير يلبسون فيها على الارائك جمع اريكة وهى
السرير فى الحجال جمع حجلة وهى بيت يزين بالثياب للعروس
وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم نعم الثواب
ذلك وهو المخصوص بالمدح وحسنت الجنة مرتفقا اى متكأ ومنزلا
للاستراحة فيه قوله واضرب لهم مثلا امر للنبى عليه السلام بضرب
مثل لهم ليعتبروا فيؤمنوا وتقديره اضرب لهم مثلا مثل قوله رجلين

مثل حال

مثل حال الكافرين من اهل مكة والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين
من بنى اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مسلم اسمه يهوذا
ورثا من ابيهما مالا عظيما قيل هو ثمانية آلاف دينار فاقتسما فصرف
المؤمن ماله فى ابواب البر وصرف الكافر ماله فى اسباب المكاسب
كالبساتين والمزارع ثم وصف حالهما بقوله جعلنا لاحدهما جنتين
من اعناب اى بساتين من كروم وحففناهما بنخل اى احطناهما باشجار
مثمرة فصار النخل محيطا بالجنتين وجعلنا بينهما زرعا لتقيات به اى
جمعت ارضهما انواع الفواكه والاقوات وجعلت متواصلة متشابكة
مستحسنة الشكل واللون وافية الاثمار تامة الاكل من غير نقص مستقية
بفضل ما يسقى به وهو النهر الجارى واشار الى ذلك بقوله كلتا الجنتين
آتت اكلها اى اثمارها وافراد آتت حمل على لفظ كلتا ولو قيل
آتتا لجاز حملا على المعنى ولم تظلم منه اى لم تنقص من اكلها شيئا بل
اتت به فى غاية الكمال وفجرنا اى اجرينا خلالهما اى وسطهما نهرا
يجرى بينهما وجاز بسكون الهاء لغة وكان له ثمر اى حصل لصاحب
البستان ثمر بفتحتين جمع ثمرة وهو المجنى من الفاكهة وقرئ ثمر
بالسكون وثمر بضمتين جمع ثمار وهو جمع ثمرة وذكر الثمرة بعد
ذكر الجنتين وان كانت الجنة لا تخلو عنها ايذان بكثرة الحاصل

ر في الجنتين من الثمار وغيرهما فقال الكافر صاحب الجنتين لصاحبه
المؤمن وهو يحاوره اي يكلمه ويراجعه الكلام من حاربحور اذا رجع
قيل انه اخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به الجنتين ليريه ما فيهما مفاخرا
ومعجبا بما فيهما من المال دون اخيه قائلا انا اكثر منك مالا واعز نفرا
اي انصارا وحشما ودخل الكافر جنته افردها ارادة للروضة وهو
ظالم لنفسه بالكفر والاعجاب بماله قال ما اظن ان تبيد اي
تنعدم هذه ابدا وما اظن الساعة اي القيمة قائمة اي كائنة ولئن
رددت اي والله لئن رجعت الى ربي اي الى الآخرة بزعمك لاجدن
خيرا منها اي من جنتي في الدنيا عنده وقرئ منهما مفردا اي
من جنتي منقلبا تميز اي مرجعا في الآخرة قال ذلك استهزاء
وقيل ادعاء لكرامته على الله بدليل على اقسامه بقوله ولئن رددت
قال له اي للكافر صاحبه المسلم وهو يحاوره اي يراجعه الكلام باستفهام
التقرير اكفرت اي صرت كافرا بالذي خلقك من تراب اي من آدم
وهو من تراب ثم من نطفة اي من مني ثم سواك اي عدلك وكملك
رجلا اي انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال فجعله كافرا بالله
جاحدا لنعمه لشكه بالبعث قوله لكنا باثبات الالف وحذفها
استدراك لمضمون ما يقول الكافر اي انت كافر بالله لكني مؤمن

موحد لا

موحد لا اقول كما تقول انت بل اقول هو الله ربي اي خالقي ورازقي
ولا اشرك بربي احدا قوله لكنا اصله لكن انا حذفت الهمزة بعد نقل الحركة
الى النون الاولى وادغمت في الثانية وهو ضمير الشان اي الشان الله
ربي والجملة خبر انا والراجع اليه منها ياء الضمير في ربي ولولا اي هلا
اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله اي الامر ما شاء الله بمعنى الامر الذي
شاءه الله كان يعني هلا قلته عند دخول جنتك اذا اعجبك حسن جنتك
للشكر على انعامه لانه اقرار بان كل خير فيها لما حصل بمشيئة الله والامر
كله بيده وان شاء تركها عامرة وان شاء يخربها لا قوة الا بالله
اي بعونه لا بقوتي اعتراف بان ما قويت على عمارتها انما هو بمعونته
لا بنفسك وبذلك قال عليه السلام من اعطى خيرا فيقول عنده
ما شاء الله لا قوة الا بالله لم ير مكروها قوله ان ترني شرط مجزوم
بان اي ان رايتني انا اقل انا ضمير فصل يقع بين المبتدا والخبر
المعرفتين او اذا كان الخبر مشابها بالمعرفة كافعل التفضيل
بين كونه نعتا وخبرا واقل مفعول ثان لترى والمفعول الاول
ياء المتكلم يعني ان ترني اقل منك مالا وولدا في الدنيا فتكبرت
وتعظمت على فعسى اي لعل ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك هذه في الآخرة
ويرسل عليها اي على جنتك في الدنيا حسبانا جمع حسبانة وهي الصاعقة

او مصدر بمعنى الحساب وهو الحكم بتخريبها من السماء فتصبح اي فتصير صعيدا زلقا
اي ارضا ملسا يزلق عليها قدم او يصبح ماؤها غورا اي غائرا ذاهبا في الارض
فلن تستطيع له طلبا اي حيلة تدركه بها المعنى اني ارجو ان يرزقني الله جنة
افضل جنتك ويهلك جنتك واحيط بثمره اي اهلكت ثمرته فاصبح يقلب كفيه
ندما وتحسرا كما هو عادة النادمين على ما انفق فيها اي في عمارتها وهي خاوية
اي خالية ساقطة على عروشها اي دعائمها ثم سقط الكروم عليها قيل ارسل
الله نارا عليها فاحرقتها ويقول الكافر يا ليتني لم اشرك بربي احدا
فتذكر موعظة اخيه فعلم انه اتى من جهة شركه بربه فتمنى لو لم يشرك حتى
لا يهلك الله جنته ولم يكن له فئة بالتاء والياء اي جماعة ينصرونه من دون الله
اي من عذابه وقيل معناه لا يقدر احد غير الله ان ينصره وهو القادر
على نصره لكنه لا ينصره لاستحقاقه الخذلان بكفره وما كان منتصرا اي ممتنعا
بنفسه منه هنالك ظرف لما قبله اي عند محن العذاب او في القيمة ثم
قال الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر الملك والسلطان او
بالفتح في الدين وبالعكس في الامور وهي مبتدا خبره لله اي
الولاية لله وحده لا يملكها غيره ويجوز ان يكون هنالك من هذه الجملة
فيكون خبر الولاية ولله صلتها والمعنى في ذلك المقام النصرة لله وحده
لا يستطيعها احد سواه وهو تقرير لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله قوله الحق

بالرفع صفة

بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الله هو خير اي الله افضل ثوابا لمن آمن
به وخير عقبا اي افضل عاقبة لمن خيبة الكافر في الدنيا والعقب بضم
القاف وسكونها والعقبى كلها بمعنى العاقبة والمنصوبان تمييزان والمعنى
ثواب الله وعاقبته خير للمؤمنين من الدنيا وما فيها واضرب لهم اي بين للناس
وصف لهم مثل الحيوة الدنيا الفانية هو كماء انزلناه من السماء فاختلط به
اي التفت وتكاثف بسبب الماء نبات الارض حتى خالط بعضه بعضا فاصبح
اي فصار النبات هشيما متفرق الاجزاء ليبسه تذروه الرياح اي تفرقه
فيذهب يشبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الفناء
والهلاك بحال نبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الريح فانعدم وكان
الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا اي قادرا قوله المال
والبنون زينة الحيوة الدنيا يتجمل بها هنا فيه تزهيد للمؤمنين فيها وتوبيخ
للمفتخرين بها يعني الزينة التي يفتخر بها الاغنياء ليست زاد الآخرة والباقيات
الصالحات اي الاعمال الصالحة تبقى ثمرتها للانسان وقيل الصلوة
الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك
افضل ثوابا من هذه الزينة وخير املا اي افضل ما يأمله الانسان
ويرجوه عند الله او افضل ما يرجو الكافر من الثواب وهو النار روي انه
عليه السلام خرج على قومه وقال خذوا جنتكم قالوا يا رسول الله امن عدو

حضر قال لا بل من النار قالوا وما جنتنا من النار قال سبحان الله الى آخر
الكلمات وهن الباقيات الصالحات وقال ايضا لان اقول سبحان الله
الى آخره احب الى مما طلعت عليه الشمس و اذكر يوم نسير الجبال بالنار مجهولا
وبالنون معلوما اى اذكر يوم نزيلها عن اماكنها ونذهب بها بان نجعلها
هباء منبثا وترى الارض بالنسان بارزة اى ظاهرة ليس عليها ما يسترها
مما كان عليها وحشرناهم اى جعلنا اهل الايمان والكفر الى الموقف فلم نغادر
اى نترك منهم احدا تحت الارض وعرضوا اى الخلايق يوم القيمة على
ربك اى على حكمه صفا اى مصفصفين يرى كل واحد منهم لا يحجب
احدا كما يعرض الجند على السلطان هنا فقال لهم ثمة لقد جئتمونا اى جئتمونا
لا شئ معكم كما خلقناكم اول مرة وجاء نحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى
ايذانا بان الحشر يكون قبل نسير الجبال وبروز الارض ليعاينوا تلك
الاهوال العظام قوله بل اضراب عن الوعد الذى دل عليه لقد جئتمونا
اى ما ظننتم ان نصدق الوعد بالبعث بل زعمتم باكفاركم ان لن
نجعل لكم موعدا اى وقتا لانجاز ما وعدتم من البعث على السنة الرسل قالت
عائشة الامر اشد من ذلك لن يهمهم ان ينظر بعضهم الى بعض ووضع
الكتاب اى اعطى كتاب كل امرء بيمينه او شماله وهو الكتاب الذى
كتب فيه اعمالهم واعمالهم واحوالهم قبل وجودهم وبعده للحساب

رضي الله عنها قلت يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيمة قال حفاة عراة قلت والنساء قال والنساء قالت فقلت يا رسول الله اما نستحي قال يا عائشة

فترى المجرمين

فترى المجرمين مشفقين مما فيه اى خائفين مما فى الكتاب عند مشاهدتهم
ما فيه من قبايح اعمالهم ويقولون يا ويلتنا اى ينادون يا هلكتنا التى هلكنا
بها دون غيرها من الهلكات مال هذا الكتاب اى ما باله لا يغادر اى لا يترك
صغيرة ولا كبيرة من الزليل تصدر ان عن جانبيها الا احصاها اى بيّنها
واثبتها فيه قيل الصغيرة كالتبسم والكبيرة كالقهقهة وقيل الصغيرة
كالمسيس والكبيرة كالزنا ووجدوا ما عملوا من خير وشر حاضرا اى مثبتا
فى كتابهم ولا يظلم ربك احدا اى لا يكتب عليه ما لم يعمله او لا ينقص من ثواب
عمله ولا يزيد فى عقابه واذكر اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس الذى الحق بهم وجعل يتعبد معهم كان من الجن لا من الملك
حقيقة لان له ذرية ولا ذرية للملك قيل انه كلام مستأنف كالتعليل
بعد استثناء ابليس من الساجدين كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل
كان من الجن خلق من نار السموم ولم يكن من الملائكة ففسق
اى خرج عن امر ربه والفاء للسببية اى كونه من الجن لسبب فسقه
ولو كان ملكا لم يفسق عن امر ربه اى عن طاعته لان الملك معصوم
دون الجن والانس افتتخذونه اى اتتخذون ابليس يا بنى آدم
وذريته اولياء من دونى والهمزة فيه للانكار اى عقيب فسقه عن امري
تستبدلونه وذريته بى وتطيعونهم دونى وهم لكم عدو اى اعداء والواو

للمال بئس للظالمين بدلا تميزا اى بئس البدل ابليس وذريته لمن ظلم
واستبدلها واطاعها بدل طاعة الله قيل يتوالدون كما يتوالد ابن آدم
وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض بيضة فينفلق البيضة عن جماعة من
الشياطين قوله ما اشهدتهم اشارة الى غناه تعالى عن خلقه ونفي
مشاركتهم في الالوهية اى ما احضرت شركائي بزعمكم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم صح
لاعتضد بهم في خلقها ولا اشهدت بعضهم خلق بعض عندي لعدمهم
وعدم حاجتي اليهم وما كنت متخذ المضلين * عن الدين اى متخذهم
عضدا اى عوانا اعتضد بهم ووضع المضلين موضع الضمير ذما لهم
بالاضلال فاذا لم يكونوا اعوانا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركائي
في العبادة وهم ليسوا بشركائي في الالوهية ويوم يقول بالنون والياء
اذكر يوم يقول الله للكفار يعني يوم القيمة نادوا شركائي الذين زعمتم
انهم شركائي اى ادعوهم ليشفعوا لكم لانكم اشركتموهم معي في الطاعة
لزعمكم انهم يشفعون لكم فدعوهم اى الهتهم فلم يستجيبوا لهم اى لم يجيبوهم
ولم يشفعوا لهم وجعلنا بينهم موبقا اى مهلكا من وبق يبق اذا هلك
يعني جعلنا بينهم واديا من اودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب
الشديد مشترك يهلكون فيه جميعا وهم الاصنام وعابدوهم وقيل
معنى موبقا عداوة وقيل حاجزا بينهم فلا يشفع لهم المعبودون اذا

كانوا عذيرا

كانوا عذيرا وعيسى والملائكة لان هولاء في الجنة وهم في النار ورأى
المجرمون اى المشركون النار حين امروا بالسوق اليها وظنوا اى ايقنوا
انهم مواقعوها اى واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا اى معدلا وانصرافا
لانها احاطت بهم من كل جانب ولقد صرفنا اى بينا في هذا القرآن
للناس من كل مثل اى من جنس كل مثل مثلنا لهم ليتذكروا فيه وكان الانسان
وهو نضر بن الحارث او جميع الناس اكثر شئ جدلا في امر البعث تمييزا
اى خصومة بالباطل يعني جدل الانسان اكثر من جدل كل شئ
وما منع اى لم يمنع الناس ان يؤمنوا محله نصب يمنع اى الايمان
بالله ورسوله اذ جاءهم الهدى اى طريق الفلاح يعني الاسلام والقرآن
وان يستغفروا اى والاستغفار ربهم الا ان يأتيهم محله رفع فاعل منع
بتقدير المضاف اى الانتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهي الهلاك
فيرونها عيانا قيل هذا فيمن قتل من المشركين ببدر واحد و
انتظار ان يأتيهم العذاب اى عذاب الآخرة قبلا اى اصنافا بضمتين
جمع قبيل وبفتحتين مستقبلا ومقابلا وبكسر القاف وفتح الباء
فجاة او مقابلة وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمؤمنين بالجنة ومنذرين
للكافرين بالنار ويجادل الذين كفروا الرسل بالباطل ليدحضوا اى ليبطلوا
به الحق الذي معهم والدحض الزلق من ادحاض القدم وهو

ازلاقها عن موضعها واتخذوا آياتي اي القرآن وما انذروا اي الذي خوفوا
به من العذاب او انذاري هزوا اي سخرية يعني وضع استهزاء وجدالهم
قولهم للرسل ان انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وغير ذلك
ومن اظلم استفهام على سبيل التوبيخ اي من اشد ظلما ممن ذكر اي وعظ
بآيات ربه اي بالقران ولهذا ذكر الضمير في ان يفقهوه بعد فاعرض عنها اي
عن الايات ولم يتذكر حين ذكر بها ولم يعمل بها ونسي عاقبة ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء قوله
انا جعلنا على قلوبهم تعليل لاعراضهم ونسيانهم ذلك اي جعلنا اعمالهم
على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه اي لئلا يفقهوا القران
وفي آذانهم وقرا اي ثقلا وصمما لا يسمعون وان تدعهم شرطا وان
مبنتى للنهى اي تدعهم يا محمد الى الهدى اي طريق الفلاح وهو دين الاسلام
فلن يهتدوا اذا ابدا واذا جواب وجزاء اما كونه جوابا فلان قوله تعالى
انا جعلنا على قلوبهم اكنة الآية في معنى لا تدعهم الى الهدى على تقدير
كون ان شرطا ثم نزل خبرهم عليه السلام منزلة قوله ما لي لا ادعوهم
فاجيب بقوله وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا واما كونه جزاء
فلانه يدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول على معنى انهم جعلوا
ما هو سبب لوجود الاهتداء سببا لانتفائه بالاعراض عن دعوته

وربك الغفور

وربك الغفور للمؤمنين وهو البليغ المغفرة ذو الرحمة وهو الموصوف بالرحمة
لهم خاصة في الآخرة باعطائهم الثواب وذو الرحمة في الدنيا لهم ولغيرهم
بالرزق وغيره من النعم لو يؤاخذهم اي في الدنيا بما كسبوا من
الذنوب لعجل لهم العذاب من غير امهال لافراطهم في عداوة رسول
الله عم ولكنه لم يعجل بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة فيعذبون فيه
لن يجدوا من دونه اي من غيره موئلا اي ملجأ ويقال منه وال اذا التجأ
ووال اليه اذا التجأ اليه وتلك القرى مبتدأ مع صفته اهلكناهم خبره
اي تلك القرى المتقدمة من قبل اهل مكة والمراد اصحاب القرى كعاد
وثمود وقوم لوط اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم بضم
الميم وفتح اللام اي لاهلاكهم موعدا اي وقتا معلوما لا يتأخرون عنه
كما جعلنا لاهل مكة يوم بدر وهو بفتح الميم وكسر اللام الهلاك وبفتحهما
كذلك وانما اشار لهم الى تلك القرى ليعتبروا فيؤمنوا قوله واذ قال
موسى عطف على قوله واذ قلنا عطف قصة ليعتبروا بها اي
واذكر اذ قال موسى بن عمران لفتيه اي لعبده وانما قال لفتيه
تعليما للادب قال عم لا يقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي
وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويأخذ
منه العلم روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل بعد هلاك

القبط امره الله ان يذكر قومه انعام الله عليهم خطيبا فذكر نعمة الله
لهم فرقت القلوب وذرفت العيون فقالوا يا موسى اى الناس اعلم
قال انا فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم الى الله تعالى فاوحى اليه
بل اعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان فى ايام افريدون
الملك قبل موسى فبقى الى ايام موسى فقال يا رب اين اطلبه وكيف لى
به قال اطلبه على الساحل عند الصخرة وخذ حوتا مملوحا يكون زادا لك
فحيث فقدت الحوت فهو هناك ففعل وقال لفتيه لا ابرح من برح
يبرح بمعنى لا ازال وهو من الافعال الناقصة يقتضى الخبر وهو محذوف
لدلالة الحال عليه وهو حال السفر اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين
وهو المكان الذى وعد الله موسى لقاء الخضر وهو ملتقى بحرى فارس
والروم مما يلى المشرق او امضى حقبا او اسير دهرا طويلا حتى ابلغه
والحقب بضم القاف وسكونه ثمانون سنة وقيل هو الدهر وجمعه
احقاب فذهبا يمشيان وقال موسى لفتاه اذا فقدت الحوت
فاخبرنى فلما بلغا مجمع بينهما اى بين البحرين وجلسا على شاطئ
البحر وفيه الصخرة وفيه عين الحيوة التى لا يصيب ماؤها
شيئا الا حيى قيل وضع يوشع الحوت على الصخرة فرقد موسى
وتوضأ يوشع من تلك العين فاصاب الحوت شئ من ماء الوضوء

فاضطرب

فاضطرب الحوت وخرج من المكتل ووقع فى البحر ولما نسى يوشع
عند الرحيل حمل او اخبار موسى عن حاله ونسى موسى تذكره نسب النسيان
اليهما فقيل نسيا حوتهما فى جواب لما فاتخذ الحوت سبيله اى طريق الحوت
فى البحر سربا مفعول ثان لاتخذ وهو النقب تحت الارض قيل اذا لم يكن
له منفذ يقال له سرب واذا كان له منفذ يقال له نفق وانما قال فى البحر
سربا لان الله تعالى جرية الماء على الحوت فقام الماء عليه مثل الطاق
وصار للحوت سربا ولموسى او للخضر معجزة فلما جاوزا اى الموعد وهو
الصخرة تلك الليلة والغد الى الظهر والقى على موسى النصب والجوع
ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت قال لفتاه آتنا غداءنا
وهو ما يعد للاكل اول النهار والعشاء ما يعد له آخره لقد لقينا من
سفرنا هذا اى والله لقد لقينا من هذا السفر الذى سرناه بعد مجاوزة
الصخرة نصبا اى تعبا فذكر فتاه حين طلب موسى الحوت ما رآى منه
قال لموسى ارأيت اى اخبرنى اذ اوينا اى نزلنا الى الصخرة فانى
نسيت الحوت عند الصخرة وانما نسى يوشع ذلك مثله ينبغى ان لا ينسى
لكونه امارة لهما على مطلوبهما الداعى الى الخروج لاجله لان الشيطان
قد شغله بوسوسة فتفرق فكره فاعتراه النسيان يدل عليه وما
انسانيه بضم الهاء وكسرها اى الحوت الا الشيطان ان اذكره يعنى امر

الحوت لك وهو بدل من الهاء فى انسانيه وانما انسانيه الجملة اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه وذلك قوله واتخذ اى موسى او الحوت سبيله
فى البحر عجبا اى سبيلا عجيبا وهو كونه سبيل السرب ونصبه مفعول ثان
لاتخذ مثله سربا فيها مر ويجوز ان يكون عجبا من آخر كلام يوشع تعجبا من
حاله فى رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها فيكون مصدر الفعل محذوف اى
اعجب من ذلك عجبا قال موسى ذلك اى اتخاذه سبيله ما اى الذى
كنا نبغ بحذف الياء واثباتها اى نطلبه لانه امارة للظفر بالطلبة
من لقاء الخضر فارتدا على آثارهما اى رجعا فى درجهما وهو الطريق الذى جاء
منه قصصا اى يقصان قصصا يعنى يتبعان آثارهما اتباعا او حال
من ضمير فارتدا بمعنى مقتصين فاتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا قائما
يصلى عند الصخرة وعليه كساء صوف وهو الخضر قيل كان نبى اسرائيل
او كان ممن ترك الملك وزهد فى الدنيا آتيناه رحمة اى نبوة وشفقة
من عندنا وعلمناه من لدنا اى مما يختص بنا من العلم علما وهو مفعول ثانٍ
واراد به علم الباطن وهو الاخبار عن الغيوب باذنه تعالى فسلم عليه موسى
فقال وعليك السلام يا نبى بنى اسرائيل قال ومن اعلمك انى نبيهم
قال الذى اعلمك مكانى قال موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
بضم الراء وسكون الشين وبفتحهما اى علما ذا رشاد ارشد به فى دينى لا يقال

انه كان ممن

انه كان ممن دونه فكيف يأخذ منه العلم وهو اعلم منه لانا نقول امر الله موسى
بذلك فلا ذلة له وقيل اخذ العلم من الآخر للزيادة مطلوب اذا لم يكن عند
الشخص وقيل لا نقيصة للنبى فى اخذ العلم من نبى آخر مثله قال انك لن تستطيع
معى صبرا اى قال الخضر لموسى لا تصبر صحبتى لانك ترى ما تنكره وانما
قال ذلك على وجه التاكيد لان ظاهره مناكير والرجل الصالح لاسيما اذا
كان نبيا لا يصبر اذا راى ذلك ويأخذ فى الانكار ثم عذره فى عدم صبره
فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا تميزا اى ان لم تحط به بمعنى لم تخبر حقيقته
قال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا وجاء موسى استطاعة صبره معه بعد
اظهار عدمها له لحرصه على العلم وازدياده فوعده الصبر معلقا بمشية الله
قوله ولا اعصى لك امرا فى محل النصب على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير
عاص لك زاده فى الجواب حرصا على طلب العلم وانما استثنى لانه لم
يكن على ثقة فيما التزم وهذا عادة الصالحين قال الخضر فان اتبعتنى
لاخذ العلم فلا تسألنى بتشديد النون مع الياء وبدونها وبالتخفيف
مع الياء وبغيرها عن شىء رايته منى وانكرته نفسك حتى احدث
لك منه ذكرا اى حتى اظهر لك منه توضيحا لحقيقته ووجه صحته ويزول
عنك انكاره به وهذا من اداب المتعلم والعالم فقبل شرطه للتعليم فانطلقا
اى ذهب موسى والخضر ورد تلميذه الى بنى اسرائيل حتى اذا ركبا اى [illegible]

في السفينة خرقها جزاء الشرط اي نقبها قيل ذهبا الى ساحل البحر يطلبان
السفينة مرت بهما سفينة فاستحملا صاحبها وقال اهل السفينة له
انا لا نعرفهما فلا يدخلان علينا فقال سيماهما سيما الزهاد فحملهما بغير
نول وقيل انه عرف الخضر فاذن لهما ليدخلا فيها فلما لججوا اخذ
الخضر الفاس فخرقها فاقلع لوحا من قبل البحر فسد موسى الخرق بثيابه قال
موسى اخرقتها اي السفينة لتغرق اهلها يا خضر وهم احسنوا الينا
قرئ بالتاء مجهولا من اغرق وبفتح الياء والراء ورفع اهلها فاعلا من
غرق لقد جئت شيئا امرا اي اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال
الخضر لموسى الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني
بما نسيت اي بالذي نسيته او بنسياني وهو الترك يعني لا تؤاخذني
بما تركت وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني من رهقه اذا
غشيه اي لا تكلفني من امري عسرا وامره اتباعه اياه اي لا تعسر علي
متابعتك ويسرها علي فاني اريد صحبتك ولا سبيل لي اليها الا
بالعفو وترك المناقشة قيل جاء عصفور فوقع على حرف السفينة
فنقر في البحر نقرة فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك من علم الله
الا ما نقص العصفور من هذا البحر فانطلقا بعد الخروج من السفينة
حتى اذا لقيا غلاما فقتله عطف على الشرط بالفاء اي فقتل

عقيب اللقاء

عقيب اللقاء غلاما اسمه خشنود او حيسن ولم يبلغ الحنث وكان
قتله بضرب راسه الحائط وقيل اضجعه وذبحه بالسكين قيل انه طبع
كافرا لو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا وجزاء الشرط قال موسى
اقتلت نفسا زكية بالالف وبغيرها مشددة اي لم تذنب قط لانها لم
تبلغ الحنث او مطهرة من الذنوب لانه لم يرها قد اذنبت بغير نفس
اي لم تقتل نفسا فتقتص منها لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وهو
اعظم من الامر لانه لا سبيل الى تداركه بخلاف الاول قوله قال الم
اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا توبيخ لموسى على ترك الوصية
وزيادة لك هنا لزيادة العتاب على تركها وكان في الاول
معذورا لان الاولى كانت منه نسيانا ولذلك قال موسى ان
سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبني اي لا تكن
صاحبي بل ابعدني عنك ان اعتبتك قد بلغت من لدني مخففا ومشددا
عذرا اي انهيته فما ابقيت لي عذرا اعتذر به في صحبتك واتباعك
لاني لم احفظ وصيتك روي ان النبي عليه السلام قال رحمه الله
اخي موسى استحيى فقال ذلك فانطلقا اي ذهبا بعد ما شرطا
ذلك حتى اذا اتيا اهل قرية وهي انطاكية او الايلة وهي ابعد ارض
الله في السماء استطعما اهلها اي طلبا منهم الطعام ضيافة قيل

لم يسألهم ولكن نزولهما عندهم كالسؤال منهما فابوا اي امتنعوا ان يضيفوهما
اي من تضييفهما يقال ضيفته اي انزلته ضيفا قيل شر القرى التي لا يضاف
الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
اي يميل ان يسقط ويشارفه فالارادة مجاز هنا لانها ممتنعة عن الجمار
لكونها نزوع النفس الى شيء مع حكم فيه بالفعل او عدمه والارادة من
الله هي الحكم يقال انقض الشيء بمعنى اسرع سقوطه فاقامه الخضر بالاشارة
بيده وقيل مسحه بيده فاستوى وقيل نقضه فبناه وقيل كان طوله
في السماء مائة ذراع فلما اقام الجدار قال له موسى لضرورة الحاجة الى الطعام
لو شئت لاتخذت عليه اجرا اي لو طلبت على عملك جعلا لاندفع به الم
الجوع عنا قرئ لتخذت عليه بغير الالف وكسر الخاء واظهار الذال من
اتخذ بمعنى الاخذ من باب علم ولتخذ بادغام الذال في التاء قال الخضر
هذا فراق بيني وبينك اي هذا السؤال سبب الفراق بيننا لعدم صبرك
وتعهدك به فقال موسى اخبرني بعلم ما لم استطع عليه صبرا قبل المفارقة
سانبئك اي اخبرك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اي بعلم ما يؤول اليه
ذلك حقيقة اما السفينة فكانت لمساكين اي لفقراء وضعفاء وكانوا عشرة
اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة ضعفاء يعملون في البحر بها مواجرة طلبا
للكسب فاردت ان اعيبها اي السفينة لخوف الغصب يدل عليه وكان وراءهم

وقرئ لاتخذت بالالف وفتح التاء واظهار الذال وقرئ ايضا بادغام الذال في التاء

اي قدامهم ملك كافر اسمه جلندي يأخذ كل سفينة صالحة غصبا اي غاصبا
مصدر في موضع الحال ويجوز ان يكون تمييزا او مفعولا له وخوف
الغصب سبب لارادة عيبها لكنه اخر عنها لقصد العناية بذكر ما مقدما
قيل فيه دليل على ان للوصي ان ينقص مال اليتيم اذا رأى فيه صلاحا كما اذا رأى
ان يدفع من ماله شيئا الى السلطان ظالم ليدفعه عن بقية ماله واما الغلام
فكان ابواه مؤمنين اي مقرين بتوحيد الله فخشينا اي خفنا ان يرهقهما
اي يلحقهما طغيانا اي ضلالة وكفرا فيتبعاه بعد الايمان لمحبتهما اياه
وانما خشي الخضر من ذلك لان الله اعلمه بحاله فامره بقتله اياه فاردنا
ان يبدلهما بالتشديد والتخفيف اي يعوضهما ربهما خيرا منه اي من ذلك
الغلام زكوة اي صلاحا ونقاء من الذنوب وتمييزا واقرب رحما بضم
الحاء وسكونها اي رحمة تمييز وهي البر بوالديه فابدلهما الله تعالى بغلام
مسلم وقيل بجارية ولدت منهما ثم تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله
على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا قيل قضاء الله فيما
يكره خير من قضائه فيما يحب واما الجدار فكان لغلامين اسمهما اصرم وصريم
يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما اي مال مدفون من ذهب وفضة
وهو الظاهر لاطلاقه وقيل انه صحف علم وقيل انه لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن

وعجبت لمن ايقن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن ايقن بزوال
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وكان ابوهما صالحا فحفظا بصلاح ابيهما في مالهما ونفسهما روي ان
الله يحفظ بالعبد الصالح ولده وولد ولده وعشيرته واهل دويرات
حوله وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء فاراد ربك ان
يبلغا اشدهما اي كمال عقلهما ويستخرجا كنزهما رحمة مفعول له اي لرحمة من
ربك لهما بصلاح ابيهما قيل اسند الخضر عليه السلام الارادة هنا الى
الله تعالى لاختصاص التبليغ الى الله تعالى واسندها الى نفسه في جانب
العيب لانه فعله حقيقة بامره تعالى واسندها الى نفسه تبشريكا الغير
في طلب الخير منه تعالى لانه في معنى الدعاء الذي يحتاج الى الاستعانة
في استجابته وما فعلته اي ما فعلت ما رايت مني يا موسى عن امري اي
باختياري ورأيي او من تلقاء نفسي بل انا عبد مأمور فعلته بامر الله تعالى
وهذا ايضاح لما اشكل على موسى وتمهيد للعذر في فعله المنكر ظاهرا وهكذا الطريق
بين المرشد والمسترشد في ازالة الشكوك والشبه عنه شفقة له ذلك اي
العلم الذي اخبرتك به تأويل ما لم تسطع عليه صبرا كرره تاكيدا لحفظه تأويله وانما
قال هنا تسطع وتستطع جمعا بين اللغتين يقال اسطاع واستطاع
بمعنى اطاق روي ان موسى عليه السلام لما فارق الخضر قال له اوصني فقال لا

لاتطلب العلم

لاتطلب العلم لتحدث به الناس واطلبه لتعمل به قيل ان الخضر عليه السلام
ميت الآن لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقيل حي وسبب
حياته ان ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحيوة وكان الخضر على مقدمته
فوقع الخضر على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكرا لله تعالى واخطأ
ذو القرنين الطريق فعاد عنه ولم يشرب قوله ويسئلونك عطف على قصة
موسى عليه السلام ان يسألك الكفار امتحانا عن ذي القرنين قيل انه كان نبيا
وقيل ملكا سئل النبي عليه السلام عنه فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان
عبدا صالحا احب الله واحبه الله وناصح الله وناصحه الله قيل ملكه الله الارض
واعطاه العلم والحكمة والهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور
من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وسمي بذي القرنين لبلوغه قرني الشمس
مشرقها ومغربها وقيل لدخوله النور والظلمة وقيل لانه كانت له ذوابتان
حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة واسمه الاسكندر بن فيلقوس
الرومي وكان بعد نمرود وعاش الفا وستمائة سنة قيل انه بعدما خرج
من الظلمة توفي بشهرزور ودفن بها ثم امر النبي ان يجيب عنهم بقوله
قل سأتلو عليكم اي سأذكر لكم منه اي من حاله ذكرا اي خبرا من عند الله
انا مكنا له في الارض اي قويناه ليسير فيها قيل سخر له السحاب
وبسط النور فكان الليل والنهار عنده سواء وآتيناه من كل شيء اي من اسباب

كل شيء يعني من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا اي طريقا موصلا اليه
اي الى مراده فاتبع سببا بقطع الهمزة واسكان التاء اي فالحق سببا لانه
يتعدى الى مفعولين وبوصل الهمزة وتشديد التاء اي سار طريقا نحو المغرب
حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي بلغ قوما في جهته ليس وراءهم احد وجدها
تغرب في عين حمئة اي في عين ماء ذي طين وحمإ اسود وقرئ حامية
اي حارة الاول من الحمأة وهي الطين الاسود والثاني من الحمى وهو حرارة
النار روى ابو ذر رضي الله عنه انه عليه السلام قال انها تغرب في عين
حامية وفي رواية في عين الله الحامية لولا ما يزعها من امر الله تعالى لاحرقت
الارض من النزغ وهو من الاغراب قيل انه مجاز اذ يمتنع غروبها في العين
حقيقة لانها اعظم من الدنيا خمسين مرة وقيل بمائة وعشرين مرة والقمر
ثمانين مرة وانما ذلك في رأي العين كراكب البحر ووجد عندها اي عنده
غروبها قوما من المؤمنين والكافرين عليهم جلود السباع لا طعم لهم الا
ما تحرقه الشمس عند غروبها وترسبه العين عند ذلك فيأكلونه وقيل كانوا
كلهم كافرين قلنا بالوحي او بالالهام يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا
اي انت مخير في امرهم بعد الدعوة الى الاسلام اما ان تعذب من ابى
وكفر بالقتل واما ان تحسن من لم يأب وامن وعمل بما يقتضيه الايمان
بالانعام عليه قيل كان يطبخ من كفر ويعطي ويكسي من امن وقيل تحسنه

بالعفو والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل قال ذو القرنين
اما من ظلم بكفره فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه
عذابا نكرا اي شديدا بالنار واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى
برفع جزاء بلا تنوين للاضافة اي له جزاء المثوبة الحسنى وهي الجنة اوللا
بل لالتقاء الساكنين فالحسنى بدل من خبر المبتدأ وله خبره وجزاء مصدر
فعل محذوف اي يجزى به جزاء في موضع الحال من ضمير آمن وقيل معناه
له الخلال الحسنى يجازى بها جزاء او له جزاء الفعلة الحسنى بالاضافة وهي كلمة
الشهادة وسنقول له من امرنا يسرا اي امرا ذا يسر يعني لا نأمره بما يصعب
عليه بل بما يسهل ثم اتبع سببا اي سار ذو القرنين طريقا نحو المشرق
حتى اذا بلغ مطلع الشمس اي موضع طلوعها وجدها تطلع على قوم
قيل هم الزنج لم نجعل لهم من دونها اي امام الشمس سترا اي بناء
يحصنهم من حرها لان ارضهم لا تحمل الابنية ولهم سروب يدخلونها
عند طلوع الشمس فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معاشهم في ساحل
البحر يصيدون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر
اللباس اي لا يلبسون اللباس من حر الشمس وهم اكثر من جميع اهل
الارض قيل قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى
كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه تعظيما لامره فهو خبر مبتدأ محذوف

وقيل معنى كذالك لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من الحصون والجبال
والابنية والثياب فعلى هذا هو صفة موصوف مذكور قبله اى سترا مثل ذلك
الستر وقد احطنا بما لديه اى لدى ذى القرنين من الجند والآلات واسباب
الملك خبرا اى علما تعيز وقيل مصدر من غير لفظ فعله اى اخبرناه خبرا ذكره
تكثير الذلك ثم اتبع سببا اى اخذ طريقا حتى اذا بلغ بين السدين بضم السين
وفتحها اى طرفى الجبلين بمنقطع بلاد الترك سد ذو القرنين ما بينهما السد
بالفتح عمل الانسان وبالضم خلق الله تعالى وقيل معناهما واحد وبين
نصب بانه اسم مفعول به لقوله ابلغ لانه من الظروف المستعملة اسماء
وظروفا وجد من دونهما اى من قبلهما قوما اى الترك لا يكادون يفقهون قولا
اى لا يفهمون كلام احد لان لغتهم مجهولة وقرئ لا يفقهون بضم الياء
وكسر القاف ايضا اى لا يفقهون غيرهم قولا الا بمشقة من اشارة
ونحوها لانهم كالبكم او بالترجمان بينه وبينهم قالوا يا ذا القرنين
ان يأجوج ومأجوج بهمز الالف وبغير الهمز فيهما اسمان لقبيلتين
من الاجة وهى شدة الحر لانهم لون ويهلكون ما يتصلون به كالنار
وهما لا ينصرفان بالعلمية والتأنيث وقيل اعجميان وهم من اولاد
يافث بن نوح ومن احتلام آدم لانه احتلم وامتزجت نطفته بالتراب
فهم منها يتصلون بنا من جهة الاب دون الام قيل بنو آدم عشرهم لانه

لا يموت الرجل

لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه يحملون السلاح
مفسدون فى الارض قالوه شكاية منهم اى هم يفسدون عند خروجهم
الينا بفعلهم الخبث فانهم كانوا يخرجون الى قوم صالحين بقربهم فيهلكون
زروعهم وضروعهم ويقتلونهم وقيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا
يفعلون فعل قوم لوط فهل نجعل لكم خرجا اى جعلا للسد وقرئ خراجا
اى جزية على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اى حاجزا لئلا يصلوا الينا قال
ذو القرنين ما مكنا بالادغام وفكه فيه ربى خير اى الذى جعلنى فيه قويا
مكينا من كثرة المال والعلم وطلب ثوابه افضل مما تعطونى انتم من
الخراج يعنى لا حاجة لى اليه فاعينونى بقوة اى بالبنائين وصناع
يحسنون البناء والعمل وبالآلات اجعل بينكم وبينهم ردما اى سدا
عظيما موثقا فحفروا ما بين السدين حتى بلغوا الماء وجاؤه بما امرهم
به ثم قال آتونى بقطع الهمزة من الانباء اى اعطونى وبوصل الهمزة
من الاتيان اى جيئونى زبر الحديد اى قطعه جمع زبرة فجعل الاساس
من الصخرة والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب
والفحم حتى اذا ساوى السد بين الصدفين بفتحتين وبضمتين
وسكون الدال اى جانبى الجبلين يعنى ملأ ما بينهما الى اعلاهما
ثم وضع النافخ حوله قال انفخوا فنفخ النار حتى اذا جعله اى الحديد نارا

اي كالنار قال آتوني افرغ عليه قطراً اي نحاساً مذاباً تقديره آتوني
قطراً افرغ عليه قطراً حذف الاول بدلالة الثاني عليه والافراغ الصب
فصب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار
جبلاً واحداً قيل ما بين السدين مائة فرسخ فما اسطاعوا ان يظهروه اي ما اطاقوا
ان يصعدوا على ظهره لملاسته ورفعه وما استطاعوا له نقباً اي خرقاً لصلابته
وثخانته قال ذو القرنين هذا اي السد رحمة اي نعمة من ربي علي
وعليكم لعدم خروجهم بسببه فاذا جاء وعد ربي اي اذا دنى مجيء يوم القيمة
جعله اي السد دكاً اي مدكوكاً مكسوراً مستوياً بالارض وقرئ دكاءً
اي ارضاً دكاً، وكان وعد ربي حقاً اي واجباً حصوله بالثواب والعقاب
بعد بعث الخلايق كلهم هذا آخر كلام ذي القرنين قيل انهم يحفرون
كل يوم الردم حتى كادوا يرون الشعاع قال الذي عليهم ارجعوا فتحفرونه
غداً ولم تستثنوا فيعيده الله كما كان فاذا بلغت مدتهم قال الذي
عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً ان شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته
فيحفرونه ويخرجون على الناس وهم يتحصنون في حصونهم منهم فيرمون
بسهامهم الى السماء فترجع بها كهيئة الدم فيقولون قهرنا اهل الارض
وعلونا اهل السماء فيبعث الله عليهم نغفاً في اقفائهم بدعاء عيسى
عليه السلام فيهلكون وتأكلهم دواب الارض وتسمن وتشكر من لحومهم

سكرا فهذا

سكراً فهذا انما يكون بعد خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله
بامر الله تعالى ثم يبارك في الارض فيخرج ثمرتها وترد بركتها فيكون الناس
في نعمة وسعة او يبعث الله ريحاً طيبة فيأخذهم من اباطهم فيقبض روح
كل مؤمن ويبقى شرار الناس فيقوم عليهم الساعة ثم قال تعالى مخبراً عن
حال الخلق بعد البعث وتركنا اي ونجعل بعضهم يومئذ اي بعض الخلايق
يوم القيمة يموج اي يختلط كموج الماء في بعض لانهم تحيرهم من الحيرة وشدة
الخوف وقيل الضمير ليأجوج ومأجوج اي يختلطون عند خروجهم من السد
مزدحمين في البلاد لكثرتهم ونفخ في الصور اي والحال ان اسرافيل
قد نفخ في الصور ارواح الخلايق لان خروج يأجوج ومأجوج من علامات
قرب الساعة فجمعناهم اي الخلايق في مكان واحد هنالك جمعاً
اي جمع وعرضنا جهنم يومئذ اي اظهرنا يوم القيمة للكافرين اي الجاحدين
بالحق عرضاً اي رأوها عياناً ثم وصفهم بقوله الذين كانت اعينهم في غطاء
اي غلاف في الدنيا عن ذكري اي عن القرآن والايمان وتأمل
وتأمل معانيه وكانوا فيها لا يستطيعون سمعاً اي كانوا صماً عنه لا استطاعة
لهم للسمع بغضاً وكفراً منهم لمحمد عليه السلام افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
اي اظن الكافرون اتخاذهم عبادي من دوني اي ملائكتي وعيسى وعزيراً
او الشياطين اولياء اي ارباباً للشفاعة نافعاً لهم هو مفعول ثان

لحسب حذف المعلم به يعني لا ينفعهم عند الله كما حسبوا ثم بين عذابهم فقال
انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا وهو ما يعد للنزيل وهو الضيف اى احضرنا
للكافرين جهنم كالنزل المعد للضيف قل هل ننبئكم اى هل نخبركم بالاخسرين اى
بالقوم الاغبنين اعمالا وهم المبطلون اعمالهم بالريا والسمعة او بطلب المنة والشكر
من الخلق على معروفهم فى الدنيا وقيل هم الرهبان والقسيسون واهل
الكتابين الذين حبسوا انفسهم فى الصوامع واتبعوها فى عمل يرجون به فضلا
ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا وهو معنى الخسران قوله الذين ضل سعيهم استيناف
وهو جواب عن السؤال المقدر اعنى منهم خبر مبتدا محذوف اى هم الذين
بطل عملهم للخير فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون اى القران ولقاء اى البعث
بعد الموت فحبطت اعمالهم اى بطل ثوابها لانها لم تقبل منهم فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا اى لا نجعل لهم قدرا يوم القيمة لخساستهم او لا نضع لهم ميزانا
لاعمالهم الخير لانهم انما ياتون بالسيئات بلا حسنات يقابل بها فى الحديث
رب اكول وشروب لا يزن عند الله بعوضة قيل يأتى ناس باعمال
يوم القيمة هى عندهم فى العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا قوله
ذلك اى المذكور قبل مبتدا جزاؤهم مبتدا ثان خبره جهنم والجملة خبر
للاول اى عقوبتهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى اى القرآن ورسلى هزوا
اى استهزاء ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم الآمرون بالمعروف

والناهون

والناهون عن المنكر كانت لهم فى علم الله تعالى جنات الفردوس
وهو ربوة خضراء فى الجنة اعلاها واحسنها يقال لها سرة الجنة نزلا اى منازل
مهيئة لهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا اى لا يطلبون حولا اى تحويلا عنها
وهو الانتقال كناية عن التخليد لانهم لا يرون فيها الا ما يرغبهم فى الاقامة فلا
ينتقلون عنها قال عليه السلام اذا سألتم فاسئلوه الفردوس فانه اعلى
الجنة واوسطها وفوقها عرش الرحمن قوله قل لو كان البحر اى جنسه مدادا اى
حبرا نزل حين قال حيى بن اخطب فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا
كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا اى ان ذلك خير كثير لنا ولكنه
قطرة من بحر كلمات الله لانه لو كان ماء البحر مدادا لكلمات ربى اى لمتعلقات
علمه تعالى فيكتب به لنفد البحر اى لفنى ماء البحر قبل ان تنفد بالياء
والتاء المثناة اى تفنى قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله اى بمثل ماء البحر مددا اى
زيادة عليه لنفد ايضا ولم تنفد كلماته تعالى التى هى متعلقات علمه وانما
فسرت الكلمات بها لئلا يشكل بان كلام الله واحد لا تعدد فيه وهى وعده
لاوليائه ووعيده لاعدائه وحكمه على خلقه ونصب مددا تمييز ومنه المداد
والمدد جمع مدة وهى اسم ما يمد به الدواة من الحبر لكتابة الكاتب قوله
قل انما انا بشر مثلكم الآية نزل حين قال الكفار وما انت الا بشر مثلنا
والبشر لا يكون رسولا فقال تعالى قل يا محمد ما انا الا آدمى مثلكم

يوحى الي من ربي انما الهكم اله واحد اي ما هو الا متفرد في الالوهية لا نظير له في ذاته
ولا شريك له في صفاته يعني انا معترف ببشريتي ولكن الله من علي من بينكم
بالنبوة والرسالة فآمنوا به ووحدوه ولا تشركوا به شيئا قوله فمن كان يرجوا لقاء ربه
اي يامله بعد الموت او لخافه يعني يامل رؤيته او يخاف المصير اليه شرط جزاؤه فليعمل
عملا صالحا بالايمان ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرى فيها ولا يبتغي بها
الا وجه ربه خالصا لا يخلطه بغيره وجزم لا يشرك للعطف على فليعمل الذي هو جزاء
الشرط قيل انها نزلت حين قال رجل يا رسول الله اني اعمل العمل فاذا اطلع عليه
سرني او قال آخر اني احب الجهاد واحب ان يرى مكاني اي منزلتي به قال الله
تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن يعمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بري
وهو الذي عمله وقال عليه السلام اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وقال عليه السلام من حفظ عشر
آيات من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ومن قرء من آخره قل
انما انا بشر مثلكم الآية حين ياخذ مضجعه كان له نور يتلالا من مضجعه الى
الى بيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى
يستيقظ وقال عليه السلام من قرء سورة الكهف فهو معصوم ثمانية ايام
من كل فتنة سورة مريم مكية سوى سجدتها بسم الله الرحمن الرحيم
كهيعص قسم اقسم به الله تعالى او هو اسم من اسماء الحسنى او هو اسم

السورة والخ

السورة والمعنى اقرا كهيعص او انه مركب من حروف تشير كل منها الى صفة
من صفاته العظمى قال ابن عباس رضي الله عنه معناه باسم الله الكافي
الهادي المبسوط اليد بالرزق العالم الصادق في وعده ووعيده قرئ
بفتح الهاء والياء وبكسرهما وبفتح الهاء وكسر الياء وبالعكس وبين الكسر
والفتح باظهار دال الصاد وادغامه في ذال ذكر خبر مبتدا محذوف
اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك عبده اي ذكر ربك عبده زكريا للرحمة
ثم اضيف ذكر الى رحمة فاعلا اتساعا تقديره ان ذكرت رحمة ربك
عبده زكريا بدل من عبده اذ نادى ظرف للذكر اي دعا ربه اي يرزقه
ولدا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين نداء خفيا اي سرا
لكونه اسرع للاجابة وابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وقيل اخفاء
لئلا يلام على طلب الولد في سن الكبر قال رب اي يا مالكي اني وهن العظم مني
اي ضعف عظمي مع صلابته فما سواه اولى بالضعف وانما وحد قصدا
للجنسية الشاملة على كل الافراد ولو جمع لخرج العظام عن الوهن واشتعل
الراس شيبا اي شاب شعر راسي شبه الشيب بشواظ النار في
بياضه وانتشاره في الشعر ثم نسب الاشتعال الى مكان الشعر وهو الراس
وجعل الشيب نصبا على التميز رفعا للابهام في نسبة الاشتعال الى
الى الراس ولم يضف اليه اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا تقديره

اشتعل شيب راسي ولم اكن بدعائك رب شقيا اي خائبا بهذا توسل
منه الى ربه بما مضى بعد معه من الاستجابة لدعائه قيل فالمعنى يا رب قد عودتني
الاجابة فيما مضى فاجب هذا الدعاء مني ايضا ولا تخيبني فيه واني خفت الموالي
اي جور من يلي الخلافة من ورائي بفتح الياء وسكونها مع المد والهمزة فيهما
اي بعد موتي وهم الورثة وقيل عصبة اخوته وبنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل
فخافهم على الدين ان يغيروه وان لا يحسنوا الخلافة على امته وكانت امرأتي عاقرا
اي عقيما لم تلد لعجزها عن الولادة فهب لي من لدنك اي من عندك وفضلك
صادرا عنك وليا اي ولدا صالحا يرثني بان يبقى بعده ويرث من
آل يعقوب وكان زكريا من نسل يعقوب بن اسحاق والمراد من الارث ارث
الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال والفعلان مجزومان جوابا
للطلب او مرفوعان صفة لوليا ولدا وارثا مني العلم ووارثا من آل يعقوب
النبوة لئلا يضيع الدين بالتغيير ومن للتبعيض لا للتعدية لان آل
يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء وقيل الاولى ان يحمل الرفع على الاستيناف
بعين ما ذكر لكونه غرضا في جواب سؤال وهو لم تطلب الولد وعدم ترتب
الاغراض من فعل النبي اهون من كونه غير مستجاب الدعوة قال زكريا
واجعله اي الولد الموهوب رب رضيا اي مرضيا فاوحى الله اليه
بجبرئيل مناديا له وهو قائم يصلي في المحراب يا زكريا انا نبشرك بضم النون من

التبشير

التبشير وبفتحها مع التخفيف اي نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل
اي من قبله سميا اي لم يسم احد بالعلم والحكمة التي اوتيها وقيل لانه
ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وقيل لم نجعل له نظيرا او شبيها في انه لم
يعص ولم يهم بمعصية قال زكريا رب اي يا سيدي قاله لجبرئيل
انى يكون لي غلام اي من اين يكون لي ولد وكانت امرأتي عاقرا من الولد
وقد بلغت من الكبر عتيا بكسر العين وضمها اي يبسا يعني نهاية السن
يقال لكل شئ انتهى قد عتى قيل زكريا لم يكن شاكا في بشارة الله تعالى
ولكنه احب ان يعلم من اي وجه يكون مع ما بين القضيتين العقر والعتي
وروي الحركات الثلث في العين لغة قال كذلك اي قال جبرئيل
الامر كما قلت لك او تصديق لزكريا اي كما قلت انك بلغت من الكبر
عتيا قال ربك هو علي هين اي خلق يحيى من كبيرين يسير علي وقد خلقتك
مفردا وخلقناك جمعا للتعظيم من قبل اي قبل يحيى ولم تك شيئا اي كنت
معدوما او لم تك شيئا معتدا به قال رب اجعل لي آية اي علامة على حمل
امرأتي حين جاءه الشيطان وقال ان هذا النداء ليس من الله انما هو
من الشيطان ولو كان من الله لاوحى اليك كما كان يوحي اليك بظهور
جبرئيل لك قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا اي صحيح الخلق
من غير خرس ولا مرض فسويا حال من ضمير زكريا في تكلم وذكر الليالي

هنا والايام فى ال عمران ليدل على ان المنفى من الكلام استمر بثلثة ايام
ولياليهن ورجع تلك الليلة الى امراته فقربها ووقع الولد فى رحمها فلما
اصبح اعتقل لسانه عن كلام الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه وكان
قومه ينتظرونه ليخرج الى الصلوة فخرج على قومه من المحراب اى خرج
صبيحة حمل امراته من مسجده متغير اللونه وحاله فانكروه صامتا وكان من
عادته ان يامرهم بالصلوة فقالوا ما لك يا زكريا فاوحى اليهم اشار باصبعه
وقيل كتب على الارض ان سبحوا اى صلوا الله بكرة اى غدوة وعشيا
وقيل هو حقيقة التسبيح فعرف بذلك ان آية الولد ثم اخبر تعالى انه وهب له
يحيى وقال له يا يحيى خذ الكتاب اى اوحى اليه ربه خذ التورية بقوة اى باجتهاد
ومواظبة وآتيناه الحكم اى اجريناه على لسانه فى صغره الحكم وهو الفهم للتورية
والفقه فى الدين وقيل اعطيناه النبوة صبيا اى فى حال الصبا وهو
ابن ثلث سنين واتيناه حنانا من لدنا اى رحمة لابويه وغيرهما واصله
الرقة والاشفاق وزكوة اى وآتيناه صدقة منا على ابويه واهل زمانه
وكان تقيا اى مطيعا لربه ومعرضا عما سواه وبرا بوالديه اى محسنا اليهما
غير عاص لهما ولم يكن جبارا اى قتالا عند الغضب ولا متكبر عصيا اى
لم يكن عاصيا لربه وسلام اى السلامة منا عليه يوم ولد من طعن
الشيطان ويوم يموت من الشرك ويوم يبعث حيا من هول القيمة اراد

انه منعم

انه منعم بالسلامة فى هذه الاحوال العظام الولادة والموت والبعث الى
الى الموقف فانها اوحش الحالات ثم امر الله تعالى لرسوله بان يقرأ عليهم
ما انزل عليه جبرئيل من خبر مريم موافقا لعلمهم ليؤمنوا به وبالقرآن فقال
واذكر فى الكتاب اى القرآن مريم اى خبرها اذ انتبذت اى حين اعتزلت
من اهلها اذ بدل من مريم بدل اشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها
مكانا شرقيا اى فى مكان مما يلى شرقى بيت المقدس او من دارها
يعنى تخلت للعبادة نحو المشرق معتزلة عن الناس وقيل قعدت فى
مشرقة الشمس فى دار اهلها وكان الوقت شتاء تغلى بابها او تغتسل
من حيضها وكان موضعها المسجد واذا حاضت تحولت الى بيت خالتها
زوجة زكريا واذا طهرت عادت الى المسجد فاتخذت من دونهم حجابا اى ارخت
من ادنى مكان اهلها سترا استترت به منهم فارسلنا اليها روحنا اى جبرئيل
فتمثل اى تشبه لها بشرا سويا يعنى اتاها الملك فى صورة آدمى شاب
امرد حسن الوجه سوى الخلق اى لم ينتقص من الصورة البشرية شيئا
لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه وكان تمثله كذلك ابتلاء لها وسبر العفتها
قيل قام جبرئيل بين يديها فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت
المقدس فثم قالت اعوذ بالرحمن منك يا شاب ان كنت تقيا اى ممن يتقى
الله ويخشاه ويطيعه فلا تقربنى وانما قالت ذلك لان التقى يتعظ بالله ويخاف

والفاسق يخوف بالسلطان والمنافق يخوف بالناس قال جبريل انما انا
رسول ربك لاهب لك بامره وقرئ ليهب اي الله لك غلاما زكيا اي ولدا
طاهرا لا يقارن ذنبا مدة حياته قالت مريم لجبريل انى اي من اين يكون
لي غلام اي ولد والحال انى لم يمسسني بشر اي لم يقربني زوج يقال في
النكاح مس وفي السفاح زنا او فجر او خبث ولم اك بغيا اي فاجرة تبغي
الرجال ولم تقل بغية لانها وصف غالب على المؤنث كحائض قال جبريل الامر
كذلك اي كما قلت لك اي كما قلت انت قال ربك هو اي خلقه بلا فحل
علي هين اي يسير لنبين به قدرتنا ولنجعله آية اي علامة على قدرتنا وعبرة
للناس ورحمة منا اي نعمة على الخلق ممن آمن به وكان خلق عيسى امرا مقضيا
اي محكوما بوقوعه لا محالة قيل انست به فنفخ في فرجها او في جيب درعها
او في كمه وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ في بطنها فحملته اي حملت عيسى
في بطنها عقيب النفخ يدل عليه فاء التعقيب ويشهد عليه ما روي ان
مدة حمله كانت ساعة اي كما حملته وضعته وقيل ثلث ساعات وقيل اكثر
منها فانتبذت به اي انفردت بما هو في بطنها من الحمل مكانا قصيا اي بعيدا
من اهلها وراء الجبل او وراء الدار وانما بعدت لئلا تعير بولادتها من غير زوج
قيل كانت بنت عشر سنين وقد حاضت قبل ذلك حيضتين فاجاءها
تعدية جاء بالهمزة اي الجاءها المخاض وهو وجع الولادة يقال مخضت

الحامل اذا

الحامل اذا تحرك الولد في بطنها للخروج قوله الى جذع النخلة متعلق باجاء
لانتقاله الى معنى الالجاء بالاستعمال اي الى اصل النخلة اليابسة لتستتر
وتعتمد عليه عند الولادة اذ لم تكن لها قابلة تعينها قالت يا ليتني مت قبل هذا
اي هذا الذي اتانيه من الشدة قالته من فرط الحياء والخجالة من الناس على
حكم عادة البشرية لا كراهة لحكم الله وكنت نسيا بفتح النون وكسرها هو
الشيء الحقير المنسي لحقارته منسيا اي متروكا لم اذكر وقيل النسي هو الحيضة
اي خرقة الحائض فناداها اي خاطبها حين سمع جزعها بالولادة
من تحتها بفتح الميم اي جبريل لانه في مكان اسفل عنها وقيل عيسى حين
خرج من بطن امه يعني تحت ذيلها وبكسر الميم فالمنادي عيسى او جبريل والهاء
للنخلة ان لا تحزني بولادة عيسى ولمكان القعط تسلية وبشارة لما هو معجزة
تظهر به انحالته بالعيب وان فيه مفسرة للنداء قد جعل ربك تحتك سريا
اي نهرا صغيرا يعني جعله تحت قدميك وجعله تحت امرك ان امرته يجري
وان امرته يقف قيل ضرب عيسى بعقبه الارض فظهر عين ماء عذب فجرى
النهر اليابس فاخضرت النخلة اليابسة واثمرت واينعت ثمرها فقيل
لها وهزي اي حركي اصل النخلة ومدي اليك بجذع النخلة تساقط عليك بضم
التاء وكسر القاف وبفتح التاء والقاف مع التخفيف والتشديد اي النخلة
رطبا جنيا اي مجنيا او طريا قبل اوانه لانه كان في الشتاء فوضعته

على النخلة فسقط رطبها فكلي من الرطب واشربي من ماء النهر وقري عينا
بابنك عيسى وبابقاء التهمة عنك بجري النهر اليابس وباخضرار النخلة
اليابسة واثمارها قيل وفقهما لانهم اذا رأوا ذلك لم يستبعد ولادة ولد
بلا فحل سلّا بالبسر والرطب من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من
اهل العصمة والبعد من الريبة لا من حيث انهما طعام وشراب ثم قال فاما ترين
اى ان رأيت من البشر احدا فسألك عن ولدك فقولى انى نذرت للرحمن
صوما اى صمتا يعنى قولى ذلك بالاشارة لا باللفظ وكان ذلك الصوم
من الكلام جائزا فى شريعتهم لا فى شرعنا وقيل انما امرت ان تنذر
السكوت لان عيسى يكفيها الكلام مع السفهاء بتبرئة ساحتها وقيل
سوغ لها ذلك القدر بالنطق فلن اكلم اليوم انسيا اى آدميا فاقامت فى
غار هناك مدت نفاسها اربعين يوما بعيسى تكلم الملائكة دون الانس
ثم حملته فاتت به قومها وكانت قومها اهل بيت الصالحين وكلمها عيسى فى
الطريق ان يا اماه البشرى فانى عبد الله ومسيحه قوله تحمله حال من
مريم فلما رأوه معها بكوا وحزنوا قالوا يا مريم لقد جئت اى فعلت شيئا فريا
اى علامة بديعا ومنكرا عظيما لا يعرف منك ولا من اهل بيتك قوله يا اخت
هرون توبيخ لها وهو اخوها من ابيها لا من امها وقيل اخو موسى شبهوها
به فى الصلوة والصلاح لانها كانت من نسله وقيل شبهوها بشبيهها

برجل

برجل صالح فى زمانها اسمه هرون وغيره كما به فقالوا ما كان ابوك امرأ سوء
اى زانيا عنوا به عمران وما كانت امك بغيا اى فاجرة قيل هموا برجمها فاشارت
اليه اى الى عيسى بان كلموه ليكون كلامه حجة لها قالوا كيف نكلم من كان اى وجد
فى المهد صبيا اى رضيعا ونصبه حال فانطق الله عيسى وهو ابن اربعين
يوما قاله وهب فتكلم وتركوا الرجم وكان عيسى يرضع فاقبل بوجهه عليهم
قال انى عبد الله فاول كلامه رد على النصارى لانه اعترف بانه عبد الله
تعالى اتانى الكتاب اى علمنيه فى بطن امى وهو التورية او فى الانجيل
وهو طفل يعقل عقل الرجال وجعلنى نبيا اى اكرمنى بالنبوة يعنى وجعله
انه لزم الخلق اتباعه او كان نبيا ولم يوح اليه الا بعد الثلثين وقيل هو
اخبار بما يكون لا محالة بصيغة الماضى وجعلنى مباركا اى معلما للخير للخلق
او نفاعا لمن آمن واتبعنى اين ما كنت اى حيث كنت واوصانى بالصلوة والزكوة
اى بتمامهما مادمت حيا وبرا اى وجعلنى محسنا ورحيما بوالدتى وهى
اشارة الى انه بلا فحل ولم يجعلنى جبارا شقيا اى لم يخذلنى بمخالفته قيل
الشقى من يذنب ولا يتوب والسلام اللام فيه للجنس اى جنس السلام
على خاصة وهو تعريض باللعنة على من اتهم والدته مريم يوم ولدت ويوم
اموت ويوم ابعث حيا يعنى السلامة من الله وجبت الى كما وجبت الى
يحيى فى هذه الاحوال الثلث العظام فلما كلمهم عيسى بهذا الكلام ايقنوا براءة امه

ولم يكلم بعده حتى بلغ سن الكلام ثم قال تعالى ذلك عيسى بن مريم مبتدأ وخبر
اى الذى قال انى عبد الله الى آخر كلامه هو عيسى بن مريم لا مثل ما يقول
النصارى انه اله او ابنه قوله قول الحق بالرفع خبر ثان اى هو كلمة الله
فالقول بمعنى الكلمة والقول هو الله يعنى قال لعيسى كن فكان وبالنصب مصدر
اقول قول الحق الذى فيه يمترون بالياء والتاء اى يشكون فى عيسى ويختلفون
فيقول بعضهم هو الله والبعض ولده والبعض شريكه والبعض ساحر كذاب
فاكذبهم الله تعالى به بقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اى ما كان من نعته
اتخاذ الولد يعنى عيسى وغيره وجاء بمن لتاكيد النفى العام سبحانه اى
نزه تنزيها عن صفات المخلوقين ثم بين استحالة ذلك بقوله اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون بسرعة يعنى ان من اذا اراد ان يحدث
شيئا من كل الاجناس اوجده بكن كعيسى كان منزها عن شبه
الحيوان الوالد الذى ينشأ منه الولد لانه خلاف المعقول وهو الله
تعالى قوله وان الله ربى وربكم بالكسر استيناف من عيسى او عطف
على مقول القول قبله وبالفتح عطف بالصلوة اى اوصانى بقول ذلك
فاعبدوه اى وحدوه واطيعوه هذا صراط مستقيم اى الذى اوصانى
ربى به دين صحيح وهو الاسلام فاتبعوه لصحته واستقامته دون
غيره قوله فاختلف الاحزاب اى فلولادة مريم عيسى بلا فحل وقع الاختلاف

فى عيسى نزل حين سئلت الاحزاب عن عيسى وهم اليهود والنصارى
فقالت اليهود والنصارى فقالت اليهود وهو ولد الزنا وقالت النصارى
هو اله الخلق وقيل هم النصارى الذين تحزبوا ثلث فرق نسطورية ويعقوبية
وملكانية حين سئلوا عنه فقالت نسطورية هو ابن الله اظهره ثم رفعه
وقالت يعقوبية بل هو الله هبط فى الارض ثم صعد وقالت ملكانية هو عبد الله
ومخلوقه ونبيه فاختلفوا فى امره من بينهم اى من بين الناس فويل للذين
كفروا من مشهد يوم عظيم اى من شهودهم طول الحساب والجزاء يوم القيمة
او من وقت الشهود وهو الموقف او من شهادة ذلك اليوم عليهم او من
شهادة الانبياء والملائكة عليهم او من شهادة اعضائهم بالكفر وسوء
وسوء الاعمال ثم هددهم مخبرا بلفظ الامر الموضوع للتعجب وللتعجيب الخلق من
حالهم بقوله اسمع بهم وابصر اى ما اسمعهم وابصرهم يعنى ما القيهم يوم القيمة
ان عيسى لم يكن ولدا لله تعالى ولا آله ولا شريك له وقيل معناه لا
احد اسمع وابصر منهم يوم القيمة حيث يقول الله تعالى لعيسى أانت قلت
للناس الآية يعنى يسمعون ويبصرون ما يسوءهم وتصدع قلوبهم
او المراد اسماعهم وابصارهم جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما
عميا فى الدنيا يوم ياتوننا ظرف للفعلين لكن الظالمون اى لكنهم اليوم
فى ضلال مبين اى فى خطاء بين فى اغفال النظر والاستماع اوقع

الظاهر اعنی الظالمون موقع الضمیر اشعارا بشدة ظلمهم حیث اغفلوا
النظر والاستماع وقت النفع والاسعاد وانذرهم الواو للاستئناف
ای خوفهم یا محمد یوم الحسرة ای بیوم الندامة علی ما فات منهم وهو یوم
القیمة قال علیه السلام لا یدخل احد الجنة الا اری مقعده من النار
لو اساء لیزداد شکرا ولا یدخل النار احد الا اری مقعده من الجنة لو احسن
لیکون علیه حسرة اذ قضی الامر بدل من یوم الحسرة ای اذا فرغ من
الحساب واستقر کل فریق فی مقره من الجنة والنار وذبح الموت
فیقال یا اهل الجنة خلود فلا موت ویا اهل النار خلود فلا موت وهم
فی غفلة عما یفعل بهم فی الآخرة او عن الاهتمام لذلک المقام بالایمان
والعمل الصالح والجملة حال متعلق بقوله وانذرهم وکذا قوله وهم لا یؤمنون
ای انذرهم علی هذه الحال غافلین غیر مؤمنین بالآخرة انا نحن نرث ای
نملک الارض ومن علیها بان نهلک سکانها ذکر من تغلیبا للعقلاء والینا
یرجعون فی الآخرة فنجازیهم واذکر لهم فی الکتاب ای القرآن
ابراهیم ای خبره انه کان صدیقا ای مبالغا فی الصدق بجمیع ما صدر
من الله تعالی ومصدقا بکل الانبیاء نبیا فی نفسه کقوله تعالی
بل جاء بالحق وصدق المرسلین قوله اذ قال ظرف لصدیقا وقیل
بدل من ابراهیم والجملة بینهما اعتراض ای واذکر وقت قوله لابیه آزر

بن تراح

بن تراح یا ابت لم تعبد ما لا یسمع ولا یبصر ولا یغنی ای لا ینفع عنک شیئا
فیه توبیخ وتنبیه علی ضلالته بعبادة جامد لا ینفعه شیئا فی الدنیا والاخرة
قری یا ابت بفتح التاء وکسرها والمعنی انه خاطب اباه اولا عند دعوته
الی الاسلام مع طلب علة منه فی خطائه بالتنبیه علیه بقوله یا ابت لم تعبد
ما لیس بحی ممیز سمیع بصیر مقتدر علی الثواب والعقاب نافع ضار
لیس اهلا للربوبیة والعبودیة فاعرض عبادة الصنم ووجه وجهک الی الذی
استحق الربوبیة والعبودیة اذ العبادة هی غایة التعظیم لا تحق الا لمن
له غایة الانعام وهو الخالق الرازق المحیی الممیت المثیب المعاقب فاذا وجهت
العبادة الی غیره لم یکن الا ظلما وغیا وکفرا ثم ثنی دعوته الی الحق بالتلطف
والترفق به فقال یا ابت انی قد جاءنی من العلم شیء لیس معک وهو وهو
ما لم یأتک من الله یعنی علم الدلالة علی الطریق السوی فاتبعنی ولا تستنکف
عن التعلم منی انجک من طریق الضلالة واهدک صراطا سویا ای مستقیما
ثم ثلث دعوته الی الحق بقوله یا ابت لا تعبد الشیطان لانک اذا عبدت
الصنم فقد عبدت الشیطان ان الشیطان کان للرحمن عصیا ای
مستعصیا علی ربک الذی جمیع النعم من عنده وهو عدوک الذی
لا یرید بک الا کل خزی وهلاک وهو الذی اغوی آدم وذریته اباک
وابناء جنسک فانک ان حققت النظر عابد الشیطان ثم ربع دعوته

تخويفه سوء العاقبة بقوله يا ابت انى اخاف اى اعلم ان يمسك عذاب
قليل من الرحمن ان امت على الكفر فتكون للشيطان وليا اى قريبا قرينا
فى النار وجعل ولاية الشيطان اكبر من العذاب كما ان رضوان الله
اكبر من الثواب قال ابوه آزر توبيخا لابراهيم اراغب انت عن الهتى اى صارف
قلبى انت عن عبادة الاصنام يا ابراهيم قدم الخبر على المبتدإ للاهتمام
والاولى كونه مبتدأ وانت فاعله سد مسد الخبر لئلا يلزم الفصل بين
بين الصفة وما يتعلق بها وهو عنه لئن لم تنته عن مقالتك هذه وسب
الهتنا لارجمنك اى لاقتلنك بالحجارة او لابعدنك من عندى فاحذرنى
واهجرنى مليا اى فارقنى زمانا طويلا سالما منى ولا تكلمنى قال مجيبا له
سلام عليك سلام مفارقة لا سلام لطف واحسان لانه ليس بدعاء
له كقوله سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ساستغفر لك ربى اى بشرط التوبة
والايمان او كان وعده بالاستغفار له ما دام حيا وقيل انما استغفر له
بقوله واغفر لابى انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن وقيل جاز
ذلك قبل ورود السمع لان العقل لا يأباه بدليل قوله الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك انه اى ان ربى كان بى حفيا اى بليغا فى البر واللطف
عودنى الاجابة لدعائى واعتزلكم اى اترككم وما تدعون اى الذى تعبدونه
من دون الله من الاصنام واراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام فارتحل

من كوثى الى الارض المقدس ثم قال تواضعا وكسرا للنفس وادعو اى اعبد
ربى عسى ان لا اكون بدعاء ربى شقيا اى لا تخيبنى اذا دعوته وفيه تعريض لشقاوتهم
بعبادة غيره تعالى فلما اعتزلهم اى تركهم فما يعبدون اى ومعبودهم من دون
الله وهبنا له اسحق ويعقوب اى عوضناه اولادا مسلمين يأنس بهم بدل المشركين المرتدين لكن
ويعقوب ولد الولد وكلا اى كل واحد من ابراهيم واسحق ويعقوب جعلنا
نبيا اى اكرمناهم بالنبوة قيل من هاجر فى طلب رضاء الله اكرمه الله
فى الدنيا والآخرة ووهبنا لهم من رحمتنا اى من نعمتنا المال والولد والحكم
وحذف المفعول ليعم كل خير دينى ودنيوى وجعلنا لهم لسان صدق عليا
اى ذكرا حسنا فى اهل الاديان كلهم يعنى هم يحبون ابراهيم واولاده ويعدون
دينه بزعمهم ثم قال تعالى واذكر يا محمد لهم فى الكتاب موسى انه كان مخلصا بفتح
اللام اى معصوما من الكفر والمعاصى لانه اختاره الله لمحابه وعبادته وبكسر
اللام اخلص العبادة لله عن الشرك والريا واسلم وجهه لله وكان رسولا نبيا
الى بنى اسرائيل يخبرهم بكتاب من الله وبغير كتاب وناديناه من جانب الطور الايمن
من موسى لا من الجبل اذ لا يمين له ولا شمال وقربناه نجيا حال اى مناجيا
بلا وحى فمعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل قربه حتى سمع صريف القلم الذى
كتب به التورية فى اللوح المنزل ووهبنا له اى لموسى من رحمتنا اى من
اجل رحمتنا له اخاه هرون عطف بيان ونبيا حال منه ليكون معه وزيرا

معينا واذكر في الكتاب اسمعيل هو ابن ابراهيم انه كان صادق الوعد
لانه اذا وعد انجز قيل وعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يرجع اليه فاقام مكانه ثلثة
ايام وقيل سنة وذكره بصدق الوعد وان وجد في غيره من الانبياء تشريفا
له وتشهيرا به من خصاله وكان رسولا الى قومه نبيا يخبر عن الله تعالى وكان
يأمر اهله اي اهل دينه وقومه بالصلوة والزكوة اي باتمامها وكان عند
ربه مرضيا اي صالحا بطاعة الله زكيا عن معصيته واذكر في الكتاب
ادريس اي خبره انه كان صديقا نبيا اي صادقا باخباره عن الله سمي
به لكثرة درسه من كتاب الله والسنن واسمه اخنوخ ورفعناه مكانا عليا اي الجنة
حيا وقيل هو شرف النبوة وقيل رفع الى السماء السابعة روي انه
اذيق الموت ساعة ثم احيي وادخل الجنة وقيل صعد الملك السماء وقبض روحه
بين جناحيه ثم احيي وهو اول من حمل السلاح وقاتل الكفار واول من
نظر في علم الحساب واول من خط بالقلم واول من لبس ثوب القطن
ومن خاط بالثياب وكانوا يلبسون الجلود قبل ذلك قوله اولئك اشارة
الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس مبتدأ خبره الذين
انعم الله عليهم من النبيين هو بيان من ذرية آدم تبعيض وبدل من النبيين
قوله وممن حملنا مع نوح عطف عليه وكذا ومن ذرية ابراهيم واسمعيل وكان ادريس
من ذرية آدم لانه قريب منه وروي انه جد ابي نوح وابراهيم ومن ذريته

من حمل مع

من حمل مع نوح في السفينة لانه من ولد اسرائيل وهو يعقوب وكذا عيسى
لان مريم من ذريته قوله وممن هدينا يجوز ان يعطف على الاولى او الثانية
ويجوز ان تستأنف ويتعلق بقوله اذا تتلى الآية تقديره وممن هدينا اي
اكرمنا بالاسلام واجتبينا اي اصطفينا بالقربة من عندنا بعد هولاء
قوم وهم عبد الله ابن سلام واصحابه اذا تتلى عليهم اي تقرأ على هولاء
ايات الرحمن اي القران خروا اي سقطوا على الارض سجدا اي ساجدين
وبكيا اي باكين من خوف الله وهما حالان مقدرتان من ضمير خروا
ويحتمل ان يكون اولئك مبتدأ والذين الى قوله اذا او صفاته
وجملة اذا خبره والمعنى ان الانبياء قبلكم كانوا يسجدون ويبكون
لسماع ايات الله تعالى فكونوا امثالهم قال عليه السلام اتلوا القران
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا اي ان لم تبك اعينكم فلتبك قلوبكم
يعني تحزنوا عند سماع القرآن تعوذوا به فان القران نزل بحزن على
المحزونين فخلف من بعدهم اي بقي من بعد الانبياء خلف وبسكون اللام
بقية السوء وبالفتح بقية الخير والمراد من الخلف اليهود والنصارى
وقيل هم من هذه الامة اضاعوا الصلوة المفروضة عن وقتها او
تركوها وقيل اضاعتها ان لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر او لا يصلي
العصر حتى يغرب الشمس واتبعوا الشهوات اي اللذات المحرمة من شرب الخمر

والزنا واستحلال نكاح الاخت من الاب فسوف يلقون غيا اى هلاكا
وضلالا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم يستعيذ منه اوديتها
من حره اعد للزانى وشارب الخمر وآكل الربا وشاهد الزور ولاهل
العقوق الا من تاب استثناء من فاعل يلقون اى الا من رجع من الكفر
وآمن وعمل صالحا بعد التوبة فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا اى لا
ينقصون من ثواب اعمالهم التى كانت فى حال الكفر نقصانا لان تقدم
الكفر لا يضرهم اذا تابوا قوله جنات عدن بدل من الجنة لاشتمالها على جنات
عدن والعدن علم بمعنى الاقامة او علم الارض الجنة ووصفها بقوله التى وعد
الرحمن عباده بالغيب وهو ما غاب عن العباد اى وعدها لهم ولم يروها
وقيل بتصديق الغيب انه كان وعده اى ان الشان كان وعد الله
مأتيا مفعول من الاتيان بمعنى الفاعل اى آتيا البتة وقيل المراد من
الوعد الجنة وهم يأتونها فيكون بمعنى المفعول منه وقيل معناه كان
وعده مفعولا منجزا من قولك اتى به اى فعله لا يسمعون فيها لغوا اى
فحشا او كذبا او باطلا الا سلاما اى لكنهم يسمعون سلاما عليهم من
الملائكة او يسلم بعضهم على بعض ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قيل المراد
منه دوام الرزق لا الوقتان المعلومان كما يقال انا عند فلان صباحا
ومساء يراد الدوام منه وقيل يؤتى طعامهم على مقدار البكرة والعشى

اذ لا نهار ثمة

اذ لا نهار ثمة ولا ليل بل هم فى نور ابدا وانما وصف الله الجنة بذلك
لان العرب لا تعرف من العيش افضل من الرزق بالبكرة والعشى تلك
الجنة التى نورث من الميراث اى نعطى بغير اختيار الوارث من عبادنا من
كان تقيا اى مطيعا لله تعالى كارث الوارث المال من المتوفى ويبقى له
وقيل اورثوا منازل اهل النار من الجنة لو اطاعوا ربهم وما نتنزل الا
بامر ربك قيل هو من قول اهل الجنة الذين يرثون المنازل فيها اى
يقولون لا ننزل منزلا من الجنة الا باذن ربنا وقيل نزل حين انقطع
الوحى فى مدته واستبطاء رسول الله عليه السلام جبرئيل عند سؤال
اهل مكة عن ذى القرنين واصحاب الكهف وامر الروح فلم يدر كيف
يجيب ورجاء الوحى اليه فتأخر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال
الكفار ودعه ربه وقلاه قيل انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر
فلما نزل جبرئيل قال له النبى عليه السلام ابطأت على حتى ساء ظنى
وكنت مشتاقا اليك فقال انى كنت اشوق ولكنى عبد مامور لا
افعل شيئا الا باذن وما نتنزل اى قال الله تعالى قل لجبرئيل وما نتنزل
الا بامر ربك له اى لله بالاختصاص ما بين ايدينا من امر الآخرة وما
خلفنا من امر الدنيا وما بين ذلك اى ما بين النفختين
وبينهما اربعون سنة وقيل له ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن

فلا نسما لك ان تنقل من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان الا بامر ربنا
ومشيئته وهو العالم الحافظ بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال
لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فلا نتقلب في ملكوته الا اذا رأى فيه
مصلحة وحكمة واطلق الاذن لنا فيه وهو معنى قوله وما كان ربك نسيا اى
اى ناسيا لشئ ما فانه عالم بكل ما كان وما يكون وما هو كائن حافظ له
وقيل معناه ما كان ربك تاركا لك وان تأخر عنك الوحى لمصلحة
رب السموات والارض اى هو مالك لكونهما وما بينهما من الخلق فكيف يجوز
عليه النسيان فلو جاز ذلك لما جاز ان يكون فنسيانه مستحيل فاعبده
اثبت على طاعته واصطبر لعبادته اى ولا تهن ولا يضيق صدرك عن
احتباس الوحى مدة وعن شماتة الاعداء بك يعنى اعبده كما امرك
بلبثك كما اناب غيرك من المتقين وانما قال لعبادته باللام دون على
نحو واصطبر عليهم لان العبادة كالقرن للمحارب لشدتها فانه تعالى
يقال للمحارب اصطبر لقرنك فيما يورد عليك من الشدائد وقيل يجوز
ان يكون المعنى اصطبر على الشدائد لاجل عبادته اى ليتمكن لك الاتيان
بها هل تعلم له سميا اى لم يسم شئ بالله قط وقيل سميا اى مثلا
وشبها يعنى اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده لم يكن
لك بد من عبادته والاصطبار على مشاقها قوله ويقول الانسان منكرا

للبعث

للبعث ااذا مات لسوف اخرج حيا نزل حين فت ابى بن خلف عظما
انبعث بعد ما صرنا كذا اى المراد من الانسان الخصوص وقيل المراد الجنس
وانما جاز اسناد القول الى الجنس باسره لوجود هذا القول في هذا الجنس
فهو من قبيل قولهم قتل بنو فلان فلانا وانما القاتل واحد منهم والعامل
في اذا فعل مضمر يدل عليه المذكور وهو اخرج لا اخرج بعد قوله لسوف
لاجل اللام وانما جامع مع حرف الاستقبال لانه اخلصت ههنا للتأكيد
وان اقتضت الحال اى يؤكد معنى همزة الانكار رواء اذا ثم قال تعالى
او لا يذكر الانسان بسكون الذال مع التخفيف وفتحها مع التشديد
اى ايقول ذلك ولا يتفكر ويعتبر انا اى بانا خلقناه من قبل اى قبل هذه
الحالة ولم يك شيئا موجودا فاوجدناه من العدم والمعنى الا يتذكر النشأة
الاولى حتى لا ينكر النشأة الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل
على قدرة الخالق اذ هي اهون عليه من ذلك ثم اقسم بنفسه فقال
فوربك لنحشرنهم اى الكفار والشياطين معهم وهم الذين اغووهم
اذ كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة ثم لنحضرنهم اى لنجمعنهم
حول جهنم اى فيها جثيا عن الزجاج اصله بضم الجيم جمع جاث
وقرئ بالكسر اتباعا لما بعده اى جاثين على الركب لهول ذلك
اليوم لا يقدرون على القيام وقيل ذلك قبل دخولهم جهنم وهو مصدر

في الاصل وقع حالا ههنا ثم لننزعن اي لنخرجن من كل شيعة اي فرقة تبعت
من اهل كل دين وهم الذين يتبعوا غاويا من الغواية يقال شاعت اذا
تبعت قوله ايهم موصول عند سيبويه مبني على الاصل لكونه بمعنى الذي
واعرب حملا على بعض فان اضيف الى جملة تامة بقي على اعرابه وان حذف
العائد عليه عاد الى بنائه الاصلي ومحله نصب بننزع اي لننزعن الذين
هم اشد على الرحمن عتيا اي جرأة على الله وعند الخليل استفهام معرب
مبتدأ خبره اشد فرفعه على الحكاية اي لننزعن الذين يقال لهم ايهم اشد
ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى اي احق بها اي بالنار صليا بضم الصاد وكسرها
اي دخولا فعلى والباء متعلقان بافعل ادخلهما مع مجرورهما للبيان لا لصلة
لان عتيا وصليا مصدران لا يتقدم صليا عليهما فكانه قيل على من
عتيا فقيل عتيا على الرحمن وباي مكان صليا فقيل صليا بالنار قيل
هم القادة في الكفر وساداتهم يعني يبدأ بهم من طوائف الغي والفساد
فيقدم اعصاهم فاعصاهم واولاهم بالعذاب فاولاهم به على قدر ذنوبهم
فيطرحون في النار على الترتيب ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ثم خاطب
الناس جميعا وان منكم الا واردها اي ما منكم احد الا وارد النار
قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية حزن لها الناس حزنا شديدا فانشأوا
يبكون فلبثوا ثلثة ايام وقيل سنين ثم نزلت آية التنجية ففرح المسلمون

بها قال جابر سمعت رسول الله عليه السلام يقول الورود الدخول
لكنها يكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وعلى الكافر
نارا روي ان اهل الجنة يقولون الم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال
بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وقيل الورود الحضور والمراد للقيمة
او للنار قال ابن عباس قد يرد الشيء بالشيء ولم يدخله كما يقال ورد
القافلة البلد وان لم يدخله ولكن قربت منه وقيل هو الجواز على الصراط
لان الصراط ممدود عليها وقيل المراد من الآية الكفار فالمعنى بين ولو
كانت الآية عامة فيشكل بقوله اولئك عنها مبعدون فاجيب عنه بان
المراد عن عذابها وبه علل على كون المراد الدخول العام آية الانجاء في
قوله كان على ربك حتما مصدر بمعنى الايجاب ثم سمي الموجب اي كان ورودهم
فيها من البر والفاجر واجبا على الله بايجابه مقضيا قضى به يعني حكم
ان لا يكون غيره ثم ننجي بالتخفيف والتشديد الذين اتقوا من الشرك
اي يخرج المتقين منها ونذر الظالمين اي نترك المشركين فيها جثيا على
الركب حيث قال ونذر ولم يقل وندخل وقيل معنى ثم ننجي نسوق المتقين
بعد ورود الكفار رفقا الى الجنة لانهم واردون ثم يخلصون واذا تتلى
عليهم آياتنا اي موضحات للاحكام من الحلال والحرام او مرتلات
الالفاظ مبينات المعاني او حججا وبراهين وهو حال مؤكدة لان الآيات

لا يكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا اي اهل مكة كنضر بن الحارث واصحابه
لاختصاص عليهم لظاهر الحيوة الدنيا جهلا للذين امنوا اي لاصحاب رسول الله
عليه السلام اي الفريقين خير مقاما بضم الميم وفتحها اي اهل دينين خير منزلا
واحسن نديا اي مجلسا يجتمع فيه للمشاورة وذلك بانهم لبسوا الثياب
وادهنوا الرؤس وتطيبوا بالطيب وجاؤا مفتخرين بالزين الفاخرة
من الثياب فقالوا ذلك احتقارا بالمؤمنين وقصدهم بذلك ان يصرفوهم
عن دينهم فقال تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول ومن بيان له
اي كثيرا من القرون الماضية اهلكناهم قبل قرن النبي عليه السلام وكل اهل
عصر قرن لمن بعدهم لتقدمهم عليهم قوله هم احسن اثاثا ورئيا في محل النصب
صفة لكم والاثاث البيت متاعه والمراد الاموال واللباس والرئي بالهمزة
وتخفيف الياء المنظر والهيئة وبتشديد الياء بغير همزة الشارب او التنعم
والتزين وهو من الري الذي هو ضد العطش اي هم اكثر اموالا واحسن
منظرا وزينة من هؤلاء الكفرة فلم يغن ذلك عنهم من عذاب الله شيئا
قل يا محمد من كان في الضلالة اي الكفر فليمدد له الرحمن مدا امر بمعنى الخبر
اي يزيد له مالا وولدا وعمرا ليكون ذلك جزاء ضلالته في الدنيا ويجوز ان
يكون فليمدد الرحمن في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حيوته
ويمده في طغيانه الى موته قوله حتى اذا راوا زيادة تهديد لهم وغاية لقولهم

للمؤمنين

للمؤمنين ماذا لوا يعني هم لا يزالون يقولون هذا القول اعني اي الفريقين
الاية حتى اذا عاينوا ما يوعدون يعني اما العذاب في الدنيا اي القتل والاسر
واما الساعة اي عذابهم فيها وبعضهم جعل حتى اذا راوا الاية متصلة بما
يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها
الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة وعذابها
وحتى هي التي يحكى بعدها الجملة ولذا وقع بعدها الجملة الشرطية وجواب
الشرط فسيعلمون من هو شر مكانا اي منزلا في مقابلة قولهم خير مقاما
واضعف جندا اي عونا يعني اجنادهم المسلمون في مقابلة احسن نديا
قوله ويزيد الله عطف على محل فليمدد لانه خبر في المعنى اي ويزيد الله الذين
اهتدوا اي آمنوا هدى اي هداية بتوفيقه يعني يزيدهم يقينا وبصيرة
بايمانهم والباقيات الصالحات اي اعمال الآخرة كلها خير عند ربك ثوابا من مفاخرة
الكافر وخير مردا اي مرجعا وعاقبة من قولهم وفخرهم بما عندهم لانه
يورثهم النار ففي قوله خير ثوابا تعريض للكفار بان ثوابهم النار وهو ضرب
من التهكم الذي هو اغيظ من قول القايل عتابهم النار قوله افرايت
الذي كفر الآية نزل فيمن سخر بالبعث وهو عاص بن وايل حين عمل له
خباب بن ارت من الصحابة حليا وكان صايغا فسأله اجرة لعمله
فقال له العاص انكم تزعمون ان القيمة حق فاذا كان يوم القيمة فاني ساوفيك

مالا وولدا فاعطيك منه فقال الله افرأيت الذى كفر بآياتنا اى بالقرآن
وبمحمد وقال سخرية لاوتين مالا وولدا اى فى الجنة ان بعثت قرئ الولد بفتح
الواو واللام مفردا وبضم الواو وسكون اللام جمعا للولد كاسد واسد
وقيل هو جماعة اهل الرجل اى اخبرنى عنه اطلع الغيب همزته استفهامية
اى انظر فى اللوح او اعلم الغيب فعلم انه يدخل الجنة ام اتخذ عند الرحمن عهدا
اى عقدا يدخل الجنة وهو قول لا اله الا الله او تقديم عمل يرضى عنده بسببه
يدخل الجنة كلا ردع للكافر اى لم يطلع على علم الغيب ولم يتخذ عند الرحمن
عهدا لانه نفى لما تقدم وقيل كلا بمعنى حقا حرف يقوم مقام القسم وجوابه
سنكتب اى سنحفظ عليه او نظهر له انا كتبنا عليه ما يقول من الكذب
فنجازيه به اوقاله على سبيل الانتقام فى المستقبل من غير صارف عنه
ونمد له اى نزيده من العذاب مدا اى عذابا فوق العذاب ونرثه ما يقول ابدل
من الهاء نرثه بدل الاشتمال اى نهلكه ونورث ماله وولده غيره او نحفظ ما يقول
حتى نجازيه به او نورث ما يقول انه له فى الجنة غيره من المؤمنين ونعطيه
غير ما يقول فى النار والمراد مما يقول مسماه وهو المال والولد لا نفس
القول ويأتينا فردا اى وحيدا غدا بلا مال ولا ولد واتخذوا من دون الله آلهة
اى منعه فى الآخرة ليكونوا لهم عزا اى ليتعززوا بهم ويكونوا لهم شفعاء
ثمه وانصارا ينجون بهم من عذاب الله تعالى وهم الاصنام التى

يعبدونها

يعبدونها هنا قوله كلا رد عليهم بمعنى لا منعة لهم ثم سيكفرون بعبادتهم
اى سيجحدونها ويكونون اى المعبودون عليهم اى على المشركين ضدا اى
اعداء يلعنونهم او اعوانا عليهم فى العذاب قال عليه السلام من يطلب
رضاء المخلوق فى معصية الخالق عاد الحامد له ذاما ووحد الضد لانه من قبيل
قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم فانهم كالشئ الواحد
لفرط تضامهم الم تر انا ارسلنا اى الم تخبر فى القرآن انا سلطنا الشياطين على
الكافرين نزل فى المستهزئين بالقرآن وهم خمسة نفر والان فى الاصل الحركة
مع صوت متصل من ازيز القدر اى غليانه قوله فلا تعجل عليهم تسلية
للنبى عليه السلام اى لا تعجل يا محمد لطلب العذاب قبل وقته انما نعد لهم انفا
سهم واعمارهم واعمالهم ليستوفوا آجالهم عدا فلا يزادون عليها ولا
ينقصون منها ثم يهلكون فتستريح انت والمؤمنون من شرورهم يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا اى اذكر يوم نجمع المتقين الله بطاعته فى الدنيا
من قبورهم او بعد الحساب اى جنة الرحمن ركبانا على النوق رحالها الذهب
والنجائب سروجها يواقيت والوفد جمع وافد من يأتى بالخير والمعنى الى
الرحمن يجازيهم وينعمهم بفضله واحسانه ونسوق المجرمين اى العاصين
الى جهنم وردا جمع وارد فيساقون اليها رجالة عطاشا قد تقطعت
اعناقهم من العطش واصل الوارد من الورود الى الماء والوارد على الماء

تؤزهم ازا اى تغريهم [illegible] على المعاصى [illegible]
[illegible] الا [illegible]

يكون عطفا على قوله لا يملكون الشفاعة اى المؤمنون والمجرمون كلهم نصب على
الحال الا من اتخذ فى الدنيا عند الرحمن عهدا اى عقدا موثقا بان آمن وعمل
صالحا فيستحق به دخول الجنة وقيل هو الشهادتان وقيل من عهد الامير بكذا
اى فلان اذا امره اى لا يشفع الا المأمور بالشفاعة من اهل الايمان ومحل
من اتخذ رفع بدل من واو يملكون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا اى اليهود والنصارى
لقد جئتم شيئا ادّا اى منكرا واصله بالكسر والفتح العجب يعنى قل لهم
يا محمد لقد قلتم قولا عظيما منكرا وقيل كذبا وزورا القولكم اتخذ الله ولدا
تكاد بالتاء والياء اى تقرب السموات يتفطرن اى يتشققن منه اى من
قولهم قرئ بالتاء وبالنون من تفطر او من انفطر وتنشق الارض اى تتصدع
اجزاؤها وتخسف وتخر الجبال اى تسقط اى تنطبق عليهم هدّا اى كسرا قوله ان
دعوا مفعول له لان سموا للرحمن ولدا فالدعاء بمعنى التسمية وهو متعدى
الى مفعولين حذف الثانى ليعم بكل ما دعى له ولدا او من دعاء بمعنى نسب
اى لاجل ان نسبوا اليه ولد فقال وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ابتغى مطاوع بغى
اذا طلب اى لا يستقيم له تعالى اتخاذ الولد لعدم حاجته اليه وعدم مجانسته
لشئ ما ان كل من فى السموات والارض اى ما كل من فيهما الا آتى الرحمن
عبدا فان بمعنى النفى كادكل مبتدا خبره الى ومن نكرة موصوفة لوقوعها
بعد كل والمعنى سيأتى جميع الخلائق يوم القيمة الى الرحمن خاضعا ذليلا

مقرّا بالعبودية

مقرّا بالعبودية كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم يعنى يلتجئون الى ربوبيته
منقادين كما يفعل العبد للملوك فلا يليق به اتخاذ الولد منهم لقد احصيهم
وعدّهم عدّا اى لقد ضبط عليهم اعمالهم وعلم عددها وحفظها خيرهم وشرهم
لا يفوته شئ من احوالهم ليجازيهم بما يستحقوا من الجزاء وكلهم آتيه اى كل واحد
منهم يأتيه يوم القيمة فردا اى منفردا ليس معه مال ولا ولد ولا احد من المشركين
وهم برئ منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل اى سيحدث لهم الرحمن ودّا اى مودة
فى القلوب لا بسبب من اسباب يكتسب بها الناس مودة فى قلوبهم كقرابة
وعطاء وصدقة وغير ذلك بل هو اختراع من الله ابتداء اختصاصا منه
لاوليائه بكرامة خاصة قيل معناه يحبهم الله ويحببهم الى عباده فى الدنيا
وقيل يوم القيمة الى خلقه بما يعرض من حسناتهم فى كتبهم روى انه عليه السلام
قال لعلى يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهدا واجعل لى فى صدور المؤمنين
مودة فانزل الله تعالى هذه الآية قيل ما اقبل عبد بقلبه الى الله بقلوب
اهل الايمان اليه حتى يرزقه مودتهم فانما يسرناه اى سهلنا القرآن بلسانك
اى بلغتك وهو اللسان العربى لتبشر به المتقين اى الموحدين الخائفين
الراجين وتنذر به قوما لدّا اى شديد الخصومة جمع الدّ كصم واصم كالمجاهد
الالدّ الظالم الذى لا يستقيم وقيل هو الذى لا يقبل الحق ويدعى الباطل
وكم اهلكنا قبلهم من قرن اى قبل قريش اهل تحس منهم اى هل تجد من احد او

ترى او تسمع لهم ركزا اى صوتا خفيا والركز هو الصوت الخفى الذى لا يفهم
ومنه الركاز وهو المال المدفون والاستفهام فيه بمعنى النفى اى لا تحس
ولا تسمع بل هلكوا جميعا وهو تخويف لاهل مكة بهلاك من قبلهم بالعذاب
بسوء اعمالهم وترك التوحيد سورة طه مكية بسم الله الرحمن الرحيم
قيل لما نزل الوحى على رسول الله عليه السلام بمكة اجتهد فى الصلوة واطال
القيام فيها وكان يصلى الليل كله حتى شق عليه ذلك وكان يقوم على احدى رجليه
ويرفع اخرى فنزل طه قرئ بفتح الطاء والهاء وبكسرهما وبين الفتح والكسر
وبفتح الطاء وكسر الهاء اى يا محمد طئ الارض بقدميك جميعا وقيل معناه
يا رجل بلسان عك خطابا للنبى علم وقيل طه قسم اقسم به الله تعالى وجوابه
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب به وقيل انه رد لقول المشركين انك شقى
تركت دين آبائك والشقاء يستعمل للتعب وضد السعادة اى انت لست
لبعيد قرره الله تعالى بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السبيل
الى نيل كل سعادة وما فيه الكفر هو الشقاوة بعينها قوله الا تذكرة مفعول له
اى ما انزلناه عليك الا عظة لمن يخشى اى لمن يسلم ويؤول امره
الى الخشية من الله ولا يجوز ان يكون بدلا من لتشقى لاختلاف الجنسين
قوله تنزيلا مصدر انزلناه من غير لفظه اى انزله تنزيلا ممن خلق الارض
والسموات العلى جمع العليا فوصف به السماء للدلالة على عظم قدرة خالقها

بعلوها

بعلوها قوله الرحمن رفع مبتدا وعلى العرش متعلق بقوله استوى
وهو خبر المبتدا والجملة مسوقة للمدح تعظيما لشان المنزل اى هو استولى
عليه ملكه لا شريك له فيه والعرش سرير الملك جعلوه كناية عن الملك
يقال فلان على العرش يراد انه ملك واستولى وان لم يقعد على السرير البتة
ثم بين بقوله له ما فى السموات وما فى الارض ان كمال القدرة وتمام الملك مختص
به تعالى وما بينهما عطف على ما اى وله ما بينهما من جميع المخلوقات وله
ما تحت الثرى وهو التراب الرطب مقدار خمسمائة عام تحت الارض ولولا
ذلك لاحرقت النار الدنيا وما فيها وقيل هو الصخرة التى تحت الارض
السابعة وهى صخرة خضراء فيها كتب الكفار اسمها سجين وقيل ان
الارض على الماء وهو على الحوت وهو على الصخرة وهى على قرنى الثور
وهو على الثرى ولا يعلم ما تحته الا الله تعالى قوله وان تجهر بالقول اشارة
الى كمال علمه بعد بيان قدرته وملكه اى ان تعلن بالقرآن او بذكر الله من
دعاء او غيره فاعلم انه غنى عن جهرك فانه اى لانه يعلم السر اى ما اسررته
الى غيرك ويعلم اخفى من ذلك وهو من ذلك وهو ما اخطرته ببالك
او ما اسررته فى نفسك وما ستسره فيها وهذا الكلام اما نهى عن الجهر
كقوله ودون الجهر من القول واما تعليم العباد ان الجهر ليس لاسماع
الله تعالى بل لغرض آخر ثم بين انه تعالى لخلقه انه واحد فى المعبودية

لا شريك له فيها بقوله الله لا اله الا هو اي لا معبود في الارض ولا في
السماء الا هو له الاسماء الحسنى اي الصفات العلى التي يستحق بها الربوبية
والعبادة لا غيره كالخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب والحسنى
تأنيث الاحسن والسبب في فضل اسمائه في الحسن على سائر الاسماء دلالتها
على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية
في الحسن ثم عقب آية طه بحديث موسى بقوله وهل اتيك استفهام بمعنى التقرير
اي قد اتاك حديث موسى اي خبره لتقتدي به في تحمل اعباء النبوة
والصبر على مقاساة الشدائد لتنيل الفوز العظيم عند الله والمقام المحمود
يعني تأس بموسى يا محمد في تحمل شدائد الرسالة قوله اذ رأى ظرف لحديث
موسى وبيان له وقيل تقديره اذكر اذ رأى نارا من بعيد فقال لاهله
اي لزوجته ومن معها قرئ لاهله بكسر الهاء وضمها امكثوا اي اقيموا
مكانكم وقفوا اني آنست نارا اي ابصرت وذلك حين رجع من مدين
الى مصر بعد ان استأذن شعيبا في الخروج الى زيارة امه واخيه
هرون فخرج باهله وماله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية
مظلمة ذات ثلج وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده
فصلد ورأى نارا عند ذلك وقيل انه اخذ على غير الطريق مخافة
من ملوك الشام فالجأه المسير الى جانب الطور الغربي فقال لقوما

هنا فاني

ههنا فاني رأيت نارا لعلي آتيكم منها بقبس وهو قطعة نار في رأس
عود او فتيلة او غيرهما او اجد على النار هدى اي هاديا يدلنا على الطريق
فلما اتيها اي انتهى الى النار نودي يا موسى اني انا ربك قرئ بفتح ان
اي باني وبكسرها على الاستيناف قيل رأى شجرة خضراء من اسفلها
الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة
الشجرة ولا الشجرة يغير ضوء النار وقيل انها كانت شجرة العناب
كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه وتعجب منها وبهت
واكثر المفسرين على انها نور الرب تعالى وقيل هي النار بعينها
كما قال عليه السلام حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم سمع تسبيح الملائكة والقيت
عليه السكينة ثم سمع النداء من الشجرة يا موسى فقال من المتكلم
فقال الله اني انا ربك ووسوس الشيطان اليه لعلك تسمع
كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من
جميع الجهات الست واسمعه بجميع اعضائي وكرر الضمير في اني
انا ربك لتحقيق المعرفة ونفي الشبهة فاجاب موسى سريعا اني
اسمع صوتك ولا ارى مكانك فاين انت فقال انا فوقك
ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فاخلع نعليك

اى القهما فالقاهما من وراء الوادى ولانهما كانا من جلد حمار ميت غير
مدبوغ وقيل امر بخلعهما لتناله بركة الارض المقدسة وتناله بركته
انك بالواد المقدس اى الارض الطاهرة الطيبة طوى بالتنوين
وغيره اسم الوادى عطف بيان له منصرف بتأويل المكان وغير
منصرف بتأويل البقعة المعروفة وانا اخترتك اى اصطفيتك
يا موسى للرسالة مفردا فى الكلمتين وجمعا فيهما مع كسر ان تعظيما
لله تعالى فاستمع لما يوحى اليك اى اعمل بما تؤمر وتنهى ثم بين له
توحيده فقال اننى انا الله لا اله الا انا اى لا معبود للخلق الا انا فاعبدنى
اى اطعنى واستقم على توحيدى واقم الصلوة لذكرى اى لتذكرنى
فان ذكرى اذا عبد ويصلى لى او لتذكرنى فيها لاشتمال الصلوة
على الاذكار وقيل صل الصلوة اذا ذكرتها بعد النسيان قال
عليه السلام من نسى صلوة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها
الا ذلك ان الساعة آتية اى كائنة البتة اكاد اخفيها اى اقرب ان
استر الساعة عن عبادى ولا اقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها
ليكونوا على وجل منها فى كل وقت وقيل معناه اكاد اخفيها
من نفسى فكيف اطلعكم عليها وقيل اكاد صلة وقيل معنى
اريد قوله لتجزى كل نفس علة للاخفاء اى اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى

اى بعلها

اى بعلها من خير وشر فلا يصدنك يا موسى عنها اى عن الايمان
بها من لا يؤمن بها من الكفار واتبع هواه فى عبادة غيره تعالى ومخالفة
امره فتردى اى فتهلك ان صددت عنها قيل الردى الموت
والهلاك والمراد بهذا النهى الامر بالاستقامة فى الدين وهو
خطاب له والمراد غيره ثم سئل الله عما فى يده من العصا لازالة
الوحشة عن موسى لانه كان خائفا فانس لسؤاله ولتنبيهه
على منافعها وللتقرير انه عصا حتى لا يخاف اذا صارت ثعبانا
ويعلم انها معجزة عظيمة فقال وما تلك بيمينك يا موسى اى اى
شئ هذه او التى بيدك وكان عالما بما فى يده ولكن الحكمة فى سؤاله
ما ذكرنا قال موسى هى عصاى فقال وما تصنع بها مريدا ان ينضم
اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه قال اتوكأ اى اعتمد عليها اذا
عييت او عند الوثبة واهش اى اخبط بها ورق الشجر على غنمى لتأكله
ولى فيها مآرب اخرى جمع مأربة وهى الحاجة وهى انه يحمل عليها
زاده وسقاه وتماشيه وتحدثه ويضرب بها الارض وكان لها
شعبتان وفى اسفلها سنان فيخرج ماء كل يومه ويخرج
الماء ويركزها فتورق وتحمل اى ثمرة احب وربما يدليها فى
البر وتصير شعبتان كالدلو فيخرج الماء وتضيء بالليل كالشمع

وتحارب عنه وترد الهوام ويستظل بها اذا قعد وكان عصى موسى
اثنى عشر ذراعا بذراعه من عود آس من شجر الجنة استودعها عند
شعيب ملك من ملائكة في صورة انسان قال الله تعالى القها
اي عصاك من يدك يا موسى فالقيها فاذا هي حية عظيمة صفراء
من اعظم ما يكون من الحيات وهي جنس تعم الذكر والانثى والصغير
والكبير فربما يكون جانا وهو الخفيف من الحيات ويكون ثعبانا
وهو عظيمها تسعى اي تسرع وتنسل على بطنها رافعة راسها
وراءها وعيناها تتقدان كالنار تبتلع كل حجر وشجر تمر به وتسمع
لانيابها صريفا شديدا فهرب موسى منها خائفا فثم قال تعالى
لموسى خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى اي سنجعلها عصا كما
كانت اول مرة والسيرة الطريقة التي يكون عليها الانسان
غريزية كانت او مكتسبة فكشف عن يده بامر الله تعالى
ولف كم مدرعته على يده وادخلها في فمها فصارت عصا وهي
ظرف لقوله سنعيدها واراه هذه الآية كي لا يخاف عند فرعون
اذا انقلب حية ثم اراه آية اخرى فقال واضمم يدك الى جناحك
اي جنبك تحت العضد تخرج بيضاء من غير سوء اي برص لان
يده كانت ذات نور تضيء كشعاع الشمس آية اخرى اي حال كونها

آية اخرى

آية اخرى مع العصا وقيل آية منصوبة بمضمر اي خذها آية اخرى لنريك من
آياتنا الآية الكبرى اي العظمى وكانت هذه اكبر آية او المعنى فعلت ذلك
لنريك من آياتنا الكبرى ثم قال تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اي علا
وتكبر وجاوز الحد في الكفر والعصيان فادعه الى عبادتي فلما سمع موسى
هذا الامر منه علم انه حمل امرا عظيما فدعى ربه ان يسهل ذلك عليه ليبلغه الى
فرعون كما امره قال رب اشرح لي صدري اي وسع قلبي لتحمل الحق والمشاق
وردي اخلاق فرعون واتباعه وفي ذكر لي قبل صدري تكرير للمعنى
الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل لانه لما قيل اشرح لي علم ان ثمه
مشروحا مبهما ثم قيل صدري فقد بين ورفع الابهام فكان آكد لطلب
الشرح وكذا في قوله ويسر لي امري اي سهله لي لابلغ الرسالة اليه واحلل
عقدة اي لكنة من لساني وهي الرتة التي حصلت من القاء الجمرة في فيه
عند فرعون وآسية يفقهوا قولي اي يفهم هو وقومه كلامي عند تبليغ
الرسالة وذلك ان موسى في صغره اخذ بلحية فرعون فاراد قتله
فقالت زوجته صبي لا يعقل جربه ان شئت فجعلت في طشت جمرا وفي
آخر جوهرا ووضعتها لدى موسى فقصد الى اخذ الجوهر واخذ جبرئيل
يده فوضعها على الجمرة فرفعها الى فيه فاحترق لسانه فكانت له منه لكنة
واجعل لي وزيرا اي معينا اعتمد عليه من الموازرة وهي المعاونة من اهلي

هرون عطف بيان لوزيرا او اخي بدل من هرون اشدد به بفتح الهمزة
وجزم الدال خبر في جواب الطلب اي اقويه ازري اي ظهري وقيل الازر
القوة وقرئ بضم الهمزة وهو دعاء من موسى المعنى افعل انت اللهم ذلك
واشركه بضم الهمزة خبر من موسى عطف على اشدد والجواب وبفتح الهمزة دعاء
من موسى اي افعل انت ذلك به في امري الذي حملتني وهو تبليغ الرسالة
كي نسبحك تسبيحا كثيرا ونذكرك ذكرا كثيرا اي على كل حال انك كنت
بنا بصيرا اي عالما بنا في الاحوال كلها وبان التعاضد مما يصلحنا
وان هرون نعم الوزير فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال الله قد
اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطيناك مطلوبك منا منة عليك ولقد
مننا عليك مرة اخرى اي اكرمناك بكرامات قبل هذه المرة من غير
ان تسألنا ثم بين ذلك بقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى مناما
اذ الهاما او الهاما في قلبها او بارسال ملك اليها لا على وجه النبوة
ان اقذفيه تفسير لما يوحى لان الوحي بمعنى القول اي قلنا القي
موسى في التابوت فاخذت قطنا محلوجا ووضعته في التابوت
والقت فيه موسى وسدت عليه واحكمته بالقير لئلا يدخل فيه
الماء وكان يدخل من النيل نهر الى دار فرعون فاقذفيه في اليم اي
اقذف التابوت في النيل فليلقه اليم بالساحل جانب البحر وجعل

اليم كانه

اليم كانه ذو تمييز واسند الالقاء اليه لان جريه بامره تعالى والساحل
الشط لانه يسحله الماء اي يقشره وليلقه يأخذه بالجزم جواب الامر
وهو فليلقه قيل الاولى ان يرجع الضماير كلها الى موسى من رجوع
بعضها اليه وبعضها الى التابوت لما فيه قبح من تنافر النظم الذي
هو ام اعجاز القران ومراعاته اهم ما يجب على المفسر اي يأخذ موسى
عدو لي وعدو له وهو فرعون فدخل التابوت من النيل في نهر كبير
يجري منه الى دار فرعون وكان جالسا مع امرأته على رأس البركة فاذا
تابوت يجيء بالماء نحو داره فامر باخراجه ففتح التابوت فاذا فيه
صبي احسن الناس وجها فاخذه فرعون واحبه هو وامرأته حبا
شديدا بحيث لا يصبران عنه ويعضده قوله والقيت عليك
محبة مني قوله مني يجوز ان يتعلق بالقيت فالمعنى اني احببتك
ومن احببته ويجوز ان يتعلق بمحذوف اي محبة حاصلة مني بان
زرعتها في القلوب فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك
وقيل كان في عينيه ملاحة ما رآها احد الا احبه قوله ولتصنع
عطف على مقدر اي لتحب ولتصنع يعني لتربى على عيني اي على
حفظي اياك في الاحوال كلها قوله اذ تمشي بدل من اذ اوحينا
ولا يمنعه اختلاف الوقتين وتباعدهما لاتساع الوقت وقيل عامله

القيت او تسمع اختك اي مريم خرجت لتعرف خبره فجاءت الى ال
فرعون وكان لا يقبل ثدي مرضعة فتقول اي فقالت لهم هل ادلكم
على من يكفله من المراضع بان تضمه اليها وتقبل ثديها قالوا نعم من هي
قالت امي قالوا الها لبن قالت نعم لبن اخي هرون فجاءت بها وقبل ثديها
فرجعناك اي رددناك الى امك كي تقر عينها اي تطيب نفسها بلقائك
ولا تحزن اي لئلا يزول حزنها وقتلت نفسا وهي نفس القبطي فاغتممت
خوفا من الله او من اقتصاص فرعون فنجيناك من الغم بان غفرنا لك او من
غضبه وشره وفتناك فتونا اي ابتليناك واخبرناك ببلاء بعد بلاء
وتخليصك منه والفتنة المحنة وكل ما شق عليه الانسان وكل ما يبتلي
الله عباده فتنة والفتون مصدر كذلك وهو وقوع موسى في محنة
بعد محنة فخلصه الله منها روي ان سعيد بن جبير سأل ابن عباس عن
الفتون الواقع على موسى ولد في عام يقتل فيه الولدان فهذا فتنة يا ابن
جبير والقيه في البحر وهم فرعون بقتله وقد قتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان ابن عباس يقول في
كل واحد فهذه فتنة يا ابن جبير فلبثت سنين فخرجت من مصر هاربا من
فرعون ومكثت سنين لرعي الاغنام في اهل مدين اي عند شعيب قيل
مكث ثماني وعشرة سنة عشر منها مهرا لابنته واقام عنده ثماني عشرة حتى

ولد له

ولد له ثم جئت على قدر يا موسى اي موعد مقدر في علمي وهبت لك نبوة
وكان مجيئه على راس اربعين سنة يوحى فيها الى الانبياء واصطنعتك اي
اصطفيتك لنفسي اي لوحيي بان جعلتك رسولا لي فقال موسى
يا رب حسبي فقد تمت كرامتي اذهب انت واخوك باياتي وهي التسع
ولا تنيا اي لا تفترا في ذكري اي تسبيحي وتقديسي والالتجاء الي وذلك
ينجيكما وقيل لا تعجزا عن اداء رسالتي اذهبا الى فرعون انه طغى اي
تكبر وعلى بادعاء الربوبية فقولا له قولا لينا اي كلاما سهلا بالرفق
واللطف ولا تعنفاه ولا تزجراه وقيل كنياه بان تقولا يا ابا الوليد
او يا ابا العباس لعله يتذكر اي يتأمل فيتعظ او يخشى الله فيؤمن لان
الرؤساء بكلام اللين اقرب الى الانقياد من كلام العنف قيل قد سبق
في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم فكيف يستقيم قوله لعله يتذكر او يخشى اجيب
بان الترجي متعلق لهما اي اذهبا على رجائكما لا يخيب سعيكما قيل تذكر
فرعون وخشي حين الجمه الغرق فلم ينفعه وقيل منعه هامان من الايمان
موسى لما روي ان موسى وعده على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا
لا ينزع منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين
موته واذا مات دخل الجنة فاعجبه ذلك وكان هامان غائبا لا يقطع
امرا بدونه فلما قدم اخبره بما قاله موسى وقال اردت ان اقبل منه يا هامان

فقال له اما ان كنت ارى ان لك عقلا ورأيا انت الآن رب تريد ان
تكون مربوبا فابى من الايمان بموسى قيل كان هارون يومئذ بمصر فامر
الله موسى ان يأتي هرون واوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى
فتلقاه الى مرحلة فاخبره موسى بما اوحى اليه فدعوا حينئذ قال ربنا اننا
نخاف ان يفرط علينا اي يعجل بالعقوبة لنا وفرط بمعنى سبق او ان يطغى
اي يجاوز الحد في الاساءة الينا فنعجز عن تبليغ الرسالة اليه قال لا تخافا
منه انني معكما بنصرتي اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما يعني لست
بغافل عنكما فلا تهتما فأتياه اي اذهبا اليه فقولا له انا رسول ربك
اليك فارسل معنا بني اسرائيل الى الشام وقال في موضع آخر انا رسول
رب العالمين قالوا فيه دليل على جواز رواية الاخبار بالمعنى اذ المعتبر
المعنى دون اللفظ لان الله تعالى حكى معنى واحدا بالفاظ مختلفة ولا
تعذبهم بالاشغال الشاقة ثم فسر رسالتهما بقوله قد جئناك بآية اي
حجة على صدقنا وهي اليد والعصا من ربك فلا تدع الربوبية رؤية
الحجة اذ الرسالة لا تثبت الا بحجة ظاهرة وانما وحد آية وان جاء
بآيتين لانهما في حكم الفرد لان الحجة انما تقوم بهما والسلام النجي من
سخط الله على من اتبع الهدى اي التوحيد انا قد اوحي الينا ان العذاب اي عذاب
الآخرة على الدوام على من كذب بالتوحيد وبما جئنا به وتولى اي اعرض عنه قال

فرعون

فرعون فمن ربكما الذي ارسلكما الي يا موسى خاطبهما اولا ثم خص موسى بالنداء
لانه هو الاصل في الرسالة وهرون تابعه قال موسى ربنا الذي اعطى كل
شيء خلقه اي شكله الذي اقتضاه حكمته وطابق منفعته لا يشاركه فيه
غيره كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي
توافق الاسماع وكذلك كل عضو من اعضاء كل حيوان يطابق ما علق
به من المنفعة ثم هدى اي الهم كل شيء مصلحته كالاكل والشرب والجماع
وغير ذلك مع كيفياتها وهي ايماء من موسى الى الاستدلال على معرفة
الله وربوبيته ثم سأل فرعون موسى عن حال من مات من القرون الماضية
بان قال فما بال اي حال القرون الاولى اي الامم الماضية مثل قوم نوح
وعاد وثمود وهم كانوا عبدة الاوثان وجحدة البعث فاجاب بان هذا
سؤال عن الغيب الا الله وذلك قوله قال علمها اي علم احوال القرون عند
ربي في كتاب اي مكتوب عنده في اللوح المحفوظ لا يضل ربي عن شيء
اي لا يخطئه ولا يغيب عنه ولا ينسى شيئا ما كالانسان وغيره فيجازيهم
باعمالهم وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله لانه لم يعلم ذلك قبل نزول
التورية ونزولها بعد هلاك فرعون وقومه ثم قال تعالى لمشركي مكة الرب
ذكره موسى لفرعون الذي جعل لكم الارض مهدا اي ذا مهد لكم ولمصالحكم كالمهد
للصبي ويجوز ان يكون الذي صفة ربي فيكون الوصف تعريفا لفرعون وقو

يعني ربي الذي جعل لكم الارض قرارا اى موضع القرار والسكون وقرئ مهادا اى فراشا وسلك اى والذي سهل لكم فيها سبلا اى طرقا تسلكونها وانزل اى والذي انزل من السماء ماء اى مطرا فاخرجنا به فيه التفات من الغيبة الى الخطاب للايذان بانه ملك مطاع يفعل ما يشاء لا احد ينازعه في فعله وحكمه اى نحن اخرجنا بالمطر ازواجا اى اصنافا من نبات شتى اى مختلفة جمع شتيت والنبات يعم الواحد والجمع ولذا قال شتى واختلاف النبات بالنفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للانسان وبعضها يصلح لغيره من البهائم كلوا وارعوا انعامكم اى قائلين كلوا حال من ضمير اخرجنا والمعنى اخرجنا اصنافا من النبات اذنين من الانتفاع بها مبيحين ان تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ان في ذلك اى في اختلاف النبات لآيات اى لعبرات لاولي النهى اى ذوي العقول من الناس جمع نهية لانها تنهى صاحبه عن القبيح منها اى من الارض خلقناكم اى اصلكم وهو آدم وانتم منه وفيها نعيدكم اى نعيد موتكم بالدفن فيها ومنها نخرجكم اى نحييكم عند البعث تارة اخرى اى كابتداء خلقكم واحيائكم من التراب ولقد اريناه آياتنا ارينا فرعون آياتنا التسع كلها فكذب بها وابى من الاسلام قال فرعون مع اتباعه اجئتنا لتخرجنا من ارضنا اى ارض مصر بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله اى مماثله فلا تغلب علينا فاجعل بيننا وبينك لاظهار السحر موعدا لا نخلفه

اى مكان

اى مكان موعد وهو مصدر لا نخلفه عن الحضور فيه نحن ولا انت مكانا سوى اى يستوي طرفاه على الفريقين من حيث المكان ومكانا بدل من مكان المضاف الى الموعد تقديرا وسوى بضم السين وكسرها صفة مكانا اى مكانا يستوي مسافته علينا وعليكم قال موسى يوم موعدكم يوم الزينة فاجاب بالزمان لان الحضور في الزمان يتضمن المكان وكان الزمان اعم من المكان ويوم الزينة عيد لهم كانوا يتزينون ويجتمعون كل سنة وقيل وقيل يوم النيروز وان يحشر اى يوم ان يجمع الناس ضحى اى ضحوة ليكون ابعد من الريبة وهو عطف على الزينة فتولى فرعون اى رجع الى اهله فجمع كيده اى سحرته مع كل واحد حبل وعصا وكانوا اثنين وسبعين في رواية ثم اتى الموعد فرعون مع اتباعه قال لهم موسى ويلكم اى الزمكم الله ويلا يعني عذابا لا تفتروا على الله اى لا تختلقوا عليه كذبا فيسحتكم بالنصب جواب النهي اى اى لا تكذبوا عليه فيهلككم بعذاب عظيم سحت واسحت بمعنى اعدم قرئ بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما وقد خاب من افترى اى قد خسر من اختلق الكذب فتنازعوا امرهم بينهم اى اختلفوا فيما بينهم سرا من فرعون وهم السحرة قالوا ان كان موسى ساحرا نغلبه وان كان نبيا وما يأتي به سماوي فله امره وعلينا اتباعه واسروا النجوى اى المناجاة يعني اضمروا نجواهم التي كانوا يتناجون بها خوفا من فرعون قالوا اى السحرة ان هذان اى موسى

وهرون لساحران وقيل كانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره بعد
علمهم انهما على الحق خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما قرئ ان
بالتخفيف فهي اما خفيفة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
واللام بمعنى الا وقرئ بالتشديد فان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف
اي لهما ساحران ليكون اللام داخلة على الجملة وقرئ هذان بتشديد النون
مع سكون ان قوله يريدان اي موسى وهرون خبر بعد خبر ان يخرجاكم من ارضكم
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بسنتكم وشريعتكم الفضلى تانيث الامثل
وهو الاشرف فاجمعوا من الاجماع اي احكموا كيدكم اي لكيدكم يعني ما تكيدون
به موسى او اعطفوا على اهلاك موسى وقرئ فاجمعوا من الجمع اي اجمعوا بكل
كيد تقدرون عليه ثم ائتوا صفا اي مصطفين في الموعد ومجتمعين ليكون
اشد لهيبتكم وانظم لامركم في ذلك سبعين صفا كل صف الف وقد افلح
اليوم من استعلى قيل هذا اعتراض من قول فرعون للسحرة للترغيب
في غلب موسى اي قد فاز ونجا اليوم من علا بالغلبة ثم جمع فرعون السحرة
مع موسى في الموعد وقالوا اي السحرة مع تادبهم له بالهام الله لهم ذلك
يا موسى اما ان تلقي اي تطرح عصاك على الارض واما ان نكون اول من
القى عصاه على الارض قال لهم موسى بوحيه تعالى اليه اختيارا مع
مقابلة الادب بالادب بل القوا معكم احتقارا بهم وليظهر الحق من الباطل

لان الحق يدمغ الباطل ويمحوه فالقى السحرة ما معهم فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه اي الى موسى من سحرهم اي رأى له ظاهرا انها تسعى ومحله رفع
بدل اشتمال من ضمير يخيل على قراءة بالياء مذكرا وهو عائد للسحر او نائب فاعل
له وقرئ تخيل بتاء مضمومة مع فتح الياء لتأنيث جماعة الحبال والعصي اي
خيلت الاوهام الى موسى انها تسعى وتضطرب محنة واظهارا للعجز فهو بدل ايضا
قيل رأى موسى كان الارض امتلأت حيات اخذت سيلا من كل جانب
فاوجس اي اضمر في نفسه خيفة موسى اي ظنا منه انها تقصده كعادة البشر
لدلالة قوله في نفسه لانه من خطرات النفس لا من القلب فموسى فاعل اوجس
وخيفة مفعول له وقيل خيفة تفرق الناس بعد مشاهدة الحيات وقيل ان
لم يؤمر بالقاء العصا فيضلوا ولا يثبت معجزة قلنا مقول قول مقدر قال
الله تعالى قلنا لموسى لا تخف انك اي لانك انت الاعلى اي الغالب القاهر لهم
والق ما في يمينك تلقف بالجزم جواب الامر مشددا او مخففا وقرئ بالرفع
والتخفيف حالا مقدرة من مآل من موسى لانه سبب التلقف اي تلقم ما
صنعوا انما صنعوا كيد ساحر بالتنكير والافراد لان القصد فيه معنى الجنسية
لا العدد وبالالف اي عمله ومكره وبغير الالف يعني كيد سحر باضافة الجنس
الى النوع تبيينا للعلم فقه وما في انما موصولة بمعنى الذي صنعوه كيد سحر الساحر
ولا يفلح الساحر حيث اتى من الارض وعمل السحر فيها والقى موسى عصاه

فوقع الحق وبطل عملهم فالقي السحرة سجدا اى من سرعة سجودهم كانهم القوا
لشكر الله تعالى على الهداية روى انهم رأوا الجنة ومنازلهم التى يصيرون
اليها فيها فى سجودهم ثم رفعوا رؤسهم وهم قالوا امنا اى صدقنا برب
هرون وموسى قال لهم فرعون آمنتم له اى بموسى قبل ان آذن لكم اى امركم
به انه اى موسى لكبيركم اى لمعلمكم الذى علمكم السحر واراد التلبيس على
على قومه لانه عالم ان موسى ما علمهم السحر ثم هددهم بقوله فلاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى
والرجل اليسرى ومن فيه لابتداء الغاية اى ابتداء القطع من مخالفة
العضو ولاصلبنكم فى جذوع النخل اى على اصول النخل فى شاطئ النيل
وجاء بفى ليفيد تمكن المصلوب بالخشبة تمكن المظروف بالظرف ولتعلمن
اينا اشد عذابا وابقى اى ادوم انا على ايمانكم بموسى ام رب موسى على
ترك الايمان به من جهة العذاب قالوا اى السحرة لن نؤثرك اى لن
نختارك وطاعتك على ما جاءنا من البينات اى على اسد ودينه بعد ما جاءنا
من الحجج الدالة على صدق موسى وهى اليد البيضاء وكان استدلالهم
انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا قوله والذى فطرنا اى
خلقنا يجوز ان يكون قسما وان يكون معطوفا على محل ما جاءنا فاقض
اى احكم فينا ما انت قاض اى انت فيه من القطع والصلب انما تقضى هذه

الحيوة الدنيا اى انما تحكم بذة فينا حياتنا فلاجزع انا اى لانا امنا بربنا ليغفر
لنا خطايانا وهى ما عملنا من الشرك وما اكرهتنا اى وليغفر الذى اكرهتنا
عليه من السحر روى ان فرعون اكرههم على تعلم السحر وعمله وروى انهم لما
رأوا موسى نائما وعصاه تحرسه قالوا انه ليس بساحر لان الساحر اذا نام
بطل سحره فلا نعارضه فابى فرعون الا ان يعارضوه والله خير لنا منك
ثوابا اذا اطعناه وابقى اى ادوم عقابا منك ان عصيناه انه اى الشأن
من يأت ربه مجرما اى مشركا وعاصيا يوم القيمة فان له جهنم لا يموت فيها
لا يموت فيها فيستريح من العذاب ولا يحيى حيوة تنفعه قيل هذا من قول
الله تعالى لنبيه عليه السلام وقيل من تمام قول السحرة ومن يأته يوم القيمة
مؤمنا اى مصدقا قد عمل الصالحات فاولئك لهم درجات العلى اى الفضائل
فى الجنة وهى جمع العليا تأنيث الاعلى جنات عدن خبر مبتداء محذوف
اى هى او بدل من الدرجات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
اى المذكور من الفضائل جزاء من تزكى اى ثواب من تطهر من الذنوب
بالتوبة عن الشرك ووحد قال عليه السلام ان اهل الدرجات العلى
ليريهم من تحتهم كما يرى الكواكب الدرى فى افق السماء وان
ابا بكر وعمر منهم وانعما ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى فاضرب
لهم اى اجعل طريقا لبنى اسرائيل فى البحر وبنيه يبسا اى يابسا لا تخاف دركا

اى من ادراك فرعون والفعل المنفى حال مقدرة وقرئ لاتخف
نهيا ولا تخشى الغرق اى انت امن منه وهو عطف على الاتخاف
وعلى لاتخف زيدت الالف للفاصلة فاتبعهم فرعون بجنوده اى
لحقهم بجموعه فغشيهم اى فغطاهم من اليم اى البحر ما غشيهم اى
اى الذى علاهم وهو الغرق حتى التقى البحر عليهم وقيل هو غضب
الله تعالى عليهم واضل اى اهلك بالاغواء فرعون قومه وما هدى
الى الرشاد وهو رد لقوله لهم اتبعونى اهدكم سبيل الرشاد وتكذيب
فى دعواه وانجا الله موسى وقومه من عذاب فرعون ثم ذكر الله
منته على بنى اسرائيل بقوله يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
فرعون وواعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى حيث كانوا فى التيه
فقال لهم كلوا من طيبات اى من حلالات ما رزقناكم وقرئ بتوحيد
المتكلم فى الثلثة انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم ولا تطغوا اى لا تكفروا
تلك النعمة فيه اى فى احسانى اليكم وقيل لا ترفعوا منها لغد
شيئا فيحل عليكم غضبى اى يحل عليكم عذابى ومن يحلل عليه غضبى فقد
هوى اى هلك وسقط فى النار قرئ فيحل بضم الحاء وبضم اللام
الاولى من يحلل من الحلول وهو النزول وبكسرها بمعنى الوجوب
وانى لغفار لمن تاب من الشرك وآمن اى صدق بالله ورسوله وعمل صالحا

المناجاة جانب الطور الايمن اى فى جانبه من يمين موسى ليكتب التوراة

اى ادى

اى ادى الفرائض فالصالح بينه وبين ربه ثم اهتدى اى استقام
على ذلك ولزمه حتى الموت وما اعجلك قال الله تعالى مخاطبا
على سبيل الانكار على موسى عجلته حين سار لمناجاة ربه الى
الطور بسبعين رجلا للاتيان بالتورية فلما دنى الى الطور امرهم
ان يتبعوه الى الجبل واسرع هو فى سيره اليه شوقا الى مناجاة
ربه الى اى شئ اعجلك عن قومك يا موسى وبرلهم خلفك قال
مجيبا لربه هم اولاء على اثرى اى عقيب مجيئى ولم اتقدمهم الا تقدما
يسيرا لا يعتد بمثله هذا جواب بطريق التادب مع ربه لا جواب
سؤاله تعالى لانه سأل عن السبب ولم يجب عنه بل اجاب
بالعذر فيما انكر عليه لان السؤال عن السبب من الله العالم
بكل شئ يستدعى السؤال عن العذر فقدم القدر اعترافا منه
بالنقص عنده تعالى وليكون آنس فى محل الخطاب ثم عقبه بجواب
السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك يا رب لترضى اى لتزداد عنى
رضا وفيه دليل على جواز الاجتهاد عند الاعلم ثم عقب الله
الاخبار بابتلاء قوم موسى من بعد ذهابه عنهم وان لم يقع عنده
لانه اخبر على عادته بلفظ الموجود لصدق وعده تعالى وقال
يا موسى قد انطلقت عنهم فانا قد فتنا قومك اى ابتليناهم فى ايمانهم

بعلق العجل وكانوا ستمائة مائة الف فافتتنوا به غير اثنى عشر الفا
من بعدك اى انطلاقك عنهم الى الجبل واضلهم السامرى بعجله لانه
كان السبب لذلك حيث عمل صورة العجل وامرهم بعبادته فرجع موسى
الى قومه مع الالواح المكتوب فيها التورية غضبان اسفا اى شديد
الغضب او حزينا لما فاته من المناجات وايمان قومه به قيل انها
كانت الف سورة كل سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون جملا
فلما جاءهم موسى ورأى ما يصنعون حول العجل من العبادة قال لهم
يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اى صادقا وهو ان يدفع الكتاب
الى موسى ليقرء عليهم ويهتدوا به وقيل هو اربعون ليلة من ذى
القعدة وعشر ذى الحجة فرجع موسى اليهم بعد ما استوفى هذه المدة
وقال افطال عليكم العهد اى المدة المعهودة منى لكم ام اردتم ان
ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى اى تركتم عهدى بترك
عبادة الله قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا اى ما تعمدنا ترك عهدك
باختيارنا ولكن غلبنا من كيد السامرى والملك القدرة وقرئ
بالحركات الثلث ولكنا حملنا مجهولا بالتشديد اى حملنا غيرنا
وبالتخفيف معلوما اى حملنا نحن اوزارا اى حليا وقيل اثقالا
وقيل آثاما من زينة القوم اى قوم فرعون وكانوا استعاروها منهم

بعلة عرس

بعلة عرس فبقيت عندهم وهم كانوا مستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن
اخذ مال الحربى على ان الغنايم لم تكن تحل حينئذ فحفر حفيرة بامر هرون كى تركوها
فيها الى عود موسى فيرى فيها رأيه فقذفناها اى طرحنا الحلى فى الحفيرة فكذلك
اى مثل القائنا فى الحفيرة القى السامرى قيل رمى السامرى فيها ما معه فى الحلى
والتراب الذى اخذه من اثر حافر فرس جبريل مع الحلى وكان لا يخالط شيئا
الا غيره وهو من الكرامة التى خصه الله تعالى بروح القدس وعند القاءه التراب
قال كن عجلا جسدا له خوار وكان من اهل قرية يعبدون البقر وحين دخل
فى بنى اسرائيل اسلم معهم وفى قلبه حب عبادة البقر فابتلى الله به بنى اسرائيل
فكشف له عن بصره فرأى اثر فرس جبريل واخذ من ترابه فقذفه فى الحفرة
بوحى الشيطان اليه فاخرج لهم بسبب ذلك التراب عجلا جسدا له خوار
اى مجسدا له صوت مسموع ولا شك ان الله خلقه وانشاءه محنة من
الله تعالى بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة
الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين واعجب من خلق الله العجل خلقه محنة
لهم ولغيرهم فقالوا اى السامرى واتباعه هذا اى العجل الهكم واله موسى
فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه او نسى ان يخبركم بان هذا اله فقال
تعالى منبها لهم انه لا يصلح ان يكون الها افلا يرون الا يرجع اليهم قولا
اى ليس لهم عقل يعقلون به ان العجل لا يصلح للالهية يعنى يعبدونه

فلا يبصرون ان العجل عاجز عن الخطاب اذ لا يرجع اليهم قولا يعني لا يكلمهم
ولا يجيبهم اذا دعوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اى لا يقدر ان يدفع مضرة
عنهم وان يجلب نفعا لهم وان مخففة من المثقلة فى ان لا يرجع على تقدير
رفع يرجع ولقد قال لهم هرون من قبل اى قبل ان يعود اليهم موسى يا قوم
انما فتنتم به اى ابتليتم بعبادة العجل من الله فلا تعبدوه وان ربكم الرحمن يقينا
فاتبعوه اى اتبعوا ديني واطيعوا امري الذى امركم به قالوا لن نبرح اى لن نزال
عليه اى على عبادته عاكفين اى مقيمين حتى يرجع الينا موسى فاعتزلهم
هرون فى اثني عشر الفا لم يعبدوا العجل ولما جاءهم موسى قال يا هرون ما
اى شئ منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ان لا تتبعن لا مزيدة فيه
اى من ان تتبع امرى الذى امرتك به من القيام بمصالحهم فتقاتلهم و
تمنعهم من ان يضلوا فى سبيل الله وتلحق لى اذا عجزت عنهم افعصيت
امرى اى خالفت وصيتى لك فاخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله تجره
اليه قال هرون لموسى يا ابن ام بكسر الميم بنية الاضافة الى الياء وفتحها وحذف
الالف لا تاخذ بلحيتى ولا برأسى اى بشعر رأسى انى خشيت ان تقول اذا اقتتل
بينهم الحرب فرقت بين بنى اسرائيل وتغضب على اى جعلتهم فرقتين ولم
ترقب قولى اى لم تنتظروا فى امرى اولم تنتظر قدومى ثم اقبل موسى على السامرى
وقال لم عملته فما خطبك اى ما شانك هذا وما كان مطلوبك منه اى ما

الذى حملك

الذى حملك على عمله يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به تنبأ الخطاب وعلمت
ما لم تعلموا ودرى بالياء يعنى بنى اسرائيل قال موسى ما الذى رأيت قال رأيت
رسولا اليك على فرس الحيوة فقبضت قبضة من اثر الرسول اى المرسل اليك
وهو جبريل ليذهب بك الى الطور عند تمام موعد الذهاب اليه للمناجات
وانما لم يقل جبريل لانه لم يعرف ان الرسول اسمه جبريل يعنى اخذت من تراب
اثر فرس المرسل اليك حين رأيته راكب فرس وقلت ان له شانا عظيما
اقبض من تربة موطئه فقبضت قبضة بالفتح والضم اسم للمقبوض بالكف
وبالصاد المهملة الاخذ باطراف الاصابع فنبذتها اى طرحتها فى العجل
المصاغ فحيى وكذلك اى كما حدثتك سولت لى نفسى اى زينت فلا تمنى لفعله
ولمهم بعبادة العجل قيل كيف رأى هو جبريل من بين سائر الناس اجيب بانه
انه لما ولد فى السنة التى يقتل فيها البنون وضعته فى كهف حذرا عليه
فبعث الله جبريل ليربيه لاجل هذه الفتنة فعرفه حين رآه قال موسى له
فاذهب من بيننا مطرودا فان لك فى الحيوة اى فى عمرك ان تقول لا مساس
اى لا تمسنى احد ولا امس فكان يهيم فى البرية لا يخالط الناس وكان
اذا رأى احدا قال لا تقربنى وقرنه لانه اذا مس احدا ومسه احد حما كلاهما
وروى ان ذلك موجود فى اولاده الآن فكان ذلك اشد عقوبة له
فى الدنيا وان لك موعدا لعذابك لن تخلفه بضم التاء وكسر اللام من

اخلف الموعد اذا غاب عنه وبفتح اللام اي تبعث اليه البتة المعنى ان هذا لك
في الدنيا ولك في الآخرة موعد لن تغيب عنه او لن تؤخر عنه يعني يكافيك الله
على ما فعلته ثمة والله لا يخلف الميعاد وانظر يا سامري الى الهك بزعمك
الذي ظلت اي الى معبودك الذي صرت عليه عاكفا اي مقيما على عبادته لنحرقنه
بالنار مرة بعد مرة ثم لننسفنه اي لنذرينه في اليم اي في البحر نسفا اي
ذروا يبطل سعيك واصل ظلت ظللت فحذفت اللام الاولى ونقلت حركتها
الى الظاء ومنهم من لم ينقل ولم يحذف روي ان موسى اخذ العجل فذبحه ثم حرقه
بالنار ثم ذراه في اليم انما الهكم الله الذي لا اله الا هو اي العجل ليس بالهكم وانما الهكم
الله الذي لا معبود للخلق سواه وسع كل شيء علما اي وسع علمه واحاط
بكل شيء اي بما كان وما يكون وقد آتيناك اي اعطيناك من لدنا ذكرا اي
قرآنا كرامة لك من عندنا وزيادة في معجزاتك ليعتبر السامع ويزداد بصيرة
في دينه وفيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه من اعرض عنه اي عن القرآن
فلم يعتبر ولم يعمل بما يجده اياه فانه يحمل يوم القيمة وزرا اي اثما ثقيلا خالدين
حال من ضمير يحمل وجمع نظرا الى معنى من اي ماكثين فيه اي في عقاب
الوزر وساء لهم يوم القيمة حملا تمييز لما ابهم في ساء بمعنى بئس من الضمير
اي ساء الحمل حملا وزرهم يعني بئس ما يحملون من الذنوب قيل نصب
حملا على التمييز يمنع من ان يكون في ساء ضمير الوزر واللام في لهم للبيان

وهو بدل على ان ساء بمعنى بئس لا بمعنى احزن اذ لا يقال احزن له بل يقال
احزنه قوله يوم ينفخ بالنون اخبار عن المتكلم تعظيما وبالياء مجهولا يجوز
ان يكون بدلا من يوم القيمة ويجوز ان يكون عامله محذوفا تقديره
حذرهم يوم ينفخ اسرافيل في الصور الذي التقمه للنفخ ونحشر المجرمين اي
المشركين يومئذ زرقا اي زرق الاعين من شدة العطش وهو شدة
الخضرة في سواد العين وقيل عميا لان العين اذا زال نورها ازرقت
او الزرقة علامة اهل النار قوله يتخافتون حال من ضمير زرقا من الخفوت وهو
السكوت اي يتسارون بينهم لهول ذلك اليوم قايلين ان لبثتم في
الدنيا استقصارا لمدة لبثهم فيها او بين النفختين وهو اربعون سنة
لانهم لا يعذبون فيها او في القبور بعد الموت يعني يقولون ما لبثتم الا عشرا
اي عشرة ايام وقيل عشر ساعات قال الله تعالى نحن اعلم بما يقولون
اذ يقول امثلهم طريقة اي اوفاهم عقلا واوفرهم رايا وقولا ان لبثتم
الا يوما لقصره عندهم لان ايام الراحة قليلة وقيل نسوا مقدار لبثهم
لشدة ما دهمهم ويسئلونك عن الجبال اي يسئلك بعض اهل مكة وهم
بنوا ثقيف يا رسول الله ما يصنع الله بالجبال يوم القيمة فقل ينسفها
ربي نسفا اي يقلعها من اماكنها بان يجعلها كالرمل ثم يرسل عليه الريح
فتذروها فتصير كالهباء المنثور فيذرها اي يترك اماكنها او الارض

قاعا اى ارضا ملسبطة صفصفا اى ملسا مستوية لا ترى فيها عوجا اى انخفاضا ولا امتا اى ارتفاعا وانما قال عوجا بالكسر فى الارض ولا يستعمل ذلك الا فى المعانى لانه اعتبر الاستواء ونفى الاعوجاج عنها فيها فالتحقت بالمعانى يومئذ يتبعون الداعى اى الناس يقصدون نحو الداعى يعنى صوته وهو اسرافيل حين ينادى قائما على صخرة بيت المقدس ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة هلم الى عرض الرحمن فيأتون سعيا من كل ناحية الى صوته لا عوج له اى لا يعوج له مدعون من الناس بل يتبعه من غير عدول عنه وخشعت الاصوات اى خفضت وذلت للرحمن من شدة الفزع والمراد اصحابها فلا تسمع الا همسا اى صوتا خفيا من مشى الاقدام بخفاء الى المحشر خوفا وهيبة وقيل الهمس تحريك الشفة بلا نطق يومئذ لا تنفع الشفاعة احدا من الناس عنده الا شفاعة من اذن له الرحمن اى يشفع ويشفع ورضى له قولا اى رضى قوله بان قال لا اله الا الله خالصا فى الدنيا ويجوز ان يكون من مفعولا فالمعنى على هذا لا ينفع شفاعة الشافع الا من اذن الله لاجله ان يشفع ورضى له قوله وهذا يدل على ان لا شفاعة لغير المؤمن يعلم الله تعالى ما بين ايديهم وما خلفهم اى يعلم جميع احوالهم المتقدمة والمتقبلة فاخبارا عن علم وهم لا يحيطون به علما اى لا يعلمون ما بين ايديهم من الآخرة وما خلفهم من الاعمال وقيل الضمير لله اى معلوماته وعنت الوجوه اى خضعت

وجوه العصاة للحى القيوم وذلك عند معاينة سوء الحساب والشقوة والخيبة وقد خاب اى خسر من حمل ظلما اى شركا ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن اى مصدق بالله ورسوله فلا يخاف ظلما وهو ان يأخذ رجل من صاحبه فوق حقه وقرئ فلا تخف على معنى النهى ولا هضما وهو ان يكسر من حق اخيه ومنه هضم الطعام اى لا يخاف عذابا من غير جرم ولا نقص شئ من حسناته وكذلك انزلناه قرانا عربيا عطف على كذلك نقص اى كما انزلنا عليك هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيرة بلسان العرب مكررين فيه آيات الوعيد بالبيان من اخبار الامم الماضية وما اصابهم من المصائب بذنوبهم وهو معنى قوله وصرفنا فيه اى بينا وكررنا فى القران من الوعيد لعلهم يتقون الشرك او يحدث لهم الوعيد والقران ذكرا اى عظة بهلاك من قبلهم فينزجرهم عن المعاصى فتعالى الله الملك الحق اى ارتفع وتعظم عن الشريك والولد وعن ان لا يعدل بين الخلق فانه الملك الحق لا يظلم احدا منهم قوله ولا تعجل بالقران نهى للنبى عليه السلام عن العجلة بقراءة القران وكان يعجل قبل ان يستتم جبرئيل قرائته خوف النسيان والانفلات اى لا تعجل بقرائته من قبل ان يقضى اى يؤدى اليك وحيه اى قرائته المعنى تثبت حتى حتى يفرغ جبرئيل من قرائته ثم اقرأه وقل رب زدنى علما اى الى علمى بالقران

علما يعني زدني فهما في معناه اشارة الى التواضع والى ان لا احاطة لاحد
بجميع العلوم الا الله ولقد عهدنا عطف على قوله وصرفنا فيه الآية واللام فيه
لجواب القسم اي اقسم قسما لقد عهدنا الى آدم اي امرنا ابا بهم من قبلهم
كما امرناهم ووصيناه ان لا يأكل من الشجرة وتوعدناه بكونه من الظالمين
ان يأكل منها من قبل اي قبل اكله او قبل ان توعدنا ابا فنسي عهدنا اي
عهدنا اي فخالفه وتركه فعصانا ولم يلتفت الى توعدنا كما انهم لا يلتفتون الى
امرنا ووعيدنا ولم نجد له اي لآدم عزما اي جزما وصبرا عما نهي عنه وحفظا
لما امر به والعزم في اللغة توطين النفس على الفعل واشار بذلك ان اساس
بني آدم على امر آدم لانهم منه فاتبعوا امر الشيطان في نقض العهد وترك الايمان
كما اتبع آدم ابليس عدوه فاغواه قيل لم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعا
عن الانسان فكان مؤاخذا به وانما رفع عنا وقيل ظن آدم ان نهي اكل الشجرة
نهي تنزيه فنسي تلك عقوبة الله واذ قلنا للملائكة اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس ابى اي تعظم عن السجود لآدم وصح استثناؤه وهو
جني عن الملائكة على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه لانه
كان في صحبتهم وكان يعبد كعبادتهم فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك
حوا فاحذرا منه فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اي فتتعب في الدنيا
بتحصيل حاجتك من المأكل والمشرب والملبس وخص آدم بالشقاء

لان طلب

لان طلب الكسب غالبا يكون بالرجال قوله ان لك ان لا تجوع فيها بدل
من قوله ان هذا اي قلنا له ان حالك مادمت في الجنة ان لا تجوع ولا تعرى
من الثياب وانك بكسر ان على الابتداء وبفتحها على العطف على ان لا
تجوع وجاز للفصل وهو لك اذ لا تدخل ان على ان والواو نائبة عن ان
اي ان لك انك لا تظمأ اي لا تعطش فيها ولا تضحى اي لا يصيبك حر
الشمس في الجنة اذ لا شمس فيها واهلها في ظل ممدود والمراد ذكر الاقطاب
من الافعال التي يدور عليها كفاف الانسان ومعيشته من غير احتياج
الى الكسب مستجمعة في الجنة لآدم كي لا تبعد عنها الى طلب امر به وانما ذكرها
بلفظ النفي لنقايضها التي هي الجوع والظماء والعري والضحو لتعليم سمعه
اسامي اصناف الشقوة التي حذره منها بتجنب السبب الموقع فيها كراهة
لها فوسوس اليه الشيطان قال بيان لوسوس اي قال الشيطان الى انهى
اليه الوسوسة يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي الخلود لان من اكل منها
خلد بزعمه و على ملك لا يبلى اي لا يفنى وهو اكل الشجرة فاكلا منها فبدت
لهما اي ظهرت سوآتهما اي عوراتهما وطفقا اي عمدا يخصفان
اي يلزقان عليهما من ورق الجنة اي على سوآتهما بورق التين للستر
وعصى آدم ربه بمخالفة امره باكله من الشجرة فغوى اي فخرج بالعصيان
من ان يكون راشدا في فعله لان الغي خلاف الرشد قيل لا يجوز ان يقال

ادم عاص بل عصى آدم اذ المعصية لم يكن عادة له والمعنى انه جهل لطلبه
الخلد باكل المنهى عنه لانه خلاف طريق العقل ثم اجتباه ربه اى اصطفاه بالنبوة
بعد التوبة فتاب عليه اى قبل توبته وقربه اليه بقوله ربنا ظلمنا انفسنا وهدى
اى وفقه لحفظ التوبة وعمل التقوى قال الله لآدم وحواء اهبطا اى انزلا
منها اى من الجنة جميعا بعضكم لبعض عدو وجمعا هنا نظرا اليهما والى ذريتهما
والمراد بالعداوة هى التى بين آدم من ظلم بعضهم بعضا وتضليل بعض
بعضا اى عداوة ذرية ادم وابليس وكذا جمعا فى قوله فاما يأتينكم على
لفظ الجماعة لكونهما اصلى البشر وسبب نشأتهم فكانهما البشر مخاطبا
فى طيهم وقال فاما يأتينكم يا بشرا ويا ذرية ادم وحواء ان يأتيكم منى هدى
اى كتاب ورسول شريعة فمن اتبع هداى اى كتابى ورسولى فلا يضل
فلا يضل باتباعه اياهما فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة قيل اجار الله تابع
القرآن ان يضل فى الدنيا ويشقى فى الاخر ومن اعرض عن ذكرى اى عن كتابى
ورسولى ولم يؤمن فان له معيشة ضنكا اى ضيقا وهو عذاب القبر او
النار او كسب الحرام او سلب القناعة عنه حتى لا يشبع او عدم الاهتداء
لوجوه الخير وقال الحسن هو الزقوم والضريع والغسلين فى النار ونحشره
يوم القيمة اعمى عن الهدى او اعمى البصر قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا
اى بحجتى او بالعين قيل انه يحشر بصيرا من قبره فاذا سيق الى المحشر عمى قال

الله تعا

الله تعالى كذلك اى كما فعلت انت بنفسك فعلنا بك اتتك آياتنا
فنسيتها اى تركت العمل بها او تعلمها فنسيتها وكذلك اى مثل جزينا المعرض
عن آياتنا نجزى من اسرف او اشرك ولم يؤمن بآيات ربه اى بمحمد والقرآن ولعذاب
الآخرة وهو تركنا اياه فى العمى او فى النار اشد من تركه لآياتنا او اشد
ضررا وابقى اى ادوم من ضرر ضيق المعيشة فى الدنيا افلم يهد لهم اى يعرفون
عن كتابى ورسولى فلم يتبين الله اعريش الذين كانوا يتجرون الى الشام
ويبصرون فى طريقهم الهالكين بالعذاب او فاعل يهد قوله كم اهلكنا الآية
يعنى الم يرشد لهم هذا الكلام بمعناه وهو كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى
مساكنهم اى تمرون على منازلهم ان اى لان فى ذلك اى فى اهلاكهم بالعذاب
لآيات اى لعبرات لاولى النهى اى ذوى العقول من الناس ولولا كلمة سبقت
من ربك بتأخير العذاب عن هذه الامة الى يوم القيمة لكان العذاب لزاما
اى لازما به كما لزم بمن كان قبلهم من الامم عند التكذيب فيهم واجل مسمى عطف على
كلمة اى لولا كلمة واجل مسمى اى مضروب بوقت وهو يوم القيمة لكان العذاب
لازما غير مفارق منهم فاصبر يا محمد على ما يقولون اى احمل ثقله فيكون هذا منسوخ
بآية السيف وسبح اى صل بحمد ربك فى موضع الحال اى وانت حامد
لربك على ان وفقك للتسبيح قبل طلوع الشمس وهى صلوة الفجر وقبل غروبها
وهى صلوة العصر والظهر ومن آناء الليل متعلق لقوله بعد اى سبح من ساعات

الليل جمع انى كمعا، وامعاء، والمراد صلوة صلوة المغرب والعشاء، واطراف
النهار بالنصب عطف على ما قبله من الظروف اى سبح فيها وهى صلوة المغرب
وصلوة الفجر على التكرار لارادة الاختصاص كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى الصلوة العصر عند بعض المفسرين وقيل سمي وقت الظهر اطراف
النهار لان للنهار طرفين طرف النصف الاول انتهاء وهو وقت الظهر عند الزوال
وطرف النصف الثاني ابتداء وهو وقت الظهر الى العصر وانما جمع بعد ارادة المثنى
لامن اللبس لقوله في موضع آخر اقم الصلوة طرفي النهار وقيل جمع باعتبار
اجزاء النهار بجعل كل جزء منه طرفا او المراد ساعات النهار لعلك ترضى بما تعطى
من الشفاعة والترجي للمخاطب قيل ولن يرضى عليه السلام بتخليد احد من امته في النار
عن جرير بن عبد الله كنا جلوسا عند رسول الله عليه السلام فرأى القمر ليلة
البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان
استطعتم ان لا تغلبوا عن صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ
وسبح بحمد ربك الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به اى العمل الصالح الانفس
خير لك فاعمل بما امرت ولا تنظرن بالرغبة الى ما اعطيناه رجالا من اهل مكة
ازواجا اى اصنافا حال من ضميره ومن للبيان في منهم اى من الاولاد
والاموال قوله زهرة الحيوة الدنيا نصب على الذم او بدل من ازواجا اى ذوى
زهرتها وهى البهجة والزينة لنفتنهم اى لنبتليهم فيه اى فيما اعطيناهم

من الاموال

من الاموال والاولاد فيزدادوا الكفر وطغيانا فنعذبهم لوجود الكفر او لقلة الشكر
ورزق ربك اى ثوابه في المعاد خير لك وابقى مما رزقوا من هذه الزينة في الدنيا
لانه في معرض الزوال قيل من ظن ان نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد
قل علمه وحضر عذابه روى في سبب نزول هذه الآية ان ضيفا نزل برسول الله
عليه السلام ولم يكن عنده شيء من الطعام فبعث الى يهودي ان يبيعه شيئا
من الطعام الى اجل فقال اليهودي لا والله الا برهن فارسل درعه الحديد اليه فعزاه
الله تعزية عن الدنيا بقوله فلا تمدن الآية وامر اهلك بالصلوة اى اهل بيتك
وقومك مع ايتمارك بها واصطبر اى دم عليها اى على الاتيان بها وشدتها
عند ضيق المعيشة ولا تهتم بامر الرزق روى انه عليه السلام اذا دخل النقص
في الرزق امر اهله بالصلوة لا نسئلك رزقا لخلقنا ولا لنفسك انما نسئلك
العبادة نحن نرزقك واياهم والعاقبة المحمودة للتقوى اى لاهل التقوى وهى
الجنة لا لاهل الدنيا وقالوا اى المشركون من اهل مكة لولا يأتينا محمد بآية من ربه
كموسى وعيسى لتكون علامة لنبوته فقال تعالى اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى
اى بيان ما في الكتب المتقدمة من التورية والانجيل والزبور وغيرها من
انباء الامم فانهم اقترحوا الايات فلما آتاهم لم يؤمنوا بها فعجلنا لهم العذاب
والهلاك اتريدون ان يكون حالهم كحال هؤلاء المكذبين وقيل اولم
تأتهم بيان ما في تلك الكتب وهو القرآن فان فيه ما فيها وهو برهان عليها

لانها ذهبت وهو معجز على مرور الازمان لا يذهب ولو انا اهلكناهم اى اهل مكة
بعذاب من قبله اى قبل بعثة الرسول والقرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
مع الآيات فنتبع آياتك من قبل ان نذل يوم بدر ونخزى يوم القيمة قل كل اى كل
واحد منا ومنكم متربص اى منتظر للعاقبة وهى ما يؤل اليه الامر يوم القيمة
وقيل منتظر لهلاك صاحبه انا وانتم ذلك ان كفار مكة قالوا نتربص بمحمد ريب
المنون اى الموت ووعدهم النبى عليه السلام العذاب فنزل قل كل متربص اى انتم
متربصون بمحمد الموت ومحمد متربص بكم العذاب فتربصوا انتم اى انتظروا بموته
فستعلمون اذا نزل بكم العذاب من اصحاب الصراط السوى اى المستقيم ومن
اهتدى من الضلالة بهداية الله تعالى نحن ام انتم وفيه تهديد شديد لهم
سورة الانبياء مكية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس اى
للمشركين حسابهم اى قرب منهم وقت حسابهم وهو يوم القيمة فاللام
بمعنى من او للتاكيد اضافة الحساب اليهم او اتصف يوم القيمة بالقرب
اما لانه متقرب عند الله لانه لا يخلف وعده واما لان كل آت وان طالت
اوقات استقباله قريب واما لان ما بقى من الدنيا اقصر مما سلف منها
بدليل ختم النبوة بمحمد عليه السلام نزل للتحذير منكرا البعث من اهل مكة
وهم فى غفلة اى والحال انهم فى جهل عما يفعل بهم من الحساب والجزاء
فيه معرضون عن الاستعداد لمقام الحساب او معرضون عن تنبيه المنبه

وهو القرآن

وهو القرآن ما ياتيهم اى المشركين من ذكر من ربهم محدث اى منزل
شيئا بعد شيء وهو القرآن المنزل على الرسول آية بعد آية وسورة بعد سورة
ليكرر على اسماعهم التنبيه والوعظ لعلهم يتعقلون فيؤمنون الا استمعوه
اى ما ياتيهم شيء من القرآن الا استمعوه بالاستهزاء وهو معنى قوله وهم
يلعبون حال من ضمير استمعوا اى يسخرون به لاهية قلوبهم اى غافلة
عما يراد منه بالتامل والتبصر بقلوبهم حال اخرى لهم هل هذا اى محمد الا
بشر مثلكم فى المأكل والمشرب وكل ما يحتاج البشر والموت افتأتون
السحر وهو معجزته لانه ساحر ومعجزته سحر اى تحضرون السحر وانتم تبصرون
وتعاينون انه سحر فاعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا وان من يدعى
الرسالة وجاء بالمعجزة فهو ساحر فاسروا هذا الحديث كالتشاور
فيما بينهم والتحاور فى طلب الطريق فى هدم امره وتثبيط الناس عن
الايمان به قوله قل ربى يعلم القول امر للنبى عليه السلام وقرئ قال بالالف
اخبارا منه ان ربه يعلم القول اى السر والجهر فى السماء والارض واذا
علم القول علم الفعل لا يعزب عنه شيء فيهما وهو السميع العليم بمقالتهم واحوالهم
بل قالوا اضغاث احلام اى هم نقضوا احوالهم فى القرآن فقالوا بعد
قولهم انه سحر هو اضغاث احلام اى اختلاط احلام كاذبة رآها فى
النوم وضغث الحلم ما ليس له تاويل من الحلم والضغث حزمة يكون فيه

تخاليط من النبات بل افتراه اى اختلقه من تلقاء نفسه بل هو شاعر اى كذاب
فما يأتى به كذب ويعبر عن الكذب بالشعر ومنه قولهم احسن الشعر اكذبه ثم قالوا
بعد اختلافهم فى القرآن فليأتنا بآية اى بعلامة كما ارسل الاولون يعنى كما
كان الاولون من الرسل قبله فنزل قوله ما آمنت قبلهم اى قبل كفار مكة من قرية
اى اهلها عند اتيان الرسل بالآيات التى اقترحوا فلذلك اهلكناها افهم
يؤمنون اى يصدقون اذا جاءتهم الآيات لا يؤمنون لانهم اطغى منهم ولا نريد
ان نهلكهم بالاستيصال لان هذه الامة موعودة ان لا تستأصل الى
قيام الساعة فلذلك لم نعطهم مقترحهم ثم نزل جواب هل هذا الا بشر مثلكم
وهو قوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم لم نرسل اليهم ملائكة بالرسالة قرئ
بالنون وبالياء مجهولا فاسئلوا اهل الذكر اى اهل التورية والانجيل يريد علماء
اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد
عليه السلام ان كنتم لا تعلمون ذلك وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا مشاركين
ومخالطين فى معادات رسول الله عليه السلام وما جعلناهم جسدا اعلم
الله به نبيه عليه السلام انه كالرسل المتقدمين اى ما جعلنا الانبياء
قبلك جسدا اى اجساما لا يأكلون الطعام ولا يشربون ولا يمشون
فى الاسواق وما كانوا خالدين فى الدنيا وهو رد لقولهم مال هذا الرسول
يأكل الطعام ويعيش ويموت فهو بشر مثلنا ولو كان رسولا لما اكل

ولايمت

لا للملك ووحد الجسد لارادة الجنس او تأويل ذوى جسد ثم صدقناهم الوعد
اى النجاة للانبياء والهلاك للمشركين فانجيناهم اى الانبياء ومن نشاء
من المؤمنين واهلكنا المسرفين اى المشركين بالعذاب لقد انزلنا اليكم يا كفار مكة
كتابا اى القرآن كتابا فيه ذكركم اى عزكم وشرفكم يعنى شرف العرب وانما عبر
بالذكر لان الشريف يذكر بالثناء الحسن او ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم
او هو تذكرة لكم لترجوا من رحمته وتخافوا من عذابه افلا تعقلون اى لا
تفهمون ان فيه شرفكم وموعظتكم فتؤمنون وكم قصمنا اى كسرنا من قرية
اى اهلها كانت ظالمة اى كافرة والقصم بالكاف الكسر بانفصال ظاهر
وبالفاء بانفصال خفى يعنى كثيرا من اهل القرى الظالمين اهلكناهم بظلمهم
وانشأنا بعدها قوما آخرين خيرا منهم فسكنوا ديارهم فلما احسوا بأسنا اى
لما رأى المهلكون بحاسة البصر عذابنا اذا هم منها اى من القرية يركضون
اى يهربون مسرعين والركض تحريك الرجلين على الفرس للعدو فقالت
الملائكة لهم لا تركضوا اى لا تهربوا بهيئة الاستهزاء والقول محذوف و
ارجعوا الى ما اترفتم اى نعمتم وخولتم فيه من امر دنياكم ومساكنكم كنتم فيها
لعلكم تسئلون اى ليسألكم الناس عن نوازل الخطوب عليكم باعمالكم الخبيثة
وعن فعلكم بنبيكم من القتل وغيره وعدم ايمانكم به فثم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
بترك الايمان بنبينا وقتله فاعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف روى انه

قرية من قرى اليمن اسمها حصورا قد جاءها رسول من الله فكذبوه
وقتلوه فسلط الله عليهم بخت النصر فقتلهم وهزمهم فقالت لهم
الملائكة ذلك حين انهزموا من منازلهم فما زالت تلك اى كلمة الويل
وهى قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين دعويهم خبر ما زالت وهى بمعنى
الدعوة اى نداءهم اذ المولول كانه ينادى ويقول يا ويل تعال
فهذا اوقتك حتى جعلناهم حصيدا اى مثل حصيد وهو الزرع المحصود ووحد
لتقدير المثل وهو مفعول ثان لجعلناك وكذلك خامدين وتعدد
المفعول الثانى كما يتعدد الخبر وقيل هما فى حكم المفرد نحو هذا حلو
حامض اى مز وقيل صفة حصيدا ومعناه طاغين مثل الرماد
لا يتحركون وما خلقنا السماء والارض وما بينهما من اصناف الخلائق والعجائب
لاعبين حال من ضمير الفاعل فى خلقنا اى ما خلقنا هما لاهين
بها او عبثا بغير شئ بل لمصالح دينية ودنيوية من نظر واعتبار
واستدلال لعبادنا بها على وحدانيتنا ومن المنافع والمرافق
التى لا تعد مما يحتاجون اليه ولئلا يكون خلقنا حجة لنا عليهم يوم
القيمة لو اردنا ان نتخذ لهوا اى لعبا او زوجة او ولدا بلغة اليمن
لانها للرجل لهو يلهو بها لاتخذناه اى اللهو من لدنا اى من عندنا
لا من عندكم يعنى من الملائكة او من الحور العين لا من الانس وهو

رد لقول

رد لقول النصارى فى المسيح انه ابن الله واليهود فى العزير انه ولد الله
ثم قال ان كنا فاعلين اى ان كنا نفعله ولسنا نفعله ويجوز ان تكون
ان نافية اى ما كنا فاعلين لاستحالته فى حقنا قوله بل نقذف اضراب
عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته وبيان لكذبهم وبطلان قولهم
فى حقه تعالى اى من عادتنا واقتضاء حكمتنا ان نبغى بالحق اى الايمان
على الباطل اى على الكفر او الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم
اتخذ الله ولدا فيدمغه اى فيدحضه به ويمحقه والدمغ كسر الدماغ
بالضرب على الراس وهو مقتل فاذا هو زاهق اى هالك وزائل
المعنى انا نبين الحق من الباطل فيبطله الحق لان الباطل لا يعارض
الحق ولكن الحق يغلب عليه فيدمغه ولكم الويل اى لكم يا معشر
النصارى شدة العذاب مما تصفون الله تعالى به من الولد وما لا يجوز
عليه وله من فى السموات والارض من الخلق ومن عنده من الملائكة المقربين
لا يستكبرون اى لا يتعظمون عن عبادته ولا يستحسرون اى لا يعيون عن
عن طاعته من استحسر وحسر بمعنى اعيى وانما قال ومن عنده
وهو منزه عن المكان لانه ما اراد تقريبهم به من حيث المكان بل
اراد تنزلهم عنده بمنزلة المقربين عن الملوك لكرامتهم عليه وفضلهم
على خلقه يسبحون الليل والنهار لا يفترون اى لا يضعفون ولا يسكتون ولا يملون

لان التسبيح لهم كالنفس لبنى آدم فيه اشارة الى ان تسبيحهم متصل
دايم ام اتخذوا آلهة من الارض اضراب عن المشركين بالانكار عليهم
والتوبيخ لان ام بمعنى بل والهمزة الاستفهامية اى هم لا يعبدون
الله بل اتخذوا من دونه آلهة منسوبة الى الارض لان آلهتهم كانت
من جواهر الارض كالحجر والذهب والفضة وغيرها هم ينشرون بالاختصاص
اى يحيون لا غيرا اى هل تحيى تلك الآلهة شيئا من الاموات فلذلك
اتخذوها آلهة يعبدونها فيه تجهيل لهم وزيادة توبيخ حيث لم يدعوا احياء
اصنامهم شيئا وبيان لعجزها وعدم صلاحها للالوهية لان العاجز
لا يكون الها وهم سموها آلهة قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
تنزيه لنفسه عن الشريك بالنظر العقلى اى لو كان فى السموات والارض
آلهة شتى غير الله الذى هو خالقها لهلكتا وهلك من فيهما لوجود
التمانع لان كل امر بين اثنين لا يجرى على نظام واحد سيما اذا
كانا حكيمين كاملين لاستواء جهتى الحكمة المقتضية للمصلحة فيه
اى فى ذلك الامر فلا بد من ايقاع احد الجهتين حسب فلم يكن التدبير
مستويا فلا بد ان يختار احدهما خلاف الآخر لغلبة الالوهية بالذات
فيفسد كما ترى ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لحدوث التغالب
والتخالف بينهما قوله الا الله صفة لآلهة لا بدل لفساد المعنى

لانه حينئذ

لانه حينئذ يصير لو كان فيهما الله لفسدتا اذ المبدل فى حكم السقوط
ولان ما قبله موجب ولا يجوز نصبه على الاستثناء لانه يصير المعنى
ان عدم فسادهما لوجود الله تعالى مع الآلهة فيهما وهو لا يفيد
التوحيد ففى الآيات الدالة على ان مدبرهما لا بد ان يكون واحدا وان
ذلك الواحد لا يكون الا الله قوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الشريك
الولد والوالد لانه نتيجة دليل التمانع المذكور قبله لا يسئل الله عما يفعل
ويحكم سؤال انكار لانه المالك حقيقة فيفعل ما يشاء فى خلقه من
المغفرة والعقوبة والاستحالة جواز الخطاء عليه ويجوز السؤال عنه
على سبيل الاستكشاف والبيان كقوله قال ربى انى يكون لى
غلام الآية وهم يسئلون لانهم عبيده حقيقة فيسئل عما يفعلون
من العدل والجور لامكان الخطاء منهم فيقول لهم لم فعلتم فى كل
شئ فعلوه ام اتخذوا من دونه آلهة ثم كرره استعظاما لكفرهم حيث
جعلوا له شريكا فانت قل لهم يا محمد وصفتم الله بان له شريكا هاتوا
برهانكم على ذلك اى كتابكم الذى فيه عذركم هذا اى الوحى المنزل
الى من ربى يعنى القرآن والتورية والانجيل وساير الكتب هل
تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا ام لا فلما لا يرجعوا عن كفرهم
اضرب عنهم بقوله بل اكثرهم لا يعلمون الحق اى لا يصدقون القرآن

ذكر اى خبر من معى على دينى الى يوم القيمة وهم امته وذكر اى وخبر من قبلى من الامم الماضية والكتب السابقة للانبيا، فراجعوا الى القرآن

لجهلهم وقيل لا يعلمون التوحيد فهم معرضون عن النظر فيما يجب عليهم او
مكذبون بالحق الذي هو القران والتوحيد ثم بين ما امر من التوحيد في
جميع الكتب للرسل كما امر في القرآن لنبيه عليه السلام فقال وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا يوحى اليه بالياء مجهولا وبالنون معلوما على التعظيم
اي نحن نوحي اليه كما نوحي اليك انه لا اله الا انا فاعبدون اي وحدوني
ولا تشركون ونزل لما قال بعض الكفار الملائكة بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا فنزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه اي سبحان الله عن وصفهم
بالولد بل هم عباد مكرمون اكرمهم الله تعالى بعبادته والعبودية تنافي
الولادة وهم يتبعون لقوله ولا يسبقونه اي الله بالقول اي بقولهم
حتى لا يتقدمون قوله بقولهم بل يأتون بمراده ولا يخالفونه وهم
بامره يعملون اي عملهم مبني على امره لا يعملون عملا لم يؤمروا به لانهم
عارفون مراقبون يعلم ما بين ايديهم من امر الآخرة وما خلفهم من امر الدنيا
ولا يشفعون اي الملائكة الا لمن ارتضى لله تعالى ان يشفع له من اهل
الايمان وهم من خشيته مشفقون اي هم مع هذا كله من هيبته خائفون
لا يأمنون من مكره لانهم عاينوا امر الآخرة فيخافون عاقبة الامر ومن
يقل منهم اي من الملائكة او من جميع المخلوقات فرضا اني اله من دونه
اي من دون الله فذلك اي القائل به نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي

المشركين

المشركين وهو تهديد لمشركي مكة ليمتنعوا عن شركهم اولم ير الذين كفروا بالواو
بعد الالف الاستفهام وبغير الواو اي لم يخبروا في الكتاب ان السموات والارض
كانتا اي جنساهما رتقا اي شيئا مرتوقا فهو مصدر بمعنى المفعول او ذات
رتق بمعنى ملتزقتين منضمتين ففتقناهما اي فرقناهما وابنا احدهما عن الاخرى
بالهواء فجعلنا السماء سبعا والارض سبعا وعلم الكفار ذلك بكتابهم وهو القران
المعجز ووجب تصديقه وقيل رتقهما وفتقهما ان السموات كانت لا تمطر فامطرت
وان الارض كانت لا تنبت فانبتت وجعلنا من الماء كل شيء حي اي الماء
النازل من السماء يعني جعلنا الماء سببا لحيوة كل شيء والنبات داخل
فيه فدلهم بذلك على توحيده ولذا قال بعده افلا يؤمنون اي افلا يوحدون
بعد رؤية هذه العجائب وجعلنا في الارض رواسي جمع راسية من رسا اذا ثبت
اي جبالا ثوابت ان تميد اي لان لا تميل فحذف لا لامن اللبس وقيل كراهة
ان تميد وجعلنا فيها اي في الارض والرواسي فجاجا اي اودية واسعة
والفج هو الشق بين الجبلين سبلا اي طرقا بدل من فجاج وهي في الاصل
وصف لسبلا لقوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة لكنه قدم هنا
على السبل ايذانا بانه تعالى خلقها على تلك الصفة فالسبل بيان لما ابهم
ثم لعلهم يهتدون اي لكي يهتدوا الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا
عن استراق السمع بالشهب او عن الوقوع عليهم كقوله ويمسك السماء

ان تقع على الارض وهم اى الكفار عن آياتها اى آيات السماء من الشمس والقمر
والنجوم معرضون اى عن الاستدلال بها بالنظر فيها على صانعها فيتركون
الشرك ويوحدون الله الذى هو اهل التوحيد واوضح ذلك بقوله وهو الذى خلق الليل
والنهار والشمس والقمر اى الظلمة والضوء والنيرات كل فى فلك اى جنس الفلك
وهو السماء وكل مستدير فلك فى كلام العرب وكل مبتداء وخبره يسبحون اى
كل واحد منها فى مجاريها يسيرون بسرعة او كل فى فلك مبتداء وخبره ويسبحون
الجملة فى محل النصب على الحال من الشمس والقمر لا غير لاختصاص السباحة
بهما قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نزل حين قال المشركون ان محمدا يموت
فنشمت بموته فنفى الله عنه الشماتة بالموت فقال قضى الله ان لا يخلد فى الدنيا
بشر لا انت ولا هم فاذا كان كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء وهو معنى
قوله افان مت فهم الخالدون اى افهم الخالدون ان مت فانكر الخلود لهم
لان كل البشر عرضة للموت واوضح ذلك بقوله كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم
بالشر والخير اى بالشدة والرخاء قوله فتنة مصدر مؤكد لقوله نبلوكم
من غير لفظه اى نختبركم اختبارا بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب
فيه الشكر من النعم والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما وجد منكم من الشر والخير
قوله واذا رآك الذين كفروا نزل حين مر النبى عليه السلام بابى سفيان وابى جهل
فقال لابى سفيان هذا نبى بنى عبد مناف كالمستهزئ فقال تعالى ان يتخذونك

ما يتخذ

ما يتخذونك الكفار بقولهم هذا نبى بنى عبد مناف الا هزوا مفعول ثان ليتخذونك
يعنى يتخذونك مهزوا ويقولون سخرية اهذا الذى يذكر آلهتكم اى يعيبهم اذ
الذكر عام للخير والشر قوله وهم بذكر الرحمن الجملة فى محل النصب على الحال اى يتخذونك
هزوا وهم بالذكر الذى فيه توحيده وهو القرآن هم كافرون اى جاحدون او ذكره
توحيده الذى يجب ان يذكر به فهم احق بان يتخذوا هزوا منك لانك على
الحق وهم مبطلون وقيل كفرهم بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة
الكذاب ثم استعجل كفار قريش نزول العذاب الموعود لهم فقال تعالى
خلق الانسان اى آدم من عجل اى بعجلة من غير ترتيب الاطوار كترتيب ذرية آدم
ان قيل لكن فكان والعجل هو الاسراع قبل الوقت وقيل معناه عجلا وهو
حال من الانسان اى حال كونه عاجلا فى فعل شئ لما روى ان آدم لما خلق
فبلغت الروح راسه ابصر ثمار الجنة فقام اليها قبل ان يبلغ الروح رجليه وقيل
من بمعنى مع اى خلق مع صفة العجل فيه للابتداء ولذلك استعجل الكفار
نزول العذاب كما استعجل آدم القيام فقال تعالى ساريكم آياتى اى نقماتى
فلا تستعجلون بالاتيان بها فهم نهوا عن الاستعجال مع كون العجلة مخلوقة فيهم
فكان فيه تكليف ما لا يطاق وليس كذلك لان الله تعالى اعطاهم القدرة
التى بها استطاعوا ان تصدوا نفوسهم عن مراداتها وقيل الآيات آثار
الامم الماضية المعذبة ومنازلهم من قوم نوح وهود وثمود ولوط وصالح

وكانت قريش يسافرون في البلدان فيرون تلك الآثار والمنازل ونزل حين
وعدهم الله البعث فسألوا عنه على وجه الاستهزاء والانكار وقيل كانوا يستعجلون
القيمة ويقولون سائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فيما تعدنا من انا نبعث فقال
تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون اى لا يدفعون عن وجوههم النار لكون ايديهم مغلولة
يومئذ ولا عن ظهورهم لاحاطتها بهم ولا هم ينصرون اى لا يمنعون عما نزل بهم من
العذاب في الآخرة وجواب لو محذوف وهو لامتنعوا من الشرك ولما استعجلوا
بقولهم متى هذا الوعد بل تأتيهم الساعة او النار بغتة اى فجاءة فتبهتهم
اى فتحيرهم فلا يستطيعون ردها اى رد الساعة او النار ولا هم ينظرون اى يمهلون
تأخير العذاب عنهم الى اجل معلوم ثم يتسلى نبيه عليه السلام بقوله ولقد
استهزئ برسل من قبلك كما استهزأ بك قومك فصبروا فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزئون اى فنزل العذاب بهم مجازاة لاستهزائهم فاصبر
انت قل للمستهزئين من يكلؤكم اى يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن
اى من عذابه ان انزل بكم يعني لا يمنعهم الا هو بل هم عن ذكر ربهم معرضون
اى تاركون توحيده وقرائه ام لهم الميم صلة اى الهم آلهة تمنعهم من العذاب
من دوننا مجاوزة منعنا وحفظنا ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال لا يستطيعون
اى الاصنام او عابدوها نصر انفسهم اى المنع عن نفوسهم فكيف ينصرون
عابديهم ولا هم منا يصحبون اى لا يجارون عن عذابنا ولا يأمنون لان المجير

صاحب المجار

صاحب المجار بل متعنا اى اجلنا وامهلنا هؤلاء وآباءهم من قبلهم حتى طال
عليهم العمر اى الاجل في التمتع فاغتروا فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون
وذلك اصل كل داء افلا يرون افلا ينظر اهل مكة انا نأتي الارض اى ارض الكفار
اى نأخذها ونفتحها بقوة الاسلام ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها
وردها دار الاسلام حال من ضمير نأتي يعني ننقصها حول مكة من اراضي اهل
الحرب لمحمد عليه السلام بالغلبة والقتل والسبي بامرنا ونصرتنا اياه افهم
الغالبون ام نحن اى الغالب هو الله وهم المغلوبون قل يا محمد انما انذركم اى اخوفكم
بالوحي اى بما نزل الي من القرآن وجب عليكم اتباعه بالسمع والطاعة ولا يسمع
بالتاء او ضمها وكسر الميم ونصب الصم والخطاب للنبي عليه السلام وبالياء
وفتحها وفتح الميم والفاعل ما بعده وهو اخبار عن الكفار اى لا يقبل الصم الدعاء
اى الايمان يعني يتصاممون الجبارة والجراءة من آيات الانذار اذا ما ينذرون
اى وقت الانذار بها ولئن مستهم نفحة اى ان اصابتهم عقوبة قليلة من
عذاب ربك الذي خوفوا به ليقولن عند نزولها بهم يا ويلنا انا كنا ظالمين
انفسنا بترك طاعة ربنا فيعترفون بظلمهم ويذلون ونضع الموازين القسط
اى ذوات العدل لكشف ظلمهم وظهور عدلنا لهم قيل وصفة الموازين
بالقسط مبالغة وهو مصدر بمعنى العدل كرجل عدل والمراد ميزان العدل
قيل له لسان وكفتان يوزن فيه الحسنات والسيآت في احسن صورة

واقبحها والحكم للغالب في الوزن وللتساوي ولفضل الله تعالى روي ان
داود سأل ربه ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي
عليه ثم افاق فقال الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود
اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وقيل صحايف الاعمال ليوم القيمة
اي نفع لاجله فلا تظلم نفس شيئا من الظلم وان كان العمل مثقال حبة اي زنة
حبة قرئ بنصب مثقال فكان ناقصة وبالرفع وكان تامة اي ان حصل
للعبد مثقال حبة من خردل عملا وهو صفة وجزاء الشرط اتينا بها اي جئنا بها
واحضرناها وكفى بنا حاسبين اي مجازين او محصلين والباء زائدة ونا فاعل
كفى وحاسبين حال منه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان اي التورية وضياء
اي ضياء وهو التورية ايضا حال من الفرقان وزيد الواو بين الوصفين
ليدل على شدة الوصف بهما وقيل الفرقان هو الفارق بين الحق والباطل
والضياء نور البصيرة في دينهم وذكرا اي عظة للمتقين يعني آتيناهما
التورية الفارقة بين الحلال والحرام ونورا مخرجا من الظلمات وموعظة
للذين يتقون الشرك الذين يخشون ربهم بالغيب صفة للمتقين كاشفة
لهم اي الذين يخافون الله في الخلاء كخوفه بين الناس وقيل الذين لربهم في غيب
منه وهم من الساعة اي من اهوالها مشفقون اي خائفون وهذا القرآن ذكر اي
موعظة او ذكر ما يحتاج اليه الناس في دينهم ومصالحهم مبارك وبركته كثرة منافعه

وغزارة خيره من المغفرة والنجاة لمن آمن به وقراه وعمل بما فيه انزلناه اليكم
ثم قال باستفهام توبيخ وتعيير افانتم له اي للقرآن منكرون يا اهل مكة ولقد
آتينا ابراهيم رشده اي اهتداءه ومعرفته بوجوه الصلاح من قبل اي قبل
بلوغه حين خرج من السرب وهو صغير وقيل قبل موسى وهرون فالرشد
النبوة وكنا به اي ابراهيم عالمين انه اهل لما آتيناه اياه وفيه اشارة الى ان
الاشياء لا تصدر عن ابراهيم الا باختيار من الله وانه عالم بجزئياتها اذ
قال لابيه وقومه اي اذكر وقت قوله لهم ما هذه التماثيل اي التصاوير يعني الاصنام
التي انتم اي لاجل عبادتها عاكفون اي مقيمون وفيه تحقير لآلهتهم وتجهيل
لهم قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فنحن نعبدهم لذلك اقتداء بهم وهو جواب
العاجز عن الاتيان بالدليل حيث قلدوا آباءهم في عبادتهم التماثيل ولذا
قال ابراهيم لقد كنتم ايها المقلدون انتم تاكيد لاسم كان ليصح عطف
وآباؤكم عليه اي انتم مع آبائكم في ضلال مبين اي خطاء ظاهر لا يخفى على كل عاقل
قالوا اجئتنا بالحق اي ما تقوله لنا بالجد والصدق ام انت من اللاعبين بما تقول
هذا وانما استفهموا بذلك لانهم حسبوا ان ما قاله لهم قاله على وجه الملاعبة
والممازحة فاضرب عنهم مخبرا انه بالجد لا بالهزل مثبتا لوحدانية الله وربوبيته
وحدوث الاصنام وبطلانها بان قال بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن اي الاصنام فكيف تعبدون المخلوق وتتركون عبادة الخالق

لكل شئ وانا على ذلكم اى على الذى ذكرته لكم من ان خالق الارض والسماء
ربكم ورازقكم واحد لا شريك له من الشاهدين لصحته مبرهن عليه كما يبرهن
الشاهد على شهادته وتالله لاكيدن اصنامكم اى لاكسرنها بعد ان تولوا اى
ترجعوا عنها مدبرين اى ذاهبين الى عيدكم وكانوا قد وضعوا طعام عيدهم
لدى اصنامهم لزعمهم التبرك عليه فاذا رجعوا من عيدهم اكلوه وقيل انما قال
ابراهيم سرا من قومه وحين قال ذلك سمع رجل منهم فحفظه عليه فلما
خرج القوم من الكنيسة دخل على الاصنام ابراهيم والطعام لديهم فقال استهزاء
بهم الا تاكلون فلم يجيبوه فقال ما لكم لا تنطقون فضرب على رؤسهم بالقدوم
فجعلهم بفاس فى يده جذاذا بضم الجيم وكسرها جمع جذيذ وهو الهشيم اى قطعا
من الجذ وهو القطع الا كبيرا لهم اى الا الصنم الاكبر منها لم يكسره وتركه
على حاله وعلق الفاس فى عنقه وقيل ربطه بيده وكان اثنان وسبعون
صنما اكبرها من ذهب مكلل بالجواهر وفى عينيه ياقوتتان تتقدان وبعضها
من فضة وبعضها من حديد وبعضها من حجر وخشب وغيرها لعلهم اليه اى الى
الصنم الكبير يرجعون اى يسئلونه عن كاسرها وغرضه من رجوعهم اليه انهم اذا
رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر فظهر انهم فى عبادتهم على جهل عظيم
او لعلهم يرجعون الى التوحيد من الشرك عند تحقق عجز آلهتهم عندهم
فلما رجعوا من عيدهم ودخلوا كنيستهم نظروا الى آلهتهم متكسرة فقال بعضهم

لبعض عن ذلك بان قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بكسرهم قالوا
اى قال من سمع قوله لاكيدن اصنامكم سمعنا فتى يذكرهم اى يعيبهم
يقال له ابراهيم اى هو ابراهيم او مرفوع بيقال والمراد الاسم كالمسمى اى
يقال له هذا الاسم والجملتان بعد فتى صفتاه والاولى واجبة الذكر لسمع
اذ لا يقال سمعت زيدا قالوا اى قال نمرود واتباعه فأتوا اى جيئوا
به ظاهرا على اعين الناس لعلهم يشهدون عليه بما يعرفون منه لئلا نأخذه بلا بينة فجاؤا
به الى نمرود واصحابه قالوا أانت فعلت هذا الكسر بآلهتنا يا ابراهيم قال
ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا اى عظيمهم عندكم وهذا صفة الكبير وصفه به
على وجه الاستهزاء بهم ونسب الكسر الى الكبير ليكون تبكيتا لهم ثم امرهم
بسؤال جميع الاصنام اثباتا للحجة عليهم فقال فاسئلوهم عن حالهم ان
كانوا ينطقون اى يتكلمون حتى يخبروا من فعل ذلك لهم وانتم تعلمون
انهم عجزة عن النطق والعاجز لا يعبد ولا يصح ان يكون الها فرجعوا
الى انفسهم اى الى اصحابهم ولاموهم فقالوا انكم انتم الظالمون بنسبة الكسر
الى ابراهيم او بسؤالكم اياه والهتكم حاضرة فسئلوها او بعبادتكم من لا
ينطق ثم نكسوا على رؤسهم اى ردوا الى كفرهم بعد اعترافهم بالظلم من قولهم
نكس المريض اذا عاد الى مرضه الاول بعد العافية والمعنى ثم طأطأوا
رؤسهم حياء وخجلا حين لزمتهم الحجة ثم قالوا له لقد علمت ما هؤلاء ينطقون

اى عاجزون عن النطق فكيف نسأ لهم قال ابراهيم افتعبدون من
دون الله ما لا ينفعكم شيئا ان عبدتموهم ولا يضركم ان لم تعبدوهم
اف لكم بالتنوين وغيره اى نتنا وقذرا لكم ولما تعبدون من دون الله قاله
مضطجرا ومتكرها منهم ومما يعبدون اى هذا التكره لكم ولالهتكم افلا تعقلون
اى لا تفهمون بعقولكم هذا المقدار الظاهر من ان شيئا ليس له نطق ولا
منفعة ولا مضرة لا يعبد ولا يكون ربا للخلق كيلا تعبدوا الاصنام وتعبدوا
الله الذى خلقكم من العدم وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم ولما قطعوا
عن الحاجة مع ابراهيم بالكلية قالوا اى نمرود واصحابه حرقوه بالنار لانها
اوجع وانصروا آلهتكم اى انتقموا لاجلهم ان كنتم فاعلين النصر والانتقام
ثم جمعوا حطبا كثيرا واضرموا فى نواحيه فصارت نارا عظيمة حتى ان
تحترق اذا مرت بها من فوقها وتسقط على الارض روى ان احدا لم يقدر
ان يقرب من النار فجاء عدو الله ابليس فدلهم على المنجنيق وهو اول
منجنيق وضع فى الدنيا فاوثقوا ايدى ابراهيم ووضعوه فى المنجنيق
ثم قال لا اله الا الله انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك
فلما رمى به من المنجنيق فى الهواء قال له جبرئيل الا تسئل الله ان ينجيك
منها قال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى قال كعب جعل كل شئ يطفئ
النار عنه الا الوزغ فانه كان ينفخ ولذا امر النبى عليه السلام بقتل الوزغ

فقال ان

فقال كان ينفخ على ابراهيم فلما اخلص قلبه لله تعالى ووقع فى النار لم تحرق
سوى وثاقه فثم بكت الملائكة عليه وقالوا ربنا عبدك ابراهيم يحرق فقال تعالى
مخبرا عن حاله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم اى ذات برد وذات سلام قيل
نزع الله طبعها الذى خلقها عليه من الحر والاحراق فذهبت حرارتها وبقيت
اضاءتها فاخذته الملائكة من ضبعيه واجلسوه على الارض وضرب جبرئيل جناحه
على الارض فاظهر الماء العذب وروضة خضراء وورد احمر ونرجسا واقام فيها
سبعة ايام وجاءه ملك بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه
على الطنفسة وجعل يحدثه ويقول له ان ربك يقول لك اما علمت ان النار
لا تضر احبائى روى ان نمرود خرج فى اليوم الثالث مع حشمه على ربوة فنظر
الى النار فرأى فى وسطها ماء وخضرة وشخصين حولها فقال فمالى ارى نفسين
فيها ونحن رمينا انسانا واحدا فرجع متحيرا روى انه نادى يا ابراهيم
هل تستطيع ان تخرج من النار قال نعم قال فاخرج منها قال يا ابراهيم من
الذى رأيته معك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله
الى ليؤنسنى فيها قال انى مقرب الملك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما
صنع بك قال لا يقبل الله منك ما لم تفارق من دينك الى دينى قال لا استطيع
ترك ملكى ولكن اذبح اربعة الاف بقرة فذبحها له ثم كف عن ابراهيم ومنعه الله
منه قيل القى ابراهيم فى النار وهو ابن ست عشر سنة فقال تعالى وارادوا

اى بابراهيم كيدا اى حرقا فجعلناهم الاخسرين اى الاذلين والمغبونين
فى انفاقهم على كيده وهو الاحراق وقيل الهالكين بتسليط البعوض عليهم وقتله
اياهم ونجيناه اى ابراهيم وقومه من الاحراق وشر نمرود ولوطا اى نجيناه وهو
ابن اخى ابراهيم اسمه هاران مهاجرا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين وهى
ارض الشام بالخصب وكثرة الماء والثمار للمخلوقين وقيل وصلت بركتها
الى العالمين لان اكثر الانبياء فيها بعثوا وانتشرت شرائعهم فى العالم روى
ان ابراهيم قال للوط انى اريد ان اهاجر الى الشام وهو اول من صدق
بامر ابراهيم وهو اول من صدق بابراهيم واتبعه فخرجا مهاجرين من كوثى
من ارض العراق الى بيت المقدس وروى انه نزل بفلسطين ومعه سارة
ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم ووهبنا له اى لابراهيم بعد نزوله فيها وطلب الولد
منا اسحق و وهبنا له ايضا ولد الولد يعقوب نافلة اى زيادة على سؤاله وقيل
نافلة معناه ولد الولد وهو حال من يعقوب وكلا اى كل واحد منهم جعلنا
صالحين يعنى اكرمناهم بالهداية الى صراط مستقيم وجعلناهم ائمة اى قادة
فى الخير وقيل جعلناهم انبياء يهدون اى يدعون الخلق بامرنا اى بديننا
وعبادتنا واوحينا اليهم فعل الخيرات وهى جميع الاعمال الصالحة واقام الصلوة اى
اتمامها وحذفت التاء من اقامة لاضافتها الى الصلوة وايتاء الزكوة المفروضة
وغيرها وكانوا عابدين اى مطيعين امرنا ولوطا اى اذكر لوطا وقيل هو نصب

يفسره

يفسره ما بعده وهو وآتيناه حكما اى علم الاحكام وعلما اى فقها فى الدين
وقيل نبوة وفهما ليفصل بين الخصوم ونجيناه من القرية وهى قرية سدوم
التى كانت تعمل اى يعمل اهلها الخبائث اى الاعمال القبائح كاللواطة
والمكس ورمى البندق الى الناس واللعب بالطيور وغيرها انهم كانوا قوم سوء
فاسقين اى عاصين وادخلناه اى لوطا فى رحمتنا اى فى الجنة او فى اهل
رحمتنا وهم اهل الطاعة فى الدنيا انه من الصالحين المرسلين ونوحا اى اذكر
نوحا اذ نادى اى دعا على قومه من قبل اى قبل ابراهيم ولوط فاستجبنا له
نداءه فنجيناه من الكرب العظيم اى من تكذيب قومه والغرق والكرب
اشد الغم قيل كان نوح اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء ونصرناه من القوم
اى على القوم الذين كذبوا بآياتنا اى بما انذرهم نوح من الغرق انهم كانوا قوم سوء
اى قوم كفر فاغرقناهم اجمعين اى لم يبق منهم احد لا صغير ولا كبير الا هلك
بالغرق وداود وسليمان اى اذكرهما اذ يحكمان فى الحرث بدل منهما والحرث
كان زرعا وكرما قوله اذ نفشت بدل من اذ يحكمان والنفش انتشار
الغنم ليلا بلا راع ودخلت فيه غنم القوم فاكلته وكنا لحكمهم اى لحكمهما وحكم
المتحاكمين شاهدين اى عالمين كيف كان لا يخفى علينا علمه ففهمناها
اى الحكومة سليمان قيل دليل على ان الصواب كان مع سليمان وذلك
ان الغنم دخلت فى الزرع ورعته بلا راع ليلا فتحاكما الى داود فقوم داود

الزرع والغنم فاستوت قيمة الغنم مع قيمة ما افسدته من الزرع فدفع الغنم
الى صاحب الزرع فخرجا من عنده ومرا بسليمان النبي فاخبراه بحكم
ابيه فقال نعم ما قضى به ولو قضى غيرها لكان ارفق بكما فرجع صاحب الغنم
الى داود فاخبره بما قال ابنه فدعاه فقال كيف رايت قضائي فقال نعم ما قضيت
فعرض عليه بالابوة والنبوة ليحكمن بينهما فدفع الغنم الى صاحب الزرع ينتفع
بدرها ونسلها وصوفها والى صاحب الغنم الزرع يصلحه حتى اذا عاد الزرع
الى حالة الاولى ترادا فقال له داود القضاء ما قضيت فقضى داود بينهم بذلك
وكان سليمان في ذلك اليوم ابن احد عشر سنة قيل كان هذا الحكم في شريعتهم
واما في شريعتنا فلا ضمان فيما افسدته نهارا بلا راع وما افسدته ليلا ففيه الضمان
عند الشافعي ولا ضمان مطلقا عند ابي حنيفة الا ان ترسل تعمدا او يكون
معها سائق او قائد وكان حكمهما بالوحي عند من لم يجوز الاجتهاد على الانبياء
وكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود وقيل كان حكمهما باجتهاد ولادراك فضيلة
الاجتهاد عند من جوز الاجتهاد لهم وجوز الخطاء عليهم اذ لا قدرة للعبد ان
يصيب الحق دائما الا انهم لا يقرون عليه والاول اصح لانهما كانا على الصواب
بدليل قوله وكلا اتينا حكما وعلما اي حكم النبوة والفهم في القضاء قيل
كل مجتهد مصيب لظاهر الاية وللحديث وعد الثواب للمجتهد على الخطاء
وهو قول ابي حنيفة واصحابه قال عليه السلام اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب

فله

فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر قيل ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا
اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل
مجتهد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله عليه السلام اذا اجتهد فاخطا فله اجر
لم يرد انه يوجر على الخطاء بل يوجر على اجتهاده في طلب الحق لانه عبادة والاثم موضوع
عنه في الخطاء وسخرنا مع داود الجبال ادر دمع القران قوله يسبحن بيان للتسخير
وكان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن يسبح معه الجبال بان خلق الله فيها
الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى او معناه يصلين معه اذا صلى
والطير تسبح معه وقدم الجبال لان تسبيحها اعجب لكونها جمادا والجملة في محل
النصب على الحال والطير مفعول معه وكنا فاعلين اي نحن فعلنا التسبيح
والتفهيم بهما وهو بيان لقدرته العظيمة قال ابن عباس كان يفهم تسبيح
الحجر والشجر والطير وعلمناه صنعة لبوس لكم اي الدروع تلبس مسرودة
لتحصنكم بالنون والتاء والياء اي ليحفظكم الله فهل انتم يا اهل مكة او يا
اهل بيت داود شاكرون جملة استفهامية والمراد بها المراد اي اشكروا الله
الذي هو رب هذه النعمة ولسليمان الريح وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه
من القبض عليه ويظهر للحس بحركته اي سخرنا له عاصفة اي شديدة
الهبوب في عملها ان شاء سليمان حال لسخرنا مقدرة تجري اي الريح
بامره اي بامر الله او بامر سليمان من اصطخر الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام

فكانت تسير به وبجنده على البساط المعمول بايدي الشياطين من الذهب
والابريسم وكان عرضه فرسخا في فرسخ حيث شاء ثم يعود من يومه الى منزله
وكان مقامه بتدمر مدينة بناها له الشياطين بالصفاح والعمد والوان الرخام
وكنا بكل شيء عالمين اي نفعل كل شيء بمقتضى الحكمة او عالمين بامر سليمان وغيره
ومن الشياطين من يغوصون اي سخرنا منهم من يغوص في البحر فيخرج الجواهر
لسليمان ويعملون عملا دون ذلك العوص اي سواه كالقصور العالية والصناعات
العجيبة وكنا لهم اي للشياطين حافظين لئلا يعصوه ولئلا يفسدوا
عملهم لانهم كانوا اذا فرغوا من عمل قبل الليل افسدوه ان لم تشغلوه
بغيره قوله وايوب اسم لرجل من الروم وهو ايوب بن اموص بن زارخ
بن روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم عليهم صلوات الله وكان
الله قد اصطفاه نبيا وبسط عليه الدنيا من اصناف المال كله من
الابل والبقر والغنم والخيل والحمر وغير ذلك وكان معه ثلثة نفر من
قومه آمنوا به وصدقوه رجل من اليمن ورجلان من بلده وكان له اهل
وولد من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين ويكرمهم ويكرم
الضيف ويكفل الايتام والارامل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا
حقه فابتلاه الله بكل بلاء كما يبتلي المؤمنين الصديقين لا على سخط عليهم
ولا لهوان لهم ولكن كرامة وخيرة لهم فاعلم النبي عليه السلام بخبره وصبره

على بلائه

على بلائه تسلية له عليه الصلوة وهو منصوب بفعل مقدر اي اذكر اذ نادى ربه
حين ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وغير ذلك من البلايا ثلث
سنين او اكثر من ذلك لا يقربه احد غير زوجته رحمة صبرت معه بصدق مع
ضيق عيشه بعد سعته حتى باعت ضفيرتها بشيء اكله دعا ربه اني مسني
الضر اي الشدة وشكواه لم يخرجه عن الصبر فلذلك قال انا وجدناه صابرا
يعني اصابني البلاء الشديد فارحمني وهو ارحم الراحمين فاستجبنا له دعاءه فكشفنا
ما به من ضر وآتيناه اهله اي اولاده يعني احيوا بعدما ماتوا ورزق ثوابهم ومثلهم
اي وآتيناه مثلهم معهم في الدنيا رحمة من عندنا لايوب وذكرى للعابدين اي تذكرة
لهم ليصبروا كصبره ويثابوا كثوابه قال ابن عباس ان الله تعالى رد على
المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وكان له سبعة بنين
وسبع بنات احياهم الله تعالى باعيانهم واسمعيل وادريس اي اذكرهما
وهو اسمعيل بن ابراهيم وادريس جد نوح وذا الكفل هو الياس او نبي
او رجل صالح تكفل بصيام نهاره وقيام جميع ليله وان يقضي بين الناس
ولا يغضب فوفى بذلك وانما ذكره مع الانبياء لان عمله كعملهم كل
اي كل واحد من المذكورين من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا اي اكرمناهم بالنبوة
او بطاعتنا انهم من الصالحين اي معهم في الجنة وذا النون اذكره وهو صاحب
الحوت اسمه يونس بن متى اذ ذهب من قومه المرسل اليهم مغاضبا اي

شديد الغضب عليهم لانه وعظهم فلم يتعظوا وقيل ذهب منهم كارها
لدينهم وكان ضيق الصدر سريع الغضب وذلك انه لما دعاهم الى الايمان
بالله وترك الشرك كذبوه ووعدهم ثلثة ايام نزول العذاب بهم فاتاهم
العذاب فاخلصوا الله بالدعاء فصرف عنهم وكان يونس اعتزلهم ينتظر
هلاكهم فسأل بعض من مر من اهل تلك المدينة فلما علم انهم لم يهلكوا اكره
ان يرجع اليهم مخافة ان ينسب الى الكذب فذهب مغاضبا وكارها
لذلك الى الساحل فوجد قوما قد شحنوا سفينتهم فقال لهم احملوني
معكم فعرفوه وحملوه فلما ذهبت السفينة الى وسط البحر تكفات بهم
فقال ملاحوها يا قوم ان فيكم رجلا عاصيا لان السفينة لا تفعل هكذا
من غير ريح الا وفيها عاص فاقترعوا فخرج اسم يونس فقال
انا والله لعاص فتلفف في كسائه فرمى نفسه في البحر فابتلعه الحوت
فبقى في بطنه سبعة ايام وقيل اربعين وقيل يوما فظن ان لن
نقدر عليه اى ظن يونس ان لن نقضى عليه بالعقوبة فنادى في
الظلمات اى في ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ان اى
بان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين لنفسى بمغاضبتى
قاله اعترافا بذنبه قال عليه السلام ما من مكروب يدعو بهذا التسبيح
الا استجيب له فاستجبنا له انه ونجيناه من الغم اى من غم الماء وبطن

الحوت والذنب وكذلك ننجى المؤمنين بالتخفيف والتشديد واحد اى مثل ذلك
الانجاء ننجى الموحدين قيل انه بعث نبيا قبل ابتلاء الحوت وبعده وزكريا اى اذكره
اذ نادى ربه اى دعاه رب لا تذرنى فردا اى وحيدا بلا ولد يرثنى وانت خير الوارثين
اى افضلهم رزقتنى ولدا او لم ترزقنى اياه فاستجبنا له نداءه ووهبنا له اى لزكريا
ولدا اسمه يحيى واصلحنا له زوجه اى جعلناها حسناء الخلق بعد ان كانت
سيئة الخلق واحسنها وجها بعد ان كانت قبيحة الوجه واصلحنا رحمها
وكانت لا تلد لعقمها فصارت ولودا بعد العقم انهم كانوا اى الانبياء الذى
سبق ذكرهم وقيل ان زكريا وامرأته يحيى كانوا يسارعون في الخيرات
اى يبادرون فى الاعمال الصالحة و كانوا يدعوننا رغبا ورهبا اى رغبة فيما
عندنا ورهبة من عذابنا وكانوا لنا خاشعين اى ذليلين متواضعين
والخشوع الخوف اللازم للقلب بالمعرفة والتى احصنت اى ذكر مريم التى حفظت
فرجها من الوطى فنفخنا فيها اى نفخنا الروح فى عيسى فيها يعنى
احييناه فى جوفها وقيل معناه امرنا جبرئيل فنفخ في جيبها ادنى نفخها
فحملت عيسى حيا بذلك النفخ من روحنا واضافة الروح اليه تشريفا لعيسى
عليه وجعلناها وابنها آية اى علامة وعبرة للعالمين اى للانس
والجن ولم يقل آيتين لانهما كشئ واحد فى الدلالة على خلق ولد بلا فحل
ان هذه امتكم خطاب للناس جميعا وللرسل اى قلنا يا ايها الرسل

هذه الملة اى ملة الاسلام ملتكم التى يجب ان تكونوا مع الحكم عليها لا تنحرفون
عنها امة واحدة بالنصب على الحال اى اشار اليها حال كونها ملة واحدة اى
على شريعة واحدة غير مختلفة لانها سبب الفلاح لا غيرها وانا ربكم اى الهكم
الحق فاعبدون اى اعبدونى بالتوحيد وتقطعوا امرهم اى تفرقوا فى امرهم وهو
دينهم بعد ذلك احزابا فكل حزب يخالف الآخر كاليهود والنصارى كل الينا
راجعون فى الآخرة فنجازيهم لتفرقهم فى الدين فهو تهديد لهم ثم بين
ثواب الثابتين على الاسلام بقوله فمن يعمل من الصالحات اى الطاعات وهو مؤمن
مصدق بتوحيد الله فلا كفران لسعيه اى لا جحد لعمله ولا نسيان لثوابه وانا له اى
لسعيه كاتبون فى صحيفة عمله فنثبته وحرام اى ممتنع الوجود كامتناع الحرام
على قرية اهلكناها فى الدنيا بالعذاب فيما مضى انهم لا يرجعون بالفتح اى الرجوع الى
الدنيا بعد الهلاك فلا زائدة وجملة ان مبتدا والخبر ما تقدم من حرام
وقيل معناه الايمان حرام على اهل قرية حكمنا باهلاكهم بالعذاب لانهم لا يرجعون
عن كفرهم فلا نافية وجملة ان تعليل للحرام قوله حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج غاية الحرام
اى امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وذلك اذا فتحت يأجوج ومأجوج
اى سدهما وهما قبيلتان من الانس قيل الناس عشرة اجزاء تسعة منها
يأجوج ومأجوج وهم اى يأجوج ومأجوج بعد خروجهم من السد من حدب اى
من كل نشز ينسلون اى يسرعون من نسل اى اسرع وعسل قيل يخرجون بعد

الدجال فيفسدون فى الارض فيبعث الله عليهم دابة مثل النغف فيلج فى
اسماعهم ومناخرهم فيموتون فتنتن الارض فيرسل الله مطرا فيطهرها واقترب
الوعد الحق اى قيام الساعة قيل الواو زائدة فيه لانه جواب اذا فتحت لتأكيد
لصوق الجزاء بالشرط فاذا هى شاخصة هى ضمير مبهم يفسره الابصار كما فسروا
واسروا الذين ظلموا فى قوله تعالى واسروا النجوى الذين اى عند ظهور الوعد
الحق شاخصة ابصار الذين كفروا فلا تكاد تطرف لهول ما ترى يومئذ يقولون
يا ويلنا قد كنا فى غفلة اى جهالة من هذا اليوم تذكروا اخبار الرسل فقالوا بل
كنا ظالمين فى تكذيب الرسل الينا وقال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
اى الاصنام وابليس واعوانه وانما قرنوا باصنامهم وغيرها لانهم كانوا
يقدرون الانتفاع بهم فى الآخرة فاذا انعكس الامر فيها لم يكن شيء ابغض
اليهم منهم وقيل فيه زيادة عقوبة لهم روى ان النبى عليه السلام دخل
المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما
وجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله حتى افحمه
ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهو ما يوقد فيها
كالحطب انتم لها واردون اى داخلون فيها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها
اى جهنم وكل فيها خالدون لا يخرجون عنها لهم اى للعابدين منهم فيها اى فى
النار زفير وهو ترديد النفس الشديد للغضب فى جوفهم حتى تنتفخ الضلوع

كاول موت الكار وهم فيها اى فى النار لا يسمعون زفيرهم ولا صوتا آخر لشدة
غليان النار ولما بهم من الالم ويجعل المسامير من نار فى اذانهم او يجعلون
فى توابيت من نار مغلقة تمنع السمع فاخبر الوليد ابن مغيرة بقول رسول الله
ابن الزبعرى فقال ابن الزبعرى للنبى عليه السلام ارايت ما قلت لقومك
آنفا اخاص لهم ام عام قال اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح
الملائكة فقال عليه السلام بل عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فانزل
الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اى الجنة او السعادة او التوفيق للطاعة
كعيسى وعزير اولئك عنها اى عن النار مبعدون اى منحون لا يسمعون
حسيسها اى الصوت الخفى منها اذا دخلوا الجنة وهم فيما اشتهت اى
تمنت انفسهم فى الجنة خالدون اى دائمون لا يحزنهم الفزع الاكبر اى النفخة
الاخيرة او الانصراف الى النار او حين يذبح الموت على هيئة كبش املح
بين الجنة والنار ينادى يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل خلود ولا
موت وتتلقيهم الملائكة عند باب الجنة مهنئين قائلين هذا يومكم
الذى كنتم توعدون فيه الجنة والثواب يوم نطوى ظرف لقوله لا يحزنهم
والطى ضد النشر اى يوم يجمع السماء وتطويها قرئ بالنون والتاء
كطى السجل اى الصحيفة للكتب اى على المكتوب قرئ مفردا و
جمعا اى الكتب وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه

قيل اذا

قيل اذا مات الانسان رفع كتابه الى الملك الموكل بالصحف فطواه والكاف
فى كما بدأنا اول خلق هو ايجاده عن عدم يتعلق بقوله نعيده اى نرده
اول الخلق كما اوجدناه عن عدم يعنى نعيده عودا مثل بدائه عند البعث
عن عدم اشارة الى تبديل السماء فى الآخرة والى استواء قدرته فى تناولها
للابتداء والاعادة قيل يمطر السماء اربعين يوما كمنى الرجال فينبتون به
وعدا علينا تاكيد لنعيده اى وعدنا وعدا بالاعادة صدقا لا خلف فيه
انا كنا فاعلين اى باعثين الخلق بعد الموت قال عليه السلام انكم تحشرون
يوم القيمة عراة حفاة غرلا بهما اى ساكتين جمع ابهم ولقد كتبنا فى الزبور بفتح
الزاء وهو زبور داود والمراد الجنس اى فى جميع الكتب المنزلة من السماء
من بعد الذكر اى بعد التورية او بعد اللوح المحفوظ لان كلها اخذت منه
ان الارض اى ارض الجنة او ارض الدنيا يرثها عبادى الصالحون يعنى محمد
وامته يفتحون ارض الكفار ويدخلون الجنة ان فى هذا اى القرآن
لبلاغا اى لكفاية لقوم عابدين اى عاملين بالتوحيد وهم امة محمد
عليه السلام وما ارسلناك اى ما بعثناك يا محمد الا رحمة للعالمين اى للمؤمنين
حيث هداهم الى طريق الجنة وللكافرين بتاخير العذاب عنهم استيصالا
قل يا محمد لمشركى قريش انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فيه قصران قصر الحكم على
وقصر الشئ على حكمه وانما اجتمعا ههنا للدلالة على ان الوحى الى الرسول مقصور

على استيثار الله تعالى بالوحدانية ثم امر الناس بالتوحيد الحاصل من جهة الوحى
بقوله فهل انتم مسلمون اى مخلصون بالتوحيد يعنى اسلموا له فان تولوا اى ان
اعرضوا عن التوحيد فقل آذنتكم اى اعلمتكم بالحرب على سواء منى ومنكم
لتتأهبوا اذ ليس الغدر من شيم الانبيا، وان ادرى اى ما ادرى اقريب ام بعيد
ما توعدون من نزول العذاب بكم فى الدنيا لان الله لم يعلمنى علمه ومحل ما
توعدون رفع بانه فاعل اقريب سد مسد الخبر انه اى قل لهم ان الله يعلم الجهر اى
العلانية من القول اى من كلام مكذبى القرآن وطاعنى الاسلام منكم ويعلم
كذلك ما تكتمون اى ما تسترون فى صدوركم من الطعن والحقد للمسلمين وهو
يجازيكم عليه وان اى ما ادرى لعله اى لعل تاخير العذاب عنكم فى الدنيا فتنة
اى بلية لكم قيل نزل حين قالوا لو كان التوحيد حقا لنزل بنا العذاب
فقال عليه السلام متى تحل لكم العذاب لعل تاخيره بلاء لكم لينظر كيف تعملون
ومتاع اى تمتيع وتبليغ لكم الى حين اى الى انقضاء آجالكم ليكون ذلك
حجة عليكم قل امر وقرئ قال رب احكم اخبارا اى قال النبى عليه السلام يا رب
افصل بينى وبين مكذبى بالحق اى بالعذاب وبالعدل وبالنصر لانه كان
قد وعدنا بالنصر ووعده تعالى حق فعذبوا ببدر ونصر عليهم وربنا
الرحمن اى العاطف على خلقه بالرزق المستعان اى الذى يستعان به على ما
تصفون بالتاء والياء اى تقولون من الشرك ونسبة الولد اليه تعالى عنه

يعنى يطلب

يعنى يطلب منه العون والنصرة على اهلاكهم بسبب وصفهم اياه بما لا يليق
به تعالى سورة الحج كلها مكية فى رواية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها
الناس اتقوا ربكم الآيتين نزلتا ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما رسول
الله فلم ير باكيا اكثر من تلك الليلة من شدة الخوف اى احذروا عقابه
واطيعوا امره ثم حث على التقوى بقوله ان زلزلة الساعة اى قيامها شئ
عظيم لا يوصف لعظمته والزلزلة التحرك الشديد بازعاج واضافته
اما الى الفاعل فالساعة تحرك الاشياء او الى الظرف فالاشياء تتحرك
فى الساعة قيل هى اما فى الدنيا او فى الآخرة وانما وصفها بالكل صفته
ليتصوروها بعقولهم فيتزودوا بالتقوى يوم ترونها اى تبصرون الزلزلة
فجعل الناس جميعهم رائين لها لان الرؤية تتعلق بالزلزلة فعم الرؤية
ونصب الظرف بقوله تذهل اى تغفل وتتحير كل مرضعة عما ارضعت من الولد
فتترك ارضاعه فى كون ثديها فى فم الولد لشدة الامر ولم يقل مرضع ليدل
على حال الارضاع بالفعل، اذ المرضع هى التى من شانها ان ترضع
وان لم تباشر الرضاع ومحل تذهل نصب على على الحال من المفعول
وتضع كل ذات حمل حملها اى ولدها قبل تمامه خوفا وهذا يدل على ان الزلزلة
فى الدنيا ومن قال هى يوم القيمة جعل ذلك فرضا لتهويلات ن
الساعة قيل ينادى ملك من السماء يا ايها الناس اتى امر الله فيسمع

اهل الارض جميعا وذلك قبل النفخة الاولى فتزلزلت الارض وطارت القلوب
ويضع الحوامل ما فى بطونها وترى الناس خطاب لكل واحد منهم من غير تعيين
لان الرؤية تعلقت بكون الناس على حال السكر فلابد ان يجعل كلا منهم
رائيا لسائرهم اى تراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى وقرئ سكرى فيهما
اى ماهم بسكرى حقيقة لشراب لما شاهدوا من بساط العزة وسلطان
الجبروت حتى الجاء النبيين الى ان قالوا نفسى نفسى فتراهم سكرى من شدة
الخوف يدل عليه قوله ولكن عذاب الله شديد فى ذلك اليوم قوله ومن الناس من يجادل
اى يخاصم نزل فى شان النضر بن الحارث وجداله بالباطل فى الله اى فى
توحيده وكلامه وكان يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين
بغير علم اى بغير حجة ويتبع كل شيطان مريد اى عات مستمر فى الشر كتب عليه
اى قضى على الشيطان انه من تولاه اى احتوا اتبعه فانه يضله اى فشانه
اضلاله على الهدى ويهديه اى يدعوه الى عذاب السعير اى عمل اهل النار
فقوله انه بالفتح قائم مقام الفاعل لكتب وقوله فانه بالفتح جواب الشرط
وهو من يا ايها الناس اى يا كفار مكة ان كنتم فى ريب من البعث بعد الموت فانظروا
الى ابتداء خلقكم انا خلقناكم من تراب يعنى من آدم ثم من نطفة اى من المنى
ثم من علقة اى من دم غليظ ثم من مضغة اى مثل قطعة كبد مخلقة اى
سواة الخلق منفوخة الروح وغير مخلقة اى غير سواة الخلق كالسقط لنبين لكم

اى خلقناكم

اى خلقناكم بهذا التنقل ليظهر لكم قدرتنا على الخلق فبو مسواه بقوله ونقر
بالرفع استيناف اى نحن نثبت فى الارحام ما نشاء ثبوته فلا يكون سقطا
الى اجل مسمى اى وقت معلوم وهو وقت ولادته ثم نخرجكم اى كل واحد
منكم طفلا من بطون امهاتكم ثم نمهلكم لتبلغوا اشدكم اى كمال عقلكم وهو وقت
التمييز قيل خمسة عشرة سنة وقيل هو ثمانية عشرة سنة الى ثلثين وقيل
الى ستة وثلاثين ومنكم من يتوفى اى يقبض قبل ان يبلغ اشده ومنكم
من يرد الى ارذل العمر اى اضعف العمر واخسه وهو الخرف اى نمهلكم
لتصير واليه لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى لا يعلم شيئا بالنسيان بعد
علمه ذلك بالعقل الاول ثم اكد اظهار القدرة على البعث بقوله وترى
الارض هامدة اى يابسة ميتة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اى تحركت
بالنبات وربت اى زادت وعلت وانبتت من كل زوج اى من كل صنف
بهيج اى حسن يسر من رآه ذلك اى هذا المذكور من الدلائل
بان الله هو الحق فى الالوهية وانه يحيى الموتى يوم القيمة وانه على كل شئ
من الاحياء والاماتة والثواب والعقاب قدير وغير الله من الاصنام
باطل فى الالوهية وعاجز عن خلق شئ والنفع والضر وان الساعة
اى ذلك بان الساعة آتية اى جائية لا ريب فيها عند من له عقل
وذهن وان الله يبعث من فى القبور لانه حكيم لا بد ان يفى بما وعد ومن الناس

من يجادل في الله اي في دينه بغير علم اي علم ضروري وهو العلم العقلي
ولا هدى اي بلا حجة موصلة الى المعرفة ولا كتاب منير اي وحي واضح منزل
للبيان بل يجادل بالظن بلا تحقيق وهو نضر بن الحارث وكرره ردعا عن
عن الجدل قوله ثاني عطفه نصب على الحال من ضمير يجادل اي لاويا جانبه عن
طاعة ربه بكبره معرضا عن الايات به ليضل عن سبيل الله بفتح الياء اي يعرض عن
دين الاسلام فاللام للعاقبة لان جداله يؤدي الى الضلال فجعل كانه غرضه
وقرئ بضم الياء اي ليصرف الناس عن دين الله له في الدنيا خزي اي
عذاب فقتل النضر يوم بدر صبرا اي محبوسا بغير قتال ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق
وهو عذاب النار اي ما اصابه في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبه
ويقال له يوم القيمة ذلك اي هذا العذاب بما قدمت يداك اي عملت يداك
اي نفسك بكفرك وتكذيبك محمدا عليه السلام وان الله ليس بظلام للعبيد
اي لا يعذب احدا بغير ذنب ابدا قيل هذا من قولهم ظالم لعبده وظلام لعبيده
فيلزم منه نفي كل ظلم عن الله تعالى لكل عبد من العبيد لدخول صيغة المبالغة
الدالة على الانواع بصيغة الجمع الدالة على الاستغراق باللام تحت النفي
العام ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على وجه الدنيا وعلى شك حال
من ضمير يعبد اي تزلزلا قيل نزل في اناس من بني اسد اصابتهم شدة
فاحتملوا العيال وقدموا على رسول الله عليه السلام واسلموا من غير اعتقاد

صحة الاسلام فاغلوا الاسعار بالمدينة فرجعوا الى كفرهم الاول فان اصابه خير
صحة وسلامة في نفسه وماله او سعة وغنيمة اطمأن به اي سكن اليه وقال
نعم الدين دين محمد فقال تعالى اي عيبها بذهاب ماله وذهاب ثوابه ذلك
رجوعه عن الاسلام هو الخسران المبين وهو ذهاب دينه وخلوده في النار
يدعوا من دون الله اي يعبد من غيره ما لا يضره اي لم يعبده وما لا ينفعه ان
عبده ذلك هو الضلال البعيد عن الهداية لا يرجى زواله يدعوا تأكيد للاول
بيان لاستمرار كفره ولا يتعلق بلمن بعده لانه قسم تقدير الكلام يدعو من دون
الله الآية والله لمن ضره ان عبده اقرب من نفعه ان استنفعه بادعاء الشفاعة
لمن مبتدأ بمعنى الذي ضره اقرب من نفعه صلته لبئس المولى خبره وهو الناصر
ولبئس العشير اي المصاحب المعاشر اذ لا ينفعه في الآخرة ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات اي فيها تجري من تحتها الانهار
ان الله يفعل ما يريد اي يحكم في خلقه ما يشاء من الضلالة والهداية
وروي ان بني اسد وغطفان من الكفار قالوا نخاف ان يقطع المودة
من المودة من اليهود ونؤمن بمحمد ثم لا يستقيم امره وذلك لظنهم ان الله
لا ينصر محمدا في دينه فنزل من كان يظن ان لن ينصره الله اي محمدا بالحجة
والغلبة في الدنيا والشفاعة في الآخرة فليمدد اي ليربط بسبب اي بحبل
من السماء اي من سقف بيت لان كل ما علاك فهو سماء ثم ليقطع نفسه بحبس

ثم وان اصابته فتنة اي محنة
وضيق في المعيشة انقلب على
وجهه اي جهته يعني رجع
الى الكفر وقال بئس الدين
دين محمد صح

محاربة بالحبل يعني ليختنق به فيموت خنقا فلينظر هل يذهبن كيده اي فعله بنفسه من
الاختناق ما يغيظ اي غيظه يعني هل ينفعه ذلك وهذا مبالغة في الزجر
عن الظن الفاسد في نصرة الله تعالى رسوله وان اريد بالسماء حقيقتها كان
المعنى ليمد حبلا اليها فيصعد فيه اليها ليقطع الوحي عن محمد عليه السلام وهذا
استهزاء لمن يظن ذلك الظن وقيل المراد بالنصر الرزق ومعناه ان من ظن
ان الله غير رازقه وليس به صبر فليختنق فانه لا يقبل القسمة وكذلك اي
مثل ذلك الانزال انزلناه اي القران كله آيات بينات اي واضحات وان الله
اي وانزلناه لانه يهدي اي يرشده الى دينه من يريد اي الذي يعلم انهم يؤمنون
ان الذين آمنوا بمحمد عليه السلام كاصحابه والذين هادوا اي عدلوا عن الاسلام
كاليهود والصابئين من دين الى دين والنصارى اي عبدة عيسى عليه السلام
والمجوس اي عبدة النيران والذين اشركوا اي عبدة الاوثان ففي هذه الآية اشارة
الى ان الاديان بين الخلق ستة واحد منها لله تعالى والخمسة للشيطان
وخبر ان قوله ان الله يفصل بينهم اي يقضي بالحق يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد
من اعمالهم واحوالهم فيجازيهم بها الم تر اي الم تخبر في الكتاب ان الله يسجد
اي يخضع له من في السموات من الملائكة ومن في الارض من الخلق و ينقاد له
الشمس والقمر والنجوم اي لما اراد من التدبير فيها قيل سجودها دورانها في
منازلها بامره تعالى والجبال والشجر والدواب قيل سجودها تحول ظل كل منها وقيل

سخرها لما

سخرها لما اريد منها وفيه مبالغة في سجود الاشياء له تعالى ويسجد سجود طاعة كثير
من الناس اي من المؤمنين يسجدون لله تعالى بالاخلاص وعطفه على من وان
عمتهم تفضيلا ويجوز ان يرفع بالابتداء صفته من الناس وخبره محذوف
اي وكثير منهم مثاب يدل عليه قوله وكثير منهم حق عليه العذاب اي وجب بترك
السجود لله تعالى في الدنيا كالمشركين وبترك الايمان بمحمد عليه السلام وان
سجد له تعالى كاليهود والنصارى ومن يهن الله اي يذله بالشقاوة
في قضائه فما له من مكرم اي معز بالسعادة ان الله يفعل ما يشاء من الاهانة والاكرام
في خلقه قوله هذان خصمان نزل في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث حين بارزوا
ببدر الى عتبة وشيبة والوليد بن عتبة والخصم صفة يوصف بها الفريق والطائفة
اي طائفتان اختصموا بالجمع ردا الى المعنى اي تجادلوا في ربهم اي في دينه
ثم بين مصير كل من الفريقين بقوله فالذين كفروا الفاء للتفسير وقطع
الخصومة اي الذين جحدوا دين الاسلام قطعت اي هيئت لهم ثياب يلبسونها
من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم اي الماء المنتهي حره قيل يضرب الملك
راس الكافر بالمقمع من حديد فينقب راسه ثم يصب عليه الحميم يصهر به
اي يذاب بالحميم المصبوب على رؤسهم ما في بطونهم من شحوم وغيرها فيقطعها
ويخرج من ادبارهم والجلود اي يذاب الجلود ايضا فتسلخ ولهم مقامع جمع
مقمعة من حديد وهي سياط مختصة بهم يضربون بها على هامتهم كلما ارادوا

ان يخرجوا منها اى من النار من غم بدل من منها اى الشدة التى ادركتهم
من ضرب المقامع اعيدوا فيها اى ردوا اليها و يقال ذوقوا عذاب الحريق اى المحرق
بالدوام قيل اذا اضربتهم الزبانية بالمقامع يسقطون الى النار سبعين خريفا
ثم تضربهم النار بلهبها فتلقيهم الى اعلاها فيقصدون الخروج فيعيدون
الضرب عليهم كذلك هذا جزاء احد الخصمين ثم بين جزاء الخصم الآخر بقوله ان
الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون
اى يلبسون الحلى فيها اى فى الجنة من اساور جمع سوار وهو القلب ومن
للتبعيض اى بعض اقلبة من ذهب ومن للبيان ولؤلؤا اى ويؤتون
لؤلؤا ولا يجوز عطفه بالنصب على محل من اساور ولا على لفظها على قراءة
الجر ايضا اذ اللؤلؤ لا يلبس فينتصب محله بمضمر يدل عليه يحلون كما ذكر
ومن فى لؤلؤ بالجر للتبعيض وقيل النصب والجر عطف على اساور فيكون
اللؤلؤ ملبوسا ولباسهم فيها حرير وهو الابريسم المحرم لبسه على الرجال
هنا وهدوا اى هداهم الله والهمهم الى الطيب من القول وهو كلمة التوحيد او
القرآن او الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الدنيا او الحمد لله الذى صدقنا
وعده فى الآخرة وهدوا الى صراط الحميد اى المحمود فى فعاله وهو طريق الجنة
اى دين الاسلام ان الذين كفروا اى اهل مكة ويصدون عن سبيل الله اى
يصرفون الناس عن دين الاسلام ولم يقل صدوا الا قال كفروا لارادة

ان القصد

ان القصد منهم مستمر دائم و عن المسجد الحرام وذلك منعهم النبى عليه السلام
واصحابه فى الحديبية عن زيارة الكعبة ثم وصف المسجد الحرام بقوله الذى جعلناه
للناس اى صيرناه لهم سواء بالنصب مفعول ثان لجعل وبالرفع خبر
لما بعده والجملة فى محل النصب لكونها مفعولا ثانيا للجعل والمعنى جعلنا
المسجد الحرام مستويا العاكف اى المقيم فيه والباد بلا ياء فى الوصل
والقطع وبها فيهما او فى الوصل فقط اى الخارج عنه الوارد اليه لا تختص
بعضا دون بعض فى تعظيم حرمته وقضاء النسك به فليس اهل مكة
احق به من النازع اليه غير انه لا يزعج احد عن منزل نزله اذا سبق اليه عند
ابى حنيفة مقيما او مسافرا وخص الشافعى عنه المقيم بمنزله هذا ان
اريد بالمسجد الحرام ولا يجوز بيع دور مكة عند ابى حنيفة وجوز الشافعى
وان اريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس والمقيم والغريب فيه سواء
ومن يرد فيه بالحاد بظلم قيل مفعول يرد محذوف والمجروران بالتاء حالان
مترادفان اى من يرد فى المسجد الحرام مرادا ملابسا بالحاد اى ميل عن
طريق الحق كالشرك وملابسا بالظلم على الناس كالاحتكار والشتم
للخادم وقيل الباء فى بالحاد زائدة اى الحادا فهو مفعول يرد ومحل
بظلم حال من ضمير يرد اى من اقصد الحادا ظالما نذقه من عذاب اليم جواب
الشرط وخبران فى ان الذين كفروا محذوف اى معذبون يدل عليه

جواب الشرط وهو نزلت في عبد الله بن انيس حين قتل انصاريا افتخر
على المهاجرين في النسب فهرب الى مكة مرتدا فامر النبي عليه السلام يوم
فتح مكة بقتله فقتل واذ بوأنا اي اذكر اذ جعلنا لابراهيم مكان البيت اي مباءة
ولعقبه اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة لانه رفع في زمان الطوفان
الى السماء وهو البيت المعمور وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم
مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج وهي التي تلتوي في هبوبها فكنست
ما حوله فبناه على اساسه القديم قالوا بعثه الله سبحانه على قدر البيت
فيها رأس تتكلم يا ابراهيم ابن على قدري وحيالي اسس البيت عليه مع
اسمعيل ثم فسر التبوئة لكونها مقصودة للعبادة بقوله ان لا تشرك لانه قال
يعبدنا ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا فان مفسرة للقول المقدر
وطهر بيتي من الاصنام والاقذار ان تطرح حوله للطائفين بالبيت
من غير اهل مكة والقائمين اي المقيمين من اهل مكة والركع السجود اي المصلين
بالآفاق من كل وجه واذن اي ناد في الناس بالحج فقام ابراهيم على ابي قبيس
جبل من جبال مكة فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم والتفت بوجهه
يمينا وشمالا وشرقا وغربا فاجابه كل من كتب له ان يحج من اصلاب
الرجال وارحام الامهات لبيك لبيك اللهم لبيك فحج من اجاب
ابراهيم يومئذ قوله يأتوك رجالا جواب الامر جمع راجل اي مشاة وعلى كل ضامر

اي ركبانا

اي ركبانا على ابل ومهازيل فلا يدخل بعير ولا غيره الحرم الا وقد ضمر من طول
الطريق قوله يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع اي الضوامر من كل فج عميق
اي طريق بعيد من نواحي الارض روي عن ابي حنيفة مشي الحاج افضل
ان صبر لما روي ان الملائكة يتلقون على اصحاب المحامل ويصافحون
اصحاب البغال والحمير ويعانقون المشاة وقيل الركوب افضل ان كان
بيته بعيدا والمشي احسن ان كان قريبا ليشهدوا صلة لقوله اذن اي ليحضروا منافع لهم
دينية ودنيوية او متاجرهم وقضاء مناسكهم ويذكروا اسم الله عند الذبح
في ايام معلومات بالعد عندهم لانهم كانوا يعدون لاجل الحج وهي عشر ذي الحجة
عند ابي حنيفة اي ايام ليالي العشر او هي يوم النحر وثلثة بعده عند غيره
وقيل المعلومات ايام النحر والمعدودات ايام التشريق وهي طريق الفقهاء
وهو اشبه بتاويل الكتاب لانه ذكر في ايام معدودات الذكر عند الرمي
ورخص تركه في اليوم الآخر بقوله في صورة البقرة فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه الآية على ما رزقهم من بهيمة الانعام ليذكر اسم الله عند الذبح
على الابل والبقر والغنم فلا يجوز الاضحية من غيرها قوله فكلوا منها امر
اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم واطعموا البائس اي
الشديد البؤس الفقير اي الضعيف بالاعسار ثم ليقضوا اي ليزيلوا
تفثهم يعني اوساخهم او التفث مناسك الحج كالرمي والحلق والذبح

ونتف الابط واخذ الابط واخذ الثياب وقص الاظافر وحلق العانة فالمراد
من قضائه الخروج من الاحرام الى الاحلال بافعاله وليوفوا بالتخفيف
من اوفى وبالتشديد من وفى والمعنى واحد اى ليتموا نذورهم يعني كل ما اوجبوا
على انفسهم للحج والعمرة من هدى وغيره فاذا نحروا يوم فقد اوفوا نذورهم
وليطوفوا قرئ بسكون اللام في الثلثة وبكسرها فيها وبكسر اللام في الاول
دون الاخيرين اى ليدوروا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة بالبيت
العتيق اى القديم وذلك بعد ما حلق المحرم رأسه وقصر وسمى عتيقا
لانه اول بيت وضع للناس ولانه عتق من القتل والسبي والجراحات
وغير ذلك في الجاهلية او عتق من الغرق في يوم الطوفان او عتق من الجبابرة
المتسلطة ولا يشكل بتسلط الحجاج عليه لان ابن الزبير تحصن بالبيت
فاحتال لاخراجه ولم يكن قصده التسلط عليه ذلك خبر مبتدا محذوف
اى الامر ذلك المذكور من اعمال الحج ومثله فصل لما بعده عما قبله ومن
يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه بالعلم بانها واجبة الحفظ بالعمل من
مناسك الحج وغيرها فهو خير له اى ذلك التعظيم اعظم اجرا عند ربه في
الدار الآخرة واحلت لكم الانعام اى اكلها بعد الذبح الا ما يتلى عليكم تحريمه في قوله
حرمت عليكم الميتة الآية في سورة المائدة والاستثناء منقطع اذ المتلو
ليس من جنس الانعام او متصل بان يكون المحرم حراما بعارض كالميتة

والموقوذة

والموقوذة فاجتنبوا الرجس اى القذر من الاوثان اى اتركوا عبادتها بيان
للرجس لانه يعم الاوثان وغيرها اى اجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان
وبه تسمية الاوثان رجسا هو التشبيه اى انفروا عنها كما تنفروا طباعكم
من الرجس واجتنبوا قول الزور اى الكذب والبهتان وهو قولهم هذا حلال
وهذا حرام او هو شهادة الزور واصله الانحراف حنفاء لله اى مخلصين
في التلبية والاجتناب عن معصيته غير مشركين به شيئا لان اهل الجاهلية
كانوا يشركون في تلبيتهم بقولهم لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه
وما ملك ومن يشرك بالله فكانما خر اى تسقط الريح من السماء في مكان سحيق
اى بعيد يتلف هو وادي الضلالة والبعد من الله لا يمكن خلاصه منه
ذلك اى الامر هو المذكور من اجتناب الرجس وقول الزور ومن يعظم
شعائر الله وهي الهدى المشعرة المقلدة لتعرف انها هدى لا يتعرض
بها وتعظيمها استسمانها واستحسانها للنحر قوله فانها من تقوى القلوب
منهم جواب الشرط اى ان تعظيمها من افعال اصحاب التقوى القلوب
والمراد منه اخلاصها والضمير في منهم المقدر راجع من الجزاء الى الشرط
ليصح المعنى لكم فيها اى في البدن منافع من ركوبها وشرب البانها
وقطع اوبارها الى اجل مسمى اى الى وقت انقضاء الحج ومنافع
يوم القيمة وهي المنافع الدينية ثم محلها الى البيت العتيق اى الذي ينحر فيه

الهدايا عند البيت القديم او ينهى اليه وهو جميع الحرم من اطراف مكة
لانه في حكم البيت ولكل امة جعلنا منسكا بالكسر مفعول به بمعنى الظرف اى شرع
الله لكل قوم من المؤمنين مكانا ووقتا يجوز فيه على وجه التقرب واللام
لتعليل الجعل في ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام اى لعلة
ذكرهم الله عند النحر وقرئ منسكا بالفتح مصدر اى شرعنا لكل امة ان
يتقرب بالذبح لله من الذبائح فالهكم اله واحد فله اى لله اسلموا اى
اخلصوا الذكر بالتسمية عند الذبيحة وفي التلبية سالما عن شوب الشرك
وبشر المخبتين اى المطيعين المتواضعين في العبادة واصل الخبت الانخفاض
من المكان قوله الذين اذا ذكر الله صفة كاشفة للمخبتين اى اذا ذكر الله
عندهم وجلت اى خافت قلوبهم والصابرين عطف على الذين اى الذين
صبروا على ما اصابهم من المحن والمصائب في اوقاتها والمقيمي الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله فهذه الخصال الاربع للمخبتين
والبدن منصوب بمضمر كقوله والقمر قدرناه جمع بدنة وهي الابل خاصة
بدليل الحاق النبي صلى الله عليه وسلم البقرة بالابل حين قال البدنة عن
سبع والبقرة عن سبع جعلناها لكم من شعائر الله اى من اعلام دينه لكم فيها
اى في نحرها خير اى اجر في الآخرة ومنفعة في الدنيا فاذكروا عند نحرها
اسم الله عليها حال من الهاء في عليها اى قائمة على القوائم الاربع

وقرا ابن

وقرأ ابن عباس صوافن بمعنى على ثلث قد عقلت يدها الواحدة والآية
والآية دلت على ان نحره قائمة فاذا وجبت جنوبها اى سقطت على الارض
بجنبها بعد النحر وسكنت حركتها فكلوا منها اى حل لكم كل منها والاطعام
وكان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين بقوله فكلوا منها
واطعموا القانع اى الذي يقنع بما يعطى من غير سؤال والمعتر اى الذي يعترض
بالسؤال قيل السنة ان يأكل الرجل من لحم اضحيته قبل ان يتصدق كذلك
اى مثل ذلك التسخير الذي رأيتم وعلمتم سخرناها لكم فيه انها نعمة الله تعالى
على عباده اى ذللناها طائعة منقادة بان تعقل او تنحر او تركب وتحمل
ولولا تسخير الله لم تطق فاعتبروا عبرة منه لعلكم تشكرون اى لكي تشكرون
ربكم على هذه النعمة قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها نزل حين اراد المسلمين
ان يلطخوا بيت الله يوم النحر ويقولون اللهم تقبل منا الفعل اهل الجاهلية
اذا نحروا البدن لينتهوا عنه اى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق
بها ولا الدماء المهراقة بالنحر ولكن يناله التقوى منكم اى يناله العمل الخالص
مع الايمان وهو التقوى كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة بالتسخير تقريرا
لها لتكبروا الله اى لتعظموه على ما هديكم اى ارشدكم الى معالم دينه ومناسك
حجه والمراد من التكبير الشكر ولذا عدى بعلى وبشر المحسنين وهم الذين فعلوا
ما في الآية قبله والذين احسنوا بذبح غير معيب بالجنة ان الله يدافع اى يذهب

اى يذهب اذى المشركين وقرئ يدفع على الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان
اى كل خائن الامانة واورد بلفظ المبالغة لان من يذبح لغير الله فهو كثير الخيانة
لربه كفور كثير الكفر لنعمه وفى هذه الآية ايماء الى تحمل اذى المشركين والنصرة عليهم
لان كفار مكة كانوا يضربونهم ويشجونهم ويأتون رسول الله ويطلبون
قتالهم قبل الهجرة فيأمرهم بالصبر اى يقول اصبروا على اذاهم فانى لم اومر بقتالهم
حتى هاجر فنزلت آية اذن ونسخ سبعين آية لانها اول آية نزلت فى
الاذن بالقتال اى اذن الله الذين يقاتلون بفتح التاء مجهولا اى يقاتلهم عدوهم
وبكسرها معلوما اى يقاتلون خصم عدوهم بانهم ظلموا اى بسبب ظلم الكفار
اياهم وان الله على نصرهم اى نصر المؤمنين على الكافرين لقدير لما هاجروا
امروا بالقتال ثم بين ظلم الكفار المؤمنين بقوله الذين اخرجوا من ديارهم
اى من مكة بدل من الذين يقاتلون او نصب على المدح اى اعنى الذين
اخرجوا من ديارهم بغير حق اى بغير جرم الا ان يقولوا استثناء من النفى
المقدر اى ما اخرجوا الا ان يقولوا ربنا الله اى اخرجوهم بسبب هذا
القول الموجب للتمكين لا للاخراج ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
اى المشركين بالمؤمنين لغلب المشركون على المؤمنين وعلى من فى
ذمتهم فجواب لولا قوله لهدمت اى خربت صوامع للرهبان وبيع
للنصارى وصلوات اى مواضعها وهى كنائس اليهود ومساجد المسلمين المعنى

لولا دفع

لولا دفع الله على المتعبدين بالمجاهدين فى سبيل الله لانقطعت العبادات
وخربت امكنتها التى يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره
اى ينصر دينه ان الله لقوى عزيز اى غالب قادر على ان ينصر محمدا عليه السلام
بغير نصرتهم قوله الذين ان مكناهم بدل من الذين اخرجوا وتمكينهم فى الارض ان
ينصرهم على عدوهم وقيل انزالهم بالمدينة وهم اصحاب النبى اقاموا الصلوة
اى الصلوة المكتوبة وآتوا الزكوة المفروضة وامروا بالمعروف اى بالتوحيد
واتباع محمد عليه السلام ونهوا عن المنكر اى عن الشرك والنفاق ولله
عاقبة الامور اى اليه يرجع عاقبة امور العباد فى الآخرة من الثواب والعقاب
ثم قال تسلية للنبى عليه السلام وان يكذبوك اى يكذبك قومك يا محمد فقد
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين
شعيبا فقد كذب الانبياء قبلك امهم فصبروا وانما قال وكذب موسى
مجهولا ولم يقل وكذب قوم موسى لان قومه بنى اسرائيل لم يكذبوه
وانما كذبه القبط فامليت اى امهلت للكافرين ثم اخذتهم اى عاقبتهم
بعد المهل بالعذاب فكان نكير اى انكارى عليهم باهلاكهم يعنى وجدوه حقا
وسيجده قومك ان لم يؤمنوا ثم ابدل من كيف كان نكير فكاين اى فكم
من قرية اهلكناها وقرئ اهلكتها اى اهلها وهى ظالمة اى مشرك اهلها
فى محل النصب على الحال ثم عطف على اهلكناها قوله فهى خاوية اى ساقطة على عروشها

اى سقفها بان سقطت تلك اولا ثم سقطت عليها الحيطان وبئر بالهمز
وقرئ بالتخفيف عطف على قرية اى كم بئر معطلة اى خالية من ساكن مع
وجود الماء والانتفاع فيها لهلاك اربابها وقصر مشيد مجصص مرتفع محكم
اخليته بهلاك اصحابها يعنى وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر رفيع
اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه قيل هذا بئر نزل عليها
صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت
وسمى البقعة بذلك لان صالحا لما حضرها مات افلم يسيروا اى كفار مكة
فى الارض فينظروا ذلك ويعتبروا فيؤمنوا فتكون ليكون لهم قلوب
يعقلون بها بالنظر والعبرة او آذان يسمعون بها التخويف فانها للضمير للقصة
وما بعده خبران اى ان القصة والشان لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور هو تفسير للضمير المبهم وذكر الصدور للتاكيد والتقدير
ان العمى هو القلب لا البصر لما ثبت فى العرف ان مكان العمى هو البصر
فبقى ذلك بفضل تعريف وتبيين بذلك الصدور ويستعجلونك الاية نزلت
لما قالوا متى هذا الوعد والمستعجل بالعذاب هو النضر بن الحارث ولن يخلف
الله وعده فى العذاب وان يوما من ايام الله للعذاب الذى يستعجلونه
عند ربك كالف سنة مما تعدون بالتاء والياء فى الدنيا فى الشدة وهذا
وصف يومهم وطول عذابهم وبيان انه تعالى يقدر على اخذهم متى شاء ولا

يستعجل

يستعجل فاذا كان الامر كذلك فكيف يستعجلونه وكأين بالواو عطف على نحو
ولن يخلف الله وعده اى وكم من قرية امليت اى امهلت لها وهى ظالمة اى كافرة
بربها ثم اخذتها بالعذاب فى الدنيا والى المصير فى الآخرة فيعذب العذاب
الاكبر قل يا ايها الناس اى يا كفار مكة انما انا لكم نذير مبين من الله بلغة تعرفونها
فالذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات اى الطاعات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم
اى حسن فى الجنة والذين سعوا بالتكذيب فى آياتنا اى القرآن معجزين بالتشديد
اى مثبطين الناس عن الايمان وبالتخفيف والالف اى معاندين فى
ابطال آياتنا اولئك اصحاب الجحيم اى اهل النار وقوله وما ارسلنا من قبلك تسلية للنبى
عليه السلام حين حزن بالقاء الشياطين فى قراءته تلك الغرانيق العلى
منها الشفاعة لترتجى وذلك عند قراءته على المشركين سورة والنجم
حتى انتهى الى قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فاتاه
الشيطان فى صورة جبرئيل فالقى ما القى فاغتم رسول الله بذلك
فنزل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى اى قرأ وتكلم
القى الشيطان فى امنيته اى فى قراءته وكلامه بتلقينها الشيطان اياه لحكمة يعلمها
فلا تهتم بذلك فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهب به الله ويبطله ثم يحكم الله
آياته اى يثبتها ولا ينسخها والله عليم بما يلقى الشيطان فى قراءته حكيم يحكم
بنسخه ولما سمع المشركون انه يقرأ ذلك اعجبهم فلما انتهى آخر السورة سجد

وسجد المسلمون والمشركون معه فجاءه جبريل وقال ما جئتك بهذا يا رسول الله
والغرانيق جمع غرنيك بكسر الغين المعجمة وهو طويل العنق من طير الماء
وقيل بمعنى السادات واريد منها اللات والمناة والعزى ليجعل علة
لتمكين الله تعالى الشيطان على القائه ما القى فى قراءة النبى عليه اى تمكنه عليه
ليحصل له ما يلقى الشيطان فتنة اى بلية للذين فى قلوبهم مرض اى للمنافقين و
القاسية اى الذين قست قلوبهم عن ذكر الله وهم المشركون وان الظالمين اى
الجاحدين بالقران لفى شقاق بعيد اى فى خلاف طويل عن الحق وليعلم
المؤمنون الذين اوتوا العلم علم التوحيد والقران انه اى القران الحق من ربك
فيؤمنوا به اى يثبتوا على ايمانهم ويزيد يقينهم فتخبت اى تطمئن وتسكن
له قلوبهم مخلصة وان الله لهادى الذين آمنوا بالقران الى صراط مستقيم اى الى
عمل به يعنى هو حافظ القلوب عن الاعراض ونزع المعرفة منها عند
القاء الشيطان وسوسته ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه اى فى شك من القران
حتى تأتيهم الساعة بغتة اى فجاءة او يأتيهم عذاب يوم عقيم اى عذابا وقع
يوم عقيم موضع القيمراى لا فرح فيه ولا رحمة ولا توبة عن الكفر واصل
العقم المنع وهو يوم القيمة وقيل هو يوم بدر الملك اى الولاية والحكم
يومئذ اى تزول مريتهم لله يحكم بينهم بالحق لا حاكم غيره فى ذلك اليوم فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم اى حكمه فى حق المؤمنين يومئذ

ذلك

ذلك والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اى القرآن فاولئك لهم عذاب مهين اى حكمه فى حق
الكافرين يومئذ انهم فى عذاب شديد يهانون فيه والذين هاجروا فى سبيل الله
اى فى طاعة الله من مكة الى المدينة ثم قتلوا بالتشديد والتخفيف اى استشهدوا
او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا اى فى الجنة او الغنيمة فى الدنيا لمن لم يمت ولم
يقتل وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا بفتح الميم وضمها يرضونه اى الجنة
اذا قتلوا او ماتوا فى طاعة الله لان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وان
الله لعليم بدرجات العاملين حليم عن المسيئ فلا يعجل عليه بالعقوبة نزلت
الآيتان حين قال المهاجرون يا رسول الله ما لنا اذ هاجرنا معك وجاهدنا
فقتلنا او متنا ذلك اى الامر ذلك قوله ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم
بغى عليه نزل فى المسلمين الذين طلب المشركون قتالهم فى الشهر
الحرم فكره المسلمون قتالهم فيها فقاتلهم المشركون فبغوا عليهم فقاتلوهم
فنصر الله المسلمين عليهم فوقع فى انفس المؤمنين من القتال فى الشهر
الحرام ما وقع فقال تعالى ومن جازى الظالم بمثل ما ظلمه الظالم ثم تعدى
عليه لينصرنه الله على ظالمه وسمى ابتداء الفعل بالعقاب وهو اسم للجزاء
والابتداء ليس بجزاء للملابسة له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه
والباء فى الموضعين للسببية ان الله لعفو غفور للمؤمنين بقتالهم فى
الاشهر الحرم وتركهم المندوب اليهم وهو العفو عن الجانى لقوله تعالى

فمن عفى واصلح فاجره على الله ذلك اى المذكور من القدرة والحكم بان
الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل اى يدخل ظلمة هذا فى مكان
ذاك بغيب الشمس ويدخل ضياء ذاك فى مكان ظلمة هذا بطلوع الشمس
وان الله سميع بصير ذلك المذكور من الدلالة والقدرة بان الله هو الحق
الذى لا يجوز ان لا يعبد الا هو وان ما يدعون بالياء والتاء اى يعبدون من
دونه من الآلهة هو الباطل لا يقدر على شىء وان الله هو العلى الكبير اى اعلى واكبر
من ان يشرك به شىء وينسب اليه الولد وان يعدل به الباطل الم تر ان الله
انزل من السماء ماء اى مطرا فتصبح الارض اى تصير مخضرة بالنبات برفع تصبح
لان الاستفهام فى الم تر بمعنى فلا يكون جواب ولو نصب لاختل المعنى اذ لو
كان له جواب يلزم انتفاء كون الارض مخضرة والحال انه يثبت ولم فاصبحت
ليفيد بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان على سبيل الاستمرار ان الله لطيف بانزال
المطر واستخراج النبات به لوصول علمه الى كل شىء خبير بنوعه وشخصه
ومقداره ومكانه او خبير بمصالح خلقه ومنافعهم له ما فى السموات وما فى
الارض من الخلق لا شريك فيه وان الله لهو الغنى عن الخلق وهو عن عبادتهم
الحميد اى المحمود فى فعاله الم تر ان الله سخر اى ذلل لكم ما فى الارض وذلك
الفلك تجرى اى تسير فى البحر بامره ويمسك السماء ان تقع اى كراهة ان تقع على الارض
الا باذنه اى بامره يوم القيمة ان الله بالناس لرؤف رحيم مع شركهم وعصيانهم

حتى يرزقهم فى الدنيا ولا يعجل بالعقوبة وهو الذى احياكم فى الارحام
ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم اى للبعث ان الانسان اى
الكفار بالبعث وهو بديل ابن ورقاء لكفور بالله وبالنعمة اى لا يشكره
ولا يطيعه قوله لكل امة بدون الواو لانه لم يجد معطوفا لتباعد المعنى
عنه بخلاف نظيره المتقدم بالواو اى لكل قوم من امتك جعلنا منسكا
باختلاف ما مر فيه اى مذهبا هم ناسكوه اى ذاهبوه فلا ينازعنك فى الامر من
قوله نازعته اى غلبته اى لا يخالفنك بالمنازعة فى امر الذبيحة او فى
امر الدين وادع اى ادعهم الى ربك اى الى دينه انك لعلى هدى اى على دين
مستقيم وهو دين الاسلام فاعمل به نزل حين قال المشركون للنبى
عليه السلام كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وان جادلوك فى
امر الذبائح او فى امر الدين فقل الله اعلم بما تعملون فيجازيكم وبين ذلك بقوله
الله يحكم بينكم اى يقضى بالحق يعنى بالثواب والعقاب يوم القيمة فيما
كنتم تختلفون من امر الذبيحة او الدين الم تعلم يا محمد ان الله يعلم ما فى السماء
والارض من الخلق واعمالهم ان ذلك اى العلم فى كتاب اى مكتوب
فى اللوح المحفوظ ان ذلك اى العلم على الله يسير اى هين حفظه وكتابته
لا يفوت عنه شىء قوله ويعبدون من دون الله لبيان جهالة المشركين بعبادتهم
ما ليس يستحق لها ما لم ينزل به سلطانا اى حجة لهم فى ذلك وما ليس لهم به علم اى علم معقول

ولا عذر مقبول وما للظالمين من نصير يمنعهم من العذاب واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
اى واضحات يفهمونها تعرف يا محمد فى وجوه الذين كفروا المنكر اى
الانكار والكراهة يكادون اى يقربون يسطون اى يهمون ويثبون بالقرب
والبطش بالشدة لو قدروا بالذين يتلون عليهم آياتنا اى القران وهم اصحاب
النبى عليه السلام معه قل أفأنبئكم اى اخبركم بشر من ذلكم اى باسوء واشد
من ضرركم وبطشكم اوغيظكم على تالى القران هو النار وعدها الله الذين كفروا
وبئس المصير وقيل النار مبتدأ خبره وعدها يا ايها الناس ضرب مثل اى بين
شبه فاستمعوا له انما سماه مثلا وهو ليس بمثل بل صفة او قصة مستحسنة
لان الصفة اذا كانت مستغربة عندهم سموها ببعض الامثال التى يسيرونها
ويشتهر والمراد منه قطع جدالهم بآيات وايقاع عيوب آلهتهم فى اسماعهم
وتبيين جهالتهم الفاحشة فقال ان الذين تدعون اى تعبدونهم من دون الله
من آلهة لن يخلقوا ذبابا اى لن يقدروا على خلق ذباب من الذباب ولو اجتمعوا له
اى على تخليقه الجملة فى محل النصب على الحال كانه قال يستحيل ان يخلقوه
مشروطا عليهم تخلقه ثم ذكر من امر آلهتهم ما هو اضعف من خلق الذباب
بقوله وان يسلبهم الذباب شيئا من حلى الاصنام مع ضعف الذباب لا يستنقذوه
منه روى ان الكفار كانوا يطلون اصنامهم بالعسل والزعفران
واذا جف سلبه الذباب فعجز الاصنام وعابدوها عن اخذه منه ضعف الطالب

الى العابد

اى العابد والمطلوب اى المعبود قوله ما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق عظمته
حيث اشركوا غيره او ما عرفوه حق معرفته حيث لم يعلموا ربوبيته ولم يشكروا نعمه
نزل فى حق اليهود الذين قالوا خلق الله السماء والارض فى ستة ايام ثم استلقى
فاستراح ووضع احدى رجليه على الاخرى وكذب اعداء الله فى وصفه تعالى
ان الله لقوى فى امره وخلقه ليس كمعبودهم بلا قوة عزيز اى منيع فى ملكه ومنتقم
ممن لا يوحده الله يصطفى اى يختار من الملائكة رسلا الى خلقه كجبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت والحفظة الكتبة قوله ومن الناس عطف على الملائكة اى
يختار منهم رسلا كمحمد وعيسى وموسى وابراهيم عليه السلام ارسلهم الى خلقه
ليدعوهم الى دينه ففيه بيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ان الله سميع
لمقالهم بصير لمن يصلح للرسالة فيختاره ويجعله رسولا رد لقول الوليد بن
المغيرة حين قال أأنزل عليه الذكر من بيننا يعلم ما بين ايديهم اى من امر
الآخرة ويعلم ما خلفهم من امر الدنيا والى الله ترجع الامور اى الامر كله اليه
لا يسئل عما يفعل فى حكمه وتدبيره واختيار رسله واليه عواقب امور العباد
فى الآخرة من الثواب والعقاب يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اى صلوا بالركوع
والسجود وانما امرهم بذلك لانهم اول ما اسلموا كانوا يسجدون بغير ركوع واعبدوا
اى وحدوا ربكم واطيعوه بالصوم والزكوة والحج والجهاد وافعلوا الخير اى افعلوا
سائر الخيرات واكثروها ما استطعتم لعلكم تفلحون اى افعلوا راجين الفلاح

عن عذاب الله من غير اعتماد على اعمالكم روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه
فضلت سورة الحج بسجدتين وفي رواية ان لم تسجدهما فلا تقراها وهو حجة
للشافعي في اثبات السجدتين وعند ابي حنيفة هي سجدة صلوة بدليل اقترانها
بالركوع فمعناه اركعوا واسجدوا في الصلوة المفروضة وفي الصلوة التطوع
وجاهدوا في الله اي اعلوا الله حق جهاده اي حق عمله وهو ان يؤدي جميع ما امر الله
به ويجتنب ما نهاك الله عنه تترك رغبة الدنيا لرغبة الآخرة والاضافة الى
ضميره تعالى كانت بادنى ملابسة لان الجهاد مفعول لاجل الله والاصل حق
الجهاد وقيل للنبي عليه السلام اي الجهاد افضل قال كلمة عدل عند السلطان حق
جهاده الكفار وقيل جهاد النفس وهو الاكبر هو اي الله تعالى اجتبيكم اي اختاركم
لدينه ونصرته وما جعل الله عليكم في الدين من حرج اي ضيق بل فتح عليكم باب
التوبة ان اجرمتم واذنبتم وفسح بانواع الرخص وبالكفارات ان عجزتم المعنى
انه جعله واسعا عن كلفة فرخص الافطار في السفر وفي الحضر بالمرض القصر
في الصلوة عند العلة والايماء فيها عند الضرورة ملة ابيكم نصب على الاختصاص
اي اعني بالدين ملة ابيكم او اتبعوا ملة ابيكم ابراهيم بدل من ابيكم لانه ملة سمحة
سهلة لا عسرة فيها ولم يكن ابا لكل الامة بل كان ابا النبي عليه السلام فكان
ابا للامة لان الامة في حكم اولاده هو اي الله تعالى سميكم المسلمين او ابراهيم
والاول اصح بدليل قوله من قبل اي قبل القرآن يعني في الكتب المتقدمة وفي هذا

القرآن

القرآن ايضا والجملة بدل من قوله هو اجتبيكم وانما سماكم الله بهذا الاسم الاعز
ليكون الرسول اي محمد عليه السلام شهيدا اي شاهدا عليكم بانه بلغكم وبانه صدقتموه
وتكونوا شهداء على الناس اي على سائر الامم ان الرسل قد بلغتهم الرسالة فاقيموا
الصلوة اي اتموها في مواقيتها وآتوا الزكوة اي ادوها عن طيبة نفس
واعتصموا بالله اي ثقوا به في كل الامور واعبدوه لما خصكم بهذه الكرامة هو
موليكم اي الله ناصركم في الدين فلا تطلبوا النصرة من غيره ولا الولاية الا منه
فنعم المولى هو اي المتولي عليكم هو الله تعالى يحميكم من باس الاعداء ونعم النصير
ينصركم فلا يغلبه احد سورة المؤمنين مكية بسم الله الرحمن الرحيم عن عمر
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد انزلت علي عشر آيات
من اقامهن دخل الجنة اي عمل بهن ثم قرا قد افلح المؤمنون الى قوله هم فيها خالدون
افلح اي دخل في الفلاح وهو الظفر بالمراد الصالح وقد فيه لاثبات المتوقع
ولما نقيضته قد اي لنفيه ولا شك ان المؤمن يتوقع هذه البشارة وهي الاخبار
بثبوت الفلاح لهم والمؤمن هو الناطق بالشهادتين بالاخلاص قوله الذين
هم في صلوتهم خاشعون وصفهم الذي به يستحقون الفلاح اي الذين هم في صلوتهم
خاضعون متواضعون لا يلتفتون يمينا ولا شمالا قيل الخشوع في الصلوة
خشية القلب والزام البصر موضع السجود واضيفت الصلوة الى المؤمنين
دون الله لان المصلي هو المنتفع بها وحده لكونها ذخيرته والمصلى له غني الحاجة

والانتفاع **والذين هم عن اللغو** اى عن كل باطل **معرضون** لا يلتفتون اليه قيل
كل كلام او عمل لا يحتاج اليه فهو لغو **والذين هم للزكوة** للزكوة المفروضة فى اموالهم
فاعلون اى مؤدون **والذين هم لفروجهم حافظون** عن الحرام **الا على ازواجهم** الاربع
او ما ملكت ايمانهم من السرارى ولم يقل من لكان ما لانه قد يجرى بعض العقلاء
لغير العقلاء وهم الاناث فى كثير من الاشياء **فانهم غير ملومين** عن اتيانهن فى
المأتى المشروع لانه حلال لهم **فمن ابتغى** اى طلب **وراء ذلك** اى بعد ذلك
مع فسحته وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شاء **فاولئك هم**
العادون اى المعتدون من الحلال الى الحرام **والذين هم لاماناتهم** جمع امانة وقرئ
بها وهى كل ما تؤمن عليه كاموال واسرار **وعهدهم** وهو المعاهد عليه من جهته
او من جهة الخلق **راعون** اى حافظون من الخيانة وبالوفاء قيل الراعى هو القائم
على الشئ بحفظ واصلاح وامانة الشرع اولى بالحفظ **والذين هم على صلواتهم** وقرئ
بالجمع **يحافظون** اى يداومون برعاية اوقاتها وباتمامها من غير سهو عنها
والمراد من الصلوة هو المفروضة والنوافل الراتبة واصحابها الذين لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وكررت لانها اعظم العبادات بعد
الايمان ثم بين ثوابهم فقال **اولئك هم الوارثون** اى **الذين يرثون الفردوس** اى منازل
الكفار من الجنة لان لكل واحد من المؤمن والكافر منزلين منزل فى الجنة ومنزل
فى النار فالمؤمن يرث منزل الكافر فى الجنة والكافر يرث منزل المؤمن

من النار

من النار **والفردوس** وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر بنائه
لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر قيل لم يكن احد
من اهل الجنة الا وله نصيب فى الفردوس لان فيه بساتين كثيرة واشجارا
كثيرة عليها حيطان **هم فيها** اى فى الفردوس وانثه بتاويل الجنة **خالدون**
لا يخرجون عنها **ولقد خلقنا الانسان** اى آدم **من سلالة** اى خلاصة سلت من
من لابتداء الغاية اى اخذت من بين الكدر من جميع الارض فقوله **من طين**
بيان لسلالة والسلالة الماء الذى انسل من بين الاصابع اذا عصر الطين
وقيل الانسان ابن آدم لانه من نطفة سلت من طين والطين هو آدم عليه
السلام فقوله من طين صفة لسلالة ومن للابتداء **ثم جعلناه** اى ابن آدم **نطفة**
يعنى جعل الله جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره نطفة **فى قرار مكين**
اى مستقر مكنت فيه هى وهو الرحم اى احرزت **ثم خلقنا النطفة علقة** اى حولناها
قطعة دم **فخلقنا العلقة مضغة** اى حولناها مضغة دم **فخلقنا المضغة عظاما**
فكسونا العظام لحما فخلقنا هنا بمعنى صيرنا فلذلك عدى الى مفعولين الفاء
فى المواضع الثلثة لكون الاول للثانى فيترتب السبب على المسبب فافاد
معنى التعقيب فيها **ثم انشأناه خلقا آخر** اى حيوانا بنفخ الروح فيه بعد الجماد
وناطقا بعد البكم وسميعا بعد الصمم وبصيرا بعد كونه اكمه **فتبارك الله** اى
تعاظم وتعالى عن الشريك **احسن الخالقين** اى احسن المقدرين تقديرا وتفصيلا

والمراد تفصيل خلق الانسان وترك ذكر المميز وهو تقدير الدلالة الكلام الخالقين
عليه وهو تمييز افعل التفضيل لا تاكيد لانه ينصب اسما نكرا على التمييز
خاصة واحسن بدل من الله وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف
اليه عوض عن كلمة من روى ان عبد الله بن ابى السرح كاتب رسول الله
عليه السلام تكلم بذلك قبل املائه فقال رسول الله اكتبه هكذا نزلت فقال
عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبى يوحى الى فلحق بمكة مرتدا ثم اسلم
بعد الفتح وقيل هذه الرواية غير صحيحة لان هذه الآية مكية وارتداده كان بالمدينة
ثم انكم بعد ذلك اى بعد تمام خلقكم لميتون اى يموتون عند انقضاء اجالكم
ثم انكم يوم القيمة تبعثون اى تحيون بعد الموت فلا تكونوا منكرين لذلك كما
لا تنكرون ابتداء خلقكم وذكر الحيوتين لا ينفى الثالثة وهى حيوة القبر
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هذا ذكر قدرة خلق هو اعظم من خلقهم ليستدلوا
به على انه قادر على بعثهم بعد الموت اى خلقنا سبع سموات مع ما فيها من
النيرات التى تطلع وتغرب وسميت طرائق لتطارق بعضها فوق
بعض وكل فوقه مثله فهو طريقه كطارقة النعل او هى طرق الملائكة او
الكواكب لان سيرها فيها قيل كل سماء غلظها مسيرة خمسمائة عام وما بين
كل سمائين كذلك وما كنا عن الخلق غافلين اى لا تغفل عن خلق السموات
وحفظهن من ان تقع عليهم او لخلق الناس اى انما خلقناها فوقهم لتفتح

عليهم الارزاق

عليهم الارزاق وما ينفعهم من انواع المنافع وانزلنا من السماء ماء بقدر
اى بتقدير ووزن يامنون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة اى بمقدار
يكفيكم فى مصالحكم ومعاشكم قيل ليست سنة بامطر من سنة ولكن الله يصرفه
حيث يشاء فاسكناه اى فادخلنا ذلك الماء فى الارض فاخرجنا منه ينابيع قيل
منه القدران والركايا وكل ماء فى الارض من السماء وانا على ذهاب به اى على
ازالته لقادرون بان يغور فى الارض فلا يقدر عليه فيموتون مع دوابهم
عطشا فيجب عليهم ان يستعظموا نعمة الماء ويشكر منعمه دائما ويخافوا
نفاره اذا لم يشكروا عليها فانشأنا لكم به اى بالماء جنات اى بساتين
من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة اى انواعها سوى النخيل والاعناب ومنها
تاكلون قوله وشجرة نصب على العطف على جنات تخرج من طور سيناء بكسر
السين وفتحها هو جبل فلسطين او جبل مصر وايلة ومنه نودى موسى عليه السلام
واضيف طور الى بقعة تسمى سيناء وسينين وتلك الشجرة شجرة الزيتون
وخص الانواع الثلثة النخل والعنب والزيتون بالذكر لانها اكثر الاشجار
نفعا عندهم تنبت بالدهن بفتح التاء وكسر الباء من الانبات فالباء زائدة
فيه ليدل على ملازمة الانبات للدهن وبفتح التاء وضم الباء من النبات
قوله وصبغ للآكلين بالجر عطف على الدهن وهو الادام وهو ما يؤكل بالخبز اى
لا يصبغ اللقمة وان لكم فى الانعام اى فى الابل والبقر والغنم لعبرة اى لعظة

لمن يعتبر بها نسقيكم بضم النون وفتحها مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة
من الاصواف والاشعار ومنها تأكلون من لحومها واولادها والبانها وعليها وعلى الفلك
تحملون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه كما ارسلناك الى قومك فقال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره افلا تتقون اى اتقوه وحده فقال الملأ الذين كفروا
اشرافهم من قومه اى قوم نوح ما هذا الا بشر مثلكم يأكل ويشرب كما تأكلون وتشربون
يريد ان يتفضل عليكم بالرسالة ويترأس ولو شاء الله ان لا يرسل الينا رسولا
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا اى بالتوحيد الذى يدعونا اليه فى آبائنا
الاولين ان اى ما هو الا رجل به جنة اى جنون فتربصوا به اى انتظروا به لتبين
لكم امره حتى حين اى حتى يموت او يفيق من جنونه فتنجوا منه فلما لم
يؤمنوا به دعا عليهم بعد العلم به قال رب انصرنى اى اعنى عليهم باهلاكهم
بما كذبون اى بسبب تكذيبهم اياى فاوحينا اليه اى الى نوح ان اصنع
الفلك باعيننا بمنظر منا يعنى بحفظنا لانه كان يعمل فى الفلك ولا يخطئ
فى عملها ولا يفسد عليه مفسد عمله وهو نصب على الحال ووحينا اى
بالهامنا اليك كيف تصنع او بامرنا فاذا جاء امرنا اى عذابنا وفار التنور
اى نبع الماء من اسفله وهو لنوح او كان لآدم فصار الى نوح فلما
نبع الماء من التنور اخبرته امراته فاسلك فيها اى ادخل فى السفينة
من كل بالتنوين وبغيره اى من كل امة زوجين من كل حيوان اثنين الذكر

والانثى

والانثى روى انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض واهلك اى وادخل اهل بيتك
الا من سبق عليه اى وجب القول منهم اى العذاب قرن بعلى السبق الضار
كما قرن باللام السبق النافع فى قوله سبقت لهم منا الحسنى قيل هو ابنه
كنعان ولا تخاطبنى اى لا تراجعنى بالدعاء فى الذين ظلموا انفسهم بترك
الايمان انهم مغرقون بالطوفان وانما نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة
لحكمة اقتضت اغراقهم وهى علم المفسدة فى استبقائهم لكونهم ظالمين
بعد لزوم الحجة البالغة عليهم ثم امره ان يدعوه بدعاء هو انفع له فقال
فاذا استويت اى ركبت انت ومن معك من اهل الايمان على الفلك فقل
ولم يقل فاذا استويتم فقولوا لانه نبيهم وكان قوله قولهم من الاشعار
بفضل النبوة الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين اى المفسدين بالشرك والمعصية
وقل اذا نزلت من الفلك الى البر واذا دخلت فيها رب انزلنى منزلا
بالكسر مع الفتح بطن الفلك وبالفتح مع الضم مصدر اى انزالا
مباركا وبركته النجاة فيها وانت خير المنزلين بكسر الزاء وبعد اغراق الكافرين
وانجاء المؤمنين قال ان فى ذلك اى فى هلاك قوم نوح ونجاته
مع المؤمنين لايات اى لعبرات لمن بعدهم وان كنا لمبتلين اى وقد كنا
لنختبر بين الناس بالطاعة والمعصية وكنا مهلكين قوم نوح بالبلاء
ليعتبر من بعدهم ثم انشأنا من بعدهم قوما آخرين وهم قوم عاد فارسلنا فيهم ولم

يقل اليهم مع ان حق الارسال ان يعدى بالى لان الامة او القرية جعلت
موضعا للرسالة مجازا فقرنت بفى لان حقه التعدى بفى اى بعثنا
فيهم رسولا اى هودا منهم ان اعبدوا الله اى قال لهم اعبدوه
ووحدوه مالكم من اله غيره افلا تتقون اى اتقوا وآمنوا ثم عطف على قوله
نوح بالواو بقوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة اى
بالبعث واترفناهم اى انعمنا عليهم بنعم كثيرة في الحيوة الدنيا قوله ما هذا
مقول القول اى قالوا ما هو الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
منه ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اذن جواب شرط محذوف
اى انكم ان اطعتموه اذن تخسرون عقولكم وتغبنون ارائكم ايعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم كرر للتاكيد المستحسن لوقوع الفصل
بالظرف بين الاول والثاني مخرجون خبر عن الاول اى يعدكم بانكم مخرجون
من قبوركم اذا متم ودفنتم في الارض هيهات هيهات اى بعد جدا اسم فعل
فاعله مضمر فيه اى بعد التصديق او بعد كونه لما توعدون من البعث وقيل
الفاعل ما واللام زائدة لبيان المستبعد فلا محل لهيهات من الاعراب على
تقدير الفعل وقيل بمعنى المصدر تقديره البعد لما توعدون فهو مبتدأ
وخبر روى هيهات بالفتح والضم بتنوين وغيره وبالسكون على الوقف
ان هي الا حياتنا اى ما الحيوة الا الحيوة الدنيا نموت ونحيا اى نحيا ونموت

بعد الحيوة وما نحن بمبعوثين بعد الموت كما زعم يا هود ان هو اى ما هو
الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين اى بمصدقين بالبعث قال
هود رب انصرني على اهلاكهم بما كذبون قال الله تعالى عما قليل اى عن
زمان قليل وما زائدة لتاكيد قلة المدة ليصبحن اى ليصيرن على تكذيبهم
نادمين واللام في جواب القسم المحذوف فاخذتهم الصيحة اى صيحة جبرئيل
بالحق اى بالعذاب الواجب الوقوع فجعلناهم اى صيرناهم غثاء اى
يابسا او هلكى كغثاء السيل لا ينتفع به وهو ما يحمله السيل على وجهه من الزبد
والورق والعود قوله فبعدا للقوم الظالمين مصدر منصوب بفعل وجب
حذفه لانه من المصادر التي وضعت مواضع افعالها ومعناه بعدوا بعدا
اى هلكوا من رحمة الله يعني فاهلكناهم بالعذاب في الدنيا ثم انشأنا اى
خلقنا من بعدهم قرونا آخرين كقوم صالح ولوط وشعيب ما تسبق اى ما
تتقدم من امة اى امة اجلها يعنى لا تموت قبل المكتوب لها وهو الوقت
الذي عين لهلاكها وما يستأخرون بعد اجلها ساعة ثم ارسلنا رسلنا تترا
متواترا مصدر من المواترة وهي التعاقب في موضع الحال او متواترين
واحدا بعد واحد وقرئ تترا بغير تنوين بمعنى المنون فالفه بدل من التنوين
والتاء بدل من الواو لانه فوعل لا تفعل اذ لا وجود له اسما في الكلام وقيل
هو فعلى اى وترى من تواتر الخبر فالفه للتانيث لان الرسل جماعة والمعنى

ارسلنا الرسل الى اممهم تابعا بعضهم بعضا **كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا**
القرون بعضهم بعضا فى الهلاك **وجعلناهم** بعد اهلاكهم **احاديث** يتحدث
بها الناس بعدهم للتعجب والعبرة قيل او بقى واحد منهم لم يكونوا احاديث
والاحاديث جمع احدوثة كالاعجوبة وقيل اسم جمع للحديث بمعنى الخبر
فبعدا لقوم لا يؤمنون اى اهلكناهم جميعا **ثم ارسلنا موسى واخاه هرون**
بآياتنا التسع **وسلطان مبين** اى بحجة ظاهرة كالعصا والحية وتلقفها
ما افكته السحرة وانفلاق البحر وغير ذلك **الى فرعون وملائه فاستكبروا**
اى تعظموا عن الايمان والطاعة **وكانوا قوما عالين** اى متكبرين **فقالوا**
انؤمن اى انصدق **لبشرين مثلنا** فى البشرية ووصف بالمثل الاثنان لانه
بمعنى المصدر **وقومهما لنا عابدون** اى الحال انهم يعنى بنى اسرائيل مسخرون
ذليلون لنا **فكذبوهما** اى موسى وهرون **فكانوا** اى صار قوم فرعون
من المهلكين فى البحر بالغرق **ولقد آتينا موسى الكتاب** اى التورية **لعلهم**
يهتدون اى قوم موسى بالتورية يعنى بالعمل بشرايعها ومواعظها
وجعلنا ابن مريم اى عيسى آية **وامه آية** اى عبرة لبنى اسرائيل بعد موسى
لان عيسى تكلم فى المهد واحيى الموتى ومريم ولدته من غير مسيس وهما
اثنان قطعا فيكون هذا من قبيل الاكتفاء بذكر احدهما **وآويناهما** اى انزلناهما
الى ربوة بفتح الراء وضمها الى مكان مرتفع هو بيت المقدس قيل انه كبد

الارض

الارض واقرب الى السماء بثمانية عشر ميلا **ذات قرار** اى ارض سهلة مستوية
يستقر عليها ساكنوها **ومعين** اى ذات ماء جار ظاهر على وجه الارض
من المعين وهو الاسرع او من عانه اذا ادركه بعينه فالميم زائدة **يا ايها**
الرسل قيل هو خطاب لمحمد عليه السلام او لعيسى على سبيل التغليب وقيل
خطاب للمرسلين اى قلنا لكل منهم ذلك ليتبعهم الامم وفيه اعلام بان
كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به تحقيق ان يأخذ به ويعمل عليه
كلوا من الطيبات اى الحلالات وقيل الطيبات من الرزق هى الحلال
والصافى والقوام اى الذى لا يعصى الله فيه والذى لا ينسى ذكره والذى
يحفظ العقل والبدن **واعملوا صالحا** اى عملا خالصا **انى بما تعملون عليم**
اى قبل ان تعملوا قيل ان عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل امه وكان
رزق نبينا عليه السلام من الغنايم وهو اطيب الطيبات قال عليه السلام
يا ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا قوله **وان** عطف على كلوا
قرئ بكسر ان على الابتداء وبالفتح على ولان متعلقا بفاتقوا وبان مخففة
من الثقيلة اى ولان الشأن **هذه امتكم** يعنى هذه الملة وهى دين
الاسلام **امة واحدة** حال اى دينا واحدا عليه جميع الانبياء والمؤمنون
بهم **وانا ربكم** اى الحكم الذى شرعته لكم **فاتقون** اى خافوا عذابى فى الطغيو
فتقطعوا اى تفرقوا يعنى الاتباع **امرهم** اى دينهم الذى امرتهم به **بينهم زبرا**

بفتح البا، وضمها اى قطعا يعنى جعلوا دينهم اديانا مختلفة فتحزبوا كل حزب بما لديهم
من الدين فرحون اى راضون بباطله معتقدون على انه الحق ثم تسلى نبيه
عليه السلام وهددهم بقوله فذرهم اى اتركهم فى غمرتهم اى فى جهلهم وعمايتهم
حتى حين اى حتى يقتلون او يموتوا على الباطل وفيه نهى للنبى عليه السلام عن الاستعجال
بعذابهم والجزع عن تاخيره ايحسبون اى ايظنون انما نمدهم اى ان الذى
يعطهم اياه ونزيدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات اى فى طاعات وجملة
نسارع خبران وما موصولة اسمها والراجع من خبران الى اسمها محذوف
تقديره نسارع لهم به بمعنى لانسارع لهم به فيما فيه نفع واكرام بل لايشعرون
اى لايعقلون كالبهايم ان ذلك استدراج ومكر لزيادة الاثم ولكنهم
يتوهمون ان تعجيلنا ذلك لرضانا عنهم ثم اخبر عن المسرعين فى الخيرات
والاعمال الصالحات من المؤمنين فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
اى من عذابه خايفون والذين هم بآيات ربهم القران يؤمنون اى يصدقون
والذين هم بربهم لايشركون معه غيره اى يوحدونه ويعبدونه بالاخلاص
والذين يؤتون ما آتوا اى يعطون ما اعطوا من الزكوة والصدقات
وقلوبهم اى والحال ان قلوبهم وجلة اى خائفة ان لايقبل منهم انهم
اى لانهم الى ربهم راجعون يعنى يوقنون بعثهم بعد الموت للحساب والجزاء
وخبران الذين اولئك اى الموصوف بهذه الصفات يسارعون فى الخيرات اى فى

الاعمال الصالحة ويرغبون فيها اشد الرغبة خوفا عن فوتها وقيل التسارع
فى الخيرات التقلل من الدنيا وترك الاهتمام بها وهم لها سابقون اى لاجل
الخيرات فاعلون السبق لنيلها فى الدنيا والآخرة نزل منزلة اللازم بلا تقدير
المفعول وقيل سابقون الناس لاجلها بتقدير المفعول ولا نكلف نفسا
الا وسعها اى لانظلم منهم احدا بل نأمر كل نفس بقدر طاقتها وان لم يبلغ
السابقين ولدينا كتاب اى عندنا كتاب حافظ هو اللوح ينطق بالحق
بما سطر فيه من الاعمال والاقوال وهم لايظلمون اى لايزاد فى سيآتهم
ولا ينقص من حسناتهم بل قلوبهم اى قلوب اهل مكة فى غمرة اى فى غفلة
من هذا اى من الايمان بالقران او من الذى اعدلهم من العذاب او
من الوصف الذى ذكرنا للمؤمنين ولهم اى للمؤمنين اعمال من دون
ذلك اى سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون لعدم فيثابون لانها
صارت عادة لهم فلا يفطلون عنها فيأتيهم الله بالعذاب قوله حتى اذا
اخذنا حتى فيه هى التى يبتدأ بها الكلام وهو الجملة الشرطية مترفيهم
اى متنعميهم بالعذاب وهو قتلهم بالسيف يوم بدر او بالجوع حين دعا
عليهم النبى عليه السلام وهم اهل قريش حين قال اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف عليه السلام فقحطوا حتى اكلوا
الجيفة والكلاب والعظام المحرقة اذا هم يجرون جواب اذا الشرطية واذا

واذا فيه معنى الفاء الجزائية اى يصيحون ويتضرعون الى الله استغاثة حين
نزل بهم العذاب قلنا لا تجأروا اى تصرخوا اليوم انكم منا لا تنصرون من
عذابنا قد كانت آياتي تتلى عليكم اى القرآن يعرض عليكم وكنتم على اعقابكم تنكصون
اى ترجعون الى شركم مستكبرين اى مستعظمين بالبيت العتيق واستكبارهم به
انهم كانوا يقولون لا يغلب احد علينا لانا اهل بيت الله ويفتخرون به
ولم يسبق ذكر البيت لكونه معلوما عندهم او الضمير في به للقرآن او لمحمد عليه
السلام اى مكذبين به لانهم اذا سمعوا القرآن او راوا محمدا عليه السلام كذبوهما
وازدادوا اكبارا قوله سامرا حال بعد حال قيل هو اسم جمع كالحاضر والسمر الحديث
بالليل لانهم كانوا يسمرون بالقرآن وطعنه حول البيت بالليل وكذا بمحمد عليه السلام
وطعنه بتسميته شاعرا او ساحرا او قوله تهجرون حال اخرى من هجرا اذا ترك
اى يهجرون الايمان بالقرآن والهجر بالفتح الهذيان وهو ترك الصواب
وبالفحش في المنطق افلم يدبروا القول اى القرآن والتدبر احضار القلب
لاعنهم يعني افلم يحضروا قلوبهم في القرآن ليعلموا انه الحق فيؤمنوا به ومن جاء
به ام جاءهم اى بل جاءهم من الامان ومن العذاب ما لم يأت آباءهم الاولين
اى الامم المتقدمة ولذلك انكروه او المعنى بل جاءهم من الامر الشديد ما لم يأت
آباءهم الاولين كابراهيم واسمعيل واولاده حين خافوا الله وآمنوا به
وبكتبه ورسله واطاعوا فان هولاء من عدنان وقحطان ام لم يعرفوا رسولهم اى

بل الم يعرفوا

بل الم يعرفوا نسب رسولهم محمد عليه السلام وامانته وخلقه فهم له منكرون
اى جاحدون حسدا وهو استفهام توبيخ وانكار عليهم لاعراضهم عنه
بعد معرفتهم اياه بصحة نسبه وصدقه وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش
ام يقولون به جنة اى جنون وهم يعلمون انه برئ منها بل جاءهم بالحق اى
القرآن والرسالة عند الله ان لا يعبدوا الا الله وما فيه من الشرائع للاسلام
وهو يخالف هواهم واكثرهم للحق كارهون اى جاحدون واقلهم لا يكرهونه
لان فيهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك
دين آبائه ولو اتبع الحق اى الله او القرآن اهواءهم بان شرعت الشرائع
او نزل القرآن بمرادهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن اى لانقلبت
باطلا لا قوام لها لانه لم يكن الا بقدر ان يمسكها من ان تزولا او لهلكت بالشرك
ولم توجد بمجي الله بيوم القيمة بل اتيناهم بذكرهم اى بما يذكرهم ويخوفهم وهو
القرآن ليؤمنوا به فهم عن ذكرهم اى وعظهم بالقرآن معرضون بترك الايمان
به ام تسألهم خرجا اى انذرهم يا محمد الى الباطل ام تسألهم جعلا
يمتنعون لذلك عن الايمان فخراج ربك اى ثوابه خير او رزقه
من الحلال خير من جعلهم قرئ في الموضعين خراجا فخراج وخرجا
فخرج وخرجا فخراج والفرق بينهما ما تبرعت به والخراج ما لزمك
اداءه وهو خير الرازقين اى افضل المعطين الرزق لاهله وانك لتدعوهم الى صراط

مستقيم وهو دين الاسلام لاعوج فيه وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اى البعث عن الصراط لناكبون اى عادلون عن الدين المستقيم قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اى من قحط وجوع نزل حين جاء ابو سفيان الى النبى عليه السلام وسأله ان يدعو ربه ليرفع القحط عن قريش فقال الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع ربك ليدفع عنهم الضر فاراد النبى عليه السلام ان يدعو الله ليكشف الضر عنهم فقال الله تعالى لو رحمناهم وكشفنا عنهم الضر ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة الرسول والمؤمنين فقوله للجوا جواب لو اى لتمادوا فى طغيانهم وكفرهم يعمهون اى يتحيرون ويترددون ولقد اخذناهم اى الكفار بالعذاب اى الاسر والقتل ببدر فما استكانوا من استفعل من الكون ومعنى استكان انتقل من كون الى كون اى ما انتقلوا من حالهم وما خضعوا لربهم وما يتضرعون اى لم يتضرعوا وعادوا الى كفرهم ولم يقل وما تضرعوا لقوله فما استكانوا ليدل على ان من عادتهم ان لا يتضرعوا حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد كالجوع الذى هو اشد من القتل ببدر والاسر اذا هم فيه مبلسون اى آيسون من كل خير ورزق قيل الابلاس السكوت مع التحير ثم ذكر ما ينبههم به على الاستدلال العقلى ليؤمنوا بالله ويوحدوه بقوله وهو الذى انشأ لكم اى خلق لكم السمع

والابصار والافئدة لتعرفوا هذه النعم وتشكروا ربكم وانما خص هذه الثلثة لتعلق اكثر المنافع الدينية والدنيوية بها فمن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها قليلا ما تشكرون اى ما تشكروه لا قليلا ولا كثيرا وهو الذى ذرأكم اى خلقكم فى الارض واليه تحشرون فى الآخرة وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار اى ذهابه ومجيئه بأمره افلا تعقلون صنع ربكم فتوحدوه وتؤمنوا بالبعث الذى اخبركم عنه بالقرآن بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ءاذا متنا وكنا اى صرنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون اى انبعث بعد ما كنا ترابا وعظاما لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا الوعد من قبل اى قبل محمد ان اى ما هذا القول الا اساطير الاولين اى احاديث بالكذب قل يا محمد لكفار مكة لمن الارض تحت السماء ومن فيها من انواع الخلق ان كنتم تعلمون ان احدا يفعل ذلك غير الله سيقولون لله لا غير قل افلا تذكرون اى الا تتعظون فتذكرون الادلة الدالة على الصانع فتؤمنون بانه قادر على اعادة الخلق بعد الموت قل من رب السموات السبع ورب العرش سيقولون لله قل افلا تتقون اى افلا تخافونه فلا تشركوا به ولا تعصوا رسله قل من بيده ملكوت كل شئ اى خزائنه وقدرة خلقه وهو يجير اى يغيث ويؤمن العذاب ولا يجار عليه اى لا يغاث عليه او يقضى ولا يقضى عليه ان كنتم تعلمون ذلك سيقولون لله قل فانى تسحرون اى تخدعون بالشيطان

الهوى ويصرفون عن الايمان بالحق قرئ الاخيران باللام ايضا حملا على المعنى
لانك اذا قلت من رب هذا فكانك قلت لمن هذا فالجواب باللام ليوافق
الجواب السؤال بل آتيناهم بالحق اى بالتوحيد او بالقران وانهم لكاذبون فى
ادعائهم الشرك لله وتكذيب الرسل واكد كذبهم بقوله ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله اى شريك اذا جواب وجزاء وهو لذهب كل
اله بما خلق كما ترون حال ملوك الدنيا ولاختل نظام العالم بالتماس جمع بعض وبطلب
الجمع الى امر نفسه كل ما خلق بالاستيلا فحيث لم يختل فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت
ملكوت كل شئ سبحان الله تعالى اى تنزيها له عما يصفون له من الشريك والولد
عالم الغيب والشهادة اى عالم السر والعلانية فتعالى اى تنزه عما يشركون
بما لا يعلم شيئا من الغيب والشهادة قرئ عالم بالتحريف تعدى قوله
سبحان الله وبالرفع خبر المبتدا المحذوف قل رب اما ترينى بزيادة ما
والنون المؤكدتين اى ان ترينى ما يوعدون من العذاب فامر نبيه
عليه السلام ان يطلب ان لا يقارنه معهم فى العذاب بعد علمه بالوعد
انه تعالى يفعله بهم يعنى ان ترينى عذابهم البتة فى الدنيا او فى الآخرة
رب فلا تجعلنى معذبا فى القوم الظالمين بعذابهم وكرب رب
افضل يضرع له وانما امره بهذا الدعاء مع انه معصوم هضما لنفسه
واظهارا للعبودية وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون وقد

وهو متقدم ... قوله وما كان من اله ... ولو كان معه
الى ولانفرد كل اله بما خلق ... ولعلا بعضهم على بعض ع

راه ببدر وفتح مكة وغيرهما قوله ادفع امر من الله لنبيه عليه السلام بالعفو
عنهم اى ادفع بالتى هى احسن السيئة اى بالخصلة التى هى احسن الخصال
اى بحلمك جهلهم والاغضاء والصفح عن اساءتهم او بالسلام اذا لقيتهم
وقيل ادفع بقول لا اله الا الله السيئة اى الشرك منهم وهذه منسوخة بآية
السيف ثم هددهم بقوله نحن اعلم بما يصفون لنا من الشريك والولد فلا تعجل
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اى من وساوسهم التى يحثون الناس
بها عن المعاصى واعوذ اى واعتصم بك رب اى يارب ان يحضرون اى
من ان يحضرون مطلقا او عند تلاوة القران او عند الموت او عند
الصلوة واصله يحضروننى فحذف احدى النونين بان تم حذف ياء
المتكلم اكتفاء بالكسرة حتى اذا جاء احدهم الموت اى انهم لا يزالون يشركون بالله
الى وقت مجئ الموت اليهم فحتى متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد
اغضائه عنهم مستعينا بالله من ان يستزله الشيطان عن الحلم او
تقديره امهلهم فى كفرهم حتى اذا حضر احدهم الموت كافرا قال رب ارجعون
خطاب لله تعالى بلفظ الجمع للتعظيم اى الكافر يقول ردونى الى الدنيا
وقيل خطاب لملك الموت واعوانه لعلى اعمل صالحا اى خالصا فيما تركت
من الايمان فى الدنيا يعنى لعلى ومن اواعمل فيه عملا صالحا يرضى به ربى
روى عن النبى عليه السلام انه قال اذا عاين المؤمن الملائكة قالت

لرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الاحزان والهموم بل قدوما الى الله تعالى
واما الكافر فيقول رب ارجعون الى الدنيا فقال تعالى **كلا** وهو ردع له عن
طلب الرجعة واستبعاد لذلك اى انه لا يرد الى الدنيا ابدا **انها** اى مقالته
وهى لعلى اعمل صالحا **كلمة هو قائلها** تحسرا على تفريطه قيل لا يخليها ولا يسكت عنها
لاستيلاء الحسرة عليه او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه **ومن**
ورائهم برزخ الضمير للجماعة من امامهم حاجز يصدهم عن الرجوع وهو القبر
الى يوم يبعثون يعنى لا يرجعون ابدا وهو اقناط كلى لهم عن الرجوع لما علم
انه لا رجعة بعد البعث الا الى الآخرة والبرزخ ما بين النفختين **فاذا نفخ فى الصور**
وهى النفخة الآخرة **فلا انساب بينهم** اى لا ينفعهم النسب **يومئذ** يعنى اذا
بعث الناس فلا انساب بينهم يتواصلون بها او يتفاخرون اذ الانساب
ينقطع بينهم يوم القيمة حيث يتفرقون للعقاب او للثواب الا نسب
الدين لزوال التراحم والتعاطف بين الاقارب لشدة اليوم لانه يوم
يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه **ولا يتساءلون** اى لا يسال
حميم حميما ولا يشكل هذا بقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان
للساعة مواطن لا يتساءلون فى موطن اذ كل مشغول عن سؤال صاحبه
بحالة لشدة الهول فلا يتعارفون وفى موطن يفيقون فيتساءلون
لانهم فيه يتعارفون **فمن ثقلت موازينه** اى اعمال الصالحة على الاعمال

السيئة

السيئة **فاولئك هم المفلحون** اى الناجون من العذاب فى الآخرة **ومن خفت**
موازينه المذكورة اى ثقلت اعماله السيئة على اعماله الصالحة **فاولئك الذين**
خسروا انفسهم قوله **فى جهنم خالدون** اى دائمون بدل من خسروا
انفسهم لا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها من الاعراب
قيل الكفار يأتون يوم القيمة باعمال عظام فاذا وزنوها لم تزن شيئا
كقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا **تلفح** من لفحة النار او السموم اذا
تغير منه لون البشرة يعنى تنفخ وتحرق **وجوههم النار فيها** اى فى النار
كالحون اى عابسون بادية اسنانهم كما ترى الرؤوس المشوية والكلوح
ان تتقلص الشفتان وتتشمر عن الاسنان روى عن النبى عليه السلام انه
النار تشويه فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته
السفلى حتى تبلغ سرته ثم يقال لهم **الم تكن آياتى تتلى عليكم** اى الم
يقرأ القرآن الذى فيه بيان هذا اليوم وشدته **فكنتم بها** اى الآيات
تكذبون اى تنكرون **قالوا** اى اجابوا بقولهم **ربنا غلبت علينا** اى ملكتنا
شقوتنا وقرئ شقاوتنا اى سوء العاقبة الذى كتب علينا فى اللوح
المحفوظ **وكنا** اى صرنا **قوما ضالين** عن الهداية فعند دخولهم
النار يقولون **ربنا اخرجنا منها** اى من النار **فان عدنا** اى رجعنا الى
الكفر وما لغناك **فانا ظالمون** فلا يجابون مدة الدنيا مرتين **قال** اى

اى لم يقل لهم ملك اخسئوا فيها اى ابعدوا فى جهنم اذلاء والخسو زجر
الكلب وابعاده ولا تكلمون فى رفع العذاب عنكم فلا سبيل اليه فانقطع
رجاءهم ثم لا يتكلمون بعد ما الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب
لا يفهمون قوله انه كان فريق من عبادى وهم المؤمنون تعليل لاستحقاقهم
ذلك العذاب اى لان الشأن جماعة من المؤمنين يقولون ربنا آمنا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا بضم السين من التسخير
والخدمة اى سخرتموهم واستعبدتموهم وبالكسر بمعنى الهزء يؤكده قوله
وكنتم منهم تضحكون يعنى استهزأتم بهم حتى انسوكم اى انسأكم استهزاؤكم
بهم ذكرى اى ذكركم اياى والخوف منى والعمل بطاعتى وكنتم منهم تضحكون
فى الدنيا وهم جماعة من المسلمين كبلال وعمار وسلمان وصهيب كان
المشركون يسخرون بهم وباسلامهم ويؤذونهم انى جزيتهم اليوم بما صبروا
اى النعيم المقيم بصبرهم على اذاكم انهم هم الفائزون بمطلوبهم قرئ بكسر
ان وبفتحها على انه مفعول الجزاء ثم قرئ قال اى الله وهو يسألهم
وقيل امر الملك ان يسألهم كم لبثتم فى الارض عدد سنين فى الدنيا او فى
القبر فاستقصروا مدة لبثهم وشكوا فيها قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قرئ
بالهمزة وتركه قوله فاسئل العادين اى الملائكة المحصين اعمال الخلق
واعمارهم ونحن لا نعلم عن عدد تلك السنين لانا مشغولون عن ذلك

بما من

بما من شدة العذاب قيل انساهم ما كانوا فيه من العذاب ما بين النفختين
قال اى المالك ان لبثتم فى الدنيا او فى القبر الا لبثا قليلا لان ايام
السرور قليلة وايام المحنة طويلة لو انكم كنتم تعلمون مدة لبثكم لما اجبتم
بهذا الجواب افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى تخلقكم عابثين او للعبث اى لتلعبوا
وتكونوا كالبهائم بل الحكمة اقتضت ذلك وهى ان تعرفونا وتعبدونا المعنى
افحسبتم انكم تهملون فلا تؤمرون ولا تنهون وانكم الينا لا ترجعون عطف
على انما يعنى اظننتم لا ترجعون الينا فى الآخرة فنجازيكم وقرئ بفتح التاء
وكسر الجيم وبضم التاء وفتح الجيم مجهولا فتعالى الله اى تعاظم عن الخلق
بالعبث الملك الحق اى الذى لا يزول ذاته ولا ملكه لانه لا يخلق الا ما
كان بالحق لا باطل لا اله الا هو رب العرش الكريم اى السرير الذى ينزل منه
الرحمة والبركة ومن يدع اى ومن يعبد مع الله الها آخر شرط وقوله لا
برهان له به اى بدعائه معه ذلك تأكيد لانها يطير بجناحيه يعنى صفة
لازمة له لا ان يكون فى الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان وقوله فانما
حسابه عند ربه جواب من يدع انه لا يفلح الكافرون بيان للجزاء اى انه لا ينج
من عذابه ووضع الكافرين موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع
او حسابه عند ربه عدم الفلاح قوله وقل رب اغفر وارحم امر للنبى عليه
السلام بان يسئل المغفرة والرحمة لنفسه وللمؤمنين تعريضا للكفار

ای یارب تجاوز عنی وعن جمیع ما آمن بی **وانت خیر الرحمین** ای انت ارحم
من غیرک وانما جمع بین المغفرة والرحمة لانه قد یوجد مغفرة بلا رحمة کما لاصحاب
الاعراف مادامو فیها **سورة النور مدنیة** بسم الله الرحمن الرحیم قوله
سورة خبر مبتداء محذوف ای ما اوحینا الیک سورة او مبتداء محذوف الخبر
وانزلناها صفة لها ای فیما اوحینا الیک سورة انزلناها وانما اختصت
بذکر السورة لارتفاعها بذکر الاحکام العظام **وفرضناها** بالتخفیف الزمناکم
العمل بما فیها من الفروض وبالتشدید ای فصلنا احکامها التی فیها **وانزلنا**
فیها ای فی هذه السورة **آیات** ای بالامر والنهی **بینات** ای بلغتکم **لعلکم**
تذکرون ای لکی تتعظوا فیؤمنوا قوله **الزانیة والزانی** مبتدأن خبرها محذوف
عند سیبویه ای فیما فرضنا علیکم الزانیة والزانی اجلدهما او الخبر **فاجلدوا**
وادخلت فیه الفاء لکون الالف واللام بمعنی الذی وهو متضمن بمعنی الشرط
کانه قیل من زنی فاجلدوه وهو حکم من لیس بمحصن فان حکم المحصن الرجم
لا یقال انه عام یتناول المحصن وغیره فیقتضی تعلیق الحکم بهما جمیعا لانا نقول
الزانیة والزانی یدلان علی معنی الجنسیة وهو قائم فی الکل والبعض فایهما
قصد المتکلم فلا علیه کالمشرک یعنی امرءتها **کل واحد منهما مائة جلدة** وقدم
الزانیة علی الزانی ههنا لکونها مادة الجنایة الناشیة عنها ومائة نصب علی
المصدر والجلد ضرب الجلد کقولک بطنه وظهره ورأسه وشرائط الاحصان

ست

ست عند ابی حنیفة الاسلام والحریة والعقل والبلوغ والنکاح الصحیح والدخول
فلا احصان عند فقد واحد منها وعند الشافعی لیس الاسلام لان النبی علیه
السلام رجم یهودیین وحجة ابی حنیفة قوله علیه السلام من اشرک بالله فلیس
بمحصن واجیب بان المراد منه انه لیس بمحصن باحصان الزنا **ولا تأخذکم بهما رأفة**
بالهمزة بلا مد وبها وبمجرد المد وهی المرحمة والشفقة ای لا یأخذکم اللین والمیل
فی استیفاء حدود الله منهما ولکن تصلبوا **فی دین الله** ای فی حکمه اقتداء
بالنبی علیه السلام قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت یدها قوله **ان کنتم**
تؤمنون بالله والیوم الآخر تهییج والهاب لغضب الله ولدینه فی الحدیث
یؤتی بوال نقص من حد سوطا فیقال لم نقصت فیقول رحمة لعبادک فیقال انت
ارحم منی فانطلقوا به الی النار ویؤتی بمن زاد سوطا فیقال لم زدت فیقول لم تنتهوا
فیقول لینتهوا عن معاصیک فیؤمر به الی النار وعن ابی هریرة اقامة حد
بارض خیر لاهلها من مطر اربعین لیلة فیجلد الرجل مجردا قائما لیس علیه الا
ازاره جلدا وسطا لا مبرحا ولا هینا مفرقا علی الاعضاء کلها الا الوجه والرأس
والفرج والمرأة تجلد قاعدة ولا ینزع من ثیابها الا الحشو والفرو وبهذه الآیة
استشهد ابو حنیفة علی ان الجلد حد غیر المحصن بلا تغریب واحتج الشافعی
علی وجوب التغریب لقوله علیه السلام البکر بالبکر جلد مائة وتغریب عام
قیل انه محمول علی وجه التعزیر والتأدیب من غیر وجوب **ولیشهد** ای لیحضر **عذابهما**

اى حدها طائفة من المؤمنين اقلهم واحد او اثنان او اربعة او عشرة على الاختلاف
لتكون رادعا للامام ان احتاج اليهم ولانه ابلغ في الزجر وافضح قوله الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة نزل حين استأذن اصحاب الصفة رسول الله عليه
السلام ان ينكحوا الزواني في المدينة وكانت لهن علامات يعرفن بها وكن
اكثر اهل المدينة خيرا والمدينة غالية السعر وقد اصابهم الجهد والفاقة وقالوا اذا اغنانا
الله بالخير نطلقهن وننكح المسلمات فمنعهم الله تعالى عن ذلك بهذه الآية ومعناه
ان الزاني لا يرغب في نكاح الصالحة من النساء وانما يرغب في فاسقة زانية من
شكله او في مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اى وكذا لا يرغب في نكاحها
الصالح من الرجال وينفر عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة
او المشركين فمعنى الجملتين الاولتين متغايران احدهما صفة الزاني والآخر
صفة الزانية وقدم الزاني على الزانية فيها لان الرجل اصل في النكاح من حيث
انه هو الطالب ومنه يبدأ الخطبة وحرم ذلك اى نكاح الزانية ورغبته
فيها على المؤمنين اى الممدوحين عند الله لما فيه من التشبه بالفساق
وحضور مواقع التهمة والغيبة قيل كان التحريم في اول الاسلام ثم نسخ
بقوله وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في ايامى المسلمين عن ابن مسعود
انه كان يحرمه ويقول اذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان وقيل
نسخه الاجماع والذين يرمون الآية نزلت في حسان بن ثابت حين تاب

ما قال في

مما قال في عائشة رضي الله عنها اى الذين يقذفون المحصنات اى العفائف
ثم لم يأتوا باربعة شهداء يشهدون بالقذف فاجلدوهم ثمانين جلدة
ان كان قاذف حرا واربعين ان كان عبدا والمراد القذف بالزنا لذكره
اربعة شهود فانه بغيره يكفي شاهدان وان كان المقذوف زانيا عزر
القاذف ولم يحد الا ان يكون المقذوف مشهورا بما قذف به فلا حد ولا تعزير
ومعنى القذف ان يقول للحر البالغ المحصنة يا زانية او المحصن يا زاني يا ابن
الزاني يا ابن الزانية والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب
الخمر فعليه التعزير ولا يبلغ ادنى الحد اى حد العبد وهو اربعون بل ينقص منه
وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة
واجتماع الشهود في الشهادة شرط عند ابي حنيفة ويجوز ان يحضروا متفرقين
عند الشافعي ولا يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم عنده خلافا لابي
حنيفة ويجلد القاذف كما يجلد الزاني الا انه لا ينزع من الثياب الا ما ينزع
عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا في كيفية الجلد مثل الزانية قوله
ولا تقبلوا لهم اى قاذفين شهادة ابدا عطف على قوله فاجلدوهم فرد
لبعضهم شهادة القذف (القاذف) المحدود مؤبدا وان تاب وحسنت حاله بهذه الآية
لكن اسم الفسق يزول عنه اذ استأنف قوله واولئك هم الفاسقون اى العاصون
عند ربهم ثم استثنى منه الا الذين تابوا من بعد ذلك اى بعد القذف وحده

عن القذف واصلحوا حالهم بالعمل الصالح فيكون المستثنى منصوبا لانه من كلام
موجب وان جعل الاستثناء من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة فلا وقف
على ابدا ويكون المستثنى مجرورا بدلا من هم في لهم فتقبل شهادة القاذف
المحدود اذا تاب وحسنت حاله عند جماعة منهم الشافعي ومالك فعندهما
يتعلق رد الشهادة بنفس القذف فاذا تاب عن القذف عاد مقبول الشهادة
وعند ابي حنيفة يتعلق الرد باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل
استيفائه قبلت شهادته واذا استوفي لم يقبل وان تاب فتمسك
الكل بالاية وابو حنيفة جعل جزاء الشرط الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد
على التابيد وكان القاذف مردود الشهادة في مدة حياته وجعل قوله
واولئك الاية كلاما مستانفا غير داخل في حيز الجزاء كانه حكاية حال
الرامين عند الله والا الذين استثناء من الفاسقين ويدل عليه فان
الله غفور رحيم يغفر ذنوبهم فلا ينسبون الى الفسق بعد الجلد ورد الشهادة
عنهم والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى
مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا
بالجملة الثانية وظاهر النص يدل على ان الجمل الثلث جواب الشرط بالعطف
تقديره من قذف المحصنات فاجلدوه وردوا شهادته وفسقوه فيكون
الجملة الثالثة في معنى الامر ليصح العطف على ما قبله واعلم ان الكافر اذا

اذا قذف

اذا قذف وتاب عن الكفر تقبل شهادته بالاجماع لان المسلمين لا يعبأون بسب
الكفار لانهم شهروا بالعداوة والطعن بالباطل لاهل الاسلام فلا يلحق
المقذوف عار وشين بقذفهم قيل لا يجوز العفو عن القاذف بعد ثبوت
الحد لا للامام ولا للمقذوف ولا يصلح بمال ولا يورث الحد عند ابي حنيفة واذا
تاب قبل ثبوته قبل وسقط الحد قيل اشد الضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم
ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب
وانما عوقب صيانة للاعراض والذين يرمون اي يقذفون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء يشهدون بالقذف الا انفسهم بالرفع صفة لشهداء اي
غير انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله والباء يتعلق بشهادات
لا بشهادة لئلا يفصل بينهما بالخبر وقرئ اربع بالنصب بفعل مضمر وخبر
المبتدأ محذوف تقديره فشهادة احدهم واجب ان يشهد اربع شهادات
بالله ليدرأ عنه الحد ان لم يكن الاعتراف ومعمول شهادات قوله انه لمن
الصادقين واللام في الخبر يمنع فتح انه والخامسة اي الشهادة الخامسة
ان لعنة الله عليه بتشديد ان ونصب الاسم وتخفيفه ورفع الاسم اي ان
يلعن الزوج نفسه ان كان من الكاذبين فيما قذف زوجته به من الزنا فاذا
لاعنها الزوج وجب عليها الحد ويدرأ عنها العذاب اي يدفع حد الزنا
ان تشهد اربع شهادات فان مع ما بعدها فاعل يدرأ قوله بالله متعلق

تشهد قوله انه لمن الكاذبين فيما قذفها به نصب تشهد والخامسة بالرفع وبالنصب
اي الشهادة الخامسة من المراة ان تشهد ان لعنة الله عليها ان كان الزوج
من الصادقين فيما قذفها به من الزنا وتخصيص غضب الله بالمراة في الخامسة
لتغليظ عليها لانها منبعة الفجور كما مر من قبل قيل قاذف امراته اذا كان
مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود في والمراة بهذه الصفة صح اللعان بينهما
اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او نحو ذلك
ولا يصح الا عند الحكم او نائبه وينبغي للحاكم ان تلقن الرجل كلمات اللعان
فيقول قل اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا ويقول
الزوج كما يلقنه الحاكم يقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين
فيما رميت به فلانة واذا اتى بكلمة منها بلا تلقين الحاكم لم يحسب فاذا فرغ
من اللعان وقعت الفرقة بينهما وحرمت عليه ابدا وانتفى عنه النسب
وسقط عنه حد القذف ووجب عليها الرجم ان كانت محصنة والجلد
والتغريب ان لم يكن محصنة عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا يقع
الفرقة الا بتفريق الامام لا بنفس اللعان ويدراء عنها الحد اذا لاعن
الزوج بان يشهد اربع شهادات بالله ان زوجي لمن الكاذبين فيما
رماني به وتقول في الخامسة وغضب الله علي ان كان من الصادقين
فيما رماني به ويكون ذلك بتلقين الحاكم واذا لاعن الزوج لم تمتنع

اذا

الزوجة حبست حتى تلاعن او تعترف ومن صحت يمينه صح لعانه حرا كان
او عبدا مسلما كان او كافرا وعند ابي حنيفة لا لعان الا بين مسلمين حرين
بغير محدودين ويقام الرجل قائما حتى يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة والمراة
والرجل قاعدا حتى تشهد والفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة لا تابيد
حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فقد جاز ان يتزوجها وعند الشافعي
فرقة بغير طلاق متابدة حكمها ليس لهما ان يجتمعان بعد ذلك بوجه قال المفسرون
نزلت هذه الآيات في هلال بن امية وامراته حين وقد معها رجلا وقيل في
امية بن هلال حين قذف امراته بشريك بن سمحاء فلاعن بينهما رسول
الله عليه السلام ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا بفضل الله عليكم ولولا
ان الله تواب حكيم حكيم بحكم بالملاعنة اعذبكم وهو جواب لولا قوله ان الذين
جاؤا بالافك عصبة منكم نزل في شان قذف عائشة يصفون الافك
الافتراء والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وهي خبر ان منكم صفته
لا تحسبوه اي الافك ايها القذفون شرا لكم بل هو خير لكم بان تثابوا
وتظهر براءتكم لكل امرئ منهم اي من الافكين وهم عبد الله ابن ابي وزيد
بن رفاعة ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ومن
ساعدهم ما اكتسب من الاثم اي العقوبة بقدر ما شرع فيه لان بعضهم تكلم
بالافك وبعضهم ضحك وبعضهم سكت ولم ينههم والذي تولى كبره اي كبر الافك

بكسر الكاف وضمها معظم الشيء اى الذى تحمل معظم الافك منهم اى
من الافكين وهو حسان او ابن ابي له عذاب عظيم اما حسان فعمى بعد ذلك
واما ابن ابي فمات منافقا وكان راس النفاق لولا اى هلا اذ سمعتموه
اى الافك وهو قذف عائشة بصفوان ظننتم كما ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم اى بامهاتهم او اهل دينهم خيرا لانهم كنفس واحدة يعنى هلا
ظننتم كظنكم ومثلهم كقولهم فيه التفات والاصل ان يقال ظننتم بانفسكم
بالخطاب وانما عدل عنه ليبالغ فى التوبيخ بطريق الالتفات وليشير الى
ان الايمان يقتضى ذلك فاذا سمع مؤمن او مؤمنة قاله فى حق اخيه واخته
بنى الامر فيها على ظنه بالخير كما هو شان المؤمنين وقالوا حملا بالفهم هذا
اى هذا القذف افك مبين اى ظاهر ثم بين الحكم فى القذف فقال
لولا جاؤا عليه بلفظ الماضى والمراد المستقبل اى هلا يجيئون على
القذف باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
فى قولهم يعنى اطلبوا منهم اربعة شهداء فان لم يأتوا بها فاقيموا عليهم
الحد على ابتنائه ولولا فضل الله عليكم ايها الكاذبون بالامهال لان
تتوبوا ورحمته بان رحم عليكم فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم اى خضتم
فيه من حديث الافك عذاب عظيم اى دائم فى الآخرة ولولا هذه
هى الامتناعية والاولى بمعنى هلا قوله اذ تلقونه ظرف لافضتم او لمسكم

اى اذ يأخذه

اى اذ يأخذه الافك بعضهم من بعض بالسنتكم برواية البعض عن البعض
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم ومعنى بافواهكم مع ان القول لا يكون
الا بالفم هو ان المعلوم من الشيء يكون علمه فى القلب اولا ثم يجرى على اللسان
وهذا الافك ليس الا قولا يجرى على السنتكم من غير علم به فى القلب وتحسبونه
اى ذلك القول هينا اى صغيرة وهو عند الله عظيم كبير الوزر اى كبيرة
ولولا اذ سمعتموه قلتم فصل بين لولا وقلتم بالظرف اتساعا اذ الظرف ينزل من
الاشياء منزلة انفسها لانها محال لها لا تنفك عنها وانما قدم الظرف
للاهتمام بالتحامى عن التكلم بالافك اول السماع ما يكون اى لا ينبغى لنا
ان نتكلم بهذا الافك سبحانك هذا بهتان عظيم فيه بيان فضل عائشة
لان الله نزهها بلفظ نزه نفسه وهو سبحانك اى سبحان الله ان يكون زوجة
النبى عليه السلام زانية يعظكم الله ايها الخائضون فى امر عائشة
ينهاكم الله عنه ان تعودوا اى كراهة ان تعودوا لمثله اى الخوض
ابدا ان كنتم مؤمنين بالله وبرسوله وباليوم الآخر ويبين الله لكم الآيات
اى ايات الامر والنهى والله عليم يعلم احوال الخلق حكيم يحكم بينهم
بالحق قوله ان الذين يحبون نزل فى ابن ابى واصحابه الذين يريدون
ان تشيع الفاحشة اى الزنا فى الذين آمنوا كعائشة وصفوان لهم
عذاب اليم وهو فى الدنيا الحد وفى الآخرة النار والله يعلم براءة عائشة

وكذب الى يفضين وانتم لا تعلمون ذلك ونزل في مسطح من المهاجرين
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم والجواب لعذبكم وفي تكرير
ولولا فضل الله عليكم وحذف الجواب زيادة مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ
لهم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اى تزيينه في قذف
عائشة وصفوان وسائر المؤمنين ومن يتبع خطوات الشيطان فانه اى الشيطان
يامر بالفحشاء اى بالقبيح بالافراط والمنكر وهو ما لا يعرف شرعا وتنفر عنه
النفوس قوله فانه اقيم مقام الجواب اى وقع في الفحشاء والمنكر لان الشيطان
يامر بهما ولولا فضل الله عليكم ايها المؤمنون ورحمته بكم في الدين ما زكى اى ما طهر
من دنس اثم الافك منكم من احد ابدا ومن زائدة واحد فاعل زكى ولكن الله يزكي
اى يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا اخلصوها من يشاء والله سميع لقولهم عليم
بضمائرهم قوله ولا يأتل اولوا الفضل منكم نزل في ابى بكر حين حلف ان يقطع
نفقته عن مسطح بن خالته لخوضه في عائشة وكان فقيرا بدريا مهاجرا
ينفق عليه ابو بكر من الايتلاء وهو الحلف اولوا الفضل منكم والسعة في المال
ان يؤتوا اى على ان يعطوا ويحسنوا الى المستحقين للاحسان لجناية اقترفوا
ومفعول يؤتوا اولى القربى اى ذوى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل
الله وليعفوا اى ليتجاوزوا عن خطائهم وليصفحوا اى ليعرضوا عن ذنوبهم
لا يحلفوا على ان يحسنوا اليهم ولا تقصروا فيه فليعودوا عليهم بالعفو

والصفح

والصفح الا تحبون ان يغفر الله لكم اذا عفوتم فقال ابو بكر بلى احب ان
يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته والله غفور رحيم اى يغفر ذنوب
المؤمنين ويرحمهم قوله ان الذين يرمون المحصنات نزل في شان قذف
ابن ابى عائشة وانما قال بالجمع لانها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها
ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان او لان من قذف واحدة
من نساء النبى فكانه قذف جميعا اى ان الذين يقذفون المحصنات وهي
العفاف عن الفواحش الغافلات عن الاهتمام بالفاحشة المؤمنات اى السليمات
القلوب التى ليس فيهن مكر النساء وحيلهن لعنوا في الدنيا والآخرة اى جعل القذفة
ملعونين في الدارين جميعا ولهم عذاب عظيم اى دائم في الآخرة اذ ليس
لهم توبة فالمراد من المحصنات زوجات النبى عليه السلام لان من قذف
مؤمنة غيرهن فقد جعل الله له توبة يوم اى اذكر يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون من الافك والزنا وغيرهما قوله
يومئذ نصب بقوله يوفيهم اى يوفرهم الله دينهم الحق بالنصب
صفة الدين وبالرفع صفة الله يعنى يتم جزائهم الواجب الذي يجازون
عليه اعدل الجزاء يوم القيمة ويعلمون ان الله هو الحق المبين اى لا يشكون في
انه هو العادل الظاهر لا ظلم في حكمه ومن هذا وصفه فحق مثلك ان يتقى
ويجتنب محارمه الخبيثات اى الاعمال الخبيثات تعد للخبيثين من الناس

والخبيثون منهم للخبيثات وكذا الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
وانما كررت الصيغتان لقصد التأكيد والايذان بان كل واحد من
افرادهما لا يصلح الا لصاحبه ويجوز ان يراد بالخبيثات والطيبات النساء
اى الزناة يتزوجون الزوانى وبالعكس وكذلك اهل الطيبات والعفائف
للعفيفين وبالعكس اولئك اى الطيبون والطيبات او عائشة وصفوان
لان اقل الجمع اثنان مبرؤن اى منزهون مما يقولون اى الخبيثون
والخبيثات فيهم من القذف لهم اى للطيبين والطيبات مغفرة من
من ذنوبهم لاجل الافتراء عليهم ورزق كريم اى الجنة ثم قال الله تعالى
تعليما للادب ورفعا للتهمة عن اهل الايمان يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
اى لا تدخلوا غير بيوتكم حتى تستأنسوا فحتى غاية لنهى الدخول اى حتى تستأذنوا
من الاستيناس الذى هو الاستعلام ويجوز ان يكون من الاستيناس
الذى هو ضد الاستيحاش لان من يطرق باب غيره لا يدرى ايؤذن له
ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس وعن النبى
عليه السلام فى معنى الاستيناس حين سأل عنه فقال هو ان يتكلم الرجل
بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن اهل البيت وتسلموا على اهلها
والتسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع
ذلكم اى الاستيذان والتسليم خير لكم من تركه ومن تحية الجاهلية وهى حييتم

صباحا

صباحا وحييتم مساء ومن دخول البيت بلا اذن لانه اذا دخل بلا اذن
فلما صادف الرجل مع امرأته فى ثوب واحد فنهوا عن ذلك بهذه الآية
قال بعضهم ان رأى انسانا قدم التسليم وان لم يره قدم الاستيذان
ثم يسلم روى ان رجلا قال يا رسول الله استأذن على امى قال نعم فقال
ليس لها خادم غيرى قال اتحب تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم
تذكرون اى تتعظون فان لم تجدوا فيها اى فى البيوت احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم
فى الدخول وان قيل لكم عند الاستيذان للدخول ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا فى
الدخول هو اى الرجوع ازكى لكم اى اطهر لقلوبكم من الريبة والدخول
بغير اذن ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح
فى قلوب الناس واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهية وجب الانتهاء
عن مقدماته من قرع الباب بعنف والتصيح لصاحب الدار وغير
ذلك من العادات مما يستكره عندهم فان عرض امر فى دار من حريق
او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره جاز الدخول بغير اذن لانه
يستثنى بالدليل والله بما تعملون عليم من خير وشر ونزل فى الخانات
والبيوت على ظهر طريق لا نكير فيها قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا
غير مسكونة فيها متاع اى منفعة لكم كالاستكنان من الحر والبرد وحفظ الامتعة
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اى تظهرونه وما تسترونه قل للمؤمنين يغضوا اى يكفوا

من ابصارهم من تبعيض لان المراد المنع من النظر الى ما يحل الا يرى ان
المحارم لا بأس بالنظر اليها وكذلك الجوارى المستعرضات ويحفظوا فروجهم
عن الزنا ولم يدخل فيه من لان امر الفرج مضيق لا رخصة للزنا فيه بوجه ما
ويجوز ان يراد من حفظ الفرج سترها والنظر اليها ذلك اى غض البصر وحفظ
الفرج ازكى لهم اى اطهر لقلوبهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن
من ابصارهن عن النظر الى الحرام ويحفظن فروجهن عن الزنا وقدم غض
البصر عليه لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن اى لا يظهرن الاشياء
من الزينة التى لا تستر غالبا كالثياب والخاتم والكحل والخضاب فانه لا بأس
باظهاره للاجانب لما في النهى عن النظر اليها حرج وليضربن بخمرهن جمع خمار
وهو ما تستر به كمقنعة ونقاب على جيوبهن اى صدورهن ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن اى ازواجهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء
بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن فيجوز النظر لهؤلاء كلهم
من النسب والرضاع الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة
والركبة الا الزوج ويكره له النظر الى ذات الفرج قيل ولم يذكر الاعمام
والاخوال لئلا يصفها العم عند ابنه وكذا الخال او نسائهن اى نساء دينهن
حتى لا تبدين زينتهن الا النساء الحرائر والاماء المسلمات فيجوز نظر المسلمة
الى المسلمة سوى ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمسلمة ان تكشف للكافرة

لا تقاليت

لا تقاليت من نسائها ويجوز كشف بدنها الى امة مشركة لها او ما اى الا الذى
ملكت ايمانهن من العبيد اذا كان عفيفا فيجوز له النظر الى بدن مولاته سوى ما
بين السرة والركبة لظاهر الآية وقيل المراد من الآية الصغار منهم وقيل الاماء
دون العبيد فحولا كانوا او غيرهم او التابعين اى الا للتابعين لكم للخدمة
غير اولى الاربة من الرجال بالنصب استثناء من التابعين وهم الذين يتبعونكم
لاجل طعامكم او حال وبالجر صفة التابعين او بدل منه والارب والاربة
الحاجة والمراد من غير اولى الاربة غير ذوى الحاجة الى النساء بان لا يطيق
غشيانهن ولا يشتهين ولا يشتهينه لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن
او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او يكون بهم عنة
او الطفل اى الاطفال بدليل الذين لم يظهروا اى لم يطلعوا على عورات
النساء اى لا يعرفون ما العهدة وكما يعرفها البالغ قوله ولا يضربن
بارجلهن نزل نهيا عن الاعلام بالخلخل اذ انت المرأة تضرب احدى رجليها
بالاخرى ليعلم ما يخفين من زينتهن اى ليعرف انها ذات خلاخيل قوله وتوبوا
الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وصية لجميع المؤمنين بالتوبة
ورجاء الفلاح بعدها من كل ما وقع التقصير منهم فى الامر والنهى باعتبار قدرة
العبد على رعاية الامر والنهى اذ لا يخلو من تقصير ما قرئ بضم الهاء وفتحها وانكحوا
الايامى منكم اى زوجوا من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا

جمع ايم اصلها ايايم فقلبت قلبا مكانيا فصار ايامى وهو امر ندب لقوله عليه السلام
من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه عليه السلام اذا اتى على امتي مائة
وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وروي
عن الشافعي ان التخلي للعبادة افضل وعند ابي حنيفة النكاح افضل و الصلحا
الصالحين من عبادكم وامائكم اي ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وهو القيام
بحقوق النكاح ليحصن دينهم به ويحفظ عليهم صلاحهم ان يكونوا فقراء يغنيهم
الله من فضله اي من رزقه وفيه دليل على ان للعبد ملكا عن النبي عليه السلام
التمسوا الرزق بالنكاح والله واسع اي غني ذو سعة عليم يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر وليستعفف اي ليطلب العفة عن الزنا الذين لا يجدون نكاحا
اي قدرة النكاح او اسباب النكاح من مهر ونفقة حتى يغنيهم الله من فضله اي حتى
يوسع عليهم من رزقه وهو وعد وترجية للمستعففين ليكون انتظاره ربطا
على قلوبهم ولطفا لهم في استعفافهم الآن يرزقوا الوسعة فيه والذين
يبتغون اي يطلبون الكتاب اي المكاتبة مما ملكت ايمانكم وهو ان يقول
لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي في نجمين او اكثر مؤجلا ولا يجوز عند
الشافعي حالا ولا على نجم واحد وجوزه ابو حنيفة حالا منجما وغير منجم واذا اديت
ذلك فانت حر ويقبله العبد فاذا اداه عتق وملك كسبه ويتبعه اولاده
الحاصلة في حال الكتابة في العتق وولاؤه لمولاه فان عجز عن الاداء حل للمولى

فسخ الكتابة

فسخ الكتابة ورده الى الرق قوله فكاتبوهم امر ندب عند الاكثرين ان علمتم
فيهم خيرا اي صدقا ووفاء وامانة قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للمؤمنين
على وجه الندب وقيل على وجه الوجوب باعانة المكاتبين وقيل هو ايجاب على الموالي
ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يعطوا اجبروا عليه وهو مذهب الشافعي
وعن علي يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء اي جواريكم على الزنا ان اردن اي اذ طلبن تحصنا اي تعففا
عن الزنا وانما فسر ان باذ لان اكراههن على الزنا لا يجوز ان لم يردن التحصن
وانما اوردت ان موقع اذ ليؤذن ان الجواري الزانية كن يفعلن ذلك بالطوع ورغبة
غالبا وقيل هو شرط مقحم ليحصل المبالغة في النهي عن الاكراه لان الاكراه لا يتأتى
الا مع ارادة التحصن اذ المطيعة للبغاء لا تسمى مكرهة ولا امره اكراها
ويختار بعضهم الوقف على البغاء ويبتدى بالشرط بتقدير الجواب وهو ان اردن
تحصنا فقد اصبن في الدين وقيل الشرط يتعلق بقوله وانكحوا الايامى والاما
لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا يتعلق بقوله لا تكرهوا اي لا تجبروهن على الزنا
ليطلبوا اموالا بكسبهن وبيع اولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد
اكراههن غفور رحيم لهن ولهم ان تابوا واصلحوا قيل لا حاجة الى تعليق المغفرة
بهن لان المكرهة على الزنا غير آثمة اجيب بان المغفرة ههنا بيان عدم
الاثم لهن بالاكراه واما الرجل فلا يحل له الزنا بالاكراه عليه لان الفعل

من جهته ولا يأتي الا برغبة منه وكان كالقتل بغير حق لا منجه الاكراه مجال ولقد
انزلنا اليكم آيات مبينات اي موضحات الحلال والحرام او مفصلات بها من الاحكام
والحدود وقرئ بالكسر والفتح في جميع القران ومثلا اي انزلنا مثلا
من امثال الذين خلوا اي مضوا من قبلكم يعني قصة عجيبة من قصصهم كقصة
يوسف ومريم فقصة عائشة منها وموعظة للمتقين اي وانزلنا ما وعظ به
المتقون من الآيات نحو ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله ولولا اذ سمعتموه
الآيتين الله نور السموات والارض اي الله ناشر الحق فيهما وهو كالنور في
بيانه وظهوره او هو منورهما بنور الشمس ونور القمر او الله هادي من فيهما بنوره
مثل نوره اي صفة نور الله الحق في الاضاءة في قلب النبي عليه السلام
والمؤمن كمشكوة اي كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها
مصباح اي سراج ثاقب المصباح في زجاجة اي في قنديل من زجاج لان الضوء
في الزجاج اظهر ثم شبه بالكواكب في زهريته فقال الزجاجة كانها كوكب دري
بضم الدال بلا همز ومع همز وبكسر الدال مع همز وهو من الكواكب الدراري
وهي الكواكب المشهورة كالمشترى والزهرة والمريخ ونسب الكوكب الى الدر
بالضم لفرط ضيائه اي ابيض متلألئ فوزنه فعلي وهو مع المد والهمز من
الدرء هو الدفع لان الكواكب يدفع الظلمة بضيائه فوزنه فعيل وكذلك
مع كسر الدال فيهما يوقد اي الزجاجة والمصباح اذا قرئ بالتاء والياء

مخففا

مخففا مجهولا وقرئ بفتح التاء والقاف مشددا مع ضم الدال اصله
تتوقد معلوما بلفظ التأنيث اي تتوقد الزجاجة من شجرة اي من زيت
شجرة مباركة اي كثيرة الخير والنفع لان زيتها ادام وفاكهة ومصحة
للباسور وهي الدمل في المقعد وحواليه قوله زيتونة بدل من شجرة متصفة
بقوله لا شرقية ولا غربية لانها بين الشجر لا يصيبها الشمس فهي ناعمة
غضة او هي في خط الاستواء بين المشرق والمغرب فلا يوصف
بواحد منهما فلا يصل لها حر ولا برد مضرين قوله يكاد زيتها صفة لزيتونة
اي يقرب زيتها لصفائه يضيء ولو لم تمسسه نار زد كانه لفرط ضيائه نور
على نور اي نور المصباح على نور الزجاجة يعني هو نور متضاعف
تناصر فيه المشكاة والمصباح والزجاجة والزيت لان المصباح
اذا كان في مكان ضيق اجمع للضوء بخلاف الواسع لانه ينتشر
فيه والقنديل اعون على زيادة الانارة وكذا الزيت لصفائه و
تلألئه وهذا تمثيل للحق مع النبي عليه السلام الذي هو ضد
الباطل شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فالمشكوة صدر النبي عليه
السلام والزجاج قلبه والمصباح نور النبوة فيه ومن شجرة
مباركة شجرة النبوة يكاد زيتها يضيء اي يكاد امر النبي يتبين للناس

اذ نبي ولو لم يتكلم بالحق كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار
او هو تمثيل لنور المعرفة والشجرة المباركة لكلمة الاخلاص الثابتة فيه
التي ليست بقدرية ولا جبرية وقيل تمثيل للقرآن فالمصباح القرآن
والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة
الوحي يكاد زيتها يضيء اي حجة القرآن تظهر وان لم تقرأ نور على
نور اي نور من الله على خلقه مع ما اتاهم من الدلائل قبل نزول القرآن
فبذلك ازداد يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده
اي يوفقه لاصابة الحق بنور البصيرة ويضرب الله اي يبين الامثال للناس
منة عليهم ليفهموا فيؤمنوا لان المثل كالمرآة يظهر عنده الحق والله بكل
شيء عليم اي لا يخفى عليه شيء ما من ضرب الامثال وغيره في بيوت
يتعلق بمحذوف اي سبحوا فيها او يتعلق بيسبح بعده او بما قبله من قوله
يوقد اي مثل نوره كما ترى في مشكاة توقد في بيوت هي المساجد من نور القناديل
او بمشكاة او بالمصباح اي كمشكاة في بيوت او المصباح في بيوت
اذن الله ان ترفع اي تعظم وتبنى والمراد بالاذن الامر ويذكر فيها اسمه
وهو عام في كل ذكر وقيل يتلى فيها كتابه وقيل يوحد فيها ذاته تعالى
قيل هي المساجد كلها لقول ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض
تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل هي اربعة مكة

بناها ابراهيم

بناها ابراهيم والمقدس بناها سليمان وداود ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما
محمد عليه السلام يسبح له فيها بالغدو والاصال على البناء للمفعول وله القائم مقام
الفاعل رجال مرفوع بما دل عليه المجهول وهو يسبح المعلوم وقرئ يسبح معلوما
ورجال فاعله والاصال جمع اصل وهو العشي اي يسبحه بالبكرة والعشايا وقيل
التسبيح هنا الصلوة المفروضة فالمراد بالغدو الصبح وبالاصال الظهر والعصر
والعشاء آن لا تلهيهم تجارة اي بيع وشراء كما هو وصف لرابح او التجارة
الشراء لقوله ولا بيع بعده يعني لا يشتغلون بشيء عن ذكر الله حقيقة او عن
الصلوة المكتوبة و لا عن اقام الصلوة لوقتها و لا عن ايتاء اي اعطاء
الزكوة لمستحقها عند وجوبها يخافون يوما وهو يوم القيمة تتقلب فيه القلوب
والابصار اي تنتقل عن اماكنها لهول ذلك اليوم ليجزيهم يتعلق بيسبح او
يخافون المعنى كان تسبيحهم او خوفهم ليثيبهم الله احسن ما عملوا اي احسن الثواب
ويزيدهم من فضله على الثواب وهو العطاء الخاص لا للعمل والله يرزق من يشاء ما يتفضل به
بغير حساب واما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق والذين كفروا
اعمالهم كسراب وهو ما يخيل للانسان من بعيد انه ماء جار بقيعة وهي
المنبسطة من الارض يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه اي السراب لم يجده شيئا
اي ماء فيزداد عطشه فكذا الكافر يحسب ان عمله ينفعه يوم البعث فيغلبه الرجاء
اليه فاذا جاءه لم يجد ما رجاه فيزداد انقطاعه ووجد الله اي قدرته عنده اي

عند السراب فوفاه حسابه اى جزاء كفره فيأخذه الزبانية فيلقونه فى
النار شبه الاعمال الصالحة التى يحسبها الكافر ينفعه عند الله وتنجيه من عذابه بسراب
يراه العاطش بالمفازة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجده وغلبه العطش ولم ينفعه
سعيه اليه والله سريع الحساب اى ان الله تعالى قادر اذا حاسب فحسابه سريع لا
يحتاج الى كتب يد ولا حفظ صدر قيل اذا حاسب الخلق يوم القيمة يحاسبهم جميعا
دفعة فيظن كل واحد انه يحاسبه خاصة ثم ضرب للكافر مثلا آخر بقوله او
كظلمات اى او اعمال الكفار شبيهة باعمال اصحاب الظلمات فى بحر لجى اى
عميق واللج معظم الماء والياء للنسبة يغشاه لعلو البحر موج من فوقه موج آخر
اى فوق الموج سحاب ظلمات بالرفع خبر مبتداء محذوف اى هى ظلمات
بعضها فوق بعض اى ظلمة الموج لكثرته ركب بعضه بعضا على ظلمة البحر
وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج فشبهت اعمال الكفار واغترارهم
بها بسراب يغتر به من طلبه ثم شبهت ثانيا فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة
خالية عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب وشبه
الكافر بالبحر وما يغشى قلبه من الشرك بالموج والختم على قلبه بالسحاب
وقرئ ظلمات بالجر بدل من كظلمات او لاضافة سحاب اليها اذا لم ينون
اذا اخرج اى الرجل من البحر يده لم يكد يراها فيه مبالغة حيث لم يقل لم يرها
اى لم يقارب ان يراها فضلا عن ان يراها لان كاد بمعنى قرب عنا

واذا نفى

واذا نفى القرب كان هو لنفى الرؤية انفى وقيل كان بمعنى النفى واذا عليه
وقع الفعل لان نفى النفى ايجاب واذا لم يدخل لم يقع وهذا هو المشهور فحينئذ
يجوز ان يراها بعد بطؤ لشدة ظلمة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
اى من لم يهده الله ايمانا فى الدنيا لم يهتد فى الآخرة الى الجنة وقيل من لم
يعطه نور توفيقه فى ظلمة الباطل وهذا من باب الكنايات عن الاول اعطاء
نور التوفيق من لازم الايمان والعمل الصالح قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة
كان يطلب الدين ويتعبد ويلبس المسوح فلما جاء الى الاسلام كفر الم تر ان
الله يسبح له تسبيحا حقيقة يعلم الله تعالى من فى السموات والارض والطير
بالرفع عطف على من قوله صافات حال من الطير اى باسطات اجنحتهن فى
الهواء يصففن بها وتسبيحها عند البعض كل قد علم صلوته وتسبيحه اى كل من
المسبحين والمصلين علم عبادته ويجوز ان يكون الضمير فى علم وصلوته وتسبيحه
لله تعالى ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعائه
وتسبيحه كما الهمها سائر مصالحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات
والارض والى الله المصير اى المرجع فى الآخرة الم تر اى الم تعلم بطريق
الوحى ان الله يزجى اى يسوق سحابا اى غيما ثم يؤلف اى يضم بينه
اى بين اجزاء الغيم فيصل بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما اى متراكما بعضه
فوق بعض فترى الودق اى المطر يخرج من خلاله اى من فتوقه

ومخارجه جميع خلل الجبال في جبال وينزل من السماء من جبال فيها برد من الاولى
ابتداء والثانية تبعيض والثالثة بيان او زائدة بمعنى ينزل البرد من
السماء من جبال فيها فعلى هذا مفعول ينزل من برد وعلى تقدير عدم
الزيادة مفعول ينزل من جبال فيجوز ان يكون في السماء جبال برد كما
في الارض جبال حجر ويكون الثانية زائدة والهاء في فيها للارض وفي
بمعنى على لان الانزال على الارض غالبا فيكون تقديره ينزل من السماء
بردا كالجبال على الارض فبذكر الجبال يريد كثرة البرد كما يقال فلان
يملك جبالا من ذهب وقد يراد السحاب من السماء فيصيب به فيهلك
بالبرد من يشاء من عباده اذا كان في مفازة كاهلاك ماله من الزرع
وغيره ويصرفه عن من يشاء فلا يضره يكاد سنا برقه اي ضوءه يذهب بالابصار
اي يخطفها من شدة نوره يقلب الله الليل والنهار اي يذهب باحدهما ويزيد
في الآخر ان في ذلك اي في التقليب لعبرة لاولي الابصار اي لاصحاب
العقول والله خلق كل دابة وقرئ خالق كل دابة بالاضافة اي انه خلق
كل ذي روح سوى الملك والجن من ماء مختص بها وهو النطفة
وهي تعم العقلاء وغيرهم لكنه غلب العقلاء فكان الدواب كلهم مميزون
فلذلك جاء من العقلاء في قوله فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات وسمي الزحف
على البطن مشيا للاتساع لانه يقوم مقام المشي او للمشاكلة لذكر الزاحف

مع الماشين

مع الماشين ومنهم من يمشي على رجلين كالاناسي والطير ومنهم من يمشي
على اربع كالبهائم ولم يذكر الماشي على اكثر منها لانه كالماشي على اربع في
رأي العين وهو يمشي على اربع منها في الحقيقة وقدم من هذه الاجناس
الثلثة ما هو اعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي ثم الماشي على
رجلين ثم الماشي على اربع وفي خلقه من الماء تعجيب للناس واظهار
لقدرته الباهرة ليعرفوه ويوحدوه لان الخلق من الماء اعجب من كل
فعل بينهم لشدة طوعه للفاعل ثم قال يخلق الله ما يشاء من الوان
الخلق ان الله على كل شيء قدير فهو المستحق للعبادة والاطاعة له لقد
انزلنا آيات مبينات اي يبين للناس دينهم والله يهدي اي يرشد
من يشاء من كان اهلا لديه الى صراط مستقيم اي دين الاسلام
قوله ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا امر الرسول ثم يتولى اي
يعرض عن طاعتها فريق منهم من بعد ذلك اي بعد قولهم آمنا بالله
وبالرسول نزل في بشر المنافق ويهودي كان بينهما حكومة في ارض
فطلب الحكومة الى كعب وطلب اليهودي الى النبي فقال بشر ان
محمدا يحيف علينا وما اولئك بالمؤمنين حقيقة بدليل الاعراض عن
حكمه واذا دعوا الى الله ورسوله اي الى حكمهما ليحكم بينهم بالقران واذا
فريق اي طائفة منهم معرضون عن الاتيان خوفا ان يحكم عليهم وان يكن لهم الحق

اى ان يعلموا ان الحكم لهم يأتوا اليه مذعنين اى منقادين لسرعة والاذعان
الاسراع بالطاعة أفى قلوبهم مرض اى كفر ام ارتابوا اى شكوا فى نبوته
يعنى هم كذلك فالاستفهام للتقرير ام يخافون اى بل يخافون ان يحيف
اى يجور الله عليهم ورسوله فى الحكم ثم ابطل ذلك بقوله بل اولئك هم الظالمون
باعراضهم عن الحق وطلبهم ما ليس لهم لا النبى عليه السلام انما كان قول
المؤمنين بنصب قول خبر كان اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم واسمها
ان يقولوا وقرئ برفع قول اسم كان وان يقولوا خبرها اى انما كان قولهم
وقت دعائهم الى الله ورسوله ان يقولوا سمعنا قولك واطعنا امرك
واولئك اى القائلون هذا القول هم المفلحون قوله ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه بكسر الهاء وسكون القاف تخفيف تشبيها لتقه بكتف وبكسر
القاف والهاء مع وصل بياء وبغير وصلها بسكون الهاء الشرط اى ومن يطع
الله فى فرائضه ورسوله فى سننه ويخشى الله على ما اقترف من الذنوب ويتقه
فيما يستقبل جزائه فاولئك هم الفائزون اى الذين فازوا بالجنة لجمعهم
اسباب الفوز واقسموا بالله جهد ايمانهم نصب على الحال اى جاهدين
ايمانهم وهو ان يقسم الرجل بالله قال ابن عباس رضى الله عنه من قال
اقسم بالله فقد جهد يمينه المعنى اقسم اليهود بالله لئن امرتهم يا محمد بالخروج
الى الغزو او من اموالهم ليخرجن فلم يصدقوا فانت قل لهم لا تقسموا بالله

بافواههم

بافواهكم وقلوبكم على خلاف ما امرتم به طاعة معروفة شرعا بنية خالصة او
طاعة معروفة بنية خالصة خير لكم من قسمكم باللسان لعدم صدقكم فى القسم
فطاعة خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر ان الله خبير اى عالم بما فى
ضمايركم وبما تعملون فى الظاهر فيجازيكم به قل اطيعوا الله فى الفرايض واطيعوا
الرسول فى السنن ثم قال تعالى فان تولوا اى تتولوا خطاب بالتفات
من الغيب لقصد المبالغة فى التبكيت على معنى فان تعرضوا عن طاعة الرسول
فما ضررتموه بل ضررتم انفسكم فانما عليه ما حمل اى ما كلفه الله من اداء
الرسالة وقد اداه وعليكم ما حملتم اى ما كلفكم الله من الطاعة والقبول وان
تطيعوه اى الرسول تهتدوا اى تحرزوا نصيبكم من الخروج عن الضلالة
الى الهداية وان لم تطيعوه فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه فالنفع
والضر لكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اى التبليغ الظاهر بالحجة
ووصفه بالمبين لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات قوله وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات نزل حين اشتد خوف الصحابة واستبطأوا
النصر فخاطب الرسول عليه السلام والذين آمنوا منكم للبيان تسلية
لهم كانه قال وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم فى الارض اى ارض مكة بان
يجعلهم خلفاء يسكنون فيها بعدهم بنصر الاسلام على الشرك ويورثهم
ارضهم وهم الخلفاء الراشدون كما استخلف الذين من قبلهم مطلقا اى

الله تعالى استخلف داود وسليمان بنى اسرائيل فى ارض الجبارين بعد
اهلاكهم وقرئ مجهولا وليمكنن اى وليظهرن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وهو
دين الاسلام بان يظهره على جميع الاديان وتمكينه وتثبيته وليبدلنهم من بعد
خوفهم الذى كانوا عليه امنا فى نفوسهم قوله يعبدوننى لا يشركون بى شيئا
حال من ضمير الفاعل فى ليبدلنهم فاظهر الله تعالى دينهم ونصرهم وبدل لهم من بعد
خوفهم امنا قيل مكث الرسول عليه السلام واصحابه بمكة عشر سنين خائفين
ولما هاجروا الى المدينة كانوا يصبحون ويمسون فى السلاح حتى قال رجل منهم ا
ما يأتى علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا زمانا
يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله
وعده واظهرهم على جزيرة العرب كلها ومن كفر اى كفران النعمة بعد ذلك اى
بعد الامن والتمكن فاولئك هم الفاسقون اى الكاملون فى الفسق قوله واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون عطف على قوله واطيعوا
الله واطيعوا الرسول قيل وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها قوله لا تحسبن
بالتاء خطاب للرسول عليه السلام وبالياء والفاعل ضميره او الذين كفروا
والمفعول الاول محذوف اى انفسهم والثانى معجزين اى لا يحسبن الكافرون
انفسهم فائتين الله فى الارض بان لا يقدر عليهم فيها ومأويهم النار لا محالة
والمراد منهم المقتسمون جهد ايمانهم ولبئس المصير اى بئس المرجع النار قوله يا ايها

الذين

الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم نزل حين ارسل الرسول عليه السلام
مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا وقت الظهر الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم
وقد انكشف عنه ثوبه فقال لوددت ان الله نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا
ان يدخلوا علينا هذه الساعات ثم انطلق معه الى النبى عليه السلام فوجده
وقد انزلت عليه هذه الآية فامر بان يستأذن العبيد والاماء والاطفال
الذين لم يبلغوا الحلم منكم من الاحرار فى الدخول عليهم ثلث مرات اى فى ثلثة
اوقات فى اليوم والليلة قوله من قبل بيان لثلث مرات او بدل منه اى
ليستأذنوا قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع فى هذه الاوقات
الثلث ولغيرهم فى جميع الاوقات ثلث عورات لكم بالنصب بدل من ثلث
مرات اى اوقات ثلث عورات اى هذه اوقات ثلث عورات والعورة الخلل
وسمى هذه الاوقات بها لانه يختل تستر الناس وتحفظهم فيها ليس عليكم ولا عليهم
جناح محله رفع اذا رفع ثلث عورات صفة له واذا نصب فلا محل له
بل هو كلام مقرر للامر بالاستيذان فى تلك الاحوال خاصة بعدهن اى
بعد هذه الاوقات يعنى بعد الاستيذان فيها اى لا اثم عليكم ولا على المذكورين
فى الدخول بغير استيذان ثم عذرهم فى ترك الاستيذان عدا هذه الاوقات
فقال لهم طوافون عليكم للخدمة وهو وجه العذر يعنى ان بكم وبهم حاجة
الى المداخلة بينكم لانكم تطوفون عليهم للاستخدام وهم عليكم للخدمة فلو

وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اى وقت الظهر للقيلولة ومن بعد صلوة العشاء لانه
وقت التجرد عن اللباس والالتحاف بلحاف النوم

اجيب الاستيذان فى كل وقت لادى الى الحرج قوله بعضكم على بعض مبتدأ
وخبر اى بعضكم طايف على بعض دل عليه السياق وهذه الجملة موكدة بمثبته لما قبلها
قيل هذه الآية منسوخة وقيل محكمة حتى اوجب الاستيذان على الام والاخت كذلك
اى مثل هذا البيان يبين الله لكم الآيات اى احكام القران والله عليم حكيم اى يعلم
بصلاح الناس ويحكم بالاستيذان لا يدخل بعضهم على بعض بغير اذن واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم اى الاحتلام والمراد الاحرار من الغلمان فليستأذنوا كما
استأذن الذين من قبلهم وهم من بلغ من الاحرار اى كالرجال واعتبار
البلوغ بالسن ثمانى عشرة سنة للغلام وسبع عشرة سنة للجارية عند ابى حنيفة
وبخمس عشرة سنة فيهما عند الاكثرين كذلك اى هذا البيان يبين الله لكم
اياته اى احكامه من الامر والنهى والله عليم بصلاح الخلق حكيم يحكم بالاستيذان
وعدمه بالحكمة قوله والقواعد مبتدأ جمع القاعد بلاتاء ومن النساء اللاتى
لا يرجون بيان للقاعد وهى التى قعدت اى ايست عن الحيض والولد لكبر
السن وخبر المبتدأ فليس عليهن جناح ان يضعن اى يوضعهن ثيابهن
من الجلباب والازار فوق الثياب والقناع فوق الخمار ودخل الفاء فى ليس
لكون الالف واللام فى القواعد بمعنى التى وفيه معنى الشرط غير متبرجات
بزينة نصب على الحال من فاعل يضعن اى غير مظهرات زينة خفية كالسوار
والخلخال والقلادة لكن لطلب التخفيف جاز الوضع لهن قوله وان يستعففن

خير لهن

خير لهن مبتدأ وخبر اى طلبهن العفة فى التبرج ووضع الثياب خير لهن من تركه
والله سميع لما تقول العجائز اذا وضعن جلبابهن وتظهرن زينتهن من قول
من يرغب فيها عليم بنياتهن وافعالهن قوله ليس على الاعمى حرج نزل حين
طلب ذووا العاهات الجهاد او كرهوا مواكلة الاصحاء لئلا ينغصوا عليهم
طعامهم او كان الاصحاء يذهبون الى الجهاد ويتركون مفاتيحهم عند ذوى
العاهات مع الاذن لهم فى الاكل من بيوتهم فيتحرجون فقال تعالى ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان
تأكلوا من بيوتكم اى بيوت اولادكم لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك او بيوت
الزوجات لانها كبيوتهم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او
بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم اى لا بأس لكم ان تأكلوا من بيوت هؤلاء بغير اذنهم او من بيوت
ما ملكتم مفاتحه اى خزائنه التى فى ايديكم وحفظكم فالمراد من المالك قيم الرجل
او وكيله الذى يحفظ امواله فله ان يأكل من زرعه وضرعه ان احتاج ولا
يدخره والمراد بما ملكتم مفاتحه العبيد لان السيد يملك بيوت عبيده او من
بيوت صديقكم وهو من صدقكم فى مودته فان الاكل من بيته وان بغير
اذنه جائز عند الحسن وقتادة اذا كان بينهما انبساط كما بين الاب والابن
والاخوين والصديق يستعمل للواحد والجمع كالعدو والخليط قوله

ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا نزل في بني ليث بن عمرو
بن بن كنانة وكل من يحرج عن الاكل وحده اي ليس عليكم اثم في الاكل
مجتمعين او متفرقين بعد قوله عليه السلام شر الناس من اكل وحده وكان
الرجل ينتظر نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤكله اكل ضرورة فاذا دخلتم
بيوتا من هذه البيوت للاكل وغيره فسلموا على انفسكم اي فابدؤا بالسلام
على من فيها من دينكم وقيل المراد بيوتكم حقيقة فقيل اذا دخلت على اهلك
وعيالك فسلم عليهم فهم احق بذلك واذا دخلت بيتا لا احد فيه او المسجد
فقل السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين او المراد المساجد
من البيوت قوله تحية مصدر فسلموا من غير لفظه اي تحية مشروعة من
عند الله مباركة كثيرة الخير طيبة اي ذات رزق حلال وانما وصفت بها
لان التحية دعاء المؤمن يرجا بها من الله زيادة الخير والطيب لما فيها
من الاجر والثواب روي عن انس بن مالك قال كنت قائما عنده
النبي عليه السلام اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك
ثلث خصال ينتفع بها فقلت بلي بابي وامي يا رسول الله قال متى
لقيت من امتي احدا فسلم اليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم
عليهم يكثر بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الاوابين كذلك
اي مثل هذا البيان يبين الله لكم الآيات اي آيات الامر والنهي في الطعام

والشراب وغيرهما لعلكم تعقلون اي تفهمونها وتعملون بها قوله انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله نزل حين جمع النبي عليه السلام المسلمين يوم
الجمعة ليستشيرهم في امر الغزو وكان يثقل على البعض عنده فيخرج
بغير اذنه فجعل الله عدم الخروج من عنده بغير اذنه ثالث الايمان بالله
ورسوله تغليظا عليهم واستعظاما لجناياتهم لئلا يخالفوا امره فقال
انما المصدقون حقيقة هم الذين صدقوا بالله في امره ورسوله في
سننه واذا كانوا معه اي مع النبي عليه السلام على امر جامع اي مرجعهم
له وعليه كغزو وصلوة وخطب جليل لابد لرسول الله فيه من اجتماع
ذوي الآراء والقوى لم يذهبوا اي لم يتفرقوا عنه السلام حتى يستأذنوه
في الانصراف قيل وقوله واذا كانوا معه تأكيد لحصر الايمان بالله ورسوله
وقوله ان الذين يستأذنونك زيادة تأكيد وتشديد حيث اعاده على
اسلوب آخر وجعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمان وعرضا
بحال المنافقين وتسللهم لواذا وقيل نزلت هذه الآية في حفر الخندق
وكان قوم يتسللون بغير اذن وفيها بيان حفظ الادب بان الامام اذا
جمع الناس لتدبير امر من امور الاسلام لا يرجعوا عنه الا باذنه قوله
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله اذ خبر ان يستأذنوك في الانصراف
لبعض شأنهم اي لبعض حوائجهم فأذن لمن شئت منهم لا اعتراض عليك

واستغفر لهم الله ان خرجوا باذنك لخروجهم عنك ان الله غفور رحيم
لمن تاب واطاع ولا تأذن لمن شئت منهم اذا لم يكن لهم حاجة في الانصراف
كالمنافقين قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم بيان توقير النبي عليه السلام
وتعظيمه لانه كان معلم الخير ففيه ايذان لمعرفة حق كل معلم العلم او الخير اي
لا تجعلوا ايها المؤمنون دعاءه اياكم الى الايمان كدعاء بعضكم بعضا لا تلتفتون
اليه بل اسمعوا مسرعين او دعاءه لامر مهم عنده كذلك فاجيبوه بالتفخيم
والتعظيم ولا تتفرقوا الا باذنه او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء على اخوانكم
بل احذروه فانه مستجاب الدعوة او لا تجعلوا نداءه بينكم وتسميته كما
يسمي بعضكم بعضا باسمه الذي سماه ابواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله
يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المحفوظ والتواضع قد يعلم
الله الذين يتسللون منكم اي يخرجون بخفية قليلا قليلا قوله لواذا نصب
على الحال وهو ان تستتر الشخص بغيره اي ملاوذين وقد فيه للتحقيق
وتاكيد علمه فليحذر الذين يخالفون اي يميلون معرضين عن امره اي
عن امر الله تعالى او امر محمد عليه السلام وقيل عن زائدة قوله ان
تصيبهم فتنة مفعول يحذروا الفتنة المحنة في الدنيا او يصيبهم عذاب
اليم في الآخرة وقيل الفتنة القتل او زلازل او المصائب الا ان
لله ما في السموات والارض اي جميعه له يختص به خلقا وملكا وعلما

فلا يخفى عليه حال من نافق رسوله وان اجتهد في الستر قد يعلم ما انتم عليه من
احوال الايمان والنفاق والاعمال من الخير والشر وقد فيه كما مر وقيل للتكثير
في الموضعين والخطاب في قوله ما انتم عليه عام ويوم يرجعون اليه للمنافقين
وقيل يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريقة الالتفات من الخطاب الى الغيبة
والعامل فيه فينبئهم اي يخبرهم يوم يرجعون الى الله في الآخرة بما عملوا
اي بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شيء عليم اي علمه
محيط بجميع الاشياء فكيف يخفى عليه احوال الناس وان كانوا يجتهدون
في سترها عن العيون واخفائها سورة الفرقان مكية بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك اي تزايد خيره او تعظم وتقدس في صفاته وافعاله الذي نزل الفرقان
اي القرآن بجبريل مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما والقرآن يفصل
بين الحق والباطل على عبده محمد عليه السلام ليكون الله او عبده
للعالمين نذيرا اي منذرا يعني مخوفا للعاقلين من الانس والجن في زمانهم
قوله الذي بدل من الذي قبل ولم يمنعه الفصل لكون ليكون تعليلا لصلة
الموصول المبدل منه فيكون من تمامه له ملك السموات والارض اي له خزائنهما ونفاذ
الامر فيهما ولم يتخذ ولدا اي يرث ملكه لانه حي لا يموت ولم يكن له شريك في الملك
لينازعه فيه وخلق اي احدث كل شيء ينبغي ان يوجد فقدره اي تسوية
محكمة للبقاء الى امد معلوم مقسوم عنده تعالى ثم اخبر ان الذين خلقهم

لعبادته اثروا عبادة غيره على عبادته بقوله واتخذوا من دونه تعالى آلهة
يعبدونهم من الاصنام وغيرها كعيسى ع لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
اى لا يقدرون على خلق شئ من الاشيا، لانهم عجزة ولا يملكون اى لا
يستطيعون لانفسهم ضرا اى دفع ضر عنها ولا نفعا اى جلب نفع اليها
ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اى لا يقدرون على اماتة احد ولا
على احيائه ولا على بعث الاموات لانهم اعجز فكيف يعبدونهم وقال الذين
كفروا اى كفار مكة ان هذا اى ما القران الا افك اى كذب افتراه محمد
واعانه عليه اى على اختلافه قوم آخرون اى اليهود وقيل عداس مولى
حويطب بن عبد العزى وجبر ويسار وهم كانوا بمكة فقد جاؤا ظلما
اى كفرا وزورا اى كذبا بينا لنسبتهم القران الى غير من جاء به وقالوا اى
المشركون القران اساطير الاولين اى ما سطره المتقدمون من نحو
احاديث رستم واسفنديار جمع اسطورة كاحدوثة اكتتبها اى
انتسخها محمد من جبر واصحابه واخذها لنفسه وهو حال بتقدير قد
اى اساطير مكتتبة قيل الظاهر ان يقال امليت عليه فهو يكتبها
اجيب بان المعنى انه طلب من يكتبها له لانه لم يكن يحسن الكتابة فهى
تملى اى تقرا، عليه بكرة واصيلا اى غدوة وعشيا يعنى دائما قل
يا محمد انزله الذى يعلم السر اى كل سر خفى فى السموات والارض فلو تقولوه عليه

لعلمه

لعلمه فعاقبه باشد العقاب ومن جملته ما تسرون من الكيد لرسوله مع ان
قولكم باطل وزور فى حقه فيجازيكم عليه انه كان غفورا رحيما يمهل ولا يعاجل
استحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقيل معناه ارجعوا عن القول الباطل
وتوبوا فانه يعلم السر ويغفر لمن تاب ويرحم لمن اطاع ويقدر على العقوبة
اذ لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر عليها وقالوا اى الكافرون سخرية
ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق مثلنا لطلب المعاش والرسالة
تنافيه فالاستفهام بمعنى الانكار يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا
عن الاكل والعيش وهو جهل اما اكله الطعام فلانه بشر واما مشيه فى الاسواق
فلقضاء حاجته تواضعا وهما لا ينافيان الرسالة ثم تنزلوا عن اقتراحهم كونه
ملكا الى كونه انسانا معه ملك فقالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
يصدقه بنصب فيكون جواب حرف التحضيض وهو لولا بمعنى هلا او يلقى
اليه بالرفع عطف على انزل اى لولا يلقى عليه كنز لينفقه فى مصالحه او لولا
تكون جنة اى بستانا ياكل منها بالياء والنون المعنى انه ليس ملكا ولا ملكا
ولا غنيا نتبعه فهو دوننا فكيف نتبعه وقال الظالمون اى المشركون ان
تتبعون اى ما تطيعون يا اصحاب محمد الا رجلا مسحورا اى مغلوب
العقل او ذا سحر وهى الرية او مخدوعا فقال يا محمد انظر كيف ضربوا لك الامثال
اى قالوا فيك تلك الاقوال والصفات النادرة كالامثال فضلوا اى

بقوا متحيرين ضلالا عن الهدى فلا يستطيعون سبيلا اليه تبارك اى
تكاثر خيرا الذى ان شاء جعل لك اى وهب لك فى الدنيا خيرا من ذلك
اى مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك فى الآخرة من جنات تجرى من
تحتها الانهار ويجعل لك قصورا فى الدنيا وفى الآخرة بالجزم عطف على جواب
الشرط وبالرفع عطف على جعل لان الشرط ماض فيجوز الوجهان فى جوابه الجزم
والرفع عن النبى عليه السلام عرض لى ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت
لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك
واذا شبعت حمدتك وشكرتك بل كذبوا اى ما صدقوك بل كذبوا بالساعة
بيوم القيمة وهو اعجب من ذلك كله فكيف يلتفتون الى هذا الجواب الذى
هو تعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا اى نارا شديدة الاشتعال قوله اذا رأتهم من مكان
بعيد صفة سعيرا اى اذا كانت السعير منهم بمرأى الناظر فى البعد قيل هو
مسيرة خمسمائة سنة سمعوا لها اى منها تغيظا اى غليانا يعنى صوت
غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر طلبا للانتقام منهم وزفيرا
وهو اول صوت الحمار واذا القوا منها اى من السعير وهو حال من مكانا ضيقا
اى فى مكان جهنم يضيق عليهم اذا القوا فيها كما يضيق الزج فى الرمح
فيكون اشد لعذابهم مقرنين اى هم مع ذلك مقرنون مع شياطينهم فى

السلاسل

السلاسل روى ان كل كافر يقرن معه شيطانه فى سلسلة دعوا هنالك
ثبورا اى هلاكا يعنى يقولون واثبوراه اى تعالى يا ثبور فهذا حينك
فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا لان عذابكم الوان كثيرة لا يغنى
وادعوا ثبورا كثيرا لانكم وقعتم فى عذابكم لا يكفى فيه ثبور واحد قل يا محمد
لكفار قريش اذلك اى المذكور من صفة النار خير ام جنة الخلد التى وعد
المتقون من الشرك وعذابه اياها كانت الجنة لهم معدة فى علمه تعالى جزاء
ومصيرا اى ثوابا ومقرا وهو مدح للثواب كنحو نعم الثواب وحسنت مرتفقا
لهم فيها اى فى الجنة ما يشاؤن اى يحبون خالدين فيها حال من
ضمير يشاؤن كان على ربك ما وعده من النعيم وعدا مسؤلا اى مطلوبا
للمؤمنين يقولون ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ويوم نحشرهم اى نجمعهم
وما يعبدون من دون الله ما عام يعم العقلاء وغيرهم كالاصنام لكن
المراد هنا العقلاء من الملائكة وعيسى وعزير والجن فيقول الله تعالى
للمعبودين لاثبات الحجة على العابدين قرئ نحشرهم فيقول بالنون فيهما
وبالنون فى الاول والياء فى الثانى ومقول القول أانتم اضللتم عبادى
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اى عن السبيل بحذف الجار يعنى هم بانفسهم
اخطأوا الطريق المستقيم وفائدة هذا السؤال بعد سبق علمه
بالمسؤل عنه ان يجيبوا بما اجابوا تبكيتا لعابديهم وتكذيبهم اياهم

حيث قالوا اى الملائكة والانبياء وغيرهم من العقلاء متبرئين منهم سبحانك
ما كان ينبغي اى ما يجوز لنا ان نتخذ من دونك قوله من اولياء مفعول
اول لنتخذ بزيادة من لتأكيد النفي ومن دونك مفعول ثان فنزهوا الله
تعالى وانفسهم عن عبادة غيره ولكن متعتهم اى اطلتهم بالتمتع في الدنيا
وآباءهم حتى نسوا الذكر اى القرآن والايمان به وكانوا اى صاروا قوما بورا
اى هلكى جمع بائر من البور الهلاك فقد كذبوكم اى معبودوكم من الملائكة
وغيرهم ايها المشركون بما تقولون اى بقولكم انهم الهة فما تستطيعون بالياء
غيبة اى الكفار وبالتاء للخطاب اى لا تستطيعون انتم ولا معبودوكم
صرفا للعذاب عنكم ولا تستطيعون نصرا من العذاب فظهر عجزكم عن جلب
نفع ودفع ضر ومن يظلم منكم اى من يكذب منكم محمدا او القرآن الذي انزل اليه
نذقه عذابا كبيرا وهو عذاب النار والخطاب عام اذ العذاب الكبير لاحق
للكل من ظلم والشرك ظلم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم قوله وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
بكسر ان لاجل اللام في الخبر وقرئ بالفتح على زيادة اللام والجملة صفة
لموصوف محذوف وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين
الطعام وماشين في الاسواق وجاز حذفه اكتفاء بقوله من المرسلين
وقيل الجملة حال تقديره الا وهم يأكلون نزل حين انكروا على النبي عليه السلام

الا الطعام ومشيه في الاسواق قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اى محنة واختبارا
تصبيرا لرسول الله عليه السلام على ما قالوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق
اى جرت عادتي وحكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض وطلب الصبر
الجميل منكم على الاذى والعداوة والاقوال الشنيعة من اعدائكم كما قال
المستهزؤن من قريش انظروا اتباع محمد هو الينا وارازلنا فكيف نؤمن
ونتبعه معهم فقال تعالى للمؤمنين اتصبرون على البلاء وهو في معنى الامر
اى اصبروا فاني ابتليت بعضكم ببعض الفقير بالغني والوضيع بالشريف
وكان ربك بصيرا فيجازي كلا بعمله ولا يضيق صدرك ولا يستخفنك
اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك في الدارين وقال الذين لا يرجون
اى لا يأملون لقاءنا بالخير او لا يخافون لقاءنا بالشر وهم كفار مكة لولا
اى هلا انزل علينا الملائكة فاخبرنا بان محمدا صادق حتى نصدقه او نرى ربنا
جهرة فيأمرنا بتصديقه واتباعه فقال تعالى لقد استكبروا في انفسهم بالكفر
والعناد اى باضماره في قلوبهم مع اعتقاده وعتوا اى تجاوزوا الحد في
الظلم عتوا كبيرا اى بالغين اقصى العتو واللام فيه جواب قسم محذوف
يوم يرون اى اذكر يوم يرى الكفار الملائكة لا بشرى اى لا يبشرون يومئذ
اى يوم القيامة وكرر اليوم تأكيدا للنفي اشارة عنهم يومئذ وقيل هو خبر
لا بشرى فعامله محذوف وقوله للمجرمين اى للكافرين بيان وقيل خبر لا بشرى

للمجرمين وعامل يومئذ المتعلق بلام المجرمين فالمعنى ان الملائكة تخص البشارة
للمؤمنين دون المجرمين ويقولون اى الملائكة حجرا محجورا الحجر بمعنى الحرام مصدر منصوب
بفعل متروك اظهاره نحو معاذ الله ووصف بالمحجور لتاكيد معنى الحجر فى الثبوت
كما يقال موت مائت فى تحقيقه اى حرم حراما محرما علينا ان نبشر بالجنة غير المؤمنين
وقيل ان المجرمين قالوا للملائكة حجرا اى كونوا عنا فقال تعالى محجورا عليكم
ان تكفوا عنهم ثم قال تعالى وقدمنا اى عمدنا وقصدنا من غير قدوم حقيقى الى ما
عملوا اى الكفار من عمل فى الدنيا من اعمال الخير كصدقة وصلة رحم وفك
اسير وقرى ضيف وغير ذلك من محاسنهم يعنى نظرنا فى اعمالهم فلم نجد
فيها خيرا فجعلناه هباء وهو ما يرى فى ضوء الشمس من الغبار فى الكوى منثورا
اى متفرقا لا ينتفع الكفار به ثم قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ اى يوم يستقرون
فيها خير مستقرا وهو المكان الذى يجالسون فيه ويتحدثون واحسن مقيلا
وهو المكان الذى ياوون اليه للاستراحة الى ازواجهم من القيلولة وهى
الاستراحة نصف النهار فى الحر وان لم يكن نوم لانه لا نوم فى الجنة
ولا فى النار وقيل يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اى يقر
اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار ويوم اى اذكر يوم تشقق
السماء بالغمام بتشديد الشين وتخفيفها وهو الغمام الذى مر فى قوله
تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة قوله بالغمام

اى بطلوع

اى بطلوع الغمام منها فيكون الباء للسببية وكان الغمام مشققها وقيل
بمعنى عن اى تنشق السماء عن الغمام لشدة ذلك اليوم وهو الغيم الابيض
الرقيق فوق سبع سموات والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفيه
الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحائف اعمال العباد وهو المراد بقوله ونزل الملائكة
تنزيلا بنونين اخبار عن الله تعالى ونزل مجهولا مثقلا والملائكة مرفوع
الملك يومئذ مبتدا الحق صفة وخبره للرحمن اى الملك حقا ثم هو ملك
الرحمن لا شريك له فيه ولا يزول عنه ولا يدعى الملك احد ثمة وكان ذلك
اليوم يوما على الكافرين عسيرا اى شديدا صعبا وعلى المؤمنين يسيرا حتى يكون
اخف عليهم من صلوة مكتوبة صلوها فى الدنيا قوله ويوم يعض الظالم نزل
فى صدد ومنع عقبة بن ابى معيط ابى بن خلف عن الايمان بمحمد عليه
السلام والظالم هو الكافر يعنى اذكر يوم يعض على يديه اى يندم
على تفريطه فى جنب الله تعالى ويجوز ان يكون على زائدة ويكون العض
حقيقة روى انه ياكل يده حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم ياكل هكذا الى يوم
القيمة تحسرا وهو يقول يقول يا ليتنى اتخذت فى الدنيا مع الرسول محمد
عليه السلام سبيلا اى طريقا الى الجنة وهو الايمان يا ويلتى ليتنى لم
اتخذ فلانا اى عقبة خليلا يعنى صديقا والخلة هى ان لا يكون الطبع
ولا الحروف بل فى الدين لقد اضلنى عن الذكر اى الايمان والقرآن بعد اذ جاءنى

وهذا آخر كلام الظالم وقيل الظالم هو عقبة صده اى عن الايمان وكان
سبب ذلك ان عقبة يكثر مجالسة الرسول عليه السلام فاتخذ يوما ضيافة
فدعا اليها رسول الله فابى ان يأكل من طعامه حتى يشهد بانه رسول الله
ففعل وكان ابى صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن
شهدت ليأكل من طعامى والشهادة ليست فى نفسى فقال ما ارضى
عنك حتى تشتمه وتزق فى وجهه ففعل نزلت الآية وقيل الآية عامة فى
كل متحابين اجتمعا فى معصية الله تعالى قال عليه السلام المرء على دين
خليله فلينظر احدكم من يخالل وكان الشيطان للانسان المطيع له
خذولا يخذله ويهينه يوم القيمة تبرأ منه وهذا من كلام الله تعالى
او من كلام الظالم والشيطان خليله لانه اضله كما يضله الشيطان
ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة قوله وقال الرسول بيان شكاية الرسول
عليه السلام الى الله تعالى من قومه اى قال محمد عليه السلام يا رب ان
قومى اى قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا اى متروكا لا يلتفتون اليه
ولا يؤمنون به عن النبى عليه السلام من تعلم القرآن وعلمه وعلق
مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب
العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو
من الهجر وهو الهذيان اى جعلوه مهجورا فيه كقوله والغوا

فيه

والغوا فيه قوله وكذلك تعزية للنبى عليه السلام واخبار من الانبياء قبله اى جعلنا لك
عدوا من المشركين جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين اى المشركين وكفى بربك
هاديا ونصيرا المعنى انك كالانبياء قبلك فى البلاء وانا ناصركم وهاديكم فاصبر
انت على اذاهم كما صبروا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه اى هلا انزل على محمد
القرآن جملة واحدة اى دفعة فى وقت واحد كما انزل الكتب الثلثة وما انزل
على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا القول فضول ومماراة
بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة واحدة او متفرقة وفى
الحقيقة وهو اعتراض حيرة وعجز لانهم تحدوا بالاتيان بسورة من مثله
فعجزوا عن ذلك حتى نزلوا التهيج والاموال دون الاتيان بها قوله كذلك
لنثبت به فؤادك بيان لعلة نزوله نجوما اى قال تعالى كذلك انزلناه متفرقا
لنزداد به بصيرة وتقيه وتحفظ لان العلم لا يحفظ المتلقن الاشيا بعد شى
فلو انزل عليه جملة واحدة لتعيا بحفظه وحال الرسول فارقت حال موسى
وداود وعيسى عليهم حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين
كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه نجاما فى عشرين سنة وقيل
فى ثلث وعشرين سنة ولانه كان ينزل على حسب الحوادث وجوابات
السائلين وهو يقتضى الانزال متفرقا قوله ورتلناه ترتيلا اى بيناه بيانا
تثبت وتمكث عطف على فعل تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه

ترتيلا اى قدرناه آية بعد آية وقفة بعد وقفة فى مدة طويلة ولا يأتونك يا محمد
اى لا يجيئك الكفار بمثل اى بسؤال عجيب من اسولتهم الباطلة كانه مثل فى البطلان
الا جئناك بالحق اى بالمثل الحق يعنى بالجواب الحق الذى يبطل ما جاءك به واحسن
تفسيرا اى معنى ومؤدى من سؤالهم يقال ما تفسير هذا الكلام اى ما معناه
الذين يحشرون مبتدا اى الذين يسحبون يوم القيمة على وجوههم الى جهنم وخبر المبتدا
اولئك شر مكانا اى مصيرا فى الآخرة واضل سبيلا اى اخطاء طريقا فى الدنيا
قيل يحشر الناس على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف
على وجوههم ثم قال تعالى لتهديد كفار مكة ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية
بعد هلاك فرعون وقومه وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا اى فى اول نبوته فقلنا
اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم القبط اى اذهبا اليهم فانذرا فكذبوهما
فدمرناهم اى اهلكناهم بتكذيبهم تدميرا اى اهلاكا استأصلهم وقوم
نوح اى دمرناهم لما كذبوا الرسل اى نوحا لان من كذب رسولا واحدا فقد
فقد كذب جميع الرسل قوله اغرقناهم بيان لتدميرهم اى اغرقناهم وجعلناهم
اى المغرقين للناس آية اى عبرة لمن بعدهم يتعظون بها واعتدنا للظالمين
اى المغرقين عذابا اليما اى وجيعا دائما فاظهروا فى صورة العموم والاصل
اعتدنا لهم وعادا وثمود واصحاب الرس وهو بئر او قرية وكانوا قوما من عبدة
الاصنام واصحاب مواشى فارسل اليهم شعيب فدعاهم الى الاسلام

وكانوا حول البئر فكذبوه وآذوه فخسف بهم وبمنازلهم واموالهم وانهارت
بئرهم قيل وانما سموا اصحاب الرس لانهم قتلوا انبياء ورسوه فى بئرهم اى ستروه
وهى بئر انطاكية بالشام وقرونا بين ذلك اى اهلكنا قرونا بين عاد
واصحاب الرس اهلا كثيرا وكلا اى كل واحد من المهلكين ضربنا له الامثال اى
بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا له تكذيبهم الانبياء
ونزول العذاب عليهم من الله وتدميرهم وبينا البراهين على الايمان وكلا
منهم بعد التكذيب تبرنا اى اهلكنا وكسرنا تتبيرا اى تفتيتا
ونصب كلا الاول بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا والثانى بفعله
بعده لانه فارغ له المعنى انا اهلكناهم بالانذار والتخويف بالحجج لا بغيره لانه
خارج عن الحكمة ولقد اتوا اى كفار مكة فى متاجرهم الى الشام على القرية اى
قرية سدوم التى امطرت مطر السوء اذا اهلكت بالحجارة من السماء وهى من قرى
لوط فالمراد بالمطر السوء الحجارة فانهم فعلوا الفاحشة فهلكوا بالحجارة من
السماء افلم يكونوا يرونها اى الم يبصروا آثار عذاب الله قريش عند
سفرهم الى الشام للتجارة فيتفكرون فيؤمنون بل هم كانوا لا يرجون نشورا
اى لا يخافون بعثا فلذلك لا يؤمنون اولا يأملون البعث الموصول الى
ثواب اعمالهم كما يأمله المؤمنون لانهم كافرون واذا رأوك اى اهل مكة يا محمد
ان يتخذونك الا هزوا اى ما يقولون فيك الا سخرية بينهم اهذا الذى بعث الله رسولا

الينا قالوا ء بالاستفهام استهزاء للنبي عليه السلام اى ابعثه رسولا لنا
ليثبت الحجة علينا ان كاد ليضلنا اى بالتقرب منا الا ليصرفنا عن عبادة
آلهتنا لفرط جهاده في الدين ودعوته بعرض الآيات واظهار المعجزات لولا ان
صبرنا عليها جواب لولا محذوف بدلالة ما قبلها وهو لصرفنا عن عبادتها ولادخلنا
في دينه قيل هو من قول ابى جهل قوله وسوف يعلمون وعيد لهم ودلالة على انهم
لا يفوتونه حين يرون العذاب اى حين نزول العذاب عليهم من اضل سبيلا
هم ام المؤمنون وهو مفعول يعلمون وكالجواب من قولهم ان كاد ليضلنا ارأيت
اى اخبرني يا محمد من اتخذ الهه هواه قدم المفعول الثاني على الاول لفضل
العناية به والاصل اتخذ هواه الها وهذا توبيخ لكل من يعبد غير الله او لكل
من يتبع هواه لعصيانه روى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن
منه رمى به واخذ آخر لحسنه فليست الهداية بيدك حتى تهديه وتمنعه عن اتباع
الهوى افانت تكون عليه وكيلا اى حافظا تحفظه عن ارتكاب هواه وعبادة
ما يهواه يعني لست كذلك انما انت منذر فانذرهم قوله ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ام فيه منقطعة اى بل اتحسب انهم يسمعون الهدى
او يعقلونه ليعرفوا ربهم فيوحدوه ان هم اى الكفار ركة في الجهل والضلالة
الا كالانعام لانهم لا يعرفون الا ما ينذرون به بل همتهم في العمر هو الاكل
والشرب ثم فضل الانعام عليهم فقال بل هم اضل سبيلا من الانعام

لانها تنفر

لانها تنفر من ضرها وتطلب نفعها وهم يفرون من نفعهم ويطلبون ضررهم
وانما قال اكثرهم لان بعضهم منعه حب الرياسة عن الايمان ثم دل الى كمال قدرته
واظهار نعمته على خلقه ليعرفوه وليوحدوه بقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل اى
الم تنظر الى صنع ربك وقدرته كيف جعل الظل يمتد وينبسط فينتفع الناس
ولو شاء لجعله ساكنا اى دائما لاصقا بكل مظل من بناء وشجر وجبل غير
منبسط فلم ينتفع به الناس والظل ما نسخته الشمس وهو من الطلوع الى الزوال
والفيء ما نسخ الشمس وهو من الزوال الى الغروب ثم جعلنا الشمس عليه دليلا
اذ لولا الشمس لما عرف الظل وذلك بان الله يبسط الظل بعد الانفجار
الى طلوع الشمس ثم بطلوعها يظهر الظل تعالها في الزيادة والنقصان
والامتداد والتقلص لان الاشياء تعرف باضدادها ومعنى كونها
دليلا عليه انهم يستدلون بالشمس واحوالها في مسيرها على احوال الظل
من كونه ثابتا في مكان او زائلا في متسعا ومتقلصا فيبنون حاجاتهم
الى الظل واستغنائهم عنه على حسب الاستدلال بها وباحوالها ثم قبضناه
اى جمعنا المنبسط من الظل الينا قبضا يسيرا على مهل لحكمة نعلمها قيل
هي انه لو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر منافع الناس بالظل والشمس
جميعا او في القبض اليسير شيئا فشيئا من المنافع ما لا يعد ولا يحصى
ومعنى قبضه الينا انه ينسخه بنور الشمس الذي هو الضوء المنقطع الواقع

على الارض ومعنى القبض ان الشمس اذا غربت عاد الظل الاول ثم يقبضه
الله تعالى قبضا خفيا شيئا فشيئا ثم تحدث الظلام بعده وانما جاء ثم بين
هذه الجمل لبيان تفاضل ما بين الامور اذ الثاني اعظم من الاول والثالث
اعظم من الثاني وهو الذي جعل لكم الليل لباسا اي سترا لتسكنوا فيه تشبيه
حال ظلام الليل الساتر للاشياء باللباس الساتر للبدن وجعل النوم
سباتا اي راحة لابدانكم من السبت وهو القطع لانه يقطعكم عن اعمالكم
وبعضهم فسر السبات بالموت لان النشور في مقابلته في قوله وجعل النهار نشورا
اي للنشور يعني ينشرون فيه لطلب الرزق وهو الذي ارسل الرياح بشرا
بالباء المضمومة مع ضم الشين والسكون للتخفيف جمع بشير وبشور وبشرى
لان الرياح تبشر بالمطر وقرئ بالنون كذلك جمع نشور اي ناشرة
للمطر او للسحاب بين يدي رحمته اي قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا اي بليغا
في طهارته لانه مطهر لغيره بعد كونه طاهرا في نفسه وذكر الطهورية لاكرام الاناسي
وتتميم المنة عليهم لسقيهم منه ويزيل اسم الطهورية عن الماء بتيقن مخالطة
النجاسة او غلبة ظنها او استعماله في البدن لاداء عبادة وعلل انزال الماء بقوله
لنحيي به اي بالماء بلدة اي بلدة ميتا كقوله الى بلد ميت اي قفرا لا نبات
فيه ونسقيه اي الماء مما خلقنا انعاما مفعول نسقيه ومما خلقنا حال من
انعاما وذكر الانعام من بين الحيوان الشارب لكونها قنية الاناسي

في الانتفاع

في الانتفاع بها وكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام عليهم لسقي
واناسي كثيرا جمع انسان اصله اناسين فابدلت النون ياء وادغمت فيها
وقدمت الارض على الانعام والاناسي لان حياة الارض سبب حياتها ووصف
الاناسي بالكثرة لان عيش اكثرهم بما ينزل الله عليهم من السماء من الماء والقليل
منهم غنية عنه بمنابع الماء والانهار الجارية ولقد صرفناه اي فرقنا المطر بينهم
في البلدان المتفرقة والازمان المختلفة قيل ما عام امطر من عام ولكن الله يصرفه
في الارض او معنى التصريف انه صرف ذكر انشاء السحاب وانزال القطر في القرآن
وفي سائر الكتب ليذكروا اي ليتفكروا ويعرفوا حق نعمته عليهم فيتذكروا
فابى اي امتنع من التوحيد اكثر الناس الا كفورا اي جحودا للنعمة وهو قولهم
مطرنا بنوء كذا او النوء النجم ولا يذكرون صنع الله ورحمته ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية في زمانك نذيرا اي رسولا ولكن بعثناك رسولا الى كل
القرى اختصاصا لك بالرسالة فلا تطع الكافرين فيما يريدونك من ترك
الابلاغ لانهم يجتهدون في توهين امرك فقابلهم باجتهادك بتغليبهم
وجاهدهم به اي بالقرآن جهادا كبيرا اي شديدا لتغلبهم وهو الذي مرج البحرين
المرج الخلط اي ارسلهما وخلاهما متجاورين متلاصقين في مجاريهما
والله تعالى يفصل بينهما بقدرته ويمنعهما التمازج هذا اي احدهما عذب
فرات اي شديد العذوبة وهذا اي الآخر ملح اجاج اي شديد الملوحة والمراد

بهما بحر فارس والروم وجعل بينهما برزخا اى حاجزا وكل حاجز برزخ لئلا
يختلط احدهما بالآخر ولا يتغير طعمها وجعل بينهما حجرا محجورا اى كلمة استعاذة
بقولها المتعوذ وقعت هنا على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ
من صاحبه ويقول له حجرا محجورا لئلا يجوز احدهما على الآخر بالممازجة يعني حرم
على العذب ان يملح وحرم على المالح ان يعذب بالاختلاط وهو الذي خلق من الماء
بشرا اى النطفة انسانا فجعله نسبا اى ذا نسب بان يقال له يا فلان
بن فلان وصهرا اى ذا صهر وهو الختن يعني قسم البشر قسمين ذوى
نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر اى يخالط
بهن قال على النسب ما لا يحل نكاحه من القرابة والصهر ما يحل نكاحه من
القرابة وغيره وقال الخليل يقال لاهل الرجل الاختان ولاهل بيت المرأة
الاصهار وكان ربك قديرا حيث خلق من ماء واحد وهو المني بشرا نوعين ذكرا
وانثى فعلى كلا النوعين يجب ان يعبدا خالقهما دون غيره ويعبدون من دون
الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوا عبادته وكان الكافر على ربه
ظهيرا اى معينا بطاعة الشيطان والشرك قيل المراد منه ابو جهل والجنس
وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة لمن آمن واطاع الله ونذيرا بالنار لمن
كفر وعصاه قل ما اسئلكم يا كفار مكة عليه اى على القرآن من اجر
اى جعلا الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا استثناء منقطع اى لا اطلب

جعلا على

جعلا على التبليغ من اموالكم لنفسى لكن من شاء ان يتخذ عند ربه مرجعا صالحا
وهو الجنة فليؤمن ومن شاء ان ينفق من ماله لوجه الله فى سبيله فلا امنعه
وتوكل نزل حين دعى الى ملة آبائه اى دعوهم وتوكل على الحى الذى لا يموت
لانه حقيق ان يتوكل عليه فى كل الامور دون غيره وسبح بحمده حقيقته واعمل
شكرا على نعمته وكفى به بذنوب عباده اى كفى الله بها فالباء فى به زائدة والباء فى
بذنوب يتعلق بقوله خبيرا اى عالما باحوالهم كافيا فى جزاء اعمالهم ونصبه على
الحال او التمييز قوله الذى بدل من الضمير فى به اى كفى بالذى خلق السموات
والارض وما بينهما فى ستة ايام اى خلقها فى مدتها اذ لم يكن ثمة شمس ولا قمر
والداعى الى هذا العدد وهو داعى حكمة لا يعلمها الا هو وقيل خلقها فى ستة
ايام وهو يقدر على ان يخلقها فى لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت ثم استوى
اى استولى على العرش الرحمن رفع الرحمن بدل من ضمير استوى او مبتدأ
خبره فاسأل والفاء زائدة ويجوز ان يكون فاعل استوى وفاسأل جواب
شرط محذوف اى ان شككت فاسأل ويكون الخطاب للنبى عليه السلام
والمراد غيره به صلة خبيرا اى اسأل رجلا عالما به وبرحمته وهو من اهل
الكتاب من اليهود والنصارى يخبرك من الرحمن يؤيده قوله واذا قيل لهم
اى للمشركين اسجدوا للرحمن ربكم قالوا وما الرحمن استفهام انكار
لانهم لم يكونوا سمعوا بذكره اى اى شىء هو او من هو نحن لم نعرف الا رحمان

اليمامة اى مسيلمة الكذاب فالسؤال يحتمل ان يكون سؤالا عن معنى الاسم لانه
لم يكن مستعملا عندهم وان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم لم يعرفوه بهذا الاسم
والسؤال عن المجهول بما فالمراد به انا لا نسجد لما لا نعرفه انسجد لما تأمرنا بالياء على
الغيبة وبالتاء على الخطاب لمحمد عليه السلام اى لامرك لنا بالسجود يا محمد فما
مصدرية او الذى تأمرنا بسجوده وهو الرحمن الكذاب فما موصول وزادهم الامر
بالسجود نفورا اى تباعدا عن الايمان قوله تبارك الذى جعل فى السماء
بروجا بيان الرحمن اى هو الذى خلق فيها نجوما عظاما او قصورا مرتفعة
وهى منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان وغيرها العقرب والقوس والجدى والدلو
والحوت سميت بالبروج وهى القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل
لسكانها او لظهورها لان اشتقاق البروج من التبرج وهو الظهور وجعل
فيها سراجا وهو الشمس وقرئ سرجا جعل لكل جزء منها سراجا لوجود
ضوئها فى مكان دون مكان وجعل فيها قمرا منيرا وهو الذى جعل الليل
والنهار خلفة اى خليفة يخلف كل منهما صاحبه بعد ذهابه وهى مفعول ثان
لجعل او هى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار وتقديره جعلهما ذوى
خلفة اى يخلف كل واحد منهما الآخر وما انقص من هذا زاد فى ذاك
لمن اراد ان يذكر اى يتعظ باختلافهما بفتح الذال والكاف مشددا من التذكر

وبضم الكاف مع سكون الذال من الذكر اى لمن اراد ان يستدل بذلك على
عظم قدرته فيعرف ما ينبغى من توحيده او اراد شكورا اى شكر النعمة فيهما من
السكون بالليل والتصرف بالنهار او جعلهما ليكونا وقتين للمتذكرين
والشاكرين وجئ باو دون الواو لانه اما كافر فيتفكر واما مؤمن يشكر
لمن آمن به وزاد فى البيان بقوله وعباد الرحمن مبتدأ وخبره اولئك
يجزون الغرفة بما صبروا ويجوز ان يكون الخبر الذين يمشون على الارض وانما
اضاف العباد الى الرحمن تفضيلا لهم قوله هونا حال يمشون ذوى سكينة
ووقار ولين لا يسفهون وان سفه عليهم واذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهون
قالوا سلاما اى تسلما منكم وتحملا لا نجاهلكم يعنى نتسلم منكم تسلما او سدادا
من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم او يسلمون عليهم اذا سفهوا
عليهم قيل هذه الآية محكمة لان الحلم عن السفيه مندوب اليه وقيل منسوخة
بآية السيف قوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لوصفهم ليلا بعد
بيان وصفهم نهارا ومعنى نهارا ومعنى بات فلان دخل عليه الليل
نام او لم ينم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء ركعتين فقد بات لله
ساجدا وقائما ومن قرأ شيئا من القرآن فى صلوة وان قل فقد بات
ساجدا وقائما والظاهر انه وصف لهم جميعه او اكثره والذين يقولون اى
عباد الرحمن ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اى هلاكا وخسرانا

لازما ومنه الغريم لالزامه والحاحه غريمه فى طلب حقه شل منه قيل يجوز ان يكون غراما
وانها اى ان جهنم ساءت الآيتين من كلام القوم وان تكونا من كلام الله تعالى اى
بئست مستقرا ومقاما هى وهو المخصوص بالذم وفى ساءت ضمير مبهم تفسيره مستقرا
تاويل الدار ليوافق المفسر المفسر ورابط الجملة باسم ان للخبرية هو الضمير المحذوف المخصوص
بالذم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا بفتح الياء وضم التاء قيل الاسراف مجاوزة
الحد فى النفقة وان قلت والقتر التضييق وقرئ لم يقتروا من اقتر ويقتروا بالتشديد
من قتر مشددا ويقتروا بفتح الياء وكسر التاء من قتر مخففا وكان الانفاق بين
ذلك الاسراف والاقتار قواما اى وسطا وهو العدل بين الشيئين فى الخير
لاستقامة الطرفين وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وقيل
المعنى انهم لم يسرفوا فينفقوا فى معصية الله ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة
الله وسمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير
ولذا قيل لو كان لرجل مثل ابى قبيس ذهبا فانفقه فى سبيل الله لم يكن
مسرفا ولو انفق درهما فى معصية الله كان مسرفا والذين لا يدعون مع الله
الها آخر اى لا يشركون بالله ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق اى باحدى
الخصال الثلث وهى الردة وزنا الاحصان والقصاص ولا يزنون بالاستحلال
قيل نزلت فيمن اقدم على المعصية مع الشرك واراد التوبة قوله الا بالحق
متعلق بالقتل المحذوف اى حرم الله قتلها الا بالحق وقيل بلا يقتلون والقتل

بغير حق

بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وصفهم ايضا بنفى هذه المنكرات العظام
عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه فى
اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم ومن يفعل ذلك اى من تلك المذكورات
شيئا يلق اثاما اى جزاء الاثم على حذف المضاف وهى العقوبة وقيل الاثام
بئر فى جهنم يسيل فيها صديد اهل النار وقوله يضاعف بالجزم بدل من يلق
وبالرفع استئناف او حال وبحذف الالف مشددا اى يضعف له العذاب
يوم القيمة ويخلد بالجزم والرفع كذلك اى يتزايد له العذاب ويقيم
فيه بالاشباع وعدمه مهانا مهانا فى العذاب دائما ومعنى المضاعفة فى
العذاب ان المشرك يعذب على شركه وعلى المعاصى جميعا فيضاعف عذابه
بمضاعفة جنايته فى حال الشرك الا من تاب من ذنبه وآمن بالله ورسوله
وعمل عملا صالحا بعد توبته بينه وبين ربه فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
بان يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الايمان والطاعة والتقوى او يبدلون بسيئاتهم
حسنات فى الآخرة قيل نزلت الآية فى شان الوحشى قاتل حمزة وكان
الله غفورا لما فعلوا قبل التوبة رحيما بهم بعد التوبة ومن تاب من الشرك
والمعاصى وعمل صالحا بعد التوبة فانه يتوب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا
للخطايا محصلا للثواب وكرر التوبة ترغيبا فيها والذين لا يشهدون الزور
اى الشرك او الكذب او شهادة الزور على حذف المضاف او اللهو والغناء

قيل المعنى انهم ينفرون عن محاضر الكاذبين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها
تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه ولئلا يكونوا شركاء
فيه قال عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين واذا مروا باللغو اي
بكل باطل ينبغي ان يلغى ويترك مروا كراما اي نزهين بنفوسهم
عما يدنسها بالتوقف والخوض مع اهل اللغو لان في الحضور والمشاهدة
دليلا على الرضا بذلك والذين اذا ذكروا اي وعظوا بآيات ربهم اي
القران لم يخروا اي لم يقعوا عليها صما لا يسمعون وعميانا لا يبصرون
وليس المراد منه نفي الخرور بل اثباته له ونفي الصم والعمي والمعنى انهم اذا
وعظوا بالقران اقبلوا على الواعظ به باذان سامعة وقلوب واعية
مصدقين لا كالمنافقين والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا جمعا ومفردا الاول باعتبار المعنى لان لكل واحد منهم ذرية
والثاني لقصد الجنس قوله قرة اعين مفعول هب ومن ازواجنا بيان
للقرة ويجوز ان يكون من ابتدائية اي من جهتهم قيل انهم سالوا
ربهم ان يرزقهم ازواجا وذرية عمالا لله يسرون بهم وتقر اعينهم
وانما قال اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة واجعلنا
للمتقين اماما اي ائمة اكتفى بالواحد عن الجمع لعدم اللبس او لارادة
الجنس اي اجعل كل واحد منا اماما يقتدي به المؤمنون ويهتدون اولئك

يجزون

يجزون الغرفة اي الغرفات وهي العلالي في الجنة قيل اراد به غرف الدر والياقوت
والزبرجد بما صبروا اي بسبب صبرهم على الطاعات وعلى اذى الكفار و
على الفقر وعن الشهوات واطلاقه للتعميم ويلقون بالتشديد والتخفيف
فيها اي في الجنة تحية اي دعاء بالتعمير وسلاما اي دعاء بالسلامة خالدين
فيها اي في الجنة يعني الملائكة يحيون ويسلمون عليهم ويعطون التبقية
والتخليد مع السلامة عن كل آفة في الجنة او يسلم بعضهم على بعض
حسنت الغرفة مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة قل ما يعبأ
بكم ربي العبأ هو الاعتداد بالشيء هذا بيان انه تعالى انما يعبأ
ويعتد بالعباد لعبادتهم وحدها لا لمعنى آخر كما عبأ بالمذكورين قبلا
واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله عليه السلام
ان يصرح للكافرين وللناس كلهم ويجزم لهم القول بان الاعتبار
والاكرامات لهم البتة عند ربهم انما هو للعبادة فقال قل يا اهل مكة ما
يعتبركم ربي لولا دعاؤكم اي توحيدكم وطاعتكم ولولا دعاؤكم اياه
في الشدائد او لولا دعاؤه اياكم الى توحيده وعبادته ليغفر لكم ذنوبكم
ويعطي ثواب اعمالكم وقيل معناه لا يعاقبكم ربي يوم القيمة لولا شرككم
به غيره هذا قوله فقد كذبتم انتم حكمي بالقران ورسولي جزاء شرط محذوف
اي اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتبر لعبادي الا لتوحيدهم وطاعتهم

فقد خالفتموه بتكذيبكم فسوف يكون العذاب لزاما اى ذا لزام او ملازما
لكم يعنى سوف يلزمكم حتى يكبكم فى النار قيل فقتلوا ببدر وعجل ارواحهم
الى عذاب النار سورة الشعراء مكية بسم الله الرحمن الرحيم
طسم قسم او اسم للسورة وقيل عجز العلماء فى تفسيره قوله تلك اشارة
الى ايات هذه الحروف المؤلفة من الحروف المبسوطة اى آيات الحروف
المؤلفة ايات الكتاب المبين اى الظاهر اعجازه او الظاهر انه من عند الله
تعالى يقينا والمراد به السورة او القرآن لعلك باخع نفسك اى مهلك غما
والبخع ان يبلغ بالذبح النخاع وبالباء وهو عرق مستبطن فى الفقار
وذلك اقصى حد الذبح قيل فى لعل معنى الاشفاق اى اشفق
على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك قوله ان لا
يكونوا مؤمنين مفعول له اى خيفة ان لا يؤمنوا بالقرآن نزل حين كذبه
اهل مكة فحزن بذلك اى ليس عليك سوى التبليغ فلا تقتل نفسك
ان لم يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية اى علامة قاسرة على الايمان
فظلت اى فصارت عطف على ننزل الذى هو جزاء الشرط اى
فتظل اعناقهم اى رؤساؤهم لها اى للآية خاضعين اى ذوى
هوان وذلة بعد عزة وصعوبة ولما وصفت الاعناق بالخضوع جمعت
جمع العقلاء الذكور وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث نزوله وهو القرآن المعنى

ما يأتيهم

ما يأتيهم شىء من موعظة وتذكير من القرآن الا كانوا عنه اى الايمان به معرضين
فقد كذبوا بالحق عقيب الاعراض وهو القرآن لما جاءهم اى انكروه حين
نزل بهم فاستهزؤا به واستخفوا قدره عقيب الانكار فسيأتيهم يقينا
انباء اى اخبار ما كانوا به يستهزؤن اى سيعلمون اذا مستهم عذاب الله يوم بدر
او يوم القيمة ما الشىء الذى استهزؤا واستخفوا به وما احواله التى كانت
خافية عليهم وهو القرآن او لم يروا الى الارض اى لم ينظروا الى عجائب الارض
ويتفكروا فيها كم انبتنا فيها كم مفعول الانبات من كل زوج كريم اى من كل
نوع حسن نفعا فى محل النصب على الحال ومن للبيان اى انبتنا فى الارض
نباتا كثيرا من كل صنف نافعا حسنا اذ النبات نوعان نافع وضار فذكر
النافع لكثرته وخلى الضار لقلته وكل النبات نافع باقتضاء حكمة الحكيم
وان غفل عنها الغافلون والكريم وصف لكل ما يرضى به ويحمد فى بابه وجمع
بين كم وكل لان كم يدل على كثرة افراد كل زوج وكل يدل على احاطة جميع
الازواج وهى الاصناف من النبات ان فى ذلك الانبات او فى كل
زوج من الازواج لآية اى آية وما كان اكثرهم مؤمنين اى موحدين فى سابق
علمنا او كان زائدة ان ربك لهو العزيز اى المنتقم لمن لم يؤمن الرحيم
لمن تاب وآمن و اذكر اذ نادى ربك موسى ان ائت تفسير نادى اى اذهب
القوم الظالمين بالكفر واستعباد بنى اسرائيل والتذبيح قوم فرعون عطف بيان

للظالمين كانهما عبارتان عن مؤدى واحد الا يتقون اى الا يخافون
منى لعبادتهم غيرى يحتمل استيناف كلام اتبعه الله ارساله موسى اليهم للانذار
تعجيبا لموسى من حالهم الشنيعة فى الظلم العظيم وامنهم العاقبة ويحتمل كونه حالا
من الضمير فى الظالمين اى يظلمون غير متقين الله وعاقبة وهمزة الانكار
لا تنافى الحال وانما نابا فيها همزة الاستفهام لتصدرها قال موسى رب انى
اخاف ان يكذبون اى ينكروا نبوتى ويضيق صدرى بتكذيبهم اياى فى رسالتك
ولا ينطلق لسانى بالعقدة فيه اوبالمهابة والفعلان مرفوعان معطوفان
على خبران فارسل الى هرون جبرئيل واجعله معى رسولا يعيننى فى الرسالة الى
فرعون وقومه ولهم على ذنب وهو قتل القبطى فاخاف ان يقتلون به قودا وطلبه
هرون للحرص على التبليغ لا للتعليل فى امتثال امر الله تعالى قال
كلا اى ارتدع عن ظنك وخوفك فانى اجيب سؤالك من موازرة
اخيك هرون فاجابه بقوله فاذهبا عطف على معنى كلا من الفعل اى انت
وهرون بآياتنا انا معكم بالنصر مستمعون اى سامعون فانصركم
عليه ولا يوصف الله بالاستماع لانه الاصغاء الى الحديث ويوصف
بالسمع لانه علم بالمسموع فعبر بالاستماع عن السمع لكونه سببا له هذا
فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ولم يقل رسولا رب العالمين لان
موسى كان الاصل وهرون التبع له او هو من قبيل الاكتفاء او لانهما

فى الرسالة

فى الرسالة وصفا بالواحد وقيل جنس يطلق على الجمع كما يقال خير الرسل
اعلمهم بنواحى الخبر قوله ان ارسل معنا بنى اسرائيل بمعنى ارسلهم معنا الى
ارض فلسطين وكانت مسكنهما فان مفسرة لتضمن الرسول معنى الارسال
وفيه معنى القول كما فى المناداة روى انهما ذهبا الى باب فرعون واخبرا
البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين وقيل ان موسى ضرب
عصاه على بابه ففزع من ذلك فقال ائذن حتى نضحك منه فاديا اليه
الرسالة فعرف فرعون موسى فثم قال الم نربك فينا وليدا اى صبيا صغيرا
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل ثمانى عشر سنة وقيل ثلثون وقيل اربعون
سنة وفعلت فعلتك التى فعلت اى المرة الواحدة وهى قتله القبطى
بالوكز فوبخه بقتل خبازه وتربيته وقال وانت من الكافرين لذلك والواو
فيه للحال اى وانت كافر بنعمتى واحسانى اليك لانك جازيت نعمتى بما
فعلت من الفعل الشنيع فحكم عليه بالكفران بنعمته قال موسى فى جواب
فرعون على سبيل التسليم نعم فعلتها اذا اى قتلت القبطى اذ فعلت
مجازيا لك بذلك الجزاء وانا من الضالين اى الجاهلين او الناسين
يعنى اذ فعلتها كانت تلك القتلة صادرة منى بالجهل والنسيان لا بالعلم
والقصد فخفت من ذلك الفعل السوء ففررت منكم لما خفتكم فخاطبه
بالجمع لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين

بقتله فوهب لي ربي حكماً اي نبوة وعلماً وجعلني من المرسلين اليكم وتلك نعمة اي تلك
الاستفهام للانكار يعني كيف يكون تلك نعمة تمنها علي فهي اشارة الى خصلة
شنعاء مبهمة وتفسيرها ان عبدت بني اسرائيل اي استعبدتهم وهو عطف بيان
لتلك والمعنى تعبيدك قومي نعمة تمنها علي حيث لم تستعبدني شكلهم بين ان
سبب حصوله عندهم وتربيته له كان تعبيد قومه وايذائهم وهو نقمة لا نعمة
يريد انه لولا ذلك لما القيت في اليم فلا تمن علي بشيء انت سببه قال له
فرعون اذ قال موسى انا رسول رب العالمين انكارا عليه ان يكون رب سواه
وما رب العالمين اي شيء صفته اذ لا سبيل الى معرفة حقيقة ذاته تعالى
لغيره ولو اراد التعيين لقال ومن رب العالمين وقيل ان فرعون اخطأ
في حقيقة السؤال فموسى اجاب بحقيقة الجواب وقال هو رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لشيء قط او بايقان يؤدي اليه النظر
الصحيح انه خالقها فتوسعا ثم قال فرعون عاجزا عن الجواب لمن حوله
لاشراف قومه وكانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور الا تستمعون قوله فقال
قوم فرعون ما تقول يا موسى انكارا لقوله رب العالمين فاكده موسى ثانيا
قال ربكم ورب آبائكم الاولين عمم اولا بذكر السموات والارض وما بينهما ثم خصص
من العام للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه
ومن ولد منه فعلم فرعون انه مغلوب فنسب موسى الى الجنون قال ان

لجلسائه ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقال موسى مؤكدا ثالثا هو
رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون اي اصحاب عقول تستدلون
بها بالنظر الى ما اقول لكم فيعرفون ربكم وهذا الجواب لزيادة بيان وتدريج
في الاستدلال اذ الطلوع والغروب على تقدير مستقيم في فصول السنة
من اظهر ما يستدل به العاقل على توحيد الله تعالى وهو معارضة في مقابلة
قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم قال فرعون لموسى لازدياده عجزه مائلا
الى العقوبة كالجبابرة لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين وهو
ابلغ من لاسجننك وان كان اخصر لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت
حالهم في سجوني ففيه زيادة تهديد اذ كان سجنه اشد من القتل قال موسى
اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بالمعجزة والواو للحال اي جائيا
بشيء بين اي برهان واضح يستبين لك امري به قال فرعون فأت به
اي ارناه ان كنت من الصادقين في دعواك ائت به فحذف الجزاء بدلالة ما قبله
من الامر فالقى موسى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين اي حية عظيمة
ظاهر الثعبانية لا انها شيء يشبه الثعبان صورة بالسحر او بغيره فقصدت الى
فرعون روي انها ارتفعت في السماء قدر ميل فقال الذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا فقال فرعون هل غيرها ونزع يده اي اخرجها
من جيبه فاذا هي بيضاء اي ذات نور للناظرين بكاد يغشى نوره الابصار

وليبد الافق قال فرعون للملأ حوله اى للاشراف كائنين حوله فظرف
لغوا عامله المقدر فيه وحال محلا العامل فيه قال ان هذا لساحر عليم اى حاذق
فى سحره وهو قول من بهت وغلب يريد ان يخرجكم من ارضكم اى ارض مصر
بسحره فماذا تأمرون اى تشيرون من المؤامرة وهى المشاورة ومحل ماذا
نصب مفعول به لتأمرون قالوا ارجه واخاه اى اخرهما عنك واحبسهما
وابعث فى المدائن اى فى مدائنك حاشرين اى جماعة يحشرون السحرة
يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة وهم اثنان وسبعون فى رواية وسبعون
الفا فى رواية اخرى لميقات يوم معلوم والمراد بيوم معلوم يوم الزينة و
بالميقات وقت الضحى لانه هو الوقت الذى وعده موسى بقوله وان يحشر
الناس ضحى وقيل للناس اى لاهل مصر هل انتم مجتمعون وهو حث للناس على الاجتماع
بالاستعجال لعلنا نتبع اى لكى نقتدى السحرة فى دينهم دون موسى فى
دينه ان كانوا هم الغالبين لموسى فلما جاء السحرة اى ميقات
قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اى جعلا ان كنا نحن الغالبين على موسى قال
نعم لكم على جعل وانكم اذا اى غلبتم على موسى لمن المقربين عندى فى المجلس
واول من يدخل على واخر من يخرج مع ذلك قوله وانكم بجملته عطف على قوله
نعم لانه فى معنا ان لكم اجرا قال لهم موسى القوا اى اطرحوا ما انتم ملقون فالقوا
اى السحرة حبالهم وعصيهم وقالوا حالفين بعزة فرعون وهو طريق

قسم اهل

قسم اهل الجاهلية انا لنحن الغالبون على موسى وهرون فالقى موسى عصاه
فاذا هى تلقف ما يأفكون اى تبتلع ما يزورون ان حبالهم وعصيهم حيات
بالتخييل والتسحير فالقى السحرة اى القاهم الله او ابانهم ساجدين لله تعالى
قالوا اى قائلين آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فرب عطف بيان لرب العالمين
ووجه اضافته اليهما انه الذى يدعو اليه هذان الرجلان بما اجرى على ايديهما
من المعجزة وكان الله القاهم بما راوا من المعجزة الباهرة فاصبحوا سحرة
وامسوا مؤمنين شهداء قال فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم انه
اى ان موسى لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون ما ذا اصنع لكم من العذاب
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين على شاطئ البحر قالوا لا ضير
اى ضرر علينا بما تقنع بنا انا اى لانا الى ربنا منقلبون اى راجعون فيثيبنا
بما نثاب به انا اى لانا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا من شركنا وسحرنا
ان اى لان كنا اول المؤمنين من قومك بموسى فى زماننا واوحينا الى
موسى ان اسر بعبادى اى بنى اسرائيل انكم متبعون اى يتبعكم
فرعون وجنوده فارسل فرعون فى المدائن حاشرين اى جامعين الناس
لقتال موسى قائلا ان هؤلاء لشرذمة اى طائفة او عصبة قليلون
منقطعة وكانوا ستمائة وسبعين الفا وعدد ال فرعون لا يحصى
وانهم لنا لغائظون اى غاضبون لشدة فيفعلون افعالا

فاسدة تغيظنا ومن عادتنا الحذر والاسراع الى حسم فساد المفسدين
والغيظ اشد الغضب وانا لجميع حاذرون بالالف وبغيرها اى المستعدون
بآلة الحرب او اقوياء والحاذر فى الاصل السمين القوى والحذر المتيقظ
فاجتمع جمع كثير ليقاتلوا موسى وبنى اسرائيل ويستاصلوهم فاخرجناهم
اى فرعون وقومه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم اى المنازل الحسنة
والسرر فى الجمال او الكراسى روى ان فرعون كان يجلس فى سريره
ويضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها اشرافا قومه
كذلك اى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم واورثناها اى الاموال والمنازل
الحسنة بنى اسرائيل لانهم ردوا بعد هلاك فرعون الى مصر ولما اسرى
موسى ببنى اسرائيل خرج فرعون وجنوده فى طلبهم من مصر
فاتبعوهم اى فلحقوا موسى واصحابه مشرقين اى داخلين فى
الشروق وهو وقت طلوع الشمس فلما ترى الجمعان اى تقابل
بنوا اسرائيل والقبط قال اصحاب موسى انا لمدركون اى سيدرك
كلنا بالهلاك فى ايديهم قال موسى كلا اى ارتدعوا عن ظنكم
فانهم لن يدركونا ان معى ربى بعلمه وحفظه اياى سيهدين الى طريق
النجاة ولما وصل موسى الى البحر يموج كالجبال فقال يوشع يا كليم الله
اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال ههنا مشيرا الى البحر

ولايدرى

ولايدرى ما يصنع فخاض يوشع الماء فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
وضرب بعصاه البحر فانفلق اى البحر فرقا فكان كل فرق كالطود اى كالجبل
العظيم المرتفع فى السماء وهو بحر اساف من وراء مصر وقيل بحر قلزم فدخلوا
فقال موسى عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن
بعد كل شئ وازلفنا اى قربنا الآخرين وهم القبط من بنى اسرائيل او جمعناهم
حيث انفلق البحر وادخلناهم فيه حتى لا ينجو منهم احد وانجينا موسى ومن معه من الغرق
اجمعين ثم اغرقنا الآخرين اى القبط ان فى ذلك اى هلاك القبط وانجاء
موسى ومن معه لآية اى لعبرة للمعتبرين فيما صنعناه وما كان اكثرهم مؤمنين
قيل لم يكن بينهم مؤمن الا ثلث انفس خربيل وآسية امراة فرعون ومريم
بنت ناموسى وهى دلت على عظام يوسف فى البحر وان ربك لهو العزيز اى
المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم اى على كفار مكة نبأ اى خبر
ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سؤال عن المعبود ليجب قالوا نعبد اصناما
ولم يكتفوا بذكرها بل زادوا فى الجواب نعبد افتخارا بعبادتها ولذلك
عطفوا على قولهم فنظل لها عاكفين اى مقيمين وانما قالوا فنظل لانهم كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل قال ابراهيم هل يسمعونكم اى يسمعون
دعائكم اذ تدعون او ينفعونكم ان عبدتموهم او يضرون ان تركتم عبادتهم
واجابوه بالجواب المقلدين لعجزهم عن البرهان الصحيح قالوا بل وجدنا آباءنا

كذلك يفعلون فقلدناهم قال افرأيتم ان اعلمكم بالاستفهام للتقرير ما كنتم تعبدون
اي الذين تعبدونهم من دون الله انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم اي الاصنام
التي تعبدونها انتم وآباؤكم عدو لي على معنى فكرت في امري فعلمت ان عبادتها
عبادة للعدو فاجتنبتها وقال عدوا دون لكم لزيادة نصح لهم وتأدب لانه
نصح به اولا نفسه وبني عليه تدبير امره لينظروا فيقولوا ما اراد لنا الا ما اراد
لنا الا ما اراد لنفسه لتكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ليوسوا
اي هم اعداي الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين هو
الذي خلقني فهو يهدين اي صلاح الدارين وجاء بالفاء في فهو بعد
خلقني للايذان ان هدايته وجدت عقيب خلقه ونفخ الروح فيه فهدى الى
اغتذاء بدم الحيض في البطن امتصاصا ثم هداه الى معرفة الثدي عند
الولادة وهداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية
والذي هو يطعمني ويسقين اي هو الذي يحييني بطعامه ويرويني بشرابه
واذا مرضت فهو يشفين من المرض وانما اضاف المرض اليه ولم يقل
امرضني تأدبا مع ربه اولان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان
في الطعام والشراب وغيرهما والذي يميتني في الدنيا ثم يحيين في الآخرة
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي اي ما يندر منه من الصغائر يوم الدين اي
يوم الجزاء وهي مكفرة له لكنه قال ذلك تواضعا لله لان استغفار الانبياء

تواضع لربهم وهضم لانفسهم وعلق المغفرة بيوم الدين وان وجدت هنا
لان فائدتها تظهر ثم وقيل المراد من الخطيئة قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم
الصنم وهي اختي لسارة وهذا ربي للكوكب وقيل الكلمات المذكورة من
التعريض بهم وباحوالهم لان الانبياء معصومون من الخطايا رب هب لي حكما
اي الحكم بالحق بين الناس وقيل نبوة لان النبي ذو حكم بين عباد الله و
الحقني بالصالحين اي وفقني لعمل الصالحين انتظم به في جملتهم او الحقني بآبائي
المرسلين واجعل لي لسان صدق اي ذكرا جميلا وثناء حسنا في الآخرين اي
في الامم بعده فكل الامم يتولاه ويحبه واجعلني وارثا من ورثة جنة النعيم
واغفر لابي انه كان من الضالين عن طريق الهداية ولا تخزني
اي لا تفضحني يوم يبعثون اي يوم يبعث العباد من قبورهم لما علم انهم
مغفور ويجوز ان يكون الضمير للضالين اي لا تخزني يوم يبعث الضالون
وابي منهم وقد استغفرت له قوله يوم لا ينفع مال بدل من يوم يبعثون
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم استثناء منقطع تقديره لكن حال من اتى الله
بقلب سليم ينفعه وهي سلامة القلب وليست من الجنس للاول وانما وجب
تقدير المضاف ليتحصل به معنى الاستثناء وهو الحال او متصل فيحمل
الكلام على المعنى بان يجعل المال والبنون في معنى الغنى كانه قيل
لا ينفع غنى الا غنى اتى الله بقلب سليم بان يصرف المال في الطاعة

وبان يرشد البنين الى الصلاح فانه ينتفع بها سليم القلب والقلب هو
الفارغ عن آفات المعاصي والكفر وفتنة المال والبنون ثم قال تعالى وازلفت
الجنة اى قربت للمتقين لان الجنة تكون قريبة من موقف السعداء يوم
القيمة ينظرون اليها وبرزت الجحيم اى كشفت للغاوين اى الضالين عن
الاسلام لان النار تكون بارزة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم
يساقون اليها وقيل لهم اى يقال لهم اينما اى اين الذين كنتم تعبدون في الدنيا
من دون الله هل ينصرونكم اى ينفعونكم بنصرهم لكم او ينتصرون اى ينفعون انفسهم
بانتصارهم لان العابد والمعبود كلهم وقود النار فكبكبوا اى جمعوا فيها
اى الالهة والغاوون اى العبدة يعني يلقون فيها منكبين على رؤسهم مرة بعد
مرة حتى يستقروا في قعرها ويدل على تكرير الكب وهي الكبكبة وجنود ابليس اجمعون
اى اتباعه العاصون من الناس او شياطينه من جنه قالوا الداخلون فيها
والواو للحال في وهم فيها يختصمون اى يخاصم بعضهم بعضا ويقال العابدون
للمعبودين تالله ان كنا لفي ضلال مبين اى بين قيل ان مخففة اى انا
كنا في ضلالة بينة بعبادتكم وقيل ان نافية واللام بمعنى الا وقوله اذ نسويكم برب
العالمين ظرف لمبين اى نجعلكم مثله في العبادة وما اضلنا الا المجرمون الذين
اقتدينا بهم كابليس وقابيل اى قابيل فما لنا من شافعين كما نرى للمؤمنين شفعاء
من النبيين والملائكة ولا من صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء والصديق

من همه ما اهمك بشرط الدين والحميم هو القريب الخاص وانما جمع
الشافعين ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق
ويجوز ان يراد بالصديق الجمع فلا ييأسوا من الشفاعة قالوا فلو ان لنا
كرة اى رجعة الى الدنيا فنكون بالنصب على ان لو هنا بمعنى التمني كانه قيل
فليت لنا كرة فان نكون من المؤمنين اى فنؤمن فينفع لنا ان في
ذلك لآية اى لعبرة لعابدي غير الله حيث لا ينفعهم معبودهم بل يتبرأ
منهم وما كان اكثرهم مؤمنين بانبيائهم وان ربك لهو العزيز لمن كفر الرحيم
لمن امن كذبت قوم نوح المرسلين اى نوحا وانما جمع لان من كذب
رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل اذ قال لهم اخوهم نوح في النسب
لا في الدين وانما انث كذبت لان القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة اى ما
جعلي وثوابي الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به وكرره
لتوكيد التقوى والطاعة في نفوسهم قالوا انؤمن لك انكارا واتبعك
الارذلون من الرذالة وهي الدناءة والخسة والضعف والواو للحال
وقد بعدها مضمرة وانما سموهم بالارذلين لاتضاع حرفتهم كالحجامة
والحياكة وقلة مالهم وهذا لا يغير الايمان قال نوح وما علمي بما كانوا يعملون
اى واى شيء علمي باعمالهم من الصناعات فاذ دريهم لاجلها وانما طلب
منهم الايمان وانما قال هذا لانهم قد طعنوا الا استرذالهم في ايمانهم

اى لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا بهوى وبخفة او المعنى نفى
علمه باخلاصهم فى العمل لله والاطلاع على سرائرهم اى ما على الا اعتبار
الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم وشق عن قلوبهم ان حسابهم الا على
ربى اى ما جزاؤهم الا عليه وان كان لهم عمل سيئ لانه يعلم اسرارهم لو تشعرون
ذلك ولكنكم تجهلون اذ لو علمتم لما عبتموهم وما انا بطارد المؤمنين اتباع
شهواتكم وتطييب نفوسكم بطردهم لعيمة ايمانهم عندى ان انا الا نذير مبين
بلغة تفهمونها وبنيان تميزيه الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم قالوا لئن لم
تنته عن هذه الدعوة يا نوح لتكونن من المرجومين اى المقتولين بالحجارة قال نوح
داعيا عليهم رب ان قومى كذبون وهذا ليس باخبار له عن تكذيبهم اذ لا يخفى
عليه شئ فى الارض ولا فى السماء ولكنه اراد انى لا ادعوك لاجل دنياى
فافتح بينى وبينهم اى احكم فتحا حكما لانهم كذبونى فى وحيك ورسالتك ونجنى
ومن معى من المؤمنين فانجيناه اى نوحا ومن معه فى الفلك المشحون اى فى
السفينة المملوءة من الرجال والنساء والخيل وغيرها من كل حيوان
زوجين ذكر وانثى ثم اغرقنا بعد الباقين اى بعد من انجيناهم فى السفينة
من بقى ممن لا ركب السفينة وبعد مبنى على الفتح بعد حذف المضاف اليه
مع النية ان فى ذلك لآية اى لعبرة لمن استكبر عن قبول الحق وما كان
اكثرهم مؤمنين بنوح من قومه قيل من آمن به منهم ثمانون نفسا

من الرجال

من الرجال والنساء وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين
اى هودا ومن قبله من الرسل اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب
العالمين اتبنون بكل ريع اى بكل طريق والجبل والريع المكان المرتفع
بفتح الراء وكسرها لغتان آية اى علامة تعبثون اى تسخرون وتلعبون
لمن تركم وهو حال من ضمير تبنون وقيل بنوا بروج الحمام ولعبوا بها وتتخذون
مصانع اى مآخذ الماء جمع مصنعة وقيل القصور العالية او الحصون لعلكم
تخلدون ارجون الخلود فى الدنيا واذا بطشتم اى اخذتم بشدة اخذا
بطشتم اى عاقبتم سيفا وسوطا وكان ذلك ظلما وعلوا ولذلك
قال بطشتم جبارين قيل الجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب
ولا يتفكر فى العاقبة فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذى امدكم اى اعطاكم
بما تعلمون اى ما تعرفون من كل خير فيه مبالغة فى تنبيههم على نعم الله
حيث اجملها ثم فصلها وعددها عليهم بقوله امدكم بانعام وبنين وانما قدم
الانعام لان البنين هم الذين يعينونهم على حفظها وجنات وعيون
لصالحكم ومنافعكم فعرفهم المنعم بتعديدها انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
زيادة تهديد لهم قالوا سواء علينا اوعظت اوخوفتنا العذاب ام لم تكن من
الواعظين اى المخوفين فلا نصدقك وهو ابلغ من ام لم تعظ فى

فى قلة اعتدادهم لوخطه اذا المعنى سواء علينا وعظك ام لم تكن اصلا
من اهله ومباشريه ان هذا الا خلق الاولين بفتح الخا، واسكان اللام مصدر
اى ما خلقنا الا كخلق من تقدمنا فى الموت والحيوة فلا بعث ولا حساب
او الخلق بمعنى الاختلاق اى ما هذا الاختلاق والافتراء الا كاختلاق المتقدمين
وافترائهم وبضم الخاء واللام او بسكونه اسم العادة اى ما هذه الذى نحن عليه
من الموت والحيوة الا عادة الناس لا يزالون عليها فى قديم الدهر
او ما هذا الذى نعتقد من الدين الا عادة الاولين الذين كانوا يدينونها
ونحن بهم مقتدون وما نحن بمعذبين فكذبوه اى هودا فاهلكناهم بالريح الشديد
ان فى ذلك لآية اى لعبرة لمن يعمل عمل الجبارين وما كان اكثرهم مؤمنين
فلو كان اكثرهم مؤمنين لما اهلكناهم والآية تخويف لهذه الامة كيلا
يعملون عمل هؤلا، وان ربك لهو العزيز لمن عصاه الرحيم لمن تاب واطاع
كذبت ثمود المرسلين اى صالحا ومن قبله من الرسل اذ قال لهم
اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين قوله اتتركون انكار لان يكونوا
مخلدين فى ما اى فى الخير الذى هو ثابت ههنا يعنى فى الحيوة الدنيا آمنين
من الموت والزوال والعذاب وفسر الخير بقوله فى جنات وعيون وزروع
وهذا ايضا اجمال وتفصيل وانما عطف ونخل على جنات مع ان الجنة

نعم النخل

نعم النخل وغيره تفضلا له وطلعها هضيم اى حملها طرى نحيل فى الفم وقيل
الطلع ما يطلع ويخرج من النخل كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو وهو من
التمر كالعنقود من العنب وصفه بالهضيم لانه يهضم الطعام او للطفه لان
الهضيم هو اللطيف الضامر وطلع اناث النخل فيه لطف وفى طلع ذكوره
جفاء، وطلع البرنى الطف من طلع اللون وقيل طلع النخل ما يبدو من
الكم والهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون من الجبال
ان تنقبون منها بيوتا فرهين وقرئ فارهين والفراهة اى نا عمين
وفرحين فاتقوا الله واطيعون اى اطيعوا امرى فان فى طاعة امرى طاعة
الله ولا تطيعوا امر المسرفين اى المشركين الذين يفسدون فى الارض بالمعاصى
والشرك ولا يصلحون وهم تسعة رهط منهم لا يوجد عنهم صلاح ما بل
فسادهم فساد مصمت لا خير فيه ولهذا ذكره بعد قوله يفسدون قالوا انما
انت من المسحرين اى الذين سحروا مرارا وغلب على عقلهم فو عظهم
فلم يؤمنوا وطلبوا آية على صدقه وهى خروج ناقة عشراء كاعظم ما يكون
وولدت ولدا مثلها فى العظم قيل كان مصدرها ستين ذراعا ثم قال
صالح هذه ناقة لها شرب اى نصيب من الماء تشربه وكانت تشرب
جميع الماء، ولكم شرب يوم معلوم لا تشرب فيه الماء، ولا تمسوها بسوء اى بضرب
او بعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم اى فى يوم عظيم وانما وصف اليوم بالعظيم

ما انت الا بشر مثلنا فات بآية ان كنت من الصادقين [illegible]

من هذه العصوة [illegible]

[illegible]

لانه اذا عظم الوقت لحلول العذاب فيه كان موقعه فی النفس من العظم اشد روی ان مسطعا رماها بسهم فی مضيق فی شعب فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار روی ان عاقرها قال لا اعقرها حتی ترضوا اجمعين فاستوذن رجالهم ونساهم وصبيانهم فرضوا فعقروها فاصبحوا نادمين علی عقرها لا ندامة توبة بل ندامة خوف من نزول العذاب بهم او ندموا عند معاينة العذاب وهو ليس بتوبة فاخذهم العذاب المعهود وهو عذاب يوم عظيم ان فی ذلك لاية وما كان اكثرهم ای اكثر قوم صالح مؤمنين به وان ربك لهو العزيز الرحيم بالنقمة والتوبة كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انی لكم رسول امين فيما بين الله وبينكم من الوحی فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجری الا علی رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين استفهم منهم لوط استفهام انكار واراد من العالمين الناس ومن الاتيان الفاحشة ای اتطئون الذكور من بين اولاد آدم مع غلبة اناثهم علی ذكورهم فی الكثرة او انتم مختصون بهذه الفاحشة ولا يفعلها غيركم فعلی هذا العالمون كل ما ينكح من الحيوان ای يطا وتذرون ای تتركون ما خلق لكم ربكم قوله من ازواجكم تبيين لما خلق لكم او تبعيض فيراد بما خلق لكم العضو المباح منهن وهو محل الحرث لانهم كانوا يفعلون هذا الفعل ايضا من نسائهم بل انتم قوم عادون ای متجاوزون الحلال

الی الحرام

الی الحرام وهذا الفعل ايضا منه قالوا لئن لم تنته يا لوط عن الانكار علينا لتكونن من المخرجين من قريتنا قال انی لعملكم من القالين ای مبغضين والقلی البغض الشديد وهو صفة لخبر محذوف لان ای انی لعملكم لقال من القالين ولو جعل هذا خبر العمل القالين فی عملكم يلزم تقديم الصلة علی الموصول رب نجنی واهلی مما يعملون من الفواحش فنجيناه واهله اجمعين من العذاب الا عجوزا فی الغابرين ای الباقين فی العذاب وهو صفة لعجوزا وهی امرأته ای الا عجوزا مقدرا غبورها مع قومها وانما استثناها لانها كانت معينة علی الفاحشة راضية بها والمستثنی منه هو الاهل لان لان الزوجة من الاهل ثم دمرنا الآخرين ای اهلكناهم وامطرنا عليهم ای علی شذاذهم وهم الذين كانوا خارجين من بلادهم حين انقلبت بهم مطرا ای حجارة من السماء فساء مطر المنذرين اجمعين ولم يرد قوما باعيانهم والمخصوص بالذم محذوف ای مطرهم ان فی ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين بلوط وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة علم للبلد او شجر روی ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وهو شجر الدوم وقری ليكة بلا الف ولام فمن قرا ليكة اراد بها البلد فلا ينصرف للتعريف والتانيث قوله اذ قال لهم شعيب الا تتقون ظرف لقوله كذب قيل لم يكن شعيب من اصحاب

الايكة ولذا لم يقل اخوهم بل كان من اصحاب مدين عن النبي عليه السلام ان
شعيبا اخا مدين ارسل الى مدين والى اصحاب الايكة وكذا قال في موضع
آخر الى مدين اخاهم شعيبا وكان اصحاب الايكة يطففون فامرهم بتقوى
الله واطاعة نفسه ونهاهم عن التطفيف بقوله اني لكم رسول امين بينكم وبين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اوفوا الكيل اي اتموه ولا تكونوا من المخسرين اي الناقصين الكيل والوزن
عند الاخذ والاعطاء وزنوا بالقسطاس المستقيم بكسر القاف وضمه اي بميزان
العدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي حقوقهم والبخس النقص بالظلم وهو
يدل على ان اصحاب الايكة اهل مدين لانه قال فيهم كما قال ههنا ولا تعثوا
في الارض مفسدين اي لا تعثوا فيها بالمعاصي والعثي هو الفساد والهلاك
وكذلك العيث يقال عثي وعاث اي افسد وهو قطع الطريق والغارة
واهلاك الزرع واتقوا الله الذي خلقكم والجبلة الاولين اي وهي الخلقة
اي ذوي الجبلة يعني اتقوا الذي خلقكم وخلق من تقدمكم قالوا انما انت
من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا فاثبتوا له شيئين كلاهما مناف
للرسالة عندهم احدهما التسحير والآخر البشرية وقصدوا ان الرسول
لا يجوز ان يكون مسحرا ولا بشرا وقالوا وان نظنك لمن الكاذبين اي ما
نظنك الا من الكاذبين ويجوز ان يكون ان مخففة ودخلت في فعل

الظن

الظن الذي يدخل على المبتدا والخبر واللام في ثاني مفعوليه لكونه خبرا في
المعنى فاسقط علينا كسفا بالسكون والحركة جمع كسفة وهي القطعة من
السماء اي السحاب والمراد العقوبة ان كنت من الصادقين انك نبي
فادع ربك ان يسقط علينا كسفا من السماء قال شعيب ربي اعلم بما تعملون
اي اليه الحكم والمشية وهو اعلم بعملكم من نقصان الكيل والوزن وبما
تستحقون من العقاب ان يرد يسقطه وان يرد يعذبكم لعذاب الآخرة فكذبوه
اي شعيبا بالعذاب فاخذهم عذاب يوم الظلة وهو ان اصابهم حر شديد
ستة ايام متوالية فاخذهم بانفسهم حيث لم ينفعهم ظل ولا ماء فاضطروا
الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة قد ظلوا تحتها لانهم وجدوا فيها
بردا ونسيما فاضطرت عليهم نارا محرقة فاحترقوا بها انه اي ان عذاب
يوم الظلة كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية لمن نقص في الكيل
والوزن وما كان اكثرهم مؤمنين به وان ربك لهو العزيز الرحيم للعاصي
والمطيع وانما كرر هذه القصص في القرآن تقريرا للمعاني في النفوس
وتثبيتا لها في الصدور ولانه اثبت للتذكر وابعد للنسيان وليكون ابلغ في
الوعظ والزجر وانه لتنزيل رب العالمين اي ان القرآن لمنزل الله
اللهم نزل به الروح الامين اي جبرئيل لانه امين على الوحي وهو بالرفع
فاعل نزل على قراءة التخفيف وقرئ نزل مشددا ونصب الروح

ومعناه جعل الله الروح الامين نازلا به اى جبرئيل لانه امين على الوحى
وهو بالرفع فاعل نزل على قرائة التخفيف وقرئ نزل مشددا ونصب
الروح ومعناه جعل الله الروح الامين نازلا به ومحل الجملة على الحال على قلبك
اى على قدر قلبك حفظا وفهما يعنى حفظه قلبك وفهمك اياه على مرادك
واثبته فيك اثبات مالا ينسى لتكون من المنذرين اى المخوفين بلسان عربى مبين
قيل ان علقت الباء فى بلسان بالمنذرين كان المعنى من الذين انذروا
بهذا اللسان وهو لغة قريش وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل
ومحمد عليه السلام وان علقت الباء فيه بنزل كان معناه نزله بلغة
العرب لتنذر به ولو نزله بلغة العجم لقالوا كيف نؤمن بما لا نفهمه وتعذر
الانذار به لان الرجل اذا كلم بلغة لقنها اولا ونشاء عليها لان قلبه
متوجها الى معانى الكلام دون الفاظه وان كلم بغير تلك اللغة وان كان
قلبك قوله اولم يكن لهم آية بالرفع فيجوز ان يكون ان يعلمه بدلا من آية اذا
كان كان تامة وآية فاعلها او هى الناقصة واسمها ضمير الشأن وآية مبتدأ
وخبره ان يعلمه اى القرآن او محمد عليه السلام وهما خبر كان هذا اذا قرئ
او لم تكن بالتاء مؤنثا ولو قرئ بالياء مذكرا فنصب آية خبر كان واسمها
ان يعلمه نزل حين ارسلوا الى يهود المدينة رسولا يسئلهم عن نعت
النبى عليه السلام فقالوا هذا زمان خروجه ونعته كذا فقال تعالى بالاستفهام

ماهرا بها كان نظره اولا فى الفاظها ثم فى معانيها فهذا تقرير كون نزوله على قلبك
انه اى ذكر القرآن لفى زبر الاولين اى [illegible] فى كتب [illegible] الانبياء صح

للتقرير

للتقرير ايشكوا فيه ولم يكن لهم علامة ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ابن سلام
واصحابه كانوا يخبرون بمبعث النبى عليه السلام فى كتبهم وكان اخبارهم
آية على صدقه ولو نزلناه على بعض الاعجمين جمع اعجم وهو الذى لا يفصح اى لا
يتبين الكلام بعجمة فى لسانه والاعجمى مثله والياء فيه للزيادة فى التاكيد وهو
ياء النسبة اى لو انزلناه على غير عربى اللسان فقرأه عليهم اى على العرب
وجواب لو ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم كلامه ولانفوا من اتباعه
فلذا لم يفعل الله ذلك قيل هذا منة من الله حيث كلمهم بلغتهم ليفهموه
فيؤمنوا به كذلك سلكناه اى مثل ذلك السلك الذى وضعناه
على الاعجمين من تنزيل القرآن عليهم فرضا ومن عدم ايمانهم به سلكناه
فى قلوب المجرمين من العرب او خلقنا الشك والشرك فى قلوبهم
من نزوله انا قررنا القرآن فى قلوبهم ومكناه بلسان عربى مبين
فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله فلم
فلم يتغيروا عما الهم عليه فى جحوده فهم لا يؤمنون به اى بالقرآن حتى يروا
العذاب الاليم فى الدنيا او فى الآخرة وهذه الجملة وقعت مقررة
لمضمون سلكناه فى قلوب المجرمين من التكذيب بالقرآن فيأتيهم
العذاب بغتة وهم لا يشعرون بوهم لا يشعرون به فيتمنون الرجوع والامهال
فيقولوا هل نحن منظرون اى مؤخرون من التعذيب قوله افبعذابنا يستعجلون

تبكيت لهم بانكار وتهكم نزل حين استبطؤا العذاب بعد الوعد
به ثم قال تعالى افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
من العذاب ما اغنى عنهم اى ما يغنيهم ما كانوا يمتعون في الدنيا المعنى ان تمتعهم
لتمتعهم سنين كثيرة بنعيم الدنيا فانهم لا ينتفعون به عند مجيء العذاب بعد
اقامة الحجة عليهم ليدل عليه قوله وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون اى
رسل ينذرونهم وانما تركت الواو بعد الا ههنا لان الاصل ان تعزل
الواو اذا وقعت الجملة صفة لقرية حذرا عن شبهة العطف واذا ذكرت
كانت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف قوله ذكرى مصدر او مفعول
له اى الا منذرون يذكرون الذكرى او لاجل الموعظة والتذكرة ويجوز
ان يكون خبر مبتدا محذوف اى هذه ذكرى اى تذكرة لهم وما كنا
ظالمين فنهلك قوما بالظلم اى من غير اقامة الحجة بارسال الرسل اليهم
قوله وما تنزلت به الشياطين نزل حين قال المشركون ان محمدا كاهن
وما تنزل عليه من جنس ما يتنزل على الكهنة من الشياطين فكذبهم
الله تعالى وما ينبغي اى ما جاز لهم النزول بالقران وما يستطيعون
اى لا يتسهل لهم ذلك انهم اى لانهم عن السمع اى استماع كلام اهل
السماء لمعزولون اى لمحجوبون لاحتراقهم بالشهب قوله فلا تدع مع الله
الها آخر نزل حين دعي الى دين آبائه او خطاب له عليه السلام والمراد

غيره فتكون من المعذبين وان كنت كريما عليه فكيف بغيرك وانذر عشيرتك
الاقربين اى الاقرب فالاقرب من قومك ولا تحابهم في الانذار روي انه
عليه السلام جمع قومه وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف
افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم من الله شيئا قال يا عائشة
بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد
اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن من الله شيئا واخفض
جناحك اى الن جانبك وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين الذين يشارفون
الدخول في الايمان والمؤمنون باللسان مطلقا بعد الانذار من عشيرتك
وغيرهم فان عصوك اى خالفك الاقربون ولم يتبعوك فقل اني برئ مما
تعملون الشرك من المعاصي فالفاء للجزاء قرئ بالواو عطفا على الجزاء
وبالفاء بدلا عنه قوله وتوكل على العزيز الرحيم اى ثق به وفوض امرك
اليه فانه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض
الرجل امره الى مالك الامور كلها القادر على النفع والضر والعزيز هو
القاهر للاعداء والرحيم هو الناصر للاولياء برحمته الذي يريك وصف
واتباع للرحيم بما هو سبب الرحمة وهو ذكر ما يفعله في جوف الليل من
قيامه للتهجد اى الذي يريك حين تقوم متهجدا او الى جميع مهماتك
ويرى تقلبك من قيام وركوع وسجود في الساجدين اى المصلين

اذا كنت اماما لهم فى الصلوة او المراد بالساجدين وتقلبه فيهم المتهجدين
من اصحابه وتصفح احوالهم ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون كيف
يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم انه هو السميع بقولك العليم بنيتك
وفعلك قوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين نزل حين قالوا ان الشياطين
تلقى السمع على محمد ومن كلمة تضمنه الاستفهام ودخل عليها حرف الجر
وحق الاستفهام ان يصدر فى الكلام فيقال اعلى زيد مررت ولكن
تضمنه ليس بمعنى انه اسم فيه معنى الحرف بل معناه ان الاصل امن فحذف
حرف الاستفهام واستعمل على حذفه كما يقال فى هل اهل ابل ومعناه
اقد فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر فى ضميرك
كانك تقول اعلى من تنزل تنزل على كل افاك اثيم اى كذاب فاجر وهم الكهنة
الذين كانت تسترق الجن السمع فتلقيه اليهم يلقون السمع اى تقذف
الجن الى الكهنة ما يسمعون عند استراق السمع وهو فى محل النصب على
الحال او فى محل الجر صفة لكل افاك لانه فى معنى الجمع ويجوز ان يكون
مستأنفا اى هم يلقون السمع واكثرهم اى الكهنة والشياطين كاذبون
لانهم يخلطون معه كذبا كثيرا عن النبى عليه السلام الكلمة يحفظها الجنى
فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة وانما قال اكثرهم لان البعض
قد يصدق والشعراء يتبعهم الغاوون بالتخفيف والتشديد نزل فيمن كان

يقول الشعر

يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد واتبعهم غواة على ذلك
والغاوون هم المشركون والشياطين او السفهاء والشطار وهم شعراء
قريش مثل عبد الله بن الزبعرى وابو عزة الجمحى ومسافع بن عبد مناف
كانوا يهجون النبى عليه السلام ويجتمع الاعراب من قولهم عليهم لاستماع
اشعارهم الم تر انهم فى كل واد يهيمون من اودية الكلام وفنونه يهيمون
من هام الرجل او البعير اذا ذهب على وجهه لا يدرى اين يذهب اى يعدلون
عن الحد مدحوا او هجوا لانهم لقلة مبالاتهم بالغلو فى النطق اجبن الناس
وابخلهم ويهجون اشرف الناس واجودهم وانهم اى الشعراء يقولون فى
اشعارهم فعلنا وصنعنا ما يفعلون وتفعل ونصنع تحرضنا
وكذبا قوله الا الذين آمنوا نزل حين نزل والشعراء يتبعهم الغاوون
لاستثناء المؤمنين منهم كحسان وابن رواحة وكان غالب شعرهم
توحيدا او ذكر الله فقالوا يا رسول الله قد نزلت هذه الآية والله يعلم
انا شعراء فقال عليه السلام ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه وان
الذين ترمونهم به نضح النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس
معك اى ناصرك يعني الا الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات
بالاخلاص وذكروا الله كثيرا اى فى جميع الاحوال وفى اشعارهم من
توحيده وثنائه وتنزيهه وحكمته وموعظته ومدح انبيائه واوليائه

وانتصروا اى هجوا الكفار اقتصاصا من بعد ما ظلموا اى هجوا لان الكفار
بدائهم بالهجاء ولا شك ان الشعر كلام فحسنه كحسنه وقبحه كقبحه ولا بأس
بالشعر بما هو الحق مدحا كان او ذما ثم اوعد شعار الكفار وبدوهم بما هو اهيب
اهول فقال وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون اى مرجع يرجعون
مع الخسران الى النار فان فيه وعيدا بليغا للمتاملين بقوله سيعلم وبقوله
ظلموا واطلاقه وبقوله اى منقلب ينقلبون وبابهامه وكان السلف
الصالح يتواعظون بها ويخافون شدتها قوله اى منقلب صفة لمصدر
محذوف منصوب بفعل بعده لا بيعلم لانه استفهام تقديره ينقلبون
انقلابا اى منقلب قالوا ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا وتفسير
الظلم بالكفر ليس بتحقيق لانه يفضى الى امن الظالم وزيادة ظلمه سورة
النمل مكية بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك اى هذه الآيات
التى فى هذه السورة هى آيات القران وكتاب مبين اى مظهر وهو
اللوح ولا فرق بينه وبين قوله آيات الكتاب وقران مبين لان الواو
لا تقتضى الترتيب فهو من باب توسعة الكلام وابانته انه خط فيه
كل ما هو كائن فيتبينه للناظر فيه الكتاب المبين السورة او القران
كرر للتاكيد وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والاحكام
والعطف فيه لعطف احد الصفتين على الاخرى للتاكيد كغافر الذنب

وقابل التوب

وقابل التوب واضافة الآيات اليها على سبيل التفخيم بها لان المضاف
يكسب التعظيم من المضاف اليه العظيم ونكر الكتاب المبين ليبهم بالتنكير
للتفخيم له قوله هدى وبشرى نصب على الحال اى هادية للمؤمنين من
الضلالة بالعمل بها ومبشرة لهم بالجنة والعامل فيهما ما فى تلك من معنى
الاشارة او رفع خبر مبتدا محذوف او بدل من الآيات او خبر بعد خبر
والاكثر قرا بشرى بالتفخيم لا بالامالة قوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة اى يعطونها وصف للمؤمنين وهم اى الموصوفون بهذه الصفات
بالآخرة اى بالبعث هم يوقنون حق الايقان لانهم الجامعون بين
الايمان والعمل الصالح والجملة معطوفة على الصلة ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة اى بالبعث زينا لهم اعمالهم بان متعناهم بطول العمر وسعة
الرزق ومجازاة لكفرهم فاتبعوا شهواتهم واعتقدوا اعمالهم القبيحة
حسنة فنفروا عن التكاليف الشاقة لا انا امرناهم بالفواحش
وحسناها اليهم فهم يعمهون اى يتحيرون فى الضلالة العمه التحير
والتردد كما هو حال الضال عن طريق اولئك اى الموصوفون
بهذا الوصف الذين لهم سوء العذاب اى القتل والاسر يوم بدر وهم
فى الآخرة هم الاخسرون اى اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا
من الشهداء على جميع الامم ولاستحقوا النجاة والثواب ثم قال تعالى

وانك لتلقى القرآن الموصوف بالهداية والبشارة من لدن حكيم عليم
اى انك يا محمد لتلقنه من عند الله الحكيم فى امره العليم باعمال خلقه تمهيدا
لما يسوقه من الآيات بعد قوله اذ قال موسى نصب باذكر مقدرة لاهله اى
لزوجته ومن معها عند سيره من مدين الى مصر انى آنست اى رأيت
نارا سآتيكم منها بخبر اى بخبر الطريق على قوة الرجاء لانه قد ضل عنها
قيل لم يكن مع موسى غير امرأته الا انه لما عبر عنها بالاهل خاطب بلفظ الجمع
او آتيكم بشهاب قبس الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة كلاهما بالتنوين
صفة وموصوف وبالاضافة كاضافة ثوب خز لعلكم تصطلون اى تدفعون
البرد بحرها فلما جاءها اى موسى النار نودى اى موسى ان بورك ان تفسير
لان فى النداء معنى القول اى قيل له بورك ولا يجوز ان تكون مخففة لانه
لا بد من قد ولا يجوز اضمارها لانها علامة لا تحذف قوله من فى النار محله
رفع ببورك اى من يقرب من النار وبورك من حولها او المكان محذوف
فيهما اى بورك من فى النار بشارة بقضاء امر عظيم ينتشر منه البركة
فى ارض الشام كلها وتلك البركة هى حدوث امر دينى من تكليم الله
موسى واظهار المعجزات عليه فيها وارساله الى ابعد تلك البقعة لنشر
بركة ذلك الخير فيها بنصر الله اياه والمراد بالنار هنا النور وهو نور رب
العزة قيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه

عام فى

عام فى كل من كان فى تلك الارض وفى ذلك الوادى وحواليها
من ارض الشام وانما قال سآتيكم بالسين ايذانا لاهله بعوده اليهم
وان ابطأ وانما قال او آتيكم باو دون الواو رجاء على انه ان لم يظفر
بحاجتيه جميعا لم يعدم احديهما ثقة بالله الكريم اما هداية الطريق واقتباس
النار لئلا يجمع بين حرمانين على عبده قوله وسبحان الله رب العالمين
من جملة ما نودى تعجيبا له يا موسى انه اى الشان انا الله او مكلمك يا موسى
انا والله بيان او بدل والعزيز الحكيم صفتان له تعالى قيل هذا جواب
قول موسى من الذى يكلمنى هنا حين سمع الخطاب ولم ير احدا والق عصاك
من يدك عطف على ان بورك فالقاها فصارت حية فلما رآها اى
العصا تهتز حال من هاء رآها كانها جان اى حية خفيفة اهلية
وصارت عند فرعون ثعبانا وهى الحية الكبيرة الغير الاهلية وهى ايضا
حال من ضمير تهتز ولى مدبرا اى رجع موسى على ظهره هاربا ولم يعقب اى
لم يلتفت بعد هربه خوفا من الحية فقيل له يا موسى لا تخف من الحية انى
لا يخاف لدى المرسلون اى لا ينبغى ان يخافوا عندى لانهم آمنون من
عذابى وانما خاف موسى لانه ظن ان ذلك لامر اريد به الا من ظلم
اى لكن من ظلم من المرسلين نفسه بذنب صدر منه كآدم ويونس
وداود واخوة يوسف عليهم السلام فانه خاف منى ثم بدل اى فعل

حسنا بعد سوء اى توبة بعد ذنب فانى غفور رحيم اى اغفر له وارحمه وادخل
يدك فى جيبك اى فى جيب درعك ثم اخرجها تخرج بيضاء من غير سوء
اى من برص ونحوه فى تسع آيات كلام مستأنف متعلق بمحذوف اى اذهب
فى تسع آيات الى فرعون وقومه ويجوز ان يتعلق بما قبله بتقدير مرسلا الى
فرعون فى تسع آيات ويجوز ان يكون فى بمعنى مع فيكون الآيات
احدى عشرة اليد والعصا والتسع وهى الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمس على اموالهم والجدب فى بواديهم والنقصان
فى مزارعهم انهم كانوا قوما فاسقين اى عاصين فلما جاءتهم آياتنا اى جاءهم
موسى بآياتنا التسع مبصرة حال من الآيات اى ظاهرة بينة جعل
الابصار للآيات مجازا وهى فى الحقيقة لمن تأملها قالوا هذا سحر مبين
اى بين وجحدوا بها اى بالآيات بعد المعرفة قوله واستيقنتها انفسهم
بتقدير قد حال من ضمير جحدوا اى لما جاءتهم آياتنا واضحات انكروها
حال كونهم مستيقنين صدقها وانها من الله تعالى ظلما اى شركا وعلوا
اى تكبرا عن الايمان بموسى يتعلقان بجحدوا والاستيقان ابلغ من الايقان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فى الارض بالكبر والمعاصى وكفران
نعم الله تعالى بالجهل والغفلة عنه وهى الغرق فى البحر ولقد آتينا داود
وسليمان علما اى طائفة من العلم وهو علم القضاء ومنطق الطير وقالا قيل الاول

فقالا

فقالا لقوله اعطيته فشكر لكن فيه حذف تقديره آتيناهما علما فعملا به وقالا
الحمد لله الذى فضلنا بالنبوة والكتاب وتسخير الجن والانس والشياطين
وكلام الطير والبهائم والملك على كثير من عباده المؤمنين وهم الذين
لم يؤتوا علما وعملا مثل علمهما وفى الآية دليل على شرف العلم وانه من اجل
النعم وان من اوتيه فقد اوتى فضلا على كثير من عباد الله وورث سليمان داود
اى نبوته وعلمه دون المال من بين بنيه وكانوا تسعة عشر ابنا وقال
اى نادى يا ايها الناس علمنا منطق الطير واراد بنون المتكلم نفسه
واياه تشهيرا لنعمة الله واعترافا بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر
المعجزة التى هى علم المنطق قيل اعطى سليمان ما اعطى داود وزيد له
تسخير الجن والريح وفهم نطق الطير والمنطق كل ما يصوت به
من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وما علم سليمان من منطق
الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه واوتينا من
كل شىء اى مما يؤتى الانبياء والملوك وكل هنا بمعنى التكثير لا للاحاطة
ان هذا اى الذى ذكرناه من النعم الكثيرة التى اعطاناها الله لهو
الفضل المبين اى الظاهر على ما اعطى غيرنا وهو وارد على سبيل
الشكر والثناء لا على سبيل الفخر وحشر اى جمع لسليمان جنوده من
الجن والانس والطير فى مسير كان له فهم يوزعون اى يساقون

وتحبسون يعني يوقف ويمنع اولهم حتى يلحقهم آخرهم ليكونوا مجتمعين لا يتخلف
منهم احد وذلك للكثرة العظيمة من الوزع وهو الكف قيل ان سليمان كان
يستعمل جنيا عليهم يرد اولهم الى آخرهم هكذا عادة القوافل والعساكر
وكان معسكره مائة فرسخ في فرسخ وكان له بساط من ذهب وابريسم
نسجت الجن فرسخا في فرسخ وفي وسطه يوضع منبره من ذهب وحوله
ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد هو والانبياء على كراسي
الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن
والشياطين وتظلله الطير باجنحتها لدفع حر الشمس عنه وترفع البساط
ريح الصبا بامره فيسير به مسيرة شهر وزيد في ملكه انه لا يتكلم احد الا حملت
الريح كلامه اليه فبينما يسير هو وجنده حراث فقال لقد اوتي آل داود
ملكا عظيما فنزل ومشى اليه وقال لا تتمن الا تقدر عليه والله لتسبيحة
واحدة يتقبلها الله خير مما اوتي آل داود ويتعلق بالوزع حتى اذا اتوا
على واد النمل هي بالطائف او بالشام كثيرة النمل وانما عدى اتوا
بعلى لا بالى لانهم لما اتوا قريبا من الوادي من فوق ارادوا ان ينزلوا
عند مقطع الوادي فخافوا حطمهم لانهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف
حطمهم قالت نملة هي كانت ملكة النمل لما رأت جند سليمان يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم اي نقوا لكم جعل الله خطابهم خطاب العقلاء حيث

لم يقل ادخلن لما سمع لها قول كقولهم لا يحطمنكم بالتشديد نهي مستانف
لاجل نون التاكيد لان جواب الشرط لا يأتي بنون التاكيد الا قليلا او بدل
من الامر بمعنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على طريقة قولك لا اريتك هنا
واصل الحطم الكسر والمراد ههنا الاهلاك اي لا يهلكنكم سليمان وجنوده وهم لا
يشعرون بهلاككم قالته لما علمت ان سليمان ملك عادل لا بغي فيه ولا
تجبر ولئن علم بها لم توطأ وسمعه سليمان ثلثة اميال لرفع الريح صوتها اليه
فتبسم ضاحكا حال مقدرة لان التبسم مبدأ الضحك اي شارعا في
الضحك او مؤكدة المعنى ضحك متعجبا من قولها وسببه شيئان دلالة
قولها على ظهور رحمته وشفقته جنوده وسروره بما اعطاه الله من ادراكه
سمعه ما تكلم به الحكل وهو ما لا يسمع صوت من جنس الحيوان وقال رب
اوزعني اي الهمني ان اشكر نعمتك وهو طلب التوفيق لزيادة العمل الصالح
والتقوى والايزاع من الوزع وهو الكف والربط اي اجعلني ازع شكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي واربطه عندي لا ينفلت عني حتى اكون
لك شاكرا دائما وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على
الوالدين خصوصا اذا كان تقيا فانه ينفعهما بدعائه وشفاعته وان اعمل
صالحا ترضاه اي تقبله مني وادخلني في الجنة برحمتك في عبادك الصالحين اي
اجعلني فيها فوقف سليمان وجنوده لمكانهم ليدخل النمل مساكنهم ثم مضى

بهم وتفقد سليمان الطير والتفقد عدم الوجدان بعد الطلب جملة الطير
ليرى الهدهد الذى هو رئيس الهداهد فلم يره فيهم فقال مالى بسكون اليا،
وفتحها لا ارى الهدهد فى جملة الطير ثم ادركه الشك فى غيبته فقال ام كان
من الغائبين والميم صلة او زائدة ام بمعنى بل لانه لاح له انه غائب فاضرب عن
ذلك فلما تحقق غيبته قال والله لاعذبنه عذابا شديدا بنتف ريشه وذنبه
وحبسه مع ضده وربطه فى الشمس فلا يمتنع عن الهوام وانما جاز تعذيب
الهدهد لما سخر له الطير والتسخير لا يتم الا بالتاديب والسياسة باذن الله
تعالى او لاذبحنه اى لاقتلنه كيلا يبقى له نسل او ليأتينى بسلطان مبين
اى برهان ظاهر على عذره وقرئ بنون واحدة مع التشديد للتاكيد فى
القسم وبنون الاضافة معها ففيه ثلث نونات فى الحقيقة قيل كيف
صح حلفه على فعل الهدهد من اين علم انه يأتى بسلطان مبين اجيب بانه
يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحى بانه سيأتيه بسلطان مبين
فمكث بفتح الكاف وضمها اى ابطأ فى غيبته وقتا يسيرا غير زمان بعيد
ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وانما طلبه
سليمان لان الهدهد فقده وهو الدليل الهادى والبصير بالماء تحت
الارض كما يرى الماء فى الزجاجة واسمه يعفور وكان سليمان اذا احتاج
الى الماء دل الهدهد على موضع الماء فتجئ الشياطين فتستخرجه له روى

انه لما

انه لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فاقام بمكة ما شاء ثم الى صنعاء
اليمن فرأى مكانا اعجبه خضرته فنزل ليتغدى ويصلى الظهر فى وقتها
فامر الهدهد بان يرتفع وينظر الى طول السماء وعرضها فارتفع فرأى هدهدا
واقعا فانحط اليه واسمه عنقير فوصف يعفور ملك سليمان وما سخر له
من كل شئ او ذكر له صاحبه ملك بلقيس وعظمه وقال ما اظن ملك
سليمان باعظم من ملكها فهل انت منطلق معى تنظر ملكها فقال اخاف ان
يتفقدنى سليمان وقت الصلوة اذا احتاج الى الماء فقال يسر صاحبك
ان تأتيه خبر هذه الملكة فانطلق معه فنظر ملكها فلبث لذلك وقد جاء وقت
الصلوة واراد سليمان ان يصلى الظهر فلم يجد ماء فطلب الهدهد ليدل على
الماء ويستخرج الشياطين الماء من تحت الارض فتفقده لذلك فقال
لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصده فقال
بحق الذى قواك على الا رحمتنى فتركه وقال ان نبى الله قد حلف
ليعذبنك قال بلى ان لم تأت بسلطان مبين قال نجوت اذا فجاء
العقاب سليمان بالهدهد فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وارخى
ذنبه وجناحيه تواضعا لسليمان فاخذ رأسه وجذبه اليه لشدة
وتهديه فقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان
وعفا عنه ولطف به خوفا من الله فقال الهدهد احطت بما لم تحط به اى

اى اطلعت على قوم وعرفت من بلادهم واحوالهم مالم تعلمانت ولا احد من
جندك وجئتك من سبأ اسم بلدة او قبيلة لا تتصرف بالفتح لتعريفه وتانيثه
وقرئ بالجر مع التنوين منصرف اسم لحى قوله بنبأ يقين متعلق بالمجئ
والنبأ الخبر الذى له شان واليقين العلم الذى لا يشوبه الشك والشبهة
فبينه بقوله انى وجدت امرأة تملكهم اى تملك قومها واسمها بلقيس بنت شراحيل
وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك
وامها جنية لانه ما كان يرى التزوج من الانس واوتيت تلك المرأة من
كل شئ يليق بها من اسباب الدنيا من الاموال والجنود وغيرها ولها
عرش عظيم اى سرير كبير بالنسبة الى اشباه جنسها قيل فى وصف عرشها
كان ثمانين ذراعا فى ثمانين وسمكه ثمانين او ثلثين وكان من ذهب وفضة
مكللا بالدر والزمرد وياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر فكانت قوايمه من
ياقوت احمر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق ثم اخبر
عن دينها بقوله وجدتها وقومها مجوسا يسجدون للشمس اى يعبدونها من
دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة فصدهم عن السبيل اى عن طريق الهدى
وهو الاسلام فهم لا يهتدون اى لا يعرفون دين الحق وانما خفى حالها
على سليمان مع قربه منها المصلحة رآها الله كما اخفى عن يعقوب مكان
يوسف وانما انكر الهدهد سجودهم للشمس واهتدى الى معرفة الله تعالى

ووجوب

ووجوب السجود له لالهام الله اياه ذلك كما يلهم سائر الطيور والحيوانات المعارف
التى لا يكاد العقلاء يهتدون لها الا يسجدوا بالتشديد ان فيه ناصبة بدل
من اعمالهم او مفعول يهتدون ولا زائدة اى لا يهتدون ان يسجدوا او
تقديره لئلا يسجدوا متعلقا بقوله فصدهم عن السبيل او بزين ومن قرأ
بالتخفيف فمعناه ان الهدهد قال عند ذلك لهم الا يسجدوا الا حرف التنبيه
ويا حرف النداء والمنادى محذوف اى يا قوم اسجدوا لله الذى يخرج الخبء
اى المخبوء وهو ما غاب من الثلج والمطر والنبات والاشجار فى السموات والارض
ويعلم ما تخفون وما تعلنون اى يعلم سر اهلها وجهرهم قرئ فيهما بتاء الخطاب
وبياء الغيبة قوله الله خبر مبتدأ محذوف اى الذى يعلم ذلك الله لا اله
الا هو اى هو المستحق للعبادة لا غير قيل من احطت الى قوله رب العرش
العظيم من قول الهدهد والتخفيف والتشديد فى الا يسجدوا سواء فى وجوب
السجدة لان التخفيف امر به والتشديد ذم على تركه والزجاج اوجبه مع
التخفيف دون التشديد قال سليمان سننظر اصدقت فيما اخبرتنا به
ام كنت من الكاذبين فيه والنظر هو التأمل والتصفح ثم دلهم الهدهد
على الماء فاستخرجوه وتوضوا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا الى بلقيس
فقال فيه من عبد الله سليمان بن داود الى ملكة سبأ بلقيس
بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد

فلا تعلوا علي واتوني مسلمين ثم ختمه بخاتمه وطبعه بالمسك ثم قال للهدهد
بكتابي هذا فالقه بسكون الهاء للوقف وهو لغة صحيحة وبكسرها البدل
على الياء المحذوفة وبالياء في الوصل اليهم بلفظ الجمع اى الى بلقيس وقومها
لانه ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها ثم تول اى انصرف عنهم بعد القاء
الكتاب وقف قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون اى ما يردون من الجواب فاخذ
الكتاب واتى بلقيس فوجدها راقدة في قصرها بمارب وقد غلقت الابواب ووضعت
المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة والقى الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل
نقرها فانتبهت فزعة وكانت قارئة لانها عربية من نسل تبع الحميري فلما
رأت الخاتم ارتعدت وخضعت خوفا من الخاتم لما فيه ملك سليمان ثم تأخر
الهدهد يسيرا ثم جلست مع اشراف قومها وكانوا اثني عشر الفا او مائة الف
قائد مع كل قائد مائة الف وقالت يا ايها الملأ اى الاشراف اني القي الي كتاب كريم
اى مختوم قال عليه السلام كرامة الكتاب ختمه او شريف لتصدره بالبسملة
ثم قرأت عليهم ما في الكتاب وهو المذكور في المصحف لا غير في رواية
مقاتل من قوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان في مفسرة
للكتاب بدل منه ومعناه لا تتكبروا ان لا تعلوا علي كالملوك وردوا جواب الكتاب
واتوني مسلمين اى طائعين منقادين قالت المرأة لقومها راجعة الى
استشارتهم واستطلاع ارائهم وتطييب قلوبهم واختبارهم بانا منهم

معها

معها في المعاونة يا ايها الملأ افتوني في امري اى اشيروا علي فيه ما كنت اى
لست قاطعة اى فاصلة امرا حتى تشهدون اى تحضروني قالوا نحن اولو قوة
في الاجساد والالات والعدد واولو بأس شديد اى شجاعة وبلاء
في الحرب والامر اليك اى ومعك هو موكل اليك ونحن مطيعون لك
لا حكم لنا عليك فانظري ماذا تأمرين اى مرينا بامرك نتبع امرك ولا نخالفك
فلما احست منهم الميل الى المحاربة رأت هي الميل الى المصالحة وزيفت قولهم
ورأتهم الخطاء فيه بان قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية بالقهر افسدوها بالتخريب
وجعلوا اعزة اهلها اذلة ليستقيم امورهم فذكرتهم عاقبة الحرب قوله
وكذلك يفعلون تصديق من الله لقولها او هو من كلام بلقيس ارادت
ان هذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير فارادت ان تدفعه عن ملكها فقالت
واني مرسلة اليهم بهدية اختبارا انه ان كان سليمان ملكا من ملوك
الدنيا اخذ الهدية وانصرف وان كان نبيا لم يأخذها ولم نأمنه على بلادنا
فناظرة بم يرجع المرسلون اى انظر باى شيء يرجع رسلي من قبول الهدية
او ردها وما يقال لها فاهدت اربع لبنات من الذهب كل لبنة
مائة رطل مع هدايا كثيرة مذكورة في التفاسير المطولة مع المنذر
بن عمرو من قومها بكتاب فيه الهدايا وقالت له انظر اليه فان نظر
اليك نظر غضب فاعلم انه ملك وان رأيته بشا لطيفا فاعلم انه نبي كريم

فتفهم قوله ورد الجواب كما سمعت فانطلق الرسول بالهدايا واقبل
الهدهد نحو سليمان مسرعا بخبره الخبر فامر سليمان ان يضربوا لبنات الذهب
والفضة وان يبسطوها من موضعه الذي هو فيه الى تسعة فراسخ وان
يجعلوا الميدان حايطا من الذهب والفضة وجلس هو في الميدان وحوله
الجن والانس والشياطين والطير والوحش فلما دنى الرسل ونظروا
الى ما نظروا وبهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن من الذهب والفضة
الذي بسطوه في طريقهم رموا ما معهم من اربع لبنات حياء مما راوا
فلما جاء الرسول ومن معه سليمان نظر اليهم بوجه حسن وقال ما وراكم فاخبر
الخبر واعطى كتابها فنظر فيه وعرف الهدايا واروه اياها قال سليمان
اتمدونن بمال اي اتزادونني لشيء حقير عندي وهو متاع الدنيا الدنية
قرئ بنون واحدة مشددة مع اليا وبنونين بالتخفيف مع اليا
في الاصل والوقف وبغيرها فيهما وبها في الاول فما آتاني الله من
النبوة والملك والغناء والوسع خير مما آتيكم من الدنيا لانكم
تفتخرون بزخارفها فرد الهدية عليهم وذكر الفاء دون الواو دليل
على ان بلقيس لم تعرف ما آتاه الله سليمان من النبوة والملك قوله
بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب عن الانكار عليهم ببيان سبب حملهم
عليه امداده بمال اي انتم تفرحون بشيء من الدنيا وتحزنون عليه ولا تا

لى ال

لي اليه بل حاجتي الى ايمانكم وترك المجوسية والهدية اسم للشيء المعطى
بالرفق والتلطف تضاف تارة الى المهدي وتارة الى المهدى اليه ثم لما
المرسلين اليه ارجع اليهم بالهدية فان لم يحضروا لي مسلمين فلنأتينهم بجنود
لا قبل لهم بها اي لا مقابلة ولا مقاومة لهم بها ان لم ياتوني مسلمين
ولنخرجنهم منها اي من مدينة سبا اذلة وهم صاغرون الذل ذهاب
العز والملك والصغار الاسر والاستعباد فلما رجع الرسول اليها بخبر
سليمان انه ليس بملك وجعلت سريرها داخل سبعة ابواب واغلقت
الابواب وجعلت عليها حرسا وارتحلت الى سليمان في اثني عشر الفا
قيل مع كل قيل الوف كثيرة وجلس سليمان يوما قبل قدومها على سريره
فراى على فرسخ عنه رهجا كثيرا يجيئون فقال ما هذا السواد قالوا بلقيس
بجنودها قال لجلسائه يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني
مسلمين اراد ان ياخذ سريرها قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل
له اخذ مالها وقيل اراد ان يطلعها على عظيم قدرة الله تعالى في يده وعلى
ما يشهد لنبوته فقصد قهرها فتسلم قال عفريت من الجن اصله عفري زيدت
التاء فيه للمبالغة وهو الفايق منهم وهو الخبيث المارد الذي يعفر اقرانه
والعفر التراب وكان اسمه كوذي يضع قدمه عند منتهى طرفه انا
آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلس قضائك وكان الى نصف

النهار او قبل ان تصل بلقيس اليك ان شئت وانى عليه اى حمله واتيانه
اليك لقوى امين على ما فيه من الجواهر وغيرها كما هو من غير تبديل
بغيره فقال سليمان اريد اسرع من ذلك قال الذى عنده علم من الكتاب
المنزل وهو علم الوحى وقيل هو اللوح والقائل جبرئيل عند المعتزلة وعند
اهل السنة هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما يعلم
اسم الاعظم وهو يا حى يا قيوم وقيل يا ذا الجلال والاكرام وكان بينه
وبين عرشها مقدار شهرين انا آتيك به اى بعرشها قبل ان يرتد اليك طرفك
وهو النظر وفى الاصل تحريك الاجفان فوضع فى موضعه والمعنى انك ترسل
الى شئ فقيل ان ترده ابصرت العرش بين يديك فقال له سليمان لقد
اسرعت ان فعلت ذلك فقال آصف ارسل طرفك فنظر نحو اليمن ودعى
آصف فغار الكرسى تحت الارض وظهر عند مجلس سليمان باتيان قدرة
الله تعالى قبل ان يرجع اليه طرفه فلما رآه اى رأى سليمان السرير مستقرا
عنده اى ثابتا بلا شبهة لديه وقيل انعدم فى مكانه ثم حدث عند سليمان
مثله باذن الله تعالى قال سليمان هذا من فضل ربى اى حصول مرادى
من احسانه الى ليبلونى اى ليختبرنى ءاشكر على مجيئ السرير الى ام اكفر
بنعمته على ومن شكر فانما يشكر لنفسه لان نفع شكره عائد اليه ومن كفر بترك
الشكر على نعمته فان ربى غنى عن شكره كريم بالانعام على الشاكر والكافر

سليمان

سليمان ان للملائكة نكروا اى غيروا عن هيئته لها عرشها بان تجعلوا
اعلاه اسفله ومقدمه مؤخره ومكان الاخضر الاحمر وبالعكس ننظر تهتدى لمعرفته
ام تكون من الذين لا يهتدون فغيروا عرشها لاختبار عقلها بتنكير ذلك العرش
واتخذ صرحا لينظر ساقها ورجلها لان الجن قالوا انها شعراء الساقين
وحافرها كحافر الحمار خوفا من تفشى سرهم الى سليمان لان امها كانت جنية
ومن ان يتزوجها فتلد له ولدا فلا ينفكون من التسخير فاراد ان يعرف
حقيقته ذلك بتنكير العرش واتخاذ الصرح وليراها ملكا اعظم من ملكها
فتسلم فامر سليمان الشياطين ببناء زجاج كانه الماء فى البياض وجعل
صحن الدار قوارير من يراه ظنه ماء حقيقة فلما تم امره وضع سريره فى صدر
الصحن وجلس عليه وعكفت عليه الطير والانس والجن فلما جاءت بلقيس
قيل لها اى قال سليمان اهكذا عرشك قالت كانه هو لم تقل نعم لئلا تكذب
وقد عرفته وهذا من استقامة عقلها وانما قيل اهكذا ولم يقل أهذا
لئلا يكون تلقينا قوله واوتينا العلم يحتمل ان يكون من كلام بلقيس
يعنى لما رأت عرشها عند مجلسه علمت ان مجيئها آية من الله دالة على نبوة
سليمان قالت واوتينا العلم اى اعطينا العلم بنبوته وفضله باخبار
رسولنا المنذر من علاماتها من قبلها اى قبل ظهور هذه الآية العجيبة وكنا
مسلمين اى طائعين له حين اخبر رسولنا من براهين نبوته وفضله عاطفة

بعض كلامها على بعض ويحتمل ان يكون من كلام سليمان عاطفا له على
على جوابها لانها لما اجابت عند سؤاله عن عرشها بما اجابت فيقتضي
المقام ان يقول هو وقومه قد اصابت في جوابها كانه هو سبب انها
قد رزقت بعقلها الراجح الاسلام والعلم بقدرة الله تعالى و صحة
النبوة بآيات اخبرها رسولها المنذر وبامر عرشها فعطفوا على ذلك قولهم
واوتينا العلم بالله والاسلام ثم قال تعالى وصدها اى منعها الله او سليمان
عن عبادة وما كانت تعبد وهو الشمس فما مفعول صد بتقدير عن او
صدها معبودها من دون الله اى حبه قيل قدومها عن التقدم الى الاسلام
لانها نشأت في عبادته ولم تعرف غيره فالفا عمل ما كانت انها كانت من
قوم كافرين يعبدون الشمس قيل لها ادخلي الصرح اى في الصرح وهو القصر
وقيل صحن الدار فلما رأته حسبته لجة اى ماء عظيما وكشفت عن ساقيها وروي
بالهمزة والمعنى انها رفعت ثيابها حتى بدت رجلاها فرآها سليمان احسن الناس
قدما لكن وجد عليها شعرا فصرف وجهه عنها ثم قال سليمان لها انه صرح
ممرد اى مملس من قوارير وليس بما حقيقة ودعاها الى الاسلام فاجابت
بان قالت رب انى ظلمت نفسى بعبادة غيرك واسلمت مع سليمان اى على
يده او اخلصت ديني معه بالتوحيد لله رب العالمين واراد ان
يتزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين بامره النورة وهو سبب

انها ذا النورة

اتخاذ النورة فازالته فتزوجها واحبها حبا شديدا واقرها على ملكها
روى انها ولدت له داود بن سليمان بن داود وهي من ازواج سليمان
في الجنة عطف على قوله ولقد آتينا داود وسليمان قوله ولقد ارسلنا الى
ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله اى بان وحدوه واطيعوه فاذا هم فريقان
اى خصمان فريقان مؤمن وكافر قيل المراد صالح وقومه الذين لم يؤمنوا به
يختصمون وصف لفريقان واختصامهم قول كل واحد منهما الحق معي قال
صالح يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اى بالعقوبة التي وعدتم بها قبل الحسنة
اى التوبة وانما قال ذلك لهم لاعتقادهم من الجهل ان التوبة ينفعهم عند
نزول العذاب فيصرون على الكفر لانه محتمل فاشار صالح الى جهلهم وخطائهم
فيما اعتقدوا وقالوا بقوله لولا اى هلا تستغفرون الله من كفركم قبل
نزول العذاب بكم لعلكم ترحمون فيدفع العذاب عنكم اذا نزل بكم قالوا اطيرنا
اى تشاءمنا بك وبمن معك من المؤمنين لانه اصابنا القحط بسببكم
قال صالح طائركم اى ما يصيبكم من القحط وغيره عند الله يعني لا
يأتى بالخير والشر الا هو وانما سمى العذاب طائرا لسرعة نزوله بل
انتم قوم تفتنون اى تعذبون بذنوبكم او يفتنكم الشيطان بوسوسته
وكان في المدينة تسعة رهط بيان لسبب نزول العذاب والمدينة هي الحجر
والرهط دون العشرة ليس فيهم امرأة وهو جمع لا واحد له ولذا اضيف اليه

التسعة ومبرت به بنيز تسعة رجلا تفسدون فى الارض بانواع المعاصى ولا
يصلحون اصلا اى شانهم الافساد وهم الذين سعوا فى عقر الناقة
ومنهم قدار بن سالف عاقر الناقة ومصداع بن دهر وكانا قد قعدا
لها فلما مرت بهما رماها مصداع بسهم وعقرها قدار ثم سلخوها واقتسموا
لحمها فاوعد لهم صالح الهلاك وبين لهم العلامة بتغير الوانهم فاجتمع التسعة
وتحالفوا على قتل صالح وقومه قالوا تقاسموا يحتمل ان يكون امرا بينهم او خبرا
فى محل الحال بتقدير قد يعنى متقاسمين اى قالوا متحالفين بالله على اهلاك
صالح واتباعه من المؤمنين فاسلفنا عنهم قلنا لا نعلم حالهم وهو معنى قوله
لنبيتنه اى صالحا ولنبيتن اهله يعنى لنقتلنهم ليلا بغتة ثم لنقولن
بنونين فى الفعلين اخبارا عن انفسهم وبالتاء خطاب بعضهم لبعض
ثم بضم التاء الثانية من الفعل الاول وضم اللام الثانية من الفعل الثانى
اى يامر بعضهم بعضا بالتحالف على اهلاك صالح واهله ليلا من التبات
المبلغة بالعدو ليلا ويقولون بعد الاهلاك لوليه اى لولى الدم ما شهدنا
اى ما حضرنا مهلك اهله اى اهل صالح وانا لصادقون فى قولنا قرئ مهلك
بفتح الميم واللام وبكسر اللام وبضم الميم وفتح اللام يحتمل المصدر والزمان
والمكان ومكروا مكرا وهو قتل صالح بغتة ومكرنا مكرا اى جازيناهم
جزاء مكرهم وهم لا يشعرون بمكرهم لانهم قصدوا قتل نبى الله ولم يرضوا

ان يكونوا كاذبين بل سووا حيلة للصدق فى خبرهم لئلا ينسبوا الى
الكذب بذكرهم احد البياتين وهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما فقط
فبذلك كانوا صادقين وفى هذا دليل على ان الكذب عند الكفار ايضا
بدون علم الشرع او لا يشعرون جزاء مكرهم فانظر يا محمد كيف كان اى
على اى حال وقع عاقبة مكرهم اى امرهم السوء قوله انا دمرناهم بالفتح رفع
على انه بدل من العاقبة او خبر مبتدا محذوف اى هى تدميرهم او مجرور
باللام بتقدير لانا او منصوب على انه خبر كان اى عاقبة مكرهم الدمار
وبالكسر استيناف والمعنى اولئك التسعة ارادوا اختلك لصالح واهله
فاهلكناهم وقومهم اجمعين باسقاط الجبل عليهم او بصيحة جبرئيل او
باحراقهم بالنار الخارجة من تحت الارض فتلك اى خربة المشار اليها بيوتهم
خاوية اى خالية بما ظلموا اى بسبب شركهم وعصيانهم وخاوية بالنصب
حال والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة ان فى ذلك اى فى اهلاكهم
لاية لقوم يعلمون اى يعقلون وانجينا الذين آمنوا بصالح ورسالته وكانوا
يتقون الشرك وهم اربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب وقيل انهم
جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد ارسل الله ملائكة دار صالح فدمغوا
قومه بالحجارة وهم لا يرون راميها و ارسلنا لوطا بنصب العطف
على صالحا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اى المعصية وهى اللواطة وانتم تبصرون

اى تعلمون انها فاحشة او ينظر بعضكم بعضا رضى بلا انكار عليه او تبصرون
آثار العصاة قبلكم ولا تنتهون عن المعصية ائنكم لتأتون الرجال شهوة من
دون النساء اى لتجامعون الرجال بشهوة منكم وتتركون النساء التى خلقت
لكم بل انتم قوم تجهلون عاقبة فعلكم ومحل تجهلون بالتاء مرفوع بانه صفة
قوم ولفظه لفظ الغائب فالظاهر انه ليس بينهما مطابقة والوجه ان يقال
اذا اجتمعت الغيبة والمخاطبة غلبت المخاطبة لكونها اقوى من الغيبة فما
كان جواب قومه نصب الجواب خبر كان واسمها الا ان قالوا اخرجوا آل
لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون اى يتنزهون من عملنا فانجيناه واهله الا امرأته
قدرناها اى تركناها من الغابرين اى مع الباقين في الهلاك وامطرنا عليهم
مطرا اى الحجارة فساء مطر المنذرين اى الذين انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا بهم
فامطرت الحجارة قوله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اى اختارهم
للعبادة امر الله تعالى نبيه محمد عليه السلام بحمده وبالسلام على خير خلقه
وهم الانبياء والصالحون السابقون الى محمد عليه السلام واللاحقون
به توطئة لما يتلوه بعد من الدلالة على الوحدانية والقدرة العظيمة
وهو تعليم حسن لمن اراد ان يشرع فى بيان كل علم مفاد وعظة وخطبة
او فى كل حادثة وامر ذى خطر ان يتبرك بالذكرين وهما التحميد والسلام
لاستنطاقها بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين ثم قال مستفهما

بجهلهم

بجهلهم فى فعلهم واستهزاء بحالهم آلله خيرا اى ام الذين يشركون
به من الالهة بالياء والتاء ومعلوم ان لا خير فيما اشركوه لكنه الزام
لهم وتبكيت وتهكم بهم لانهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا
ولا يؤثر عاقل شيئا من ذلك على ما هو خالق كل خير ومالكه فما آثروهم
لزيادة الخير بل آثروهم من هوى وعبث والمعنى الله انفع لعابديه
ام الاصنام لعابديها استفهام على سبيل الانكار والزجر وام فيه
متصلة ثم عدد الخيرات والمنافع التى هى آثار رحمته كما عددها فى موضع
آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ بقوله امن خلق
السموات والارض ام فيه منفصلة بمعنى بل والهمزة تقديره الله خير
بل امن خلق السموات خير تقديرا لهم فهو بدل من الله او من خلقهما
خير ام ما يشركون وام فيه متصلة لاحد الامرين اى ايهما خير وانزل لكم
من السماء ماء فانبتنا به حدائق جمع حديقة وهو البستان عليه حائط ذات
بهجة اى حسن والنقل عن الغيبة الى التكلم فى الاخبار عن ذاته
تعالى يدل على تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته تعالى بدليل قوله ما كان
لكم اى ما انبغى وما صلح لكم ولمعبوديكم جميعا ان تنبتوا شجرها اى
اشجار الحدائق ونباتها لاستحالته من غيره تعالى أإله اى يقرن
مع الله غيره ويجعل شريكا له بل هم قوم يعدلون عن الحق الذى هو

التوحيد امن جعل الارض قرارا اى مستقرا يستقر عليها اهلها وجعل خلالها
اى فى وسطها انهارا وجعل لها رواسى اى جبالا ثوابت وجعل بين البحرين
اى العذب والملح حاجزا اى سترا مانعا ان يختلط احدهما بالآخر االه مع الله
يعينه على صنعته بل اكثرهم لا يعلمون توحيد الله فلا يؤمنون به امن
يجيب المضطر اى ما يستجيب فى البلاء دعاء اذا دعاه اى تضرع بالدعاء
اليه والمضطر هو الذى احوجه مرض او فقر او حادثة الى التضرع الى الله والالتجاء
به قال عليه السلام يرفع دعاء المؤمن فوق الحجاب ويقول الرب تعالى
وعزتى لانصرنك ولو بعد حين وهو ليس على العموم بل الاجابة موقوفة
على كون المدعو به مصلحة ويكشف السوء الضر ويجعلكم خلفاء الارض اى السكان
فيها بعد هلاك من قبلكم االه مع الله قليلا ما تذكرون بالياء والتاء بالتخفيف
فيهما وبالتشديد وما زائدة فيه والمراد نفى التذكر اذ القلة تستعمل فى النفى
امن يهديكم اى يرشدكم فى ظلمات البر والبحر بالنجوم فى السماء وبالعلامات
فى الارض اى ليلا ونهارا فى البحر والبر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته
اى قدام المطر االه مع الله تعالى عما يشركون امن يبدأ الخلق ثم يعيده
فى الآخرة وانما سئلوا عن بدء الخلق واعادته مع انهم منكرون للاعادة لتقدم
البراهين الدالة على ذلك من انزال الماء وانبات النبات فاوجبت عنه الانكار
منهم وتمكنت على المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار ومن يرزقكم من السماء

المطر

المطر ومن الارض النبات االه مع الله قل هاتوا برهانكم بان غير الله صنع
شيئا من هذا ان كنتم صادقين ان مع الله الها والاستفهام للتوبيخ
فى الآيات المذكورة لا للاسترشاد ثم امر نبيه عليه السلام بقوله قل
لكفار مكة لا يعلم من فى السموات والارض اى اهلهما من الملك والانس والجن
الغيب اى الامر الخفى من قيام الساعة وغيره الا الله بالرفع قيل الاستثناء
منقطع والرفع يجوز فيه على لغة بنى تميم فهو بدل من لانه فاعل يعلم اى لا يعلم
الا الله الغيب فى السموات والارض فيتعلق الظرف بالغيب لان متعال
عن الظرف وما يشعرون ايان اى متى يبعثون فكيف يعلمون الغيب وقيل
نزلت الآية حين سئل النبى عليه السلام عن الساعة ولهذه الآية قالت عائشة
من زعم ان محمدا يعلم ما فى غد فقد اعظم على الله الفرية قوله بل ادرك علمهم فى الآخرة
بل فيه بمعنى هل وادرك بمعنى لحق وفى بمعنى الباء اى تكامل ولحق علمهم
بحدوث الآخرة متى يكون وهو استفهام انكار وتوبيخ وقرئ ادارك
بالادغام اصله تدارك اى بل تلاحق علمهم بحدوث الآخرة باسباب النظر
على ان القيمة كائنة لا ريب فيها وتمكنوا من معرفته لكنهم جاهلون ولا يوقنون
او تتابع ظنونهم فى علمها فيقولون تارة يكون وتارة لا يكون فليس منهم
من اختص بشىء من علمها وهو معنى قوله بل ادرك علمهم فى الآخرة اى
الساعة وعماهم وقال الذين كفروا اءذا كنا ترابا وآباؤنا عطف على ضمير كنا

والعامل في اذا نخرج المقدر فيه دل عليه انا لمخرجون من قبورنا احياء والتكرير
مبالغة في كفرهم واستهزائهم به عليه السلام لقد وعدنا هذا نحن اي البعث الذي
تعدنا وآباؤنا من قبل وتقديم هذا على نحن ايذان بان اتخاذ البعث هو
المقصود لان الكلام سيق لاجله وتقديم نحن وآباؤنا في موضع آخر على هذا
ايذان بان اتخاذ المبعوث مقصود به ان اي ما هذا الذي يقول محمد الا اساطير
الاولين اي كذبهم المسطور بايديهم قل سيروا في الارض فانظروا اي اعتبروا
كيف كان عاقبة المجرمين اي الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون
لطفا للمسلمين في ترك الجرايم وتخوف عاقبتها ولا تحزن عليهم لانهم لم يسلموا
فلم يسلموا وهم قومه قريش ولا تكن في ضيق اي في حرج صدر مما يمكرون اي من
مكرهم وكيدهم بك فان الله يعصمك من الناس وينصرك عليهم ويقولون
متى هذا الوعد اي الموعود من العذاب ان كنتم صادقين بان العذاب واقع
بنا قل في جوابهم عسى ان يكون الشان ردف لكم اللام فيه زائدة اي قرب
منكم ولحقكم بعض الذي تستعجلون من العذاب وهو يوم بدر وان ربكم لذو فضل
على الناس بتأخير العذاب عنهم بمعاصيهم ولكن اكثرهم لا يشكرون بذلك حتى تولوا
وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم من الكفر من اكن اذا اخفى والمراد منه عداوة
النبي عليه السلام وما يعلنون من الكفر باللسان وما من غائبة وهي اسم لكل
مستتر من العذاب وغيره على العباد في السماء والارض الا في كتاب مبين اي كا

في اللوح

في اللوح المحفوظ يعني قد احاط به الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الوجود ولانه اثبته
في ذلك الكتاب والمبين البين للناظر فيه من الملائكة ان هذا القرآن يقص
اي يبين على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون فيما بينهم وهو نزل مبين اختلف
اهل الكتاب في دينهم وفي المسيح عيسى عليه السلام فتحزبوا فيه احزابا ووقع
بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضا وقد نزل القرآن ببيان اكثر
ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا وبنو اسرائيل هم الذين في
زمان محمد عليه السلام من اليهود والنصارى وانه اي القرآن لهدى لمن اتبعه
ورحمة للمؤمنين من العذاب ولمن انصف وامن من بني اسرائيل ومن غيرهم
ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل او بين المؤمن والكافر بالقرآن بحكمه
اي بعدله فسمى المحكوم به وهو عدله حكما لانه لا يقضي الا بعدل وهو العزيز الغالب
فلا يرد حكمه العليم بما يحكم وبمن يقضي عليه وله فتوكل على الله اي فوض امرك
اليه وثق به ولا تخف منهم فانه ناصرك عليهم انك على الحق المبين اي على الدين
الواضح الذي لا يتعلق به الشك وهو الاسلام فيجب الوثوق على صاحب
الحق بنصرة الله تعالى اياه انك لا تسمع الموتى اي الكفار والمعاندين لان
لان سماعهم لعدم انتفاعهم به كالموتى ولا تسمع الصم الدعاء اي الايمان بآيات
القرآن وشبهوا بالصم لانه نعوتهم فلا يسمعون قوله اذا ولوا مدبرين
اي انصرفوا معرضين عن الحق بالتكذيب تأكيد حال الاصم لانه اذا

عن داعي الحق كان ابعد عن سماع الحق وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم وقرئ
تهدي اي انت لا تهدي الذين عميت ابصارهم عن آيات القرآن عن الشرك
على الايمان ولكن عليك الدعوة والله يهدي من يشاء فالمعنى انهم لا ينتفعون
باسماعك القرآن اياهم فكانهم فقدوا اذان السماع ولا يهتدون الطريق
الواضح حيث يضلون عن سبيل الهداية فكانهم نزعت الابصار عنهم ان اي
ما تسمع الا من يؤمن بآياتنا اي من يصدق القرآن انه من الله فهم مسلمون
اي مخلصون في ايمانهم واذا وقع القول عليهم وهو ما وعد به الناس من قيام
الساعة والعذاب وسماه قولا مع كونه متصورا في النفس قبل ظهوره لانه
يؤدى بالقول والمعنى لو قرب حصوله والمراد ظهور اشراط الساعة وعلاماتها حين
لا ينفع التوبة اخرجنا لهم دابة اي الجساسة من الارض قال عليه السلام
تخرج من الصفا اول ما يبدو رأسها فيبلغ السحاب فيراه اهل المشرق والمغرب
وانها ذات وبر وريش لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وقيل من تهامة
وقيل من بحر سدوم روي انها تخرج ثلث خرجات من ناحية المسجد
ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم فيهولهم هذا الخروج فيهرب
قوم ويقف ينظرون اليها تكلمهم بلسان العربية تقول ان الناس
بكسران وفتحها كانوا بآياتنا لا يوقنون اي بخروجي لانه من الآيات
وتقول الا لعنة على الظالمين وقولها حكاية لقوله تعالى او التقدير

بآيات

بآيات ربنا فتقبل عليهم وهم يفرون عنها الى المساجد فتقول اترون ان
المساجد تنجيكم مني وقيل تكلم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام وقرئ
ابن عباس تكلم اي تجرحهم وتكلمهم من الكلم وهو الجرح وقيل جرحها وكلمها
للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وروي انها تخرج معها عصى موسى وخاتم
سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم فيكون الجرح
وسما لها ثم عادت الى مكانها ثم نزلت الارض في ذلك اليوم في ست
ساعات فيمسون خائفين فاذا اصبحوا اتاهم الصريخ بان الدجال قد
خرج ويوم نحشر اي اذكر يوم يجمع للحشر من امة فوجا اي جماعة كثيرة والمراد
الرؤساء ممن يكذب بآياتنا القرآن من الاولى تبعيض والثانية تبيينية
لان جميع الكفار مكذبون فهم يوزعون اي الرؤساء يجمعون ويساقون
بين ايدي ما سهم الى الموقف حتى اذا جاء مكان الحساب قال الله تعالى
تهديدا لهم اكذبتم بآياتي الحال انكم لم تحيطوا بها اي بآياتي علما وهو نصب
على التمييز والمعنى من الاستفهام التقرير والمراد به المناقشة في الحساب اي اكم
كذبتم بها بادي الرأي من غير نظر وفكر يؤدي الى احاطة العلم بانها حقيقة
بالصدق او بالكذب قوله ام ماذا كنتم تعملون اي عمل شغلكم عن الايمان
ولم تعملوا سوى التكذيب بآياتي ورسلي مكان الايمان بها متصل بما قبله
لانه استفهام على سبيل التوبيخ وتبكيتا بالحجة واعلاما لهم بانه عالم

بانهم لم يعملوا في الدنيا الا تكذيب الآيات والكفر بها فلا يقدرون ان يقولوا
صدقنا ما بانك فتعين التكذيب ووقع القول اى نزل العذاب عليهم بما ظلموا من
ترك الايمان فهم لا ينطقون بحجة واعتذار لاتيان العذاب الموعود شغلهم من النطق
او ختم افواههم وهذا قبل كبهم في النار الم يروا اى الم ينظروا اهل مكة نظرا
اعتبارا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه يكون راحة وجعلنا النهار مبصرا اى ليتبصروا
به طرف التجارة والكسب ففي المعنى رعي التقابل في التعليل وقيل معنى مبصرا
واضحا يبصر فيه الاشياء جعل الابصار للنهار وهو لاهله ان في ذلك لآيات
اى لعبرات لقوم يؤمنون اى يصدقون بصحة الاعتبار ويوم ينفخ في الصور ففزع
اى اخاف من هيبته ولم يقل فيفزع لكون الفعل المستقبل من الله متيقن
الوقوع كتيقن الماضي من غيره وقيل المراد من الفزع فزع الصعق وهو
الموت اى مات من شدة النفخة الاولى جميع الخلائق يعني من في السموات ومن
في الارض والثانية للقيام لرب العالمين الا من شاء الله اى الا من ثبت
الله قلبه وهم الشهداء لانهم احياء عند ربهم او الملائكة المقربون وهي
الاربعة المشهورة ثم يموتون بعد ذلك وقيل حملة العرش وخزنة الجنة
والنار والحور وقيل موسى لانه صعق مرة فاكتفى بها وكل اتوه بالقصر
داخرين اى جميع الخلائق جاؤا امر الله واجابوه صاغرين والجمع بالنظر
الى معنى الكل وقرئ آتوه بالمد وضم التاء جمع اسم فاعل مع الاضافة

ومعنى

ومعنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية وترى الجبال تحسبها جامدة
اى غير زائلة عن مكانها في عين الناظر حال عن الجبال قوله وهي تمر مر السحاب
حال ثانية من ما في تحسبها الا من جامدة لفساد المعنى لانها لا يكون جامدة
مارة اذا رأيت الجبال وقت النفخة الاولى ظننتها ثابتة في مكان واحد
لعظمتها وهي منقلعة من الارض الى السماء تسير حقيقة سيرا سريعا
كثيرا لا يكاد تتبين حركتها قوله صنع الله مصدر عامله صنع مدلالة مرورها
كمر السحاب اى صنع ذلك صنعا الله الذي اتقن اى احكم كل شيء خلقه
بعلمه وحكمته فيكون متقنا لا وهيا قيل مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة
بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه بها على مقتضى
الحكمة انه خبير بما يفعلون بالتاء والياء اى عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون
عليه من الجزاء وتحقق ذلك بقوله من جاء بالحسنة اى كلمة الشهادة فله خير منها
نزالا بالتضاعف وهم من فزع آمنون بالتنوين وهو خوف العذاب الشديد
وهو النار فالتنوين او للقلة اى من فزع ما او بالاضافة للتخصيص كا
تر من خزى يومئذ في هود ومن جاء بالسيئة اى بالشرك بالله فكبت اى
القيت وجوههم الوجه يعبر عن الجملة كالراس والرقبة او الكب الالقاء
اى القوى في النار منكوسين فيقال تبكيتا لهم هل تجزون الا ما كنتم تعملون
من المعاصي كالشرك وغيره ثم امر الله رسوله بان يقول ترغيبا

ن التوحيد ونفي الشرك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة اي ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلتم يا قريش والمراد بهذه البلدة مكة قوله الذي حرمها نعت رب المضاف اي جعلها حرما امنا لا يسفك فيها دم انسان ولا يظلم احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها اي لا يقطع نباتها ولا يعضد شجرها والملتجي اليها امن وله كل شيء اي شيء داخل تحت ملكوته وربوبيته كدخول مكة تحتهما يعني كل شيء في حكمه وارادته يفعله كيف يشاء ويحكم عليه كيف يريد وامرت ان اكون واحدا من المسلمين عابدا له وان اتلو القران عليكم واتبع ما انزل علي من الوحي فمن اهتدى باتباعه اياي في الاسلام والتوحيد وتلاوة القران والعمل فانما يهتدي لنفسه اي في ثوابه لها ومن ضل اي من لم يتبعني في ذلك فقل لا علي لانه قال لي قل انما انا من المنذرين اي رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ قيل نسخ باية السيف وقل الحمد لله اي اقر لي ان الحمد لله على ما رزقني من نعمة النبوة التي لا يقابلها نعمة وان اقول سيريكم الله اياته التي يجيئكم الى المعرفة والاقرار بانها ايات الله حين لا ينفعهم المعرفة والتوبة يعني في الاخرة او في الافاق او في انفسكم كانشقاق القمر والدخان وما حل بهم من النقمات في الدنيا كالقحط والقتل او فتح مكة فتعرفونها اي ستعرفونها دلائل الوحدانية ثم وصدق نبوتي ههنا قوله وما ربك بغافل عما تعملون بالتاء والياء وعيد للظالم

وتعزية

وتعزية للمظلوم اي يعلم الله كل عمل يعملونه لا يغفل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوز على العالم بالذات سورة القصص مكية بسم الله الرحمن الرحيم طسم تقدم الكلام في معناه قوله تلك اشارة الى الايات فيها وهي وهي ايات الكتاب المبين اي البين ما فيه من امر الله ونهيه نتلوا اي نقص عليك من نبا موسى وفرعون اي خبرهما بالحق حال من فاعل نتلوا اي محقين نحن لقوم يؤمنون اي لمن سبق في علمنا انه يؤمن لانهم هم المنتفعون به قوله ان فرعون تفسير للخبر المجمل لان القايل يقول كيف نباهما فقال ان فرعون علا اي تجاوز الحد في الظلم للعباد في الارض اي ارض مصر ومملكته وجعل اهلها اي اهل مصر شيعا اي فرقا مختلفة يشيع بعضهم بعضا اي يتبعه في طاعته وخدمته قوله يستضعف اي يستقهر طائفة منهم اي من اهل مصر يعني بني اسرائيل حال من ضمير جعل قوله يذبح ابناءهم حال من ضمير يستضعف وبدل منه او تفسير له ويستحيي نساءهم عطف عليه اي يتركهن احياء ويستخدمهن قوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل ظلما من عمل المفسدين فحسب سواء صدق الكاهن او كذب اذ لا طائل تحته وكان سبب قتل الانبياء قول د سيولد من بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وفيه حماقة فرعون لانه ان صدق الكاهن لا يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل قوله ونريد ان نمن بالنجاة على الذين استضعفوا في الارض وهم بنو اسرائيل

عطف على قوله ان فرعون لانه ايضا تفسير لنباء موسى وفرعون لانه ايضا تفسير لنباء موسى وفرعون ويجوز ان يكون ونريد حالا من يستضعف بتقدير نحن ليصير جملة اسمية ويكون الواو في موضعها ولا يبعد لان منة الله عليهم بالنجاة كانت قريبة الوقوع فجعلت ارادة وقوعها مقارنة لاستضعافهم وهو جواب لمن يسئل ان الله اذا اراد شيئا كان بلا توقف الى وقت آخر فكيف يجتمع ارادة المنة واستضعافهم اذا كان حالا ونجعلهم ائمة اي قادة يقتدى بهم في الخير ونجعلهم الوارثين يرثون املاك فرعون وقومه ونمكن لهم اي لبني اسرائيل في الارض ارض مصر والشام ومعنى نمكن نجعل له مكانا يقعد عليه او يرقد والمراد تسليطهم واطلاق ايديهم عليها بالحكم والغلبة قوله ونري بضم النون ونصب الياء عطف على ان نمن اي نريد ان نري نحن فرعون وهامان وجنودهما منهم اي من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون اي الذي كانوا منهم متعلق بنري لا بيحذرون لئلا يتقدم صلتها على الموصول اي نظهر نحن للقبط من بني اسرائيل ما كانوا يخافونه من ذهاب ملكهم على يد مولود منهم وقرئ بالياء اي يرى فرعون وقومه ذلك واوحينا اي الهاما او مناما الى ام موسى ان ارضعيه هو تفسير الوحي فاذا خفت عليه من القتل بصياحه وبكائه فالقيه في اليم اي البحر والمراد بحر النيل ولا تخافي عليه من الغرق ولا الضيعة ولا تحزني على فراقه ووقوعه

في خطر والفرق بين الخوف والحزن ظاهر اذ الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع يأتي والحزن غم يلحقه لواقع فات قوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وعد من الله لها بايناسها وتطمين قلبها وبشرى من رده اليها لتربية وجعله من المرسلين قيل لما خافت من عيون فرعون لفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه فوجدت يلعب باصبعه في الارض وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاخرجته من التنور فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها في المنام فالقته في اليم بتابوت مطلي بالقار من داخله وكان لفرعون ابنة يحبها وبها برص فوصف لها ريق حيوان يشبه الانسان يخرج من النيل يوم كذا عند طلوع الشمس تلطخ وجهها فتبرأ فاقبل التابوت على وجه الماء فقال فرعون علي به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه ليكون لهم عدوا عاقبة فاللام لام العاقبة لا للتعليل لانهم لم يأخذوه ليكون لهم عدوا يقتل رجالهم وحزنا بضم الحاء وسكون الزاء وبفتحهما يستعبد نساءهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء لا في تربية عدوهم فحسب او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم ففتحت آسية التابوت فوجدت فيه

صغيراً ابوزه بين عينيه وهو يمص ابهامه ابهامه لبنا ولعابه يسيل فالتطخت
ابنته بلعابه فبرئت فاحبه فرعون وابنته وآسية حبا شديدا فقال الغواة
من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فهم بقتله وقالت امرأة فرعون اي آسية
هذا الغلام قرت عين لي ولك لا تقتلوه فانه اتانا به الماء من مصر آخر فاستوهبته
من فرعون فوهبها اياه عسى ان ينفعنا في خدامها فان فيه مخايل اليمن ودلائل
النفع او نتخذه ولدا اي نتبناه لانه اهل للتبني ولم يكن له ولد ذكر وهم
لا يشعرون انه يهلكهم وانهم على خطأ عظيم في التقاطه وهو حال من آل فرعون
وقوله ان فرعون الآية اعتراض واقع بين المعطوف عليه والمعطوف لتاكيد
معنى خطائهم وهما فالتقطه آل فرعون وقالت امرأت فرعون واصبح
فؤاد ام موسى اي صار قلبها فارغا اي خاليا من عقلها من فرط الجزع والدهش
لما علمت ان فرعون قد التقطه وقد نسيت وعد الله تعالى بسلامته او فارغا
من كل شيء الا ذكر موسى او فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون تبناه
ان كادت لتبدي به اي انها قربت ان تظهر سرها بامر موسى وقصته وانه ولدها
لانها لم تملك نفسها فرحا بما سمعت لولا ان ربطنا على قلبها اي شددنا
عليه السكينة وسكنا قلقه لتكون من المؤمنين اي المصدقين بوعدنا
لها بانا رادوه اليك لا باحث به وقالت لاخته اي لبنتها وهي اخت
موسى قصيه اي اتبعي اثره يعني امشي بجنبه في الجدد وهو في الماء

وانظري

وانظري كانه فيه لتعلمي خبره فبصرت به اي نظرت اليه مستخفية عن جنب اي عن بعد او عن
جانب وهم لا يشعرون انها اخته وانها عدو لهم وحرمنا عليه اي منعنا على موسى
المراضع جمع مرضعة وهي الامراة التي ترضع الولد او جمع مرضع بمعنى موضع
ارضاع وهو الثدي يعني منعناه من شرب لبن امراة غير امه من قبل اي قبل ان
تقص اخته اثره او مجئ امه اليه فقالت اخته بعدما اخذه آل فرعون ولم يقبل
رضاع احد هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي على من يكفله ويربيه بالضمان لكم
وهم له ناصحون اي مخلصون في تربيته من شائبة الفساد قالوا نعم فجاءت بامها
وهو يصيح فلما شم ريحها قبل ثديها فقال فرعون من انت حتى قبل ثديك دون
غيرك قالت طيبة الريح واللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فاجرى اجرتها عليها
وذهبت به الى بيتها وانما اخذت الاجرة على رضاع ولدها لانها مال حربي
اخذته على وجه الاستباحة لا على وجه الاجرة فرددناه اي انجز الله وعده في رده
الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله الذي وعد به حق ثابت مراد
ولكن اكثرهم لا يعلمون انه حق يعني اهل مصر فلبث عندها الى ان فطمته ورده
الى فرعون فتبناه آسية وفرعون ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي
لا يزاد عليه وهو ثلث وثلثون سنة واستوى اي اعتدل في شبابه
واستحكم وقوي وهو اربعون سنة روي انه لم يبعث نبي الا على رأس
اربعين سنة آتيناه قبل نبوته حكما اي حكمة الانبياء وهي سنتهم فكان

لا يفعل فعلا يستجهل فيه وعلما اى علم مصالح الدارين وكذلك نجزى المحسنين
اى المؤمنين ودخل موسى المدينة هى مصر او قرية قريبة منها على حين غفلة
اى غرة مستخفيا من اهلها وهم مشتغلون فيه بلهوهم وعيدهم فوجد فيها اى
فى المدينة رجلين قبطيا واسرائيليا يقتتلان هذا من شيعته اى اتباعه يعنى
من بنى اسرائيل وهذا الآخر من عدوه اى من القبط يستوى فيه الواحد والجمع
وكان القبطى يأمر ان يحمل حزمة الحطب الى دار فرعون وهو لا يتحمل امره
ومحل الى آخره الجملة فى محل النصب صفة رجلين فاستغاثه اى طلب منه
الغوث الذى من شيعته اى من قوم موسى على الذى من عدوه اى من قوم
فرعون وكان موسى اعطى شدة عظيمة فوكزه موسى اى ضربه فى صدره
باطراف اصابعه او بجميع كفه فقضى عليه اى فقتله من غير قصد فندم ودفنه
وكان خبازا لفرعون وقال موسى هذا القتل من عمل الشيطان اى بوسوسته
لانه هيج غضبه فضربه انه عدو مضل مبين اى ظاهر العداوة لخلق الله ثم
استغفر الله تعالى قال رب انى ظلمت نفسى بقتل القبطى وانما سمى قتل الكافر
ظلما لانه ليس للنبى ان يقتل ما لم يؤمر به فاغفر لى ذنبى فغفر له انه هو الغفور الرحيم
اى يغفر ذنوب عباده ويرحمهم ثم اكد توبته وقال يا رب بما انعمت على الباء
للقسم وجوابه محذوف اى اقسم بما انعمت على من المغفرة والقوة لاتوبن
فلن اكون ظهيرا اى عونا للمجرمين اى الكافرين لان الاسرائيلى كان كافرا

وهو تفسير

وهو تفسير للجواب المحذوف او عونا لمن ضرب مجرما بسبب مظاهرته وهو
الاسرائيلى يعنى تأثما بالقتل الذى لم يحل لى قبل انه لم يستثن حين قال فلن
اكون ظهيرا للمجرمين بقوله ان شاء الله فابتلى به مرة اخرى من الغد وكان
لا يعرف قتله فاصبح موسى فى المدينة خائفا على نفسه يترقب ان ينتظر
بان يستقاد فطلب ولى الدم من فرعون حقه وهو طلب منه بينة على قاتله
فاذا الذى استنصره اى استنصر موسى بالامس يستصرخه اى يستغيثه وهو
وهو الاسرائيلى على قبطى آخر يقاتله قال له اى للاسرائيلى موسى انك لغوى مبين
وانما وصفه بالغى لانه كان سبب قتل رجل امس وهو يقاتل آخر اليوم وقد
غضب له موسى غضبا شديدا ثم ترحم بعدما عاتبه فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما
اى القبطى لانه كافر اعتقد الاسرائيلى انه يريد قتل نفسه قال يا موسى اتريد ان
تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض اى قتالا
بالظلم من غير نظر فى العاقبة وما تريد ان تكون من المصلحين اى من المطيعين
له قاله خوفا من ان يقتله وقيل كان ذلك ابليس فى صورة الاسرائيلى ليظهر
امر موسى لفرعون وقومه ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث بالمدينة
فوصل ذلك الى فرعون وقومه فهموا بقتله وجاء رجل قيل هو مؤمن آل
فرعون وهو ابن عم فرعون اسمه خربيل من اقصى المدينة اى من وسطها
يسعى اى يسرع ويشتد فى مشيه قال يا موسى ان الملأ اى اشراف اهل مصر

يأمرون بك اي تتشاورون في امرك ليقتلوك فاخرج من المدينة اني لك
من الناصحين اي المريدين الخير فخرج موسى منها اي من المدينة خائفا
يترقب الطلب والتعرض له في الطريق فخرج خائفا حاربا بلا زاد ولا
ظهر وحده مسيرة ثمانية ايام يعيش بورق الشجر قال رب نجني من القوم الظالمين
اي المشركين ولما توجه تلقاء مدين اي نحوها وهي قرية شعيب قال عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل اي وسطه ومعظم نهجه قيل جاءه ملك على فرس
بيده عنزة اي حربة فانطلق معه الى مدين ولما ورد ماء مدين وهو بئر كانوا يسقون
منها مواشيهم وورود مجيئه والوصول اليه وجد عليه اي على جانب البئر
امة اي جماعة كثيرة العدد من الناس يسقون اغنامهم وهم الرعاء وانما ترك
المفعول لان الغرض هو الفعل لا المفعول ووجد من دونهم اي في مكان
اسفل من مكانهم امرأتين تذودان اي تكفان غنمهما لئلا تختلط اغنامهما
باغنامهم لضعفهما عن السقي معهم او تذودان النظر عن وجوههما حياء
وتسترا قال موسى لهما ما خطبكما اي ما شأنكما لا تسقيان مع الناس بل تذودانهما
عن البئر قالتا لا نسقي غنمنا معهم لعجزنا حتى يصدر اي يرجع الرعاء جمع راع
بالكسر وهو القياس وقرئ بضم الراء اسم جمع اي حتى تذهب الرعاء
بمواشيهم عن الماء وقرئ يصدر من اصدر والمفعول محذوف اي حتى يصدر
الرعاء مواشيهم من الماء وابونا شيخ كبير اي كبير السن لا يقدر على رعي

الغنم

الغنم وليس له راع فرجعهما فقام الى بئر آخر عليها صخرة لا يرفعها الا عشرة
رجال او اربعون رجلا فنحاها وقيل دفع الانسان عن البئر فسقى لهما غنمهما
حتى صدرت رواء مع ضعفه وسقوط خف قدمه وجوعه طلبا للثواب
واعانة للملهوف وانما جوز نبي الله شعيب ان تسقي بنته الماشية لان الحال
كانت حالة ضرورة ولان الدين لا يأباه اذا كانت العادات متباينة +
ثم تولى اي انصرف بعد سقي الغنم الى الظل اي الى ظل شجرة هي سمرة وهو جائع
فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير اي يا رب اني محتاج الى فلقة خبز
اقيم بها صلبي لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو العلم والحكمة بالبصيرة
وقيل هو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة وقال
ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به فلما رجعتا الى ابيهما قبل الناس ووجدهما
ابوهما اغنامهما حفلا وبطانا قال ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا فسقى
غنمنا فقال له احداهما اذهبي فادعيه لي فجاءته احديهما وهي صفوراء تمشي على
استحياء اي واضعة كم درعها على وجهها حياء قالت له يا رجل ان ابي
يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا قيل لما سمع موسى كلامها اراد ان لا يذهب ولكن كان
جائعا فاجابها فمشت بين يديه كوبتها فجعلت الريح تصف ردفها وكشفت
ساقها فقال امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت فلما جاءه اي جاء
موسى شعيبا قال له اجلس فتعش قال معاذ الله فقال شعيب الست جائعا

فقال بلى ولكن اخاف ان يكون عوضا مما سقيت لهما وانا اهل بيت النبوة
لانه كان من اولاد يعقوب لا نطلب على عمل الآخرة عوضا من الدنيا فقال
شعيب لا والله يا شاب ولكن الضيافة عادتي وعادة آبائي نقري الضيف
ونطعم الطعام فاكل فعلم من قول موسى ذلك ان مشيه معها لم يكن بجوعه
وعلم من مشيه بخبرها جواز العمل بخبر الواحد والمشي مع الاجنبية كما يعمل في الاخبار
بقول الواحد حرا او عبدا ذكرا او انثى في مثل هذا الحال مع ذلك الاحتياط
والتورع فلما اكل الطعام اخبر شعيبا بحاله وقص عليه القصص اي المقصوص
وهو خوفه من فرعون قال شعيب له لا تخف نجوت من القوم الظالمين لانه
لا حكم لفرعون علينا قالت احداهما وهي كبراهما صفوراء والصغرى صفيراء
يا ابت استاجره اي اتخذه اجيرا يرعى غنمنا ان خير من استاجرت القوي
الامين وهو تعريض على الاستيجار لقوته وامانته فثم قال اني اريد ان انكحك
احدى ابنتي هاتين صفوراء وصفيراء وفيه دليل انه كان له غيرهما على ان
تاجرني اي تصير اجيرا لي وهو شرط لانكاحها فيكون محله حالا اي بشرط ذلك
قيل كان قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي وعدا له بالانكاح لا عقدا حيث
لم يقل انكحتك ولانه لم يميز بينهما وجوز الشافعي التزوج على الاجارة لبعض
الاعمال والخدمة وكان ذلك مهرا ومنعه ابو حنيفة ولعل ذلك كان جائزا
في شريعة شعيب وقيل يجوز النكاح والمهر مهر المثل او قيمة العمل

عنده ثماني حجج اي سنين وهو ظرف للاجر فان اتممت عشرا اي مدة عشر
سنين فمن عندك اي فالتمام من عندك تبرع لا الزام مني وما اريد ان
اشق عليك باستخدامي بان تتم ذلك بالثنين بان تقول مرة اطيقه
ومرة لا اطيقه ستجدني ان شاء الله من الصالحين اي من الوافين بالشرط
وقوله ذلك يدل على ان شعيبا وعده المسامحة والمساهلة من نفسه وانه
لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه لا افعل بك كما يفعل المستاجرون
المعاشرون من المناقشة والزام اتم الاجلين وايجابه وذلك عادة الانبياء
او اراد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب قال موسى ذلك اي ما عاهدتني
عليه بيني وبينك ايما الاجلين اي شرطية وما زائدة تاكيد الابهام اي في
شياعها فالاجلين جر باضافة اي اليه والمعنى اي اجل قضيت من
الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان
اي لا يعتدى علي بطلب الزيادة على احدهما اذ التتمة موكولة الى رائي
ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها والله على ما نقول من الشروط
وغيرها وكيل اي حفيظ والوكيل هو الذي وكل اليه الامر واستعمل في
موضع الشاهد فلذا عدي بعلى روي ان موسى عليه السلام تزوج
كبراهما صفوراء وحكي ان شعيبا كان كثير البكاء فقال الله تعالى ما هذا البكاء
اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار قال لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك

فاوحى اليه ان يكن ذلك فهنيئا لك لقائى يا شعيب فلذلك استخدمتك
موسى كليمى فلما قضى موسى الاجل اى الاجل المشروط بينهما وسار باهله نحو مصر
بعد مكثه عند شعيب احدى الاجلين سئل رسول الله عليه السلام اى الاجلين
قضى موسى قال ابعدهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية السابقة
آنس من جانب الطور نارا اى راى نارا عظيما قال لاهله امكثوا اى قفوا مكانكم انى
آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر اى بخبر الطريق او جذوة بكسر الجيم وضمها وفتحها لغات
كلها قطعة من الجمر من النار لعلكم تصطلون من البرد فتركهم فى البرية فذهب اليها
فلما اتاها نودى من شاطئ اى من جانب الوادى الايمن بالنسبة الى موسى فى
البقعة المباركة بالضم والفتح لغتان فى القطعة من الارض بلا شجرة ووصفت
بالمباركة لان الله كلم فيها موسى قوله من الشجرة بدل من شاطئ قيل هى
كانت عنابا او عوسجا ومن فيهما لابتداء الغاية اى اتاه النداء من شاطئ
الوادى من قبل الشجرة قوله ان مفسرة لان النداء قول اى نودى بان يا موسى
انى انا الله رب العالمين قوله وان الق عصاك عطف على ان يا موسى فالقاها
على الارض فلما رآها تهتز اى تتحرك كانها جان ولى مدبرا وقد مر تفسيره ولم
يعقب اى لم يلتفت خوفا من الحية فقال تعالى يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين
من الحية اسلك اى ادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك
اى يدك قيل المراد منه ضم اليد اليمنى الى نفسه وفى قوله واضمم يدك الى جناحك

هو ضم اليد

هو ضم اليد اليسرى اليه من الرهب بفتح الهاء وسكونها بعد الفتح وسكونه
بعد الضم الخوف اى اذا خفت شيئا فضم يدك اليك لان اليد للانسان
كالجناح للطير واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد اليد اليسرى فقد ضم جناحه
اليه قال مجاهد من فزع فرد جناحه اليه ذهب عنه الخوف روى انه راى بياض
يده فخاف فامر بذلك فعادت كما كانت وقيل ضم الجناح اليه استعارة للتجلد
والتثبت اى انه امر بالثبات والصبر فذانك بالتخفيف والتشديد اى الاثنان
المشار اليهما وهما اليد والعصا برهانان اى حجتان من ربك مرسلا بهما
الى فرعون وملائه وسميت الحجة برهانا لوضوحها من قولهم امراة برهرهة
بتكرير العين واللام هى البيضاء الشابة التى كانها ترعد رطوبة انهم كانوا
قوما فاسقين اى عاصين الله بعبادة غيره قال موسى يا رب انى قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون اى ان يقتلوا نفسى به واخى هرون هو افصح اى ابين و[illegible]
منى لسانا وكان فى لسان موسى عقدة من النار التى ادخلها فى فيه فارسله
معى ردءا بالهمزة وبغير التخفيف اى معينا لى فى رسالتك
يصدقنى بزيادة البيان قرئ يصدقنى بالرفع صفة او حال بعد حال
وبالجزم جواب لارسله ومعنى تصديقه موسى اعانته اياه فى محل النظر
والمجادلة ان احتاج اليه لاثبات دعواه لا ان يقول له صدقت والجماعة
صدقوه او صدق يدل عليه قوله هو افصح منى لسانا هذا القدر عليه

الفصيح وغيره انى اخاف ان يكذبون اى فرعون وقومه قال الله تعالى سنشد
عضدك اى سنقويك ونعينك باخيك لان الرجل يتقوى باخيه كقوة
اليد بعضدها والعضد اليد والعضد ما بين المرفق والكتف ونجعل لكما سلطانا
اى برهانا وهو اليد والعصا او غلبة وتسلطا فلا يصلون اليكما قوله باياتنا متعلق
بنجعل او بلا يصلون او انا الغالبون لامتناع تقدم الصلة على الموصول الخ
يمنعون منكما باياتنا يعنى لا يقدرون على قتلكما وقيل محذوف اى اذهبا
الى فرعون باياتنا انتما ومن اتبعكما بالايمان الغالبون على القبط الحجة
فلما جاءهم موسى باياتنا اى بعلاماتنا بينات اى واضحات فى الدلالة على
ربوبيتنا روى انه اراهم العلامة من الله وقال انى رسول من رب العالمين
قالوا ما هذا اى ليس الذى جئت به وهو ما عاينوه من معجزة موسى الا سحر
مفترى اى مختلق اختلقته وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين وقال موسى بالواو كما
فى مصاحف غير مكة للعطف بين القولين والموازنة فى المناظرة وبغير الواو
كما فى مصاحف مكة للاستيناف جواب السؤال ربى اعلم منكم بمن جاء
بالهدى اى بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث نبيا وبعثه بالهدى من
عنده اى عند الله ووعده حسن العقبى يعنى نفسه ولو كان يزعمون كاذبا ساحرا
لما اهله لذلك لانه غنى حكيم ومن اعلم ايضا بحال من تكون له بالياء والتاء
عاقبة الدار وهى العاقبة المحمودة والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها

ان تختم

ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان وبشارة الملائكة عند الموت
انه اى ان الشأن لا يفلح الظالمون بالكذب والسحر والكفر وغيرها
من الفساد من عقابه وقال فرعون لاهل مصر يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى
اراد نفى وجوده بنفى العلم عن نفسه اى ما لكم اله غيرى فى الوجود فلا تطيعوا
موسى فاوقد لى يا هامان على الطين اى على اللبن ليصير آجرا وهو اول
من عمل به فاجعل لى صرحا اى قصرا عاليا طويلا لعلى اطلع الى اله موسى
اى اصعد اليه فاقتله وانى لاظنه من الكاذبين فى ان له الها غيرى
قاله تمويها على قومه قيل بناه وجعله طويلا بحيث لا يقدر ان يقوم
على راسه وكان طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه ثلثة آلاف ذراع فصعد
فرعون فرمى بنشابة فعادت بالدم فتنة لفرعون فقال قتلت اله
موسى فضرب جبرائيل الصرح بجناحه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة
على عسكره فقتلت الف الف رجل واخرى فى البحر واخرى فى المغرب
واستكبر هو اى فرعون وجنوده عن الايمان بموسى فى الارض اى ارض مصر
بغير الحق اى بلا حجة وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالموت قرئ معلوما ومجهولا
فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم اى عاقبناهم فى البحر فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين وجعلناهم اى خذلناهم وصيرناهم يعنى قوم فرعون ائمة
اى رؤساء يدعون الجهال الى عمل كالكفر والمعاصى من اعمال اهل النار

في الدنيا ويوم القيمة هم لا ينصرون من العذاب واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
اي طردا وابعادا من الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين اي المطرودين المبعدين
يعني المعذبين المهلكين يقال قبحه الله اذا اهلكه ثم قال تعالى ولقد آتينا
موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر جمع بصيرة وهو نور القلب
الذي يستبصر به كالعين في الرأس وهي حال من الكتاب اي آتيناه
التورية بعد هلاك من تقدمه من القرون انوارا للناس اي معارف لقلوبهم
لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من الباطل وهدى من الضلالة
لمن آمن به ورحمة لمن عمل بما فيه لانهم لو عملوه وعملوا به لابصروا الطريق ووصلوا
الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون اي لارادة تذكرهم شبهت الارادة بالترجي
واستعير لها والمراد به ترجي موسى لتذكرهم ثم خاطب النبي عليه السلام
بقوله وما كنت يا محمد بجانب المكان الغربي من موسى وهو المكان الذي فيه
ميقات موسى من الطور اذ قضينا اي عهدنا الى موسى الامر بالرسالة الى
فرعون وما كنت من الشاهدين اي الحاضرين ثم وهم نقباء الذين اختارهم
للميقات حتى تخبر بالمشاهدة على ما جرى من امر موسى الى عهدك وكتبه التورية
له في اللوح ولكنا انشأنا قرونا استدراك متصل بما قبله من الكلام
من جهة المعنى اي لم تكن حاضرا في عهد موسى حتى تخبر اهل مكة وغيرهم بما شهدته
من امر موسى بما اوحي لكنا احدثنا وخلقنا قرونا كثيرة بعد عهد وحي موسى

الى عهدك

الى عهدك فتطاول عليهم العمر اي امد انقطاع الوحي على آخرهم وهو القرن
الذي انت فيهم فنسوا ما عهد عليهم من الايمان بمحمد عليه السلام واندرست
العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك نبيا عالما بقصص الانبياء وقصة موسى
اليهم فبذلك تخبرهم قبل ذكر الله تعالى سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة
ودل به على المسبب على عادته تعالى في اختصار الكلام وما كنت ثاويا اي مقيما
في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم اي على اهل مكة آياتنا التي
فيها قصة شعيب وقومه تعلما منهم ولكنا كنا مرسلين اليك اي لكنا ارسلناك
وعلمناكها من غير مشاهدة فتخبر بها اهل مكة اخبار المتقدمين وما كنت بجانب
الطور اي الجبل اذ نادينا موسى ليلة المناجات وتكليمه ان خذ الكتاب بقوة
الآية ولكن رحمناك رحمة من ربك او ارسلناك للرحمة من ربك بالقرآن لتنذر
قوما يعني اهل مكة ما اتيهم من نذير من قبلك لانه لم يجئ نذير قبل محمد عليه
السلام الى اهل مكة لعلهم يتذكرون فيؤمنون وكان بين الرسول وبين
عيسى زمان الفترة وهو خمسمائة وخمسون سنة فهذه الاخبار كلها لك
علامات نبوتك اذ لم تكن حاضرا هناك ولم تكن تقرأ الكتب لتخبرهم بها
من الانبياء قبلك ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة بما قدمت ايديهم من المعاصي
لولا هذه امتناعية جوابها محذوف وهو لعذبوا في الدنيا قبل الانذار
وان تصيبهم مصيبة مبتدا محذوف الخبر وقوله فيقولوا ربنا عطف على

المبتدأ تقديره ان قوله لولا اى هلا ارسلت الينا رسولا مقولهم ولولا هذه
تحضيضية جوابها فنتبع آياتك بالنصب والفاء يدخل جوابا للامر اذ فى التحضيض
معنى الامر ونكون من المؤمنين بالنصب عطف على فنتبع والذى قصد ان يكون
سبب الارسال الرسل هو قولهم لولا ارسلت الآية لا اصابة العقوبة لهم
لكن اصابتها لهم سبب لقولهم فجعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة
القول فادخلت لولا عليه وجئ بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى
السببية فالمعنى لولا قولهم هذا الذى فيه الاحتجاج علينا بترك الارسال
اليهم اذا اصابتهم مصيبة منا لما ارسلنا رسولا اليهم للانذار ولما عاجلناهم
بالعقوبة والاهلاك لكنا فعلنا الارسال لدفع قولهم وازالة حجتهم علينا
نحو لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فلما جاءهم اى اهل مكة الحق
وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز من عندنا قالوا لولا اى هلا اوتى هذا
الرسول مثل ما اوتى موسى من الآيات كالعصا واليد وفلق البحر
والتورية جملة واحدة فقال تعالى اولم يكفروا توبيخا لهم بكفرهم اى بكفر
ابناء جنسهم فى زمان موسى ومذهب هؤلاء كمذهب اولئك وعنادهم
كعنادهم فهم مثلهم فى الكفر ولذا قال مسندا اليهم الكفر اولم يكفروا فى عهد
موسى بما اوتى موسى من التورية من قبل اى قبل القرآن بان قالوا موسى
وهرون ساحران تظاهرا اى تعاونا وقرئ سحران والمراد التورية والانجيل

او التورية

او التورية والقرآن وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة
يسئلونهم عن محمد عليه السلام فاخبروهم انه نعته وانه فى كتابهم فرجعوا
اليهم واخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهران اى موسى
ومحمد عليهما السلام وقالوا انا بكل منهم وكنا بهم كافرون قوله فاتوا الكتاب مبين
عند الله امر الله تعالى محمدا عليه السلام بان يقول فاتوا الكتاب هو اهدى منهما
اى مما انزل على موسى ومما انزل على اتبعه انا ان كنتم صادقين فى قولكم
وفيه تهكم بهم اذ لا شك ان اتيانهم بذلك محال ولما كان الامر بالاتيان
يقتضى الاجابة قال فان لم يستجيبوا لك اى دعاءك الى اتيان بكتاب اهدى
بحذف المفعول وزيادة اللام والذى يدل على حذف الذى هو الدعاء
قوله فاتوا الكتاب لانه امر بالاتيان وهو دعاء الى الفعل اى ان لم يجيبوا
دعاءك الى الاتيان بكتاب فاعلم انما يتبعون اهواءهم فى كفرهم ومن اضل استفهام
للانكار اى لا احد اضل ممن اتبع هويه بغير هدى من الله اى مخذولا مطبوعا على
قلبه ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يلطف بالقوم الثابتين على ظلمهم
يعنى لا يرشدهم الى دينه الحق ولقد وصلنا لهم القول اى بينا للكفار القرآن
واحكامه متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح
لعلهم يتذكرون اى ارادة ان يتذكروا فيؤمنوا فيفلحوا قوله الذين آتيناهم
الكتاب من قبله اى قبل القرآن هم به اى بمحمد عليه السلام او القرآن يؤمنون لانه

مذكور في كتبهم نزل في اهل الكتاب من المؤمنين وقيل في اربعين من
مسلمي الانجيل واذا يتلى القران عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله
اي قبل نزول القران مسلمين اي مؤمنين بمحمد عليه السلام والاستئناف
الاول بانه تعليل للايمان والثاني بانه بيان لقوله آمنا اولئك يؤتون اجرهم اي
يعطون ثوابهم مرتين في موضع المصدر والمراد من المرة الضعف اي يضعّف
لهم اجرهم ضعفين لايمانهم بالكتاب الاول وبالآخر بما صبروا اي بصبرهم على
العمل بالكتابين والايمان بهما او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب
ويدرؤن اي يدفعون بالحسنة وهي شهادة ان لا اله الا الله السيئة اي
الشرك او يدفعون بالطاعة والمعصية المتقدمة او بالحلم الاذى ومما رزقناهم
من الاموال ينفقون في الطاعة قوله واذا سمعوا اللغو اي الشتم والاذى
من المشركين اعرضوا عنه وقالوا لاعنين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم سلام
توديع ومتاركة لا نعارضكم في شيء لا نبتغي الجاهلين اي لا نريد مخالطتهم
وصحبتهم نزل فيمن اسلم فاوذي ونسخ بآية السيف ونزل حين حرص النبي
عليه السلام على ايمان ابو طالب قوله انك لا تهدي كل من احببت لانك لا تعلم
المطبوع على قلبه من غيره لانك عبد لا تعلم الغيب ولكن الله يهدي من يشاء
فيدخله في الاسلام لانه عالم على المطبوع القلب عن غيره وهو معنى قوله
وهو اعلم بالمهتدين اي القابلين بالهدى من غيرهم قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك

شرط جزاؤه

شرط جزاؤه نتخطف اي نسب نزل فيمن لم يسلم خوفا من الكفار اي نحن
قليلون ان نتبع الهدى يتخطفونا من ارضنا مكة وبخهم الله بقوله اولم نمكن لهم اي
اولم ننزلهم مكة حرما آمنا اي في الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن سكانه
بحرمته وكانت العرب في الجاهلية يتناحرون وهم آمنون في حرمهم
لا يخافون من السبي والقتل وهم يعبدون غيري فكيف يخافون لو اسلموا
يجبى بالياء والتاء اليه الى الحرم يجمع ثمرات كل شيء اي كل لون من الوان الثمرات
من كل ناحية رزقا من لدنا اي من عندنا مفعول له او حال بمعنى مرزوقا من
ثمرات متخصصة بالاضافة ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ذلك رزق من لدنا ولو
علموا ذلك لعلموا ان الخوف والامن من عند الله قوله وكم اهلكنا من قرية تخويف
لاهل مكة من سوء العاقبة لتنبه عليهم الكفر بالشكر اي اهلكنا قرية كثيرة
بطرت معيشتها اي فرحت من معيشتها بنزع الاخفش او ظرفا اي ايام معيشتها
واصل البطر دهش يعتري من سوء احتمال النعمة والقيام بحقها وهو ان
يحفظ حق الله في النعمة لانهم اكلوا رزق الله تعالى وعبدوا غيره من
الاصنام فاهلكهم الله بالعذاب في الدنيا فتلك مساكنهم اي بيوتهم انظروا
اليها واعتبروا فيها بقيت خالية لم تسكن من بعدهم الا سكونا قليلا وهو ساعة
او يوم للمسافرين وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها
على حال لا يسكنها احد وما كان ربك مهلك القرى اي لم يعذب اهلها في كل

زمان حتى يبعث فى امها اى ام القرى يعنى مكة او اكبرها وقرئ بضم الالف
وكسرها رسولا وهو محمد عليه السلام او عام فى كل رسول وام القرى هى
التى يسكن فيها الاشراف لان الرسل انما يبعث غالبا الى الاشراف يتلو
عليهم آياتنا اى قرآن ترغيبا وترهيبا وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم
لانه اعلم بكمال فضله ان عادته ليست ان يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك
بظلمهم ولا يهلكهم الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسول والانذار وفيه بقوله
وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون بالشرك وما اوتيتم من شئ اى الذى اعطيتم
من مال فى الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اى فهو ما تنتفعون به ايام حياتكم
وتتزينون به ولا يبقى دائما يعنى انتم واما اوتيتم من اسباب التمتع فى الدنيا
الى فنا، وما عند الله اى والذى وعدلكم من الاجر والفضل الثابت عنده تعالى
خير فى نفسه من ذلك وابقى لانه دايم لا يفنى افلا تعقلون ان الباقى خير من الفانى
فتؤمنون بالبقاء والفناء قوله افمن وعدناه وعدا حسنا اى الجنة او النصر فهو لاقيه اى
مصيبه نزل فى النبى عليه السلام وابى جهل او فى كل مؤمن وكافر وهو استفهام
انكار للتسوية والفاء فى افمن للتعقيب والفاء فى فهو للتسبب اى افذلك
الذى وعد بالوعد الحسن الذى يلاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا وهو خبر افمن
المبتدا، يعنى ابعد هذا التفاوت الظاهر بينهما يساوى بين اهل الدنيا واهل
الآخرة ثم هو اى اهل الدنيا يوم القيمة من المحضرين اى الذين احضروا النار ثم فى

للتراخى

للتراخى حال الاحضار عن حال التمتع لا التراخى وقته عن وقته لتحققهما
فى وقت واحد هنا واذكر يوم يناديهم اى يدعوهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون
اى تزعمونهم شركائى بحذف المفعولين قال الذين حق اى وجب عليهم القول
اى مقتضى قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهم رؤساء الكفار
او رؤساء الشياطين وهو العذاب الدائم ومقول قال ربنا هؤلاء اى
السفلة او الاتباع مبتداء والذين اغوينا اى اغويناهم بمعنى اضللناهم صفته
والعايد الى الذين محذوف وخبر المبتداء اغويناهم بعده والكاف فى كما غوينا صفة
مصدر محذوف اى اغويناهم فغووا اغواء مثل ما غوينا اى اضللناهم كما ضللنا
لم نكرههم على الغى انما غووا باختيارهم مع تسويلنا لهم ووسوستنا لا بالقسر
والالجاء، فلا فرق بين غينا وغيهم تبرأنا اليك منهم ومن كفرهم وعنادهم
فصاروا اعداء لنا وكذبوا علينا ما كانوا اى لم يكونوا ايانا يعبدون انما كانوا
يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم وقيل اى قال للكفار الخزنة
ادعوا شركاءكم اى الاصنام لتخليصكم من العذاب وهو توبيخ وتهديد
لمن يعبد الاصنام فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اى لم يجيبوهم بنفع ما
وعند ذلك رأوا العذاب العذاب الموعود لهم ثم اخبر تعالى لو انهم كانوا يهتدون
فى الدنيا شرط جوابه محذوف وهو لما رأوا العذاب او لما اتبعوهم
فى الدنيا او المعنى لما رأوا العذاب تمنوا لو كانوا مهتدين كاهتداء

المسلمين فلو حينئذ للتمنى ويوم يناديهم اى اذكر يوم يناديهم الله تعالى
تبكيتا لهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل يوم القيمة فيقول
ماذا اجبتم المرسلين فى التوحيد فعميت عليهم الانباء اى فصارت الانباء كالعمى عليهم
جميعا من الهول يعنى التبست عليهم الحجج واستندت طرق الاخبار فلا يهتدى
اليهم ليجيبوا بالاعتذار يومئذ فهم لا يتساءلون بل يسكتون حيرة وانقطاعا لا
يسئل بعضهم بعضا كما يتسائل الناس فى المشكلات فى الدنيا ليلقى
السائل الحجة لانهم تساووا فى العجز عن الجواب ثم والمراد بالنباء الخبر عما
اجاب المرسل اليه رسوله فاما من تاب من الكفر وآمن بالله ورسله وعمل
صالحا اى عملا مرضيا عند الله فعسى ان يكون من المفلحين اى الناجين من العذاب
ودخول الجنة فانظر كيف جمع بين الايمان والعمل الصالح لرجاء الفلاح
قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار نزل لما قيل لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين عظيم اى وربك لا يبعث الرسل باختيار المرسل اليهم بل يختار
بالرسالة لمن يشاء ونفى اختيارهم بقوله ما كان لهم الخيرة اى ما لهم الاختيار يعنى
ليس لهم ان يختاروا شيئا ما فما نافية على هذا ويجوز ان يكون موصولا مفعول
يختار والعائد محذوف اى يختار الذى لهم فيه الخيرة وصلاحهم فالخيرة
التخير سبحان الله وتعالى عما يشركون اى تنزه من اشراكهم وجراتهم على الله باختيارهم
ما لا يختار وربك يعلم ما تكن اى تخفى صدورهم وما يعلنون من القول وهو الله لا اله الا هو

اى المعبود

اى المعبود بالحق هو الله لا غيره له الحمد فى الاولى والآخرة اى هو مستحقه فى
الدارين والتحميد على وجه اللذة فى الآخرة وفى الدنيا على وجه الكلفة وحمد
الآخرة قولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله صدقنا وعده والحمد لله
رب العالمين وله الحكم اى القضاء بين عباده واليه ترجعون فى الآخرة فيجازيكم
باعمالكم قوله قل ارايتم نبه فيه على اختصاص الربوبية له تعالى بصنعه الليل
والنهار لمصلحة الخلق ليعتبروا به فينتهوا عن عبادة غيره ويوحدوه فقال
قل يا محمد لكفار مكة اخبرونى ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اى متصلا
الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء تطلبون فيه بعض معاشكم واما لم
يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه لان الضياء ضوء الشمس
وله فوائد كثيرة سوى التصرف فى المعاش ليست فى النهار لتبعيته له لا لاجل
التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة فذكر الضياء
ابلغ من ذكر النهار ولذلك قرن السمع بالضياء بقوله افلا تسمعون المواعظ
سماع تدبر لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافع الضياء
ووصف فوائده قل ارايتم اى اخبرونى ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
اى دائما الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون اى تستقرون
وتستريحون فيه افلا تبصرون قدرة الله فتؤمنون به وقرن الابصار
بسكون الليل لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون

وكونه فلا حاجة الى تقرير فوائد الكلام لتذكر السامع ثم قال ومن رحمته اى من رحمة
الله ونعمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اى فى الليل ولتبتغوا اى لتطلبوا
من فضله اى من رزقه فى النهار يعنى ان الله زاوج بين الليل والنهار لثلثة
اغراض للسكون فى الليل ولطلب الرزق فى النهار ولارادة الشكر منكم مطلقا
دل عليه قوله ولعلكم تشكرون اى فى وقت ويوم يناديهم اى اذكر يوم يدعوهم
فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون انهم لى شركاء كررت هذه الآية
لزيادة توبيخ الكفار وللايذان بان لاشئ اجلب لغضب الله من الشرك
به كالتوحيد فى مرضاته ونزعنا اى اخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد
عليها لان الانبياء يشهدون عليهم بما كانوا عليه من الشرك وعدم قبول
رسالتهم فقلنا هاتوا برهانكم اى حجتكم ان لله شريكا فعجزوا فعلموا حينئذ
ان الحق اى التوحيد فى الالوهية غير الله تعالى ثم زاد التقريع والعبرة لهم
بقوله ان قارون كان من قوم موسى آمن به او ابن عمه او خالته ولم ينصرف للعجمة والتعريف
وكان يلقب بالنور لحسن صورته وكان يقرأ التورية من قلبه ولكنه نافق
كما نافق السامرى وكان عاملا لفرعون فبغى عليهم اى فظلم على بنى اسرائيل
من البغى وهو الكبر اى تكبر عليهم بظلمه وكفره وكثرة ماله وتكبر على موسى بتكذيبه
ومخالفة امره وآتيناه اى اعطيناه من الكنوز ما اى الذى ان مفاتحه جمع مفتح
بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هى الخزائن جمع مفتح بالفتح لتنوء اى لتثقل بالعصبة

وهى الجماعة

وهى الجماعة الكثيرة اى تثقلهم والباء للتعدية من ناء به اذا اثقله حتى اماله
وقيل هو مقلوب اى لتنوء بها العصبة من ناء بكذا نهض به متثاقلا قوله
اولى القوة صفة العصبة اى كانت خزائنه كثيرة او مفاتيحها كثيرة تثقل
الامة القوية وهى ما بين العشرة الى السبعين قيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه
ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود
اذ قال له قومه اى بنو اسرائيل لا تفرح بحطام الدنيا ان الله لا يحب الفرحين اى
البطرين بالمال ولم يشكروا على ما اعطوه وابتغ اى اقصد فيما آتاك الله من
الغنا والثروة الدار الآخرة بان يخرج الاموال فى الطاعة هنا فتنال
الاجر ثم ولا تنس نصيبك اى ما يحتاج اليه من الدنيا تاخذه وتخرج الباقى
واحسن الى عباد الله فيما افترض عليك كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد
اى لا تقصد بالبغى والظلم فى الارض ان الله لا يحب المفسدين وقيل ان
القائل هو موسى عليه السلام قال قارون انما اوتيته اى المال على علم
عندى هما ظرفان الاول حال والثانى صفة له اى اوتيته مستحقا لما فى
من العلم قيل كان قارون اعلم بنى اسرائيل بالتورية وقيل هو علم الكيمياء
وقيل هو العلم بوجوه التجارة والكسب قوله اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله
من القرون توبيخ لقارون لانه كان يجهل من تقدمه وهلاكه بغنيانه وقوته
لما قرأ التورية واخبره موسى اى اولم يعتبر بهلاك من تقدمه لكثرة المال

لله وضل اى غاب عنهم ما كانوا يفترون اى يدعون من الكذب والباطل
وهو الوهية صح

حتى لا يغتر ولا يفتخر بقوته وكثرة ماله ومحل من هو اشد اي اقوى واغنى
منه اي من قارون قوة بالعَدد والعُدد واكثر جمعا للمال كنمرود وغيره
نصب مفعولا اهلك ويجوز ان يكون قوله اولم يعلم نفيا لعلمه لانه ادعى
العلم ولم يعلم علما يصون عن نفسه الهلاك وهو العلم النافع الذي ينجي
النفوس عن مصارع الهالكين والعلم الذي ادعاه خلاف ذلك ولا يسئل
عن ذنوبهم المجرمون اي انه عالم بحال المجرمين فلا يسئل عن ذنوبهم يوم القيمة
بل يعاقبهم بالنار بلا حساب ووجه اتصاله بما قبله ظاهر لانه لما ذكر قارون
انه ممن اهلك من القرون المجرمين ذكره بعده على سبيل التهديد اي
الله مطلع على ذنوبهم خبيرا باعمالهم لا يحتاج الى سؤالهم عنها بل يأمرهم
الى النار بلا توقف وقيل لا يسئل عن ذنوبهم سؤال النجاة بل يسئلون
سؤال التعذيب فخرج قارون يوما على قومه في زينته للعرض على بغلة بيضاء
عليها سرج ذهب ومعه اربعة الف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم
الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية
بيض عليهم الحلي والديباج قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المسلمين
متمنين مثل ماله على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل متمنين
اياه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
من المال وهذا هو الغبطة وقيل كانوا كفارا انه لذو حظ بخت عظيم

في الدنيا

في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم وهم الزاهدون في الدنيا العارفون
الاشياء كما هي ويلكم بالنصب مفعول به عامله محذوف دعاء بالهلاك
في الاصل استعمل في الزجر والردع عما لا يرتضي اي الزمكم ويحكم ان لم
ترتدعوا ثواب الله على الطاعة خير اي افضل لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون
ومثله في الدنيا ولا يلقيها اي لا يوفق كلمة التي تكلم بها وبلكم العلماء او الثواب
لانه بمعنى الجنة او السيرة الحسنة وهي الايمان والعمل الصالح الا الصابرون
على الطاعة عن الشهوات فخسفنا به اي بقارون وبداره الارض قيل
كان قارون يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي كانت
بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن
كل الف درهم فجمعها فرآها عظيمة فمنعها من البخل لانه استكثرها بعد
الحساب وقال بني اسرائيل ان موسى يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت
كبيرنا فمرنا بما شئت فقال نبرطل فلانة البغية حتى ترميه بنفسها فيرفضه
بنو اسرائيل فجاؤا بها وجعل قارون لها الف دينار فاجابتهم فجمع
قارون الناس يوم عيد لهم وقال لموسى مرهم وانههم فقام موسى
وقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن
جلدناه وان احصن رجمناه وقال قارون وان كنت انت قال وان
كنت انا فقال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها

فاحضرت فناشدها موسى بالذى فلق البحر وانزل التورية ان تصدق
فتداركها الله ووفقها فقالت بل كذبوا ان قارون جعل لى جعلا على
ان اقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت نبيا
فاغضب لى فاوحى الله اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك
فقال موسى من كان مع قارون فليثبت معه ومن كان معى فليعتزل
قارون فاعتزلوه كلهم الا رجلين فقال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق
والحال ان قارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله وبالرحم
وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم
وهو معنى قوله فخسفنا به وبداره الارض يعنى ببلده وامواله فهو يتجلجل
فى الارض كل يوم قامة رجل الى يوم القيمة فما كان له من فئة اى لم يكن
لقارون جند ينصرونه اى يمنعونه من دون الله اى من دون عذابه فاوحى
الله الى موسى ما اغلظ قلبك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم وعزتى لو
دعونى مرة واحدة لوجدونى مجيبا وما كان من المنتصرين اى ممتنعين من
عذابنا النازل به واصبح اى حين رآه الناس كذلك تعجب الذين
تمنوا مكانه اى منزلته من الدنيا بالامس اى بالوقت القريب منهم
استعبر لهم من اليوم الذى قبل يومك وتنبهوا على خطاياهم فاصبحوا يقولون وى
كان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اى يضيق وى كلمة تعجب

وتنبيه على الخطاء يدخل على كان مخففة ومثقلة مفصولة من الكاف
على الاصح والكاف للتشبيه اى تنبهنا على خطائنا ما اشبه الحال
بان الله يبسط الرزق ويقدر لولا ان من الله اى لولا من الله علينا بالايمان
لخسف بنا معلوما ومجهولا فندموا على ما قالوا يا ليت لنا الآية ثم قالوا
وى كانه لا يفلح الكافرون تاكيد الندامة اى ما اشبه الحال بان الكافرين لا
ينالون الفلاح لقارون واصحابه قوله تلك الدار الآخرة تعظيم للجنة وتفخيم
لشانها اى التى سمعت وصفها مبتداء وخبره نجعلها للذين لا يريدون علوا
اى بغيا وتكبرا عن الايمان فى الارض ولا فسادا اى عملا بالمعاصى قيل
نزلت فى اهل التواضع يعنى من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك
الدار الآخرة والعاقبة اى عاقبة الامر وهى الاستقرار فى الجنة للمتقين
الذين يتواضعون لله ويعملون عملا صالحا من جاء بالحسنة فله خير منها ثوابا
ومن جاء بالسيئة اى بالمعصية فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع موضع الضمير
اى فلا يجزون الا ما كانوا يعملون اى مثله وهذا من فضله العظيم
اى لا يجزى السيئة الا مثلها ويجزى الحسنة بعشر امثالها او ازيد قوله
ان الذى فرض عليك القران نزل بعد خروجه عم من الغار وهاجر فاشتاق
لانها مولده وموطنه وبها عشيرته وحرم ابراهيم عليه السلام اى ان الذى
اوجب عليك تلاوة القران والعمل بما فيه والابلاغ لرادك الى معاد

عظيم اى الى مكة بالغلبة والقهر لانه قد اخرج منها او لرادك الى الجنة لان آدم
كان فيها فاخرج فرد ولده اليها ولما وعد عليه السلام بالعود الى مكة بعد
قول المشركين له انك لفى ضلال مبين ما لكونه خارجا عنها نزل قل ربى اعلم
من جاء بالهدى يعنى نفسه ومن هو فى ضلال مبين يعنى الكفار فيجازى كلا
بعمله ثم اكد وعده بعوده الى مكة بقوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اى
القران الا رحمة من ربك اى لرحمة منه فهو قادر على ان يردك الى مكة لرحمة
منه فالا رحمة استثناء متصل حملا على المعنى كانه قيل وما القى اليك الكتاب
الا رحمة اى ما القى اليك الوجه الا لوجه الرحمة وقيل منقطع والا بمعنى لكن
اى لكن الله رحمك واعطاك القران فاعمل به فلا تكونن ظهيرا اى ناصرا
للكافرين بالعمل بقولهم ارجع الى دين ابائك ولا يصدنك اى لا يصرفنك عن آيات
الله بعد اذ انزلت اليك اى بعد انزاله واذ يضاف اليه اسم الزمان كيومئذ
وحينئذ وادع الخلق الى ربك اى الى توحيده ولا تكونن من المشركين اى معهم
فى شركهم ثم اكد النهى عن الشرك ووحد نفسه فقال ولا تدع مع الله الها
آخر لا اله الا هو اى لا خالق ولا رازق غيره فلا تستحق العبادة الا هو
كل شىء فى الدنيا هالك اى يجوز عليه الهلاك والفناء فيهلك قطعا
الا وجهه اى الا ذاته عز وعلا فانه باق لا يفنى والوجه يعبر عن الذات
وقيل معناه الا ما اريد وجه الله من العمل لا يفنى لانه ثوابه باق له الحكم

اى حكم كل شىء واليه ترجعون فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم سورة العنكبوت
مكية بسم الله الرحمن الرحيم قيل نزل فى اناس من اصحاب النبى
عليه السلام قد جزعوا من المشركين كعمار وياسر وصهيب وكانوا يعذبون
فى الله الم احسب الناس وقيل عير المشركون واهل الكتاب المسلمين حين
اصيبوا فى احد فشق ذلك عليهم فقال تعالى على سبيل العموم اطلق الناس
ان يتركوا اى يهملوا ان يقولوا اى لان يقولوا آمنا بالله وهم لا يفتنون
بالتعذيب والقتل والامر والنهى اى والحال انهم لا يمتحنون بما يظهر ايمانهم
يعنى لا بد امتحانهم ومفعول احسب صلة ان الاولى التى اشتملت على مسند
ومسند اليه بمنزلة المفعولين قال لو احب الله عبدا جعله للبلاء غرضا
والفتنة الامتحان بشدائد التكليف بالمهاجرة والمجاهدة بانفسهم واموالهم
وساير العبادات وهجر الشهوات والفقر والقهر والقحط وانواع المصائب
وبمصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم ولقد فتنا اى اختبرنا
الذين من قبلهم اى هذه الامة كالانبياء والاولياء ببلايا فمنهم من
قتل بالعذاب ومنهم من نشر بالمنشار ومنهم من عذب بانواع
العذاب كالمشط بامشاط الحديد فلم يعدل عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا
فيظهرن الله فى الوجود بعد علمه فى العدم بالامتحان الصادقين فى
ايمانهم وليعلمن الكاذبين فيه فيثيب الصادقين ويعاقب الكاذبين ام حسب

الذين يعملون السيئات اى اهل السيئون ان يسبقونا اى انهم يفوتونا
فلا نقدر على الانتقام منهم ساء ما يحكمون اى بئس حكما يحكمونه حكمهم وهو المخصوص
بالذم قوله من كان يرجوا لقاء الله نزل فى جميع المسلمين اى من يأمن ثوابه
ويخشى عقابه وحسابه فان اجل الله اى فليعلم ان اجل الله المضروب للثواب
والعقاب لآت فليعمل لاجله قبل الفوت وهو السميع العليم باقوالكم واعمالكم
او نزل فى على وحمزة وعبيد بن الحارث حين بارزوا يوم بدر عتبة وشيبة
والوليد بن عتبة وكذا نزل فيهم ومن جاهد جهاد حرب او جهاد نفس بان
يمنعها عما تأمر به ويحملها على ما تأباه من الطاعات فانما يجاهد لنفسه حسب
لان ثواب جهاده راجع اليه انما امر الله ونهى رحمة لعباده ان الله لغنى
عن العالمين وعن طاعتهم لا يحتاج الى شئ ما والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم باسقاط عقابهم بثواب الحسنات ولنجزينهم
احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان
بوالديه احسانا اى عهدناه وامرناه بان يفعل بهما فعلا ذا حسن وحكم
وصى حكم امر فى التصرف والمعنى لان تعديته بالباء ومعناه الالزام تعالى
وصيته بان يفعل خيرا كما يقال امرته بان يفعل وان جاهداك اى وقلنا
وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم اى لا علم لك بالوهيته فلا تطعهما فى
ذلك اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون اى الى

رجوع من

رجوع من آمن منكم ومن اشرك فاخبركم باعمالكم فاجازيكم حق جزائكم
قيل نزلت آية الوصية فى سعد ابى وقاص وامه حين آمن بمحمد عليه السلام
وعرفت امه ايمانه فامتنعت من الاكل والشرب ليكفر ويرتد فقال والله
لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا ما كفرت بمحمد عليه السلام والذين
وعملوا الصالحات اى المؤمنون الصالحون لندخلنهم فى مدخل الصالحين اى الجنة
والصالحون هم الانبياء والاولياء وكل من صلحت سريرته مع الله تعالى
قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله اى فى طاعته او الاسلام جعل فتنة
الناس اى عذابهم اياه ههنا كعذاب الله ثم المعنى انه ساوى بين العذابين
فى خوف من العاجل واهل الآجل وفيه تنبيه لكل مسلم ان يصبر على الاذى
فى الله تعالى ولئن جاء نصر اى دولة المؤمن كالغلبة او الغنيمة من ربك
ليقولن اى مرتدون انا معكم اى تابعين لكم فى دينكم فاعطونا نصيبا
من المغنم فقال تعالى مخبرا عن كذبهم ايقولون ذلك اوليس الله باعلم بما
فى صدور العالمين من الايمان والكفر وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما
ابطنوه من الكفر ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين بقوله وليعلمن الله
آمنوا حقيقة وليعلمن المنافقين فى ايمانهم فانهم لم يصبروا على الاذى
وارتدوا وقال الذين كفروا وهم ابو سفيان واصحابه للذين آمنوا اى لعمر
بن الخطاب واصحابه اتبعوا سبيلنا اى ديننا ولنحمل خطاياكم اى لننزع عنكم

اثم خطاياكم يوم القيمة وهو امر معطوف على اتبعوا وقيل هو بمعنى الجزاء
للشرط معنى اى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فقال تعالى وما هم
بحاملين من خطاياهم من شىء وهو مفعول الحاصل بزيادة من ومن خطاياهم
حال من شىء تقدم عليه لتنكره وهذا الطريق لبعض الجهلة حتى يقول لمثله
افعل هذا واثمه فى عنقى انهم لكاذبون فيما يزعمون من قولهم انا وانتم لا نبعث
ولئن بعثنا لنحمل آثامكم عنكم وقيل هذا قول صناديد قريش لاتباعهم وانما
سماهم كاذبين مع انه انشاء الضمان وليس باخبار لانهم يعلمون انهم
لا يقدرون على ذلك فهو اخبار فى المعنى على خلاف الواقع ففيه تشبيه
حال ضمانهم مع علمهم بعدم الوفاء بالكذب الذى هو اخبار لا على ما عليه
المخبر عنه وليحملن اثقالهم اى اوزارهم بسبب كفرهم ومعاصيهم واثقالا من
اوزار اتباعهم الذين كانوا سببا فى ضلالتهم مع اثقالهم غير الخطايا التى
ضمنوا للمؤمنين حملها لان المؤمنين لم يقبلوا هذا القول منهم ولم يعملوا
تلك الخطايا فكيف يتصور حملها منهم وليسئلن سؤال التوبيخ يوم القيمة
عما كانوا يفترون اى يختلقون من الاباطيل على الله ثم ذكر قصة نوح
وطول مصابرته مع ذكر سائر الانبياء بعده ومصابرتهم على اذى قومهم
تسلية لرسول الله عليه السلام بقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه للدعوة
الى الايمان فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما ينذرهم ويخوفهم لا يتقون البتة

وكان عمره الفا وخمسين سنة وبعث على رأس اربعين سنة وعاش بعد
الطوفان ستين سنة وانما لم يقل تسع مائة وخمسين عاما لتكون ذكر الالف
اولا افخم فى اذن السامع ثم اخرج منها الخمسين ايضاحا لمجموع العدد وتكميلا
لتوهم اطلاق هذا العدد على الكثرة واقله فى العرف وذكر السنة اولا والعام
ثانيا للتميز فرارا من تكرير اللفظ الواحد فى البلاغة لا الغرض للمتكلم والفاء
للتسبب فى قوله فاخذهم الطوفان وهو الماء الكثير الذى اطاف واحاط
لكثرة وغلبته من سيل اى وغيره ولم يتعظوا فاستحقوا الاخذ بالطوفان
المحيط بالماء ويطلق الطوفان على الظلام المحيط والقتل الذريع والموت
الكثير ايضا قوله وهم ظالمون اى والحال انهم مشركون بيان لسبب اخذهم
الطوفان فان نوحا لما نصحهم فى هذه المدة وهم يؤذونه ان له فى الدعا
عليهم فغرقوا بالطوفان بسبب ظلمهم لانفسهم فانجيناه اى نوحا من
الطوفان واصحاب السفينة قيل ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم
اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وجعلناها اى السفينة
او الواقعة آية للعالمين اى عبرة لهم يعنى ان رآها ولمن لم يرها بسماع
خبرها وابراهيم اى اذكر ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم اى
العمل بالتقوى خير لكم من الكفر والمعصية ان كنتم تعلمون ذلك فتؤمنون
انما تعبدون من دون الله اى ما تعبدون من دونه الا اوثانا اى اصناما وتخلقون افكا

اى يختلقون كذبا وهو تسميتهم الاوثان الهة وشركاء لله ان الذين تعبدون
من دون الله اى الاصنام لا يملكون لكم رزقا اى لا يقدرون ان يعطوكم رزقا
قليلا فابتغوا اى اطلبوا عند الله اى من الله الرزق اى جميع الرزق
لانه هو الرزاق وحده واعبدوه اى وحدوه واشكروا له فيما انعم عليكم من
الرزق اليه ترجعون اى الى الله مصيركم بعد الموت فيجازيكم باعمالكم وان
تكذبوا رسولى فقد كذب امم من قبلكم رسلهم فاهلكتهم فلان ضر تكذيبهم
الرسل لانفسهم وما على الرسول الا البلاغ المبين اى البلاغ الذى ظهر صدقه
وزال معه الشك باقترانه بآيات الله ومعجزاته اولم يروا اى لم ينظروا
اولم يروا يعنى كفار مكة كيف يبدئ الله الخلق اى يخلقه ابتداء نطفة ثم علقة
ثم مضغة ثم شخصا سويا ثم يميته ثم يعيده حيا وقت البعث وهو معطوف
على جملة قوله اولم يروا وكيف يبدئ لانه فى معنى تحقق ان الله يبدئ الخلق لان
الاستفهام التقريرى خبر فى الحقيقة ان ذلك اى البدء والاعادة بعد
الموت على الله يسير قل يا محمد سيروا اى سافروا فى الارض لتعتبروا
امر البعث فانظروا اى فاعتبروا كيف بدأ الخلق اى خلقه ابتداء على غير مثال
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بالمد والقصر اى البعث للجزاء وانما اظهر الله فيه
بعد اضماره فى بدء الخلق للتنبيه على ان الذى علموه بادى الخلق باسم
الله هو معيدهم المسمى بالله لا يعجزه شئ ان الله على كل شئ من امر البعث

وغيره قديرا المعنى اذا قدر على بدء الخلق اولا فهو على انشائه واحيائه بعد
الموت اقدر يعذب من يشاء بالكفر وسشتاب الامر ويرحم من يشاء بالايمان وجميع
الشئ لا معترض ولا مفترض عليه تعالى واليه تقلبون اى تردون
فيجازيكم باعمالكم وما انتم بمعجزين اى فائتين من الله وحكمه وان هربتم منه
فى الارض الفسيحة ولا فى السماء التى هى افسح من الارض وابسط لو كنتم فيها
يعنى لا مخلص لكم من الله اينما تكونوا وما لكم من دون الله اى من دون عذابه
من ولى اى قريب ينفعكم ولا نصير مانع يمنعكم من عذابه قوله والذين
بآيات الله اى القران ولقائه اى البعث اولئك يئسوا من رحمتى وعيد لهم
اى يئسوا يوم القيمة لانهم كافرون بالله وينبغى للمؤمن ان يكون راجيا
لله خائفا على كل حال قالوا ان جعلت قوله وان تكذبوا الى قوله واولئك
لهم عذاب اليم من كلام ابراهيم فالمراد من الامم قبلهم قوم شيث وادريس
ونوح وغيرهم ويكون قوله قل سيروا فى الارض من كلام الله تعالى
حكاه ابراهيم ع م لقومه وان جعلت هذه الآيات انذارا لقريش فهى
اعتراض فى قصة ابراهيم لارادة التنفيس عن رسول الله عليه السلام
والتسلية له بان ابراهيم خليل الله كان مبتلى بنحو ما ابتلى به رسول
من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا يا
معشر قريش محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها ثم عقبها سائر الآيات

لبيان التوحيد ودلائله وهدم هذه الاعتراض الى جواب قوم ابراهيم
في حقه بقوله فما كان جواب قومه اى ما اجاب قوم ابراهيم حين دعاهم
الى الايمان الا ان قالوا اى قال بعضهم لبعض او قال واحد منهم ورضى
الباقون به فكانهم قالوا جميعا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار فلم
تحرقه ان فى ذلك اى فى انجائه من تلك النار لآيات اى لعبرات لقوم يؤمنون
بالله وتوحيده روى انه لم ينتفع الناس فى ذلك اليوم الذى القى ابراهيم
فى النار بالنار التى عندهم وذلك لذهاب حرها وقال ابراهيم انما اتخذتم
من دون الله اوثانا مودة بينكم بنصب مودة واضافتها الى بين على
الاتساع اى انما اتخذتم الاوثان بسبب المودة بينكم على تقدير حذف
المضاف فنصب مودة مع الاضافة وغيرها مفعول ثان لاتخذ
وما كافة او مفعول له اى لتتوادوا وتنوين المودة ونصب بينكم على
الظرفية وقريب بالرفع لانه خبر ان بمعنى المفعول واسمها ما بمعنى
الذى والعائد محذوف واوثانا مفعول ثان او حال اى ان الذى
اتخذتموه من دون الله اوثانا مودة اى مودة بينكم او هى خبر مبتدا
محذوف اى مودة تتوادون لها وتتواصلون فى الحيوة الدنيا
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض اى تبرء الاصنام والروساء من عابديها
او اتباعها ويلعن بعضكم بعضا اى الاتباع الروساء ومأويكم اى مقركم النار

ايها العابد

ايها العابد والمعبود والتابع والمتبوع وما لكم من ناصرين بالشفاعة او القوة
يوم القيمة فآمن له اى لابراهيم لوط لما راى النار لم تحرقه وهو اول من
آمن به وكان لوط ابن اخت ابراهيم وقال انى مهاجر من كوثى وهى من
سواد كوفة الى حران ثم منها الى فلسطين من الشام وهو اول من هاجر
ومعه لوط وسارة وهاجر وهو ابن خمس وستين سنة او سبعين وتبا
ثم قالوا لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان الى ربى اى الى حيث امرنى بالهجرة
اليه او مهاجرا الى ربى بقهر النفس وحسن الطاعة انه هو العزيز اى الذى
يمنعنى من عدوى الحكيم الحكيم الذى لا يامرنى الا بما هو مصلحتى ووهبنا له
اى لابراهيم بعد الهجرة اكراما له اسحق ويعقوب ولم يذكر اسمعيل لانه قد
دل عليه بقوله وجعلنا فى ذريته النبوة فانه لم يبعث نبى من بعد ابراهيم
الا من ذريته واسمعيل منهم وكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره
والكتاب اراد به الجنس ليدخل تحته ما نزل على ذريته من التورية والزبور
والانجيل والفرقان وآتيناهم اى ابراهيم اجره فى الدنيا اى الثناء الحسن
والولد الصالح والصلوة عليه فى آخر الزمان وقيل ارى له مكانه فى
الجنة وهو فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اى مبعوث فى زمرتهم
وهم الانبياء وامهم التابعون لهم ولوطا عطف على ابراهيم اى واذكر
اذ قال لقومه ائنكم بالاخبار على وجه التعبير وبالاستفهام على وجه التفخيم

لتأتون الفاحشة اى الفعلة البالغة فى القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين
مقررة لقبح الفاحشة اى لم يقدم احد قبلكم عليها لافراط قبحها وانتم اقدمتم
عليها لخباثة طبيعتكم ائنكم لتأتون الرجال بالاستفهام على وجه التوبيخ وتقطعون
السبيل قيل المراد قطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ
الاموال وقيل هو قطع طريق المادة بالفاحشة وقيل قطع النسل باتيان
ما ليس بحرث وتأتون فى ناديكم المنكر النادى والندى مجلس القوم ماداموا فيه
والمنكر مجامعة بعضهم بعضا فى المجالس وقيل الحذف بالحصى والرمى بالبنادق
وشرب الخمر والصفير والفرقعة ومضغ العلك والسباب واللعب بالحمام
قال الجنيد كل شئ مجتمع عليه الناس منكر الا الذكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله اى بالعذاب الموعود لنا من الله ان كنت من الصادقين فيما
تعدنا من نزول العذاب قال رب انصرنى بنزول العذاب على القوم المفسدين
بحملهم الناس على ما لا يجوز شرعا طوعا وكرها وذكر المفسدين فى دعائه
لارادة اشتداد غضب الله عليهم ولما جاءت رسلنا وهم الملائكة ابراهيم
بالبشرى اى ببشارة اسحق ويعقوب قالوا اى الرسل انا مهلكوا اهل هذه القرية
اى قرية سدوم التى فيها اجور من قاضى سدوم والاضافة فى مهلكوا
اضافة تخفيف اذ المعنى للاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين اى استمر منهم
الظلم وهو كفرهم والوان معاصيهم فتم قال ابراهيم للرسل مجادلا فى شان

لوطا

لوطا ان فيها لوطا لا مخبرا بكونه فيها لانهم لما عللوا اهلاكها بظلم اهلها اعترض
عليهم بان فيها من هو برئ من الظلم اظهارا للشفقة عليه والتحزن لاخيه
المؤمن قالوا نحن اعلم بمن فيها اى اعلم منك بحال لوط وحال قومه وامتيازه
منهم لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين اى الباقين فى الهلاك
ولما ان جاءت رسلنا لوطا ان زائدة بعد لما لتاكيد وجود الفعلين مرتبا
وجود احدهما على الآخر فى وقتين متجاورين لا فاصل بينهما سيئ بهم اى اغتم
غما شديدا عقيب احساسه لمجيئهم لانه لم يعرف انهم ملائكة خوفا ان يتعرض
قومه بهم بالفاحشة وضاق بهم ذرعا اى قصر ذراعه عن تحمل ما لا يطاق
وهو مثل فى العجز عن فعل شئ وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك
الا امرأتك كانت من الغابرين اى الهالكين انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا اى عذابا من السماء وهو الحجارة من ارجز اذا اضطرب لما يلحق المعذب
من القلق والاضطراب بما كانوا يفسقون اى بعصيانهم امر الله تعالى
وقرئ لننجينه ومنجوك ومنزلون بالتشديد والتخفيف والمعنى واحد
ولقد تركنا منها اى من قرى لوط آية بينة اى علامة ظاهرة يعتبر بها
وهى آثار منازلهم الخربة او بقية الحجارة التى ادركها اوائل هذه الامة
وقيل ظهور الماء الاسود على وجه الارض حين خسف بهم لقوم يعقلون
اى تركنا لقوم ذوى عقل يعتبرون به والى مدين اخاهم شعيبا اى ارسلناه

نبيا اليها فقال يا قوم اعبدوا الله اى وحدوه وارجوا اليوم الآخر اى افعلوا ما
ترجون به العاقبة وقيل من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا اى لا تعملوا الفساد
في الارض مفسدين بنقص الكيل والوزن كى لا تعذبوا فكذبوه اى شعيبا
في خبر العذاب فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة الشديدة او الصيحة جبرئيل لان
القلوب ترجف لها فاصبحوا اى صاروا في دارهم اى في بلدهم
وارضهم جاثمين اى باركين على الركب ميتين وعادا وثمود اى اهلكناهما
يدل عليه فاخذتهم الرجفة وقد تبين لكم اى ظهر لكم باكفاريكة نزول العذاب
عليهم من مساكنهم اذا نظرتم اليها في اسفاركم يعنى ظهر لكم آية في هلاكهم
فاتقوا الله من عذابه ولا تشركوا به شيئا وزين لهم الشيطان اعمالهم اى ضلالهم
فصدهم عن السبيل اى صرفهم عن الدين وكانوا مستبصرين اى والحال
ان عادا وثمود وقومهما كانوا ذوى بصيرة عقلاء متمكنين من النظر
والافتكار ولكنهم لم يفعلوا بل جحدوا فهلكوا او كانوا مستبصرين معجبين
في نفوسهم بدينهم ويحسبون انهم مهتدون وهم مبطلون وقارون
وفرعون وهامان اى اهلكناهم ولقد جاءهم موسى بالبينات اى بالعلامات الواضحة
فاستكبروا في الارض عن الايمان وما كانوا سابقين اى فائتين عذابنا لان امرنا
ادركهم فلم يفوتوه فكلا اخذنا بذنبه لا بذنب غيره نصب باخذنا مقدمة
قبله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا يعنى قوم لوط وهى ريح عاصف حصباء

اى حجارة

اى حجارة وقيل ملك كان يرميهم بها ومنهم من اخذته الصيحة وهى كانت
لمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض والخسف كان لقارون واتباعه ومنهم من
اغرقنا والغرق كان لقوم نوح وفرعون وما كان الله ليظلمهم اى ليعذبهم
بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بجرمهم ليستوجبوا العقوبة قوله مثل
الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت مثل للاصنام وعابديها
شبه الاصنام بيت العنكبوت وحال عابديها وهى اتخاذهم عبادة الاصنام
معتمدا عليه في دينهم بحال العنكبوت في الوهن وضعف القوة وهى نسجها
وعدم النفع اى كما لا ينفع العنكبوت بيتها من حر وبرد لا ينفع عابدى الاصنام
تلك ثم قوله اتخذت بيتا نصب على الحال من العنكبوت ويجوز ان يكون
وصفا لها بزيادة الالف واللام فيها وليس المراد تشبيه ذواتهم
بالعنكبوت بدليل ذكر مقطع التشبيه بعده وهو قوله وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت فلو اريد تشبيه الذوات لقال وان اوهن الحيوانات
لنفس العنكبوت ولو كانوا يعلمون الظاهر انه نفى لعلمهم ان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت مع ان كل احد يعلم وهن بيت العنكبوت
ولكن في الحقيقة نفى لعلمهم في زعمهم ان دينهم خير الاديان اى اذا
صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد ظهر ان دينهم اوهن
الاديان لو كانوا يعلمون ذلك وقيل معناه لا يعلمون ان هذا

الا تمثالا مثلهم ان الله يعلم ما يدعون بالياء وبالتاء الخطاب باضمار القول اى قل لهم ان الذى تعبدونه من دونه اى من غير الله من شئ بيان لما وهو الالهة اى ان الله مطلع عليكم وعلى اعمالكم فيجازيكم وفيه تهديد لهم قوله وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشئ لانه جماد لا علم له ولا قدرة اصلا وتركوا عبادة العالم القادر القاهر على كل شئ الحكيم الذى لا يفعل شيئا الا بحكمه وتدبيره وتلك الامثال نضربها اى نبينها للناس وما يعقلها اى ما يفهم فائدة ضربها الا العالمون بالله والعاملون بطاعته وهى نفى قول السفهاء من قريش ان محمدا يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك ثم بين انه ما خلق شيئا باطلا بقوله خلق الله السموات والارض وما بينهما بالحق بالغرض الصحيح هو الحق لا الباطل وهو كونهما مساكن عباده ودلايل على واحدانيته وعظم قدرته فلذا قال بعده ان فى ذلك لاية للمؤمنين اى لعبرة لهم لانهم ينتفعون بها اتل ما اوحى اليك من الكتاب اى القرآن واعمل بما فيه واقم الصلوة اى اتمها فى مواقيتها ان الصلوة المعروفة وهى الصلوة التى تصلى بالخشوع او التقوى بعد التوبة النصوح تنهى عن الفحشاء والمنكر وهما ما لا يجوز شرعا من الكباير والصغاير قال عليه السلام من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعدا وروى عن الحسن انه قال الرجل اذا لم تنهه صلوتك عن الفحشاء فلست بمصل

وقيل يا رسول الله

وقيل يا رسول الله ان فلانا يصلى بالليل كله فاذا اصبح سرق فقال ستنهاه صلوته فانتهى وقيل المعنى ان الصلوة اذا صليت صادرة عمن يراعيها كما ينبغى نهته عن المنكر وهذا اللفظ ليس بعام بل المراد منه ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من اقتضاء العموم اى لا بد ان يكون مراعى الصلوة ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها ولذكر الله اياكم بالرحمة اكبر من ذكركم اياه بالطاعة وقيل ذكر الله اشد نهيا عن الفحشاء والمنكر اذا داوم عليه من نهى الصلوة والقرآن عنها وكذلك قال عليه السلام الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والفضة والورق وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله وقيل المراد ان تذكر الله تعالى ناظرا الى جلالته وعظمته وقدرته وتنزيهه عن كل شئ سواه وقيل المراد بذكر الله الصلوة ووصفها بالاكبر ليستقل بالتعليل كانه قال والصلوة اكبر من كل عمل لانها ذكر الله والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب ولا تجادلوا اهل الكتاب اى الذين لم ينصبوا الحرب الا بالتى هى احسن اى بالخصلة الحسنى كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم وقيل هى كلمة الشهادة او الكف عنهم اذا بذلوا الجزية او بالحجة القاطعة على توحيد الله الا الذين ظلموا منهم بنصب الحرب ومنع الجزية واثبات الشريك والولد

الله تعالى فلا تناظروهم بالحسنى بل بالغلظة او لا تناظروا الظالمين البتة بل
يكفوا السيف منهم لفرط عنادهم فلا ينفعهم الرفق وقولوا آمنا بالذي انزل
الينا وانزل اليكم اي القرآن والتورية والهنا والهكم واحد وهو خالق كل شيء
ونحن له مسلمون مخلصون بالتوحيد بيان للكلمة التي هي احسن قيل نزل حين
قال بعض المسلمين يا رسول ان اليهود قد يقرؤن التورية بالعبرية ويفسرون
بالعربية انصدقهم ام نكذبهم فقال عليه السلام لا تصدقوهم ولا تكذبوهم
وقولوا آمنا الى آخر الآية اي اخبروهم انكم تؤمنون بالله وجميع كتبه وانه
ربنا وربكم قيل نسخت هذه الآية بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى وهم
صاغرون وكذلك اي مثل هذا الانزال انزلنا اليك الكتاب مصدقا لسائر الكتب
السماوية وهو تحقيق لقوله وقولوا آمنا الآية فالذين آتيناهم الكتاب
اي التورية كعبد الله بن سلام واصحابه من قبل النبي عليه السلام من اهل الكتاب
يؤمنون به ومن هؤلاء اي اهل مكة من يؤمن به اي القرآن وما يجحد بآياتنا
الا الكافرون مع ظهورها وزوال الشبهة عنها وهم كعب بن الاشرف واصحابه
وما كنت تتلو من قبله اي قبل القرآن من كتاب يعني امي ما عرفك قط احد
بتلاوة كتاب ما ولا تخطه بيمينك وذكر اليمين وهي الجارحة التي
يزاولها بها الخط لزيادة تصوير لنفي كونه كاتبا الا يرى انه يقال فلان
يكتب بيمينه اذا اريد كونه متوليا للكتابة حقيقة اذا لارتاب اي لشك المبطلون

يعني لو

يعني لو كنت تعرف شيئا من القراءة والكتابة لارتاب مشركوا مكة
في نبوتك ولقالوا لعله تعلمه من احد وكتبه بيده وان النبي المنعوت عندنا لا يحسن
الكتابة فليس هذا ومعنى كونهم مبطلين انهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب
ولو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بكاتب وقارئ فلا وجه
لارتيابهم فيكونون بالبطلان بل هو اي القرآن آيات بينات اي بينات
الاعجاز يقينا في صدور الذين اوتوا العلم به اي حفظوه وعلموه وكونه
معجزا محفوظا في الصدور من خصائص القرآن لان من تقدم كانوا لا يقرؤن
كتبهم الا نظرا فاذا انطبقوه لم يعرفوا منه شيئا سوى الانبياء ولم يكن معجزات
وما يجحد بآياتنا الواضحة الا الظالمون اي المتوغلون في الظلم المكابرون
وهم اليهود او المشركون وقالوا لولا اي هلا انزل عليه آيات مفردا من ربه
اي علامة منه تعالى كما انزلت على من قبله من الآية وقرئ جمعا قل انما الآيات
عند الله نزل حين قالوا هلا انزل عليه آية على صدقه كالناقة والعصا
والمائدة فامره ان يقول انما الآيات في قدرته ينزلها اذا شاء كيف
شاء وليس بيدي شيء وانما انا نذير مبين كلفت الانذار وابانته بالدلائل
الواضحة وليس لي ان اقول ما انزل علي آية كذا دون اولم اي ايطلبون
آية على صدقك وثبت حجتك وهو اعظم الآيات يغني عن سائر الآيات
لانه ثابت على مرور الايام وغيره من الآيات انعدمت ان في ذلك اي في القرآن

الموجود في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى اى
تذكرة لقوم يؤمنون به وقيل نزلت هذه الآية في اناس من المسلمين اتوا بكتب
فيه بعض ما يقول اليهود فلما نظر النبي عليه السلام اليه القاه وقال كفى
حماقة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم قل كفى بالله بيني
وبينكم شهيدا نزل حين لم يصدق اهل مكة وكعب بن الاشرف من اليهود
وكان قدم مكة من الطائف وقالوا من يشهدك انك رسول الله بالقرآن
ان لم تشهد فامره الله تعالى بان يقول كفى بالله الى آخره اى يشهد الله لى
بالبلاغ والتصديق وعليكم بالتكذيب عند التبليغ يعلم الله ما في السموات
والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل
منكم اى بالاصنام وكفروا بالله اى جحدوا بالتوحيد اولئك هم الخاسرون اى المغبونون
في صفقتهم ولولا اجل مسمى في اللوح اى لولا الوقت الذى عين انهم يعذبون
فيه وهو تعذيب الموت او في بدر او يوم القيمة لجاءهم العذاب اى الذى
استعجلوا بمجيئه استهزاء منهم وليأتينهم العذاب في الاجل المسمى بغتة
اى فجأة وهم لا يشعرون بمجيئه يستعجلونك بالعذاب اى بنزوله والحال ان جهنم
لمحيطة بالكافرين اى ستحيط بهم يوم يغشيهم العذاب او محيطة بهم في الدنيا لاستغراقهم فيها
اياها وبسبب معاصيهم فيكون يوم منصوبا بمحيطة ويجوز قطع الكلام عند الكافرين
فيكون يوم منصوبا بمضمر على هذا اى يوم يغشيهم العذاب كان كيت

كيت من فوقهم اى يحيط بهم بعد البعث من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول بالنون والياء
اى يقول الله لهم ذوقوا ما كنتم تعملون اى عقوبته قوله يا عبادي الذين
آمنوا بفتح الياء وسكونها نزل فيمن كان يؤذى بمكة ويخشى الجوع ان
خرج منها فضاقت عليه اى اخرجوا فانى رازقكم حيث كنتم او اذا عمل
بالمعاصي في ارض ولا تستطيعون منعها او امرتم بفعلها فاهربوا منها
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اى فان لم تتمكنوا من العبادة بكثرة
المعاصي فاعبدوني بغيرها يجب على كل من كان بارض فيها المعاصي
ولا نقدر على تغييرها ان يهاجر الى حيث يتهيأ له العبادة فالفاء في فاياى
فاعبدون جواب شرط محذوف كما قدرناه ثم حذف الشرط وعوض
من حذفه تقديم المفعول مع افادته معنى الاختصاص وادخل الفاء
الذى كان في الشرط في هذا المفعول المقدم واما الفاء الذى كان
في الجزاء فمقدم في الجزاء العامل في اياى والفاء الثالث لتكرير الجزاء
تقديره فاياى فاعبدوا فاعبدون قوله كل نفس ذائقة الموت نزل حين كانوا
يأمون على انفسهم بالخروج الى هاجروا ولا تخافوا من الموت
فان الموت ملاقيكم اينما كنتم ثم الينا ترجعون بالياء والتاء فهذا تشجيع
للمهاجر عن بلده بعد الامر له بالحرص على العبادة وطلبه لها او قوة البلاد

اى كل نفس واحدة مرارة الموت وكربه البتة كما يجد الذائق طعم المذوق
فهى اذا تيقنت الموت سهل عليها مفارقة وطنها فالواجب عليه التزود
والاستعداد للوصول الى الجزاء والذين آمنوا وعملوا الصالحات اى الخيرات
ومنها الهجرة لانها كانت فريضة فى ذلك الوقت لنبوئنهم بالباء اى
لننزلنهم من التبوئة وهى النزول وقرئ بالثاء لنثوينهم افعال من الثواء
وهو الاقامة وثوى اذا تعدى بهمزة النقل يتعدى الى مفعول واحد وهنا
تعدى الى ضمير المؤمنين والى الغرف حملا على ننزلنهم او على لنبوئنهم او على
حذف الجار وايصال الفعل اى الى الغرف يعنى لننزلنهم من الجنة غرفا تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين اى ثوابهم الذين صبروا
اى هم الذين صبروا على الشدائد ومفارقة الاوطان للدين واذى
المشركين وعلى ربهم يتوكلون فى الرزق وغيره قوله وكاين رفع على الابتداء اى
وكم من دابة يعنى من حيوان يدب فى الارض ومن طير يطير فى الهواء لا تحمل
رزقها معها ضعفا عن حمله وكسبه والجملة المنفية صفة لدابة وخبر المبتداء
الله يرزقها واياكم اى لا يرزق تلك الدواب الا الله ولا يرزقكم ايضا
ايها المطيقون لحمل ارزاقكم وكسبها الا هو ان هاجرتم الى المدينة وهو
السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما فى صدوركم ولئن سألتهم اى اهل
مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اى اعترفوا بذلك فقل فانى يؤفكون

اى فكيف يصرفون عن طاعته وتوحيده مع هذا الاعتراف الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له اى يضيق لمن يشاء قيل الظاهر
ان الضمير فى له يرجع الى من يشاء فيلزم ان يكون بسط الرزق وقدره
لشخص واحد وهو ليس بمراد فالوجه ان يقال الا كان ان يقول ويقدر
لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء وهو ضمير مبهم مثله لان من
يشاء غير معين فى الناس وقيل يجوز ان يريد تعاقب الامرين لواحد
فيكون الضمير معينا ان الله بكل شىء عليم من البسط والتقتير ولئن سألتهم
اى اهل مكة من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها اى يبسها
ليقولن الله قل الحمد لله على ثبوت الحجة عليكم واقراركم بها ولم ينفعكم
اقراركم لعدم خلوصكم ثم قال تعالى بل اكثرهم لا يعقلون اى لا يفهمون
فهم العقلاء ما يقولون لانهم يشركون مع اقرارهم بذلك او لا يعقلون
ما تريد بقولك الحمد لله عند مقالتهم ذلك اى الحمد لله على انه لم يجعل
اقرارنا اقرارنا كاقرار المشركين قوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب
ازدراء للدنيا وتصغير لامرها لانه لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم
عنها ليست الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الآخرة
اى حياتها لهى الحيوان اى الحيوة المستمرة بلا زوال وسميت الحيوان
لان فيه مبالغة على الحيوة لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب

لا فی بناء الحیوة ای کانها فی ذاتها حیوة لو کانوا یعلمون ذلک یقینا لم یؤثروا
الدنیا علی الآخرة قوله فاذا رکبوا فی الفلک دعوا الله مخلصین له الدین ای
کائنین فی صورة من یخلص الدین لله من المؤمنین حیث لا یذکرون غیره
لعلمهم انه لا ینجیهم الا الله فلما نجاهم الی البر وخلصوا من الغرق اذا هم یشرکون
ای عادوا الی الشرک به تعالی واللام فی لیکفروا یحتمل ان یکون لام کی وکذلک
لیتمتعوا ای انهم یعودون الی الشرک لیکونوا کافرین بما آتیناهم من نعمة النجاة
ولیتمتعوا ای لیبعثوا بها ویتلذذوا لا غیر لا علی ما هو عادة المؤمنین المخلصین
علی الحقیقة من ان یشکروا نعمة الله اذا انجاهم الله فیستحقوا المزید بشکرهم
ویحتمل ان یکون لام الامر من الله بالکفر والتمتع خذلانا لهم وتخلیة وتهدیدا
بدلیل قوله فسوف یعلمون عند نزول العذاب علیهم کقوله اعملوا ما شئتم انه
بما تعملون بصیر قوله اولم یروا ای اهل مکة توبیخ لهم بانهم یؤمنون بالباطل
لا بالحق وذلک ان العرب حول مکة کانوا ینهب بعضهم بعضا ویتغاورون
واهل مکة قارون آمنون لا یغار علیهم مع قلتهم وکثرة العرب فذکرهم
الله تعالی هذه النعمة الخاصة الظاهرة لیشکروا ویفهموا ان هذه من
من النعم التی لا یقدر علیها الا الله وحده وهو مکفور عندهم یعنی الم یعلموا
انا جعلنا حرما آمنا یأمنون فیه ویتخطف ای یؤخذ الناس ویسلبوا
من حولهم افبالباطل یؤمنون وهو الصنم او الشیطان وبنعمة الله ای بالقرآن

والاسلام ومحمد علیه السلام یکفرون ای یجحدون ومن اظلم ممن افتری
ای اختلق علی الله کذبا او کذب بالحق لما جاءه کافترائه زعمه الشریک والولد
لله وتکذیبه بما جاءه من الحق کفره بالرسالة وبالکتاب الذی انزل معه
لما جاءه من غیر توقف عنادا الیس فی جهنم مثوی ای مقام للکافرین ای
المکذبین والاستفهام تقریر لاقامتهم فی جهنم وحقیقته ان همزة
الانکار اذا دخلت علی النفی صار ایجابا وهو معنی التقریر ای کیف لا یستوجبون
الخلود فی جهنم وقد افتروا مثل هذا الافتراء علی الله وکذبوا بالحق مثل هذا
التکذیب او المعنی الم یصح عندهم ان فی جهنم مثوی للکافرین حتی اجترؤا
علی هذا التکذیب والاشراک قوله والذین جاهدوا التعریض للکفار ای الذین
جاهدوا فینا ای فی حقنا ولوجهنا خالصا اعداء الدین والشیطان المضل
والنفس الامارة بالسوء وحذف المفعول للتعمیم ای لتعم کل جهاد فیه
مشقة علی النفس وله طرق کثیرة واصل الکل حبس النفس بحسب
حکم الله وامره بالاخلاص ثم حبس الجوارح علی الطاعة ثم حبس القلب
علی موافقة الله ورضاه ثم حبس السر علی سبیل الشوق والمحبة لنهدینهم
سبلنا ای لنزیدنهم هدایة الی طریق الخیرات وقیل الذین جاهدوا فی طلب
العلم لنهدینهم الطریق الی العلم به وقیل والذین جاهدوا فیما علموا
لنهدینهم الی ما لم یعلموا قیل افضل الجهاد جهاد النفس وهو بذل النفس

فى رضاء الحق وذلك بمخالفة الهواء وصدق المجاهدة الانقطاع الى الله
من كل شئ سواه وان الله لمع المحسنين اى العاملين بالاحسان فى جميع احوالهم
بالنصر والمعصية وهو تحريض لهم فى المجاهدة سورة الروم مكية بسم الله
الرحمن الرحيم الم غلبت الروم بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء وهو
القرائة المشهورة فى ادنى الارض اى اقربها الى عدوهم وهى ارضاء العرب لانها
هى المعهودة عندهم من الارض والتعريف للعهد وهى اطراف الشام وهم
من بعد غلبهم اى الروم بعد ان غلبوا من الفارس سيغلبون فارس فى بضع
سنين نزل حين احترب الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت
فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبى واصحابه لان فارس مجوس لا كتاب
لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وعيروا المسلمون بانكم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون فظهر اخواننا على اخوانكم وانظهرن
نحن عليكم فسمع ابو بكر قولهم وقال لا تقر الله اعينكم فوالله ليظهرن
الروم على فارس فراهنه ابى بن خلف على عشرة قلايص من كل احد
منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله بذلك فقال البعد
نزول الاية انما البضع بين الثلث الى التسع فزائدة فى الخطر وماد فى الاجل حين
عليه ومادة فى الاجل فجعلا المراهنة على مائة قلوص الى تسع سنين
فمات ابى من طعنة النبى ثم غلبت الروم فارس يوم الحديبية او بدر

فاخذ ابو بكر

فاخذ ابو بكر الرهن من الورثة لابى وكان هذا قبل تحريم القمار لله الامر
اى امر الغالبية والمغلوبية لله اى بقضائه ومشيته من قبل اى قبل كونهم
غالبين وهو الوقت كونهم مغلوبين ومن بعد اى من بعد كونهم مغلوبين
وهو كونهم غالبين فلما حذف المضاف اليه منهما بنيا على الضم ويومئذ اى
يوم تغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بنصر الله الروم على فارس وتغليبه ينصر
من يشاء من اهل الكتاب والاميين تارة وتارة وهو العزيز بالانتقام
من الاعداء الرحيم بنصر الاولياء قوله وعد الله مصدر مؤكد اى وعد الله
ذلك وعدا لان ما تقدم ذكره فى معنى وعد لا يخلف الله وعده بنصره الروم
على فارس ولكن اكثر الناس اى الكفار لا يعلمون اى لا يصدقون قوله يعلمون
بدل من لا يعلمون وفى هذا الابدال ايذان بان لا فرق بين عدم العلم الذى
هو جهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا قوله ظاهرا من الحيوة الدنيا
ايذان بانهم منخدعون بظاهر الحيوة الدنيا يعنى ما تيزودوا منها الى الاخرة
كالايمان والاعمال الصالحة هم غافلون اى لاهون وهم الاول مبتداء
وغافلون خبره وهم الثانى تكرير للاول يفيد انهم معدن الغفلة عن
الاخرة اولم يتفكروا فى انفسهم اى الم يحدثوا التفكر الصالح فى قلوبهم الفارغة
من الفكر فيكون فى انفسهم ظرفا للتفكر او المعنى الم يتفكروا فى انفسهم
التى هى اقرب اليهم وهم اعرف باحوالها وما اودعت من غرايب الحكم

الدال على المطلوب منهم وعلى ما القوم فيكون في انفسهم صلة للتفكر قوله ما خلق
الله السموات والارض وما بينهما متعلق بالقول المحذوف وتقديره اولم يتفكروا
فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا الآن التفكر يدل عليه الا بالحق اى
الا ملتبسا بالحق يعني ما خلقها باطلا وعبثا بلا غرض صحيح وحكمة بالغة واجل
مسمى اى الا باجل معلوم لابد ان ينتهي الاشياء المذكورة اليه وهو قيام
الساعة للحساب والثواب والعقاب يعني كلها ينعدم عنده وان كثيرا
من الناس وهم الجاهلون بالله بلقاء ربهم اى بالبعث والجزاء لكافرون
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى الم يسافروا
في البلاد فيعتبروا اثار المهلكين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم وصف
لهم احوالهم بانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اى حرثوها وعمروها
اكثر مما عمروها اى مما عمرها المكيون فاهلكوا فما الظن باهل مكة وهم دونهم
في القوة وفي دنياهم اى في حال الضعف من قوة الجسد وقلة المال
لانهم اهل واد غير ذي زرع لا يثيرون ارضا ولا يعمرونها لينتفعوا بها او ليتلذذوا
بذلك كما هو حال اهل الدنيا مع امر الدهقنة وجاءتهم رسلهم بالبينات
اى بالحجج الواضحات فكذبوهم فاهلكهم الله تعالى فما كان الله ليظلمهم اى
ما اهلاكه تعالى اياهم ظلما لهم لان نعته العدل والظلم ينافيه ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث عملوا بسبب اهلاكهم ثم كان اى انهم عوقبوا في الدنيا

بالدمار ثم كان عاقبة الذين اساءوا اى اشركوا بوضع المظهر موضع المضمر
اى عاقبتهم السوأى وهي جهنم التي هي اسوأ العقوبات وهو تأنيث الاسوأ
وهو الاقبح قرئ عاقبة بالرفع اسم كان والخبر السوأى بالنصب
وبالعكس وعلل المعنى بقوله ان كذبوا اى لان كذبوا بآيات الله اى القرآن
ومحمد عليه السلام وكانوا بها اى بآيات الله يستهزؤن وينكرون البعث
الله يبدؤ الخلق ثم يعيده اى يحييهم بعد موتهم ثم اليه ترجعون اى ثوابه وعقابه ويوم
الساعة يبلس المجرمون اى ييأس ويسكت متحيرين المشركون من كل خبر لا كلام
ولا حجة لهم ثم ولم يكن لهم اى لا يكون لهم يوم القيمة من شركائهم الذين عبدوها
دون شفعاء من الملائكة او من الاصنام وكانوا اى المشركون بشركائهم
كافرين اى جاحدين يعني كل واحد منهم يتبرأ من الآخر ويوم الساعة يومئذ
اى بعد الحساب يتفرقون اى المسلمون والكافرون فرقة لا اجتماع بعدها
يعني يصيرون فريقين فريق في النار وفريق في الجنة قوله فاما الذين
آمنوا بيان لحال الفريقين ثمة اى الذين وعملوا الصالحات فهم في روضة اى بستان
محضرة في غاية النضارة مع جري ماء يحبرون اى ينعمون ويكرمون
واصل الحبور السرور وقيل هو السماع في الجنة روي ان اهل الجنة
اذا اخذوا في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا وردت وليس احد
احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع

سموات تسبيحهم وصلوتهم واما الذين كفروا بمحمد عليه السلام وكذبوا بآياتنا
ولقاء الآخرة اى القرآن والبعث فاولئك فى العذاب اى عذاب جهنم محضرون
اى لا يغيبون عنه فيعذبون دائما قوله فسبحان الله ترغيب للعقلاء المميزين
كلهم على التنزيه والطاعة فى مواقيتها واراد من التسبيح الصلوة حين تمسون
اى تدخلون فى المساء وهى المغرب والعشاء وحين تصبحون وهو صلوة
الصبح وله الحمد فى السموات والارض اعتراض بينه وبين وعشيا وهى صلوة العصر
لتأكيد وجوب الطاعة على اهلهما باختصاص الحمد والثناء له تعالى فيهما
وحين تظهرون اى تدخلون فى الظهيرة وهى صلوة الظهر يعنى صلوا
فى هذه الاوقات الخمسة فانها توصل الى الوعد وتنجى من الوعيد واختلفوا
فى ان الخمس فرض بمكة او بمدينة القول الاكثر انها فرض وعن عائشة فرضت
الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله عليه السلام بالمدينة اقرت صلوة
السفر وزيد فى الحضر وقيل المراد من التسبيح فى هذه الاوقات ظاهره
الذى هو تنزيه الله عن السوء والثناء عليه بالخير لما تجدد فيها من نعمة
الله الظاهرة قيل لابن عباس هل تجد الصلوة الخمس فى القرآن قال
نعم وقرء هاتين الآيتين يخرج الحى من الميت اى الطاير من البيضة ويخرج
الميت من الحى اى البيضة من الطاير ويحيى الارض بالمطر واخراج النبات
بعد موتها اى بعد يبسها وكذلك اى مثل ذلك الاخراج تخرجون من

القبور

القبور وتبعثون فاذن بذلك ان الابداء والاعادة فى قدرته سواء
وعن النبى عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله الى قوله وكذلك
تخرجون ادرك ما فاته من يومه ومن قال حين يمسى ادرك ما فاته من
ليلته ومن آياته اى من دلايله الدالة على القدرة والوحدانية ان خلقكم
اى خلق اصلكم وهو آدم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اذا للمفاجاة اى ثم فاجأ
وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
اى من شكل انفسكم وجنسها ازواجا لا من جنس آخر لان الالف والسكون
لا بين الجنسين المختلفين من النساء فرادون حواء من انفسكم لانها خلقت
من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال لتسكنوا اليها
اى لتميلوا وتألفوا الى ازواجكم وجعل بينكم مودة اى محبة ورحمة اى
تراحما بعصمة الازدواج من غير قرابة بعد ان لم يكن بينكم سابقة معرفة
ولا لقاء وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد فبرحمة الله يتعاطفون
ويرزق بعض بعضا ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيستدلون به على قدرته
وعظمته فيؤمنون ويعبدون ومن آياته خلق السموات والارض وانتم
تعلمون ذلك وتقرون به واختلاف السنتكم المراد من الالسنة اللغات او
اشكالها من الفصاحة واللكنة وملاذ النغمات والوانكم اى الوان
صوركم من ابيض واسود وغيرهما وهم من اب واحد ولاختلاف ذلك

وقع التعارف والتمايز والا فلو اتفقت الاشكال وكانت ضربا واحدا لوقع
التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة ان في ذلك لآيات للعالمين
بكسر اللام جمع عالم وهو ذو العلم وخص العلماء لانهم اهل الاستدلال دون
الجهلاء وبفتح اللام جمع عالم وهو الخلق والمعنى ان الآيات ظاهرة ظهورا يمكن
ان يستدل بها جميع الخلائق فيكون حجة على كل مخلوق ومن آياته منامكم بالليل
والنهار اي فيهما وابتغاؤكم من فضله اي من رزقه فيهما والمعنى انه جعل الليل
للسكون والنهار لطلب المعاش والاول اظهر ان في ذلك لآيات اي لعبرات لقوم
يسمعون سماع تدبر ومن آياته يريكم البرق مبتدأ وخبر بتقدير ان المصدرية من
باب تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما حذف ان ليدل الفعل على الحال
ظاهرا خوفا من الصاعقة وطمعا في الغيث وانتصبا مفعولا لهما اي
لارادة خوف وارادة طمع او حالا اي خائفين وطامعين وينزل من
السماء ماء فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها اي بعد يبسها ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون اي يفهمون عن الله فيتدبرونه ومن آياته ان تقوم
السماء والارض فوقكم وتحتكم لا يزيلهما شيء واراد ببقائهما دوام قيامهما
الى اجلهما بلا عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين ثم اذا دعاكم دعوة اي قيام
السماء والارض للبعث من الارض اي من قبوركم يعني اذا دعاكم اسرافيل
على صخرة بيت المقدس دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا اذا انتم تخرجون بسرعة

من غير توقف

من غير توقف قرئ معلوما ومجهولا والجملة جواب الشرط واذا نائبة عن
الفاء من الارض صفة دعوة او متعلق بدعاكم وعطف اذا دعاكم على قيام
السماء والارض بثم على تأويل ومن آياته قيامهما ثم خروج الموتى من القبور
اذا دعاهم بقوله اخرجوا فيخرجون بلا توقف بيانا لعظم ما يكون من ذلك
الامر واقتداره على مثله بلا اباء كقوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
وله اي لله من في السموات والارض من الخلق يعني هو موجدهما وربهم كل له قانتون
اي مطيعون ومنقادون لوجود افعاله تعالى فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي
يبدأ الخلق ثم يعيده اي خلق آدم ومنه خلقهم ولم يكونوا شيئا ثم يعيد الخلق
احياء من قبورهم يوم القيمة وهو اهون عليه اي البعث اسهل على الله فيما
يقتضيه عقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كانت اسهل عليه وان كان
في نفسه عظيما او هو اهون على الخلق لان قيامهم بصيحة واحدة اسهل
من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا الى تكميل خلقهم وله المثل اي الوصف
الاعلى الذي ليس لغيره مثله في السموات والارض وهو انه منزه عن صفات
المحدثين وانه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما
وهو العزيز الحكيم اي هو القاهر لكل مقدور والجاري فعله على قضية حكمته وعلمه
وقيل المثل الاعلى هو الوصف بالوحدانية يدل عليه قوله بعده في وصف
الشريك ضرب لكم مثلا من انفسكم من فيه ابتدائية كانه قال اخذ

مثلا وانتزعه من اقرب شئ منكم وهى انفسكم ومن فى هل لكم مما ملكت ايمانكم
تبعيض اى من عبيدكم واماءكم ومن فى من شركاء زائدة لتأكيد الاستفهام
الذى يجرى مجرى النفى اى هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم واماءكم
امثالكم بشر ان يشاركم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم
وهم فيه على السواء من غير تفصيله بين الحر وعبد ويقاسمونكم كالقاسم
الحر شريكه وجوابهم ان يقولوا لا فيقول فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف
ترضون ان تجعلوا معبوديكم شركائى فى الالوهية او العبادة وهم عبيدى
فانتم وعبيدكم فيه اى فى المال الذى بايديكم سواء اى متساوون وهو
جواب الاستفهام اى اهل لكم ما فتستووا انتم وعبيدكم فيه وقوله تخافونهم
حال من فاعل سواء داخلة تحت الاستفهام الانكارى تقديره فانتم
تساوو خائفين من مواليكم خيفة كخيفتكم انفسكم اى بعضكم بعضا
من الاحرار الاقارب والاباعد كذلك اى مثل هذا التفصيل نفصل الايات
اى ايات الامثال تبينها لقوم يعقلون لان التمثيل بمنزلة التصوير
بكشف المعانى لاهلها وهم العقلاء فلما لم يمتنعوا من كفرهم وكذبهم اضرب
عنهم فقال بل اتبع الذين ظلموا اى اشركوا اهواءهم بعبادة الاوثان
بغير علم اى جاهلين فمن يهدى اى فمن يقدر ان يرشد من اضل الله
اى اضله وخذله ولم يلطف به بالتوفيق وما لهم من ناصرين اى مانعون

من العذاب

من العذاب وهو دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم اى عدل
وقوم يا محمد من غير التفات يمينا وشمالا وجهك للدين يعنى اقبل على الدين
فاستقم بالعمل بامره ونهيه حنيفا اى مخلصا حال من الضمير فى اقم قوله فطرة
الله نصب بمحذوف اى اتبع يا محمد والزموا فطرة الله التى فطر الناس عليها والفطرة
الخلقة وهى القابلية للتوحيد ودين الاسلام من غير اباء عنه وانكار له او المراد
العهد المأخوذ عليهم بقوله الست بربكم فعلى هذا كل مولود يولد ابتداء على التوحيد
ولو لم يعرض له ما يصده عنه لدام عليه لوجود حسن التوحيد فيه وصحته عقلا
يدل قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على فطرة الاسلام حتى يكون ابواه
هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اى ما ينبغى ان تبدل تلك
الفطرة او تغير ذلك اى التوحيد الذى خلق الناس عليه هو الدين القيم
اى المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك قوله منيبين اليه اى منصرفين
الى الله من غيره بالتوحيد والطاعة حال من ضمير الزموا الناصبة لفطرة
او من فاعل فاقم لانه جمع فى المعنى لانه خطاب للرسول عليه السلام والمراد
امته وانما افرد ثم جمع لما فى الافراد من التعظيم للامام وفى الجمع من البيان
والتلخيص واتقوه بامتثال امره ونهيه واقيموا الصلوة فى مواقيتها ولا تكونوا
من المشركين اى على دينهم وهذه الاوامر بيان للانابة اليها وعطف على
الزموا المقدر وقوله الذين بدل من المشركين اى لا تكونوا من الذين

فرقوا دينهم بالتشديد اى جعلوه فرقا واديانا مختلفة وهم اليهود والنصارى
وقرئ فارقوا بالالف بمعنى تركوه وكانوا شيعا اى مللا مختلفة كل واحدة
تشايع امامها الذى اضلها قيل افترقت اليهود احدى وسبعين فرقة والنصارى
اثنين وسبعين والمسلمون ثلثة وسبعين كل حزب بما لديهم من الدين فرحون
اى مغرورون يحسبون باطلهم حقا واذا مس الناس ضر اى شدة من مرض وقحط
دعوا ربهم اى يلجاون الى الله تعالى منيبين اى مقبلين بالدعاء اليه
اذا اذاقهم منه رحمة اى نعمة وخصبا من مطر وصحة اذا فريق منهم بربهم يشركون
ثم هددهم بلام الامر بقوله ليكفروا بما آتيناهم اى بسبب ما اعطيناهم من النعم
ثم التفت من الغيبة الى الخطاب وهو فتمتعوا هنا نظيره اعملوا ما شئتم فسوف
تعلمون ما نفعل بكم من الجزاء ثم ام انزلنا بالاستفهام وزيادة الميم والمراد
النفي اى لم ننزل عليهم من السماء سلطانا اى كتابا وبرهانا فهو يتكلم مجاز
لان البرهان لا يتكلم ولكنه دليلا على الايمان فكانه متكلم بما كانوا به اى
بكونهم يشركون بالله واذا اذقنا الناس اى الكفار رحمة اى خصبا ونعمة
فرحوا بها وان تصبهم سيئة اى قحط وضيق وبلاء بما قدمت ايديهم من الاعمال
الخبيثة اذا هم يقنطون بفتح النون وكسرها اى ييأسون من رحمة الله تعالى ثم
انكر عليهم فعالهم بقوله اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
اى يوسعه ويضيقه يعني انهم قد علموا ان الله هو الباسط للرزق والقابض

فالهم

فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي
التي عوقبوا بها حتى يعيد اليهم رحمته ان في ذلك البسط والتقتير لآيات
لقوم يؤمنون بالله ولما ذكر ان السيئة تصيبهم بما قدمت ايديهم
اتبعه عقيبه بذكر ما يمدحون بفعله ويذمون بتركه فقال بالفاء فآت
ذا القربى حقه بان تبره وتصله والمسكين وابن السبيل من الصدقة والاعانة
ذلك اى صلة القرابة وغيرها خير للذين يريدون وجه الله اى يقصدون
بمعروفهم ذاته خالصا او يقصدون جهة التقرب اليه تعالى لا جهة اخرى
واولئك هم المفلحون اى الناجون في الآخرة بدخول الجنة يحتج ابو حنيفة بهذه
الآية على وجوب النفقة لذوي الارحام المحارم عند الاحتياج ولا يوجبها
الشافعي الا على الولد والوالدين لوجود الولاد دون سائر القرابات
ويقيسهم على ابن العم لانه لا ولاد بينهم وما آتيتم بالمد من الاعطاء
وبالقصر من المجيء اى الذي اعطيتم او جئتم به من ربا اى عطية الكثر الربا
ليربوا اى ليزداد في اموال الناس فلا يربوا اى لا ينمو ولا يضاعف تلك
العطية في اموالهم عند الله قيل المراد منه منع الربا لان الله يمحقه
ولا يبارك فيه او ما اعطيتم للذين يمنون عليكم بهبتكم لكم ليستكثروا بها
من ربا ليربوا في اموالهم اى ليزيد فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه يعني
لا يثيب لكم تلك الزيادة على العوض لانها لغير الله ولا اثم على الآخذ

وما آتيتم من زكوة اى صدقة تريدون اى تقصدون به وجه الله خالصا
لا مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون اى ذوا الاضعاف من الحسنات
يعنى تضاعف حسناتهم فيعطون بالحسنة عشرة اضعافها وفيه التفات
من الخطاب الى الغيبة تعظيما لهم قوله الله الذى خلقكم مبتداء وخبر وهو
بيان لصنعه البديع تحريضا على توحيده اى الله خلقكم ولم تكونوا شيئا
ثم رزقكم اى اطعمكم ما عشتم فى الدنيا ثم يميتكم عند قضاء آجالكم ثم
يحييكم بعد الموت للحساب والجزاء نزل للايماء الى عجز آلهتهم يعنى هو فاعل
هذه الافعال الخاصة التى لا يقدر على شئ منها احد غيره هل من شركائكم وهم الذين
اتخذوهم اندادا لله من الاصنام وغيرها من يفعل من ذلكم من شئ اى لا يفعل احد
شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد واتزه
حاله من حال شركائهم حين هجروا من الجواب بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون
ه من المعبودين ثم بين سبب عقوبتهم فى الدنيا والآخرة ليرجعوا
عن معاصيهم تائبين بقوله ظهر الفساد كالجدب ونقص المعاش
بقلة الربح فى التجارات والريع فى الزراعات ووقوع الموتان فى الناس
والدواب وكثرة المضار وقلة المنافع ومحو البركات من كل شئ وقيل
ظهر الشرور والفتن فى البر اى فى البوادى والمفاوز والبحر اى فى العرى
على الماء يعنى استيلاءت الضلالة والمعاصى فاثرت بها فيهما وقيل المراد

حقيقة

حقيقة البحر لانه اذا انقطع المطر عميت دواب البحر وخلت الاصداف عن اللؤلؤ
لان الصدف اذا جاء المطر صعد على وجه الماء منفتحا فيقع فيه المطر فيطبق عليه
فيصير لؤلؤا بما كسبت ايدى الناس اى بسبب ذنوبهم ومعاصيهم فيهما
واللام فى ليذيقهم لام كى افسد الله دنياهم وحققها ليذيقهم او ظهر
الشرور والمعاصى بسببهم فاستوجبوا ان يذيقهم قرئ بالياء والنون اى
لنذيقهم نحن بعض الذى عملوا اى وبال اعمالهم فى الدنيا قبل ان يعاقبهم
بجميعها فى الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه قوله قل سيروا اى سافروا
فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اى آخر امر من كان قبلهم
من الامم تاكيدا بسبب المعاصى لغضب الله ونكاله حيث امرهم بالسير فى
الارض والنظر الى مآل من اهلكهم من الامم العاتية واذاقهم سوء العاقبة
بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب
اهلاكهم بل ما دونه وكان سببا لذلك ايضا فاقم اى عدل وجهك
للدين القيم اى البليغ الاستقامة الذى لا يتأتى فيه عوج يعنى اثبت عليه
من قبل ان يأتى يوم لا مرد له هو يوم القيمة اى لا يرده احد من الله بعد مجيئه
ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يومئذ يصدعون اى يتصدعون
يعنى يتفرقون فريق الى الجنة وفريق الى النار قوله من كفر فعليه كفره اى
وبال كفره ايا الى عناء عنهم ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اى يسودون

لهم ذلك لان اعمالهم الصالحة صارت سببا لذلك كقوله ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وقدم الظرف في الموضعين ليدل التقديم
على ان الضرر والنفع لا يعود الا على صاحبه قوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات تعليل ليمهدون من فضله اي من عطائه بعد توفية الواجب
من الثواب وانه لا يحب الكافرين تقرير بعد التضمين لان ما قبله من آية المؤمنين
يتضمن ان الكافرين لا يحبهم الله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح اي رياح
الرحمة وهي الصبا والجنوب والشمال واما الدبور فريح العذاب مبشرات
مبشرة لخلقه بالمطر النافع وليذيقكم عطف على مبشرات تقديره يرسل
الرياح ليبشركم وليذيقكم من رحمته وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي
يتبعه ولتجري الفلك اي السفن بامره بارسال الرياح ولتبتغوا من فضله
اي لتطلبوا من رزقه بريده بتجارة البحر ولعلكم تشكرون اي لتشكروا نعمة
الله فيها وتوحدوه ولقد ارسلنا من قبلك يا محمد رسلا الى قومهم
فجاؤهم بالبينات اي الآيات الواضحات فكذبوهم فانتقمنا بالعذاب
من الذين اجرموا اي كذبوا الآيات بذنوبهم وكان حقا اي واجبا علينا
نصر المؤمنين بانجائهم من العذاب وهو تعظيم للمؤمنين ورفع شأنهم
حيث جعلهم الله مستحقين عليه بنصرهم ونظفرهم الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا اي ترفع غيما فيبسطه متصلا تارة في السماء اي نحوها كيف يشاء

من قلة

من قلة وكثرة وبسط وسمك سيرة يوم او اكثر ويجعله كسفا اي قطعا
متفرقة تارة فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي وسطه في حال البسط
والتفرق فاذا اصاب به اي المطر من يشاء من عباده يعني اصاب به اراضيهم
وبلادهم فاذا هم يستبشرون اي يفرحون فجاءه وان كانوا اي الخلق من
قبل ان ينزل عليهم المطر قوله من قبله من باب التأكيد وهو الدلالة على بعد
عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم منه وكان استبشارهم على قدر اهتمامهم
بذلك قوله لمبلسين خبر كان اي آيسين فانظر الى آثار رحمة الله جمع الاثر وقرئ
به اي انظر الى تأثيرات المطر نظر عبرة كيف يحيي الله الارض بعد موتها اي
ييبسها ان ذلك اي محييها بعد موتها لمحيي الموتى للجزاء وهو الله تعالى
وهو على كل شيء قدير اي هو قادر على كل مقدور من الانشاء والاعادة
ولئن ارسلنا اللام للتوطئة القسم دخلت على حرف الشرط اي والله
لان ارسلنا على زرعهم ريحا فافسدته فرأوه اي الزرع مصفرا
بعد خضرته لظلوا جواب القسم ولو الشرط اي لصاروا من بعده اي بعد
اصفراره يكفرون بالله وبنعمته المعنى انهم يفرحون عند السعة ويكفرون
عند الضيق وكان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله على كل حال فيشكروه
على نعمته ويصبروا على بلائه فانك يا محمد لا تسمع الموتى اي الكفار الذين
هم كالموتى اذا دعوتهم الى الايمان ولا تسمع ايضا الصم الدعاء اليه وهم الذين

يتصامون عن سماع الدعاء اذا ولوا مدبرين اى اذا اعرضوا عن الحق مكذبين
وما انت بهادى العمى اى الذين عميت بصايرهم عن آياتنا يعنى لا ترشدهم
بالتوفيق عن ضلالتهم اى عن طريق الضلالة الى طريق الهدى وهو الايمان
والطاعة والله يهدى اى يوفق من يشاء ولكن عليك الدعاء الى الهدى ان
اى ما تسمع الا من يؤمن اى يصدق بآياتنا اى القرآن فهم مسلمون اى مخلصون
في ايمانهم به ثم دل على قدرته باظهر الدليل فقال الله الذى خلقكم من ضعف بالفتح
والضم اى من ذى ضعف وهو النطفة اى ضعف الطفولة والمراد من حال
الطفولة الى الاحتلام ثم جعل من بعد ضعف قوة اى بعد ضعف الطفولة قوة الشباب
الى الاكتهال ثم جعل من بعد قوة اى قوة الشباب ضعفا وشيبة اى ضعف
الشيخوخة والهرم وهذا الترديد فى الاحوال المختلفة اعدل شاهد على الصانع
الكامل بالعلم والقدرة يخلق ما يشاء من الدواب والصور كما يشاء وهو
العليم بخلقه القدير بتحويله من حال الى حال ويوم تقوم الساعة اى القيمة
يقسم اى يحلف المجرمون اى المشركون ما لبثوا فى الدنيا او فى القبور
غير ساعة اى الا ساعة فيكذبون ويفتضحون وسمى يوم القيمة ساعة لانه
تقوم بغتة فى ساعة واحدة كذلك كانوا يؤفكون اى مثل ذلك الصرف
عن الصدق كانوا يصرفون عن الحق فى الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان
اى تقول الملائكة ثم الانبياء والمؤمنون فى جوابهم لقد لبثتم فى كتاب الله اى فى حكمه

وقضائه

وقضائه او فى اللوح الى يوم البعث فردوا قولهم وحلفهم واطلعوهم على حقيقة
الحال وقالوا على سبيل التقريع ان شككتم فى طلب الحق فى يوم البعث فهذا
يوم البعث الذى انكرتموه فالفاء فيه هى الفصيحة لما ابهم قبلها ولكنكم كنتم
فى الدنيا لا تعلمون صحة ذلك الان لتفريطكم فى طلب الحق واتباعه فيومئذ
لا ينفع بالياء والتاء الذين ظلموا معذرتهم اى اعتذارهم ولا هم يستعتبون يقال
استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته لا يطلب منهم العتبى
وهى استرضاء الله تعالى يعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة تنفع
لكم ولقد ضربنا اى وصفنا وبينا كل صفة وقصة عجيبة الشان للناس فى
هذا القران من كل مثل كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون
وما يقال لهم وما لا ينفع من معذرتهم وما لا يسمع من استعتابهم كانها مثل
فى غرابتها ولئن جئتهم يا محمد بآية كما سالوا ليقولن الذين كفروا اى
اهل مكة ان انتم اى ما انتم الا مبطلون اى كاذبون يعنى انهم لقسوة
قلوبهم عن الميل الى الحق اذا جئتهم بآية من آيات القران قالوا ما جئتنا الا
بزور وباطل كذلك اى مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون التوحيد ولا يصدقون الرسل فاصبر على اذاهم وعداوتهم
ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق اى لا بد من
انجازه والوفاء به ولا يستخفنك اى لا يحملنك على الخفة والقلق جزعا الذين لا يوقنون

بالبعث بما يقولون ويفعلون يعني لا يحزنك لسلب عقلك منك بجلادة
الكلام واظهار التملق فيعظمون عندك مكان المؤمنين او بما يغيظونك
فيضيق صدرك فانهم ضالون مضلون ليس ذلك ببدع منهم فاحذرهم
فانهم اصحاب فتنة ومكر سورة لقمان مكية بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك هذه السورة آيات الكتاب الحكيم يجوز ان يكون الحكيم وصف
الكتاب اي ذي الحكمة او وصف قائله والاصل الحكيم قائله حذف القائل واضمر
المضاف اليه في الصفة المشبهة مرفوعا هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات
والعامل في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر مبتدا محذوف للمحسنين
اي الذين يحسنون العمل بالنية الخالصة وهم الذين يقيمون الصلوة اي يتمونها و
يؤتون الزكوة اي يؤدونها وهم بالآخرة اي بالبعث والجزاء فيه هم يوقنون
اي يوقنونه وانما خص ذكر هذه الثلث لفضل اعتدادها اولئك على هدى اي
توفيق من ربهم بتنبيه طريقه المستقيم لهم هنا واولئك هم المفلحون من النار
والفوز بالجنة ثمة ومن الناس من يشتري لهو الحديث وهو السمر بالاساطير والتحدث
المستملحة والمضاحيك قال عليه السلام لا يحل شرى المغنيات ولا بيعهن و
انما ثمن حرام قال ابن عباس لهو الحديث الغناء وقيل كل كلام سوى كتاب الله
وسنة رسوله وسيرة الصالحين فهو لهو وقيل نزل في نضر بن الحارث كان
يشتري اخبار رستم واسفنديار ليقرأها على قريش ويمنعهم عن استماع القرآن

والدخول

والدخول في الاسلام ليضل عن سبيل الله بالضم اي ليصد الناس عن استماع
القرآن وبالفتح اي ليصير آخر امره الى الضلال بغير علم اي يشتري بغير علم
التجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى من غير ربح ويتخذها
بالنصب اي وليتخذ السبيل او الآيات هزوا اي استهزاء وقرئ بالرفع
عطفا على يشتري اولئك لهم عذاب مهين اي يهانون فيه واذا تتلى عليه آياتنا
اي القرآن ولى مستكبرا اي اعرض عن الايمان بالقرآن ومحمد عليه السلام متكبرا
لا يعبأ بها فحال في ذلك كأن لم يسمعها اي كحال من لم يسمعها وهو سامع قوله
كأن في اذنيه وقرا بدل من كأن لم يسمعها والوقر الثقل وحمل جبلتي كالصم وكأن
نصب على الحال الاولى من ضمير فبشره بعذاب اليم اي مؤلم ان الذين آمنوا
بالقرآن وعملوا الصالحات اي الاعمال المرضية لهم جنات النعيم في الآخرة
خالدين فيها وعد الله حقا مصدران لتأكيد الاول مؤكد لنفسه والثاني
مؤكد لغيره لان معنى لهم جنات النعيم وعدهم بها فاكد معنى الوعد وحقا
يدل على الثبات اكد به معنى الوعد فيكون تأكيدا لغيره وهو العزيز الذي لا يغلبه
شيء الحكيم الذي لا يشاء الا ما توجبه الحكمة خلق السموات بغير عمد ترونها
اي خلقها بغير عمد مرئية فقوله ترونها في محل الجر صفة لعمد فيجوز ان
يكون لها عمد لكنها لا ترى ويجوز ان لا يكون لها عمد اصلا بل يمسكها الله
بقدرته والقى في الارض اي وضع فيها رواسي اي جبالا مرتفعة ان تميد اي

كراهة ان تضطرب بكم وبث فيها اى بسط فى الارض من كل دابة وانزلنا من السماء
ماء فانبتنا فيها اى فى الارض من زوج كريم اى حسن هذا اى ما ذكر من المخلوقات
خلق الله اى مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه اى من دون الله
وهم الهتهم وهذا تبكيت لهم بان الله خلق هذه الاشياء العظيمة فاى شئ
خلق الهتكم حتى يستوجبوا العبادة عندكم قوله بل الظالمون فى ضلال مبين اضراب
عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال وهو
الخسران الدايم ولقد آتينا لقمان الحكمة اراد بلقمان ابن باعور بن اخت
ايوب قيل انه ادرك داود واخذ منه العلم وعاش الف سنة والاكثر الاقاويل على
انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة هو العقل والعلم والعمل روى ان رجلا قال
له الست راعى فلان فبما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك
ما لا يعنى ان اشكر لله ان مفسرة لان ايتاء الحكمة فى معنى القول اى قلنا له
اشكر لله على ما اعطاك من الحكمة ومن يشكر فانما يشكر اى ثواب شكره لنفسه ومن
كفر نعمة ربه فان الله غنى عن خلقه وعن شكرهم حميد اى مستحق ان يحمد
فى صنعه وان لم يحمده احد واذكر اذ قال لقمان لابنه وهو لقمان بن
باعور وقيل كان لقمان عبدا حبشيا لرجل من بنى اسرائيل فى زمان
داود فاعتقه وهو يعظه اى يامره بالطاعة وينهاه عن المعصية يا بنى
بالتصغير والاضافة الى ياء المتكلم بالنصب والكسر وكان اسم ابنه انعم

وكان هو

وكان هو وامه كافرين فما زال لقمان يعظهما حتى اسلما لا تشرك بالله ان
الشرك لظلم عظيم لانه لا يغفر ويغفر ما دون ذلك ولانه تسوية بين خالق
نعمة وغيره وبين العاجز عن كل شئ وهو ظلم لا غاية له ثم قال تعالى بالاعتراض
فى اثناء قصة لقمان تاكيدا لما فيها من النهى لانه يشرك ووصينا الانسان بوالديه
اى وصيناه بهما كما وصى لقمان ابنه بالتوحيد والطاعة يعنى وصيناه بالاحسان
لوالديه حملته امه وهنا على وهن اى حالكونها تضعف ضعفا على ضعف يعنى
تتزايد ضعفها بازدياد الحمل وثقله وفصاله اى مدة فطامه فى عامين فلا
يثبت حرمة الرضاع بعدهما لان هذه المدة هى الغاية التى لا يتجاوز والامر
فيما دونها موكول الى اجتهاد الام فى الفطام والرضاع وهو مذهب الشافعى
وعند ابى حنيفة مدة الرضاع ثلثون شهرا وهذا الجملة وقعت اعتراضا
بين المفسر والمفسر قوله ان اشكر فانه تفسير لقوله وصينا ويجوز ان يكون
منصوبا به اى وصينا الانسان ان اشكر لى ولوالديك اى
بشكرى وشكر والديك الى المصير قيل من صلى الصلوة الخمس فقد
شكر الله ومن دعا لوالديه فى ادبار الصلوة فقد شكر لوالديه قال
الرسول عليه السلام لمن قال من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال
بعد ذلك ثم اباك وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك
به علم اراد بنفى العلم به نفيه اى لا تشرك بى ما ليس بشئ وهو الاصنام

فلا تطعهما فى الشرك وصاحبهما فى الدنيا صحابا معروفا حسنا بخلق جميل
اى بالبر والصلة وحسن العشرة واتبع سبيل من اناب الى اى اقبل الى بطاعتى
وهى سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما
ثم الى مرجعكم اى مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون اى فاجازيك
على ايمانك واجازيهما على كفرهما قيل نزلت الآية فى سعد بن وقاص
وامه وقد مرت القصة ثم قال لقمان لابنه حين قال يا ابى ان عملت الخطيئة
حيث لا يرانى احد كيف يعلمها الله يا بنى انها اى ان الخطيئة التى تعمل او الهنة
وهى الشئ اليسير من العمل اى عمل كان ان تك مثقال حبة بالنصب فكان
ناقصة اى ان تكن السيئة او الحسنة قدر مثقال حبة من خردل اى زنة حبة
من حب الخردل وبالرفع فكان تامة وانث المثقال لاضافتها الى الحبة
او بمعنى الحسنة او السيئة خاطب لقمان ابنه للتهديد فقال يا بنى لو
كان عملك اصغر شئ كحبة الخردل فتكن فى صخرة اى فى اخفى موضع
كجوف صخرة ما فى الماء لان الحبة فى الصخرة التى هى تحت الارض وهى
السجين فيها كتاب اعمال الكفار او فى السموات او فى الارض اى فى العالم
العلوى او السفلى يأت بها اى بتلك الهنة الله يوم القيامة فيجازى بها
عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفى خبير اى عالم بكنهه وبمكانه
لا يفوته شئ يا بنى اقم الصلوة وامر بالمعروف اى بالخير وانه عن المنكر اى الشر

وابدأ بنفسك واصبر على ما اصابك من الاذى ممن تأمره بالمعروف
وتنهاه عن المنكر ويجوز ان يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن ان ذلك
اى الذى ذكر من الاوامر من عزم الامور اى مما عزم الله عزم ايجاب
والزام يعنى قطعه قطع الفرض والوجوب يقال هذا عزمة الملك اذا لم يكن
للمعزوم عليه بد من فعله اى لم يجز تركه ولا تصعر خدك للناس بالتشديد
وبالالف مع التخفيف اى لا تعرض عن الناس وجهك تجبرا من الصعر
وهو داء يصيب البعير يلوى عنقه المعنى اقبل على الناس بوجهك
تواضعا ولا تولهم شق وجهك عند السلام وغيره كما يفعله المتكبرون
ولا تمش فى الارض مرحا اى مشى مرح او مصدر فى موضع الحال
اى مرحا اشرا او مفعول له اى لاجل المرح يعنى لا تكن غرضك البطر
والاشر كمشى اصحاب البطالة لا لكفاية مهم دينى او دنيوى ان الله لا يحب
كل مختال اى متبختر فى مشيه فخور على الناس واقصد اى اعدل
فى مشيك حتى يكون مشيا بين مشيين اى بين الاسراع والدبيب
يعنى لا تمش كمشى الشطار الزاهد المتماوت وعليك الوقار والسكينة
واغضض اى انقص من صوتك واحفظه فى محل الخطاب ولا تجهر به الا
فى الازجار للعدو وقوله ان انكر الاصوات من باب ضرب المثل بما هو
المعروف بين الناس اى اوحشها واقبحها لصوت الحمير المعروف

بالقبح عندكم لان اوله زفير وآخره شهيق كصوت اهل النار وذكر الحمير
فيه مبالغة في الذم والتهجين والترغيب عن رفع الصوت وتنبيه على انه
ما يكره به الله تعالى اشد كراهة والمراد بصوت الحمير صوت هذا الجنس
لا صوت كل احد هذا الجنس حتى يجمع الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
اى الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك مما لا يحصى يعنى ذلك لكم
منافعها واسبغ اى افضل واسبل عليكم نعمه جميعا للكثرتها ومفردا
لارادة الجنس والنعمة هي ما قصد به الاحسان والنفع والله جل وعلا
خلق العالم كله نعمة لنفع غيره لانه غنى لا يحتاج الى المنافع ولا لغرض آخر
لانه عبث وهو عليه محال قوله ظاهرة وباطنة حالان للنعمة فالنعمة
الظاهرة ما يعلم بالمشاهدة كحسن الصورة وامتداد القامة وتسوية
الاعضاء او هي البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة
والنعمة الباطنة المعرفة وما لا يعلم الا بالدليل وما لا يعلم اصلا ولا
ينفع به فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدى الى العلم
بها كالسر والقلب والعقل والفهم والروح وما يشبه ذلك وقيل
الظاهرة الاعراض عن الدنيا والباطنة التوكل والثقة بالله ومن
الناس من يجادل في الله اى في دينه بغير علم اى بالجهل وهو نضر بن الحارث
ولا هدى اى لا ببيان من الله ولا كتاب منير اى مضئ له بالحجة واذا قيل لهم

وما في الارض من الحيوان والنبات والمعادن والدواب وغير ذلك ع

اى للكفار م

اى لكفار مكة اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فقال
تعالى اولو كان اى ايتبعون ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
وهو في موضع الحال من ضمير الفاعل اى في حال دعاء الشيطان اياهم
الى العذاب ومن يسلم وجهه الى الله اى من يجعل ذاته سالما لله خالصا
له وهو محسن في عمله والمراد التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة
الوثقى اى فقد اعتصم باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه والمراد
العهد المحكم وهو قول لا اله الا الله والى الله عاقبة الامور اى هي صائرة اليه
فيجزى كلا جزائه ومن كفر فلا يحزنك كفره اى يهلك كبده للاسلام فانا ندفع
كيده في نحره ونعاقبه على عمله الينا مرجعهم اى رجوعهم يوم القيمة فننبئهم
اى نخبرهم ونجازيهم بما عملوا في الدنيا من الجحود والمعاصي ان الله عليم بذات
الصدور اى يعلم ما في صدور عباده فيفعل على حسبه نمتعهم زمانا قليلا
في دنياهم ثم نضطرهم اى نلجئهم الى عذاب غليظ اى شديد لا يقدر على الانفكاك
منه والغلظ يستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على
المعذب ولئن سألتهم اى اهل مكة من خلق السموات والارض ليقولن الله اى ليقرون
ان الله خلقهما قوله قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان خالقهما هو الله
وحده وتحقيق بانه يحمد ويشكر له لا لغيره بل اكثرهم لا يعلمون التوحيد ووجوبه
عليهم ولا يتنبهوا عليه لله ما في السموات والارض اى له ما فيهما من الخلق لا شريك

لرغبه ان الله هو الغنى عن عبادة خلقه الحميد فى فعاله قوله ولو ان ما فى الارض
الآية نزل جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التورية وفيها كل الحكمة فلا نحتاج الى
ما انزل عليك وقيل نزل حين قال المشركون الوحى كلام سينفد اى سيفنى
وينقطع قوله من شجرة بالتنكير والافراد اى من كل فرد من جنس الشجر حتى لا يبقى
منه واحدة الا وقد بريت اقلاما حال من ما التى هى اسم ان واقلام خبر ان
والبحر بالنصب عطف على اسمها وبالرفع عطف على محل اسم ان او مبتدأ
وخبره يمده والجملة حال على معنى ولو ان جميع الاشجار اقلام فى حال كون البحر
ممدودا بسبعة ابحر من بعده اى من خلفه سبعة ابحر ومياهها مداد فكتبت تلك
الاقلام وذلك المداد ما نفدت كلمات الله اى متعلقات علمه بالكتبة ونفدت الاقلام
والمداد وقيل اصل الكلام ان يقال ولو ان الشجرة اقلام والبحر مداد لكن
يمده اغنى عن ذكر المداد لانه من قولك مد الدواة اذا صب فيها مدادا
وانما لم يقل كلم الله ايذانا بان القليل من كلامه تعالى لا تفى بكتبه البحار
فكيف بالكثير لا يقال لا ضمير فى جملة الحال لانا نقول المعنى وبحرها والضمير
للارض او هى من الاحوال التى حكمها حكم الظروف كقولهم جئتك والشمس
طالعة ان الله عزيز لا يعجزه شىء حكيم لا يخرج من علمه شىء فلا ينفد كلماته
وحكمه ما خلقكم ولا بعثكم مع كثرتكم الا كنفس اى كخلق نفس واحدة وبعثها
المضاف اى سواء فى قدرته القليل والكثير لانه لا يشغله شان عن شان ان الله

سميع

سميع يسمع كل صوت بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها
عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج اى يدخل الليل
فى النهار ويولج النهار فى الليل او ينقص كل واحد منهما فيعطى صاحبه وسخر
الشمس والقمر اى ذللهما لابن آدم والله تعالى دل به على عظم قدرته وحكمته
فقال مخاطبا لمحمد عليه السلام والمراد غيره يعنى الم يعلم ان الله يدخل ظلمة هذا
فى مكان ضياء ذلك بمغيب الشمس ويدخل ضياء ذلك فى مكان هذا بطلوع
الشمس او يزيد احدهما وينقص الآخر وسخر النيرين فى فلكهما الى اجل
مسمى اى الى مدة معلومة لا يتجاوزانها جميع ذلك على تقدير وحساب
فدل بذكر الى على الانتهاء واذا قصد الاختصاص بذكر اللام فيكون معنى
يجرى لاجل مسمى لادراك اجل معلوم فالجرى مختص بالادراك حينئذ
وان الله بما تعملون بالياء والتاء خبير اى بجميع اعمالكم فتؤمنون به و
تعبدونه وحده ذلك اى المذكور من الدلالة على عظم قدرته بان الله
هو الحق لا يجوز ان يعبد الا هو بالالوهية وان ما يدعون من دونه من الآلهة
هو الباطل اى باطل الالوهية وان الله هو العلى الشان الكبير السلطان
او العلى الكبير عن ان يشرك به الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله اى
برحمته واحسانه ليريكم من آياته اى دلائله على الوحدانية ان فى ذلك لآيات
لكل صبار على طاعته وبلائه شكور لنعمه صفتا المؤمن العاقل واذا غشيهم

اى غطى السفن موج كالظلل لان الموج يرتفع ويتراكب فيعود مثل الظلل
وهو السحب والظلة لغة ما اظلك من سحاب او جبل او غيرهما دعوا الله مخلصين
له الدين فلما نجاهم الى البر اى موضع القرار فمنهم مقتصد اى متوسط فى الظلم
والكفر يعنى انزجر بعض بعضا ما لانزجار فانحط عن غلوه او مقتصد فى الاخلاص
الذى كان عليه من الخوف فى البحر ثابت على ما عاهد عليه الله فيه وما يجحد باياتنا
الدالة على قدرتنا الا كل ختار اى غدار وخداع والختر اشد الغدر كفور
للاحسان اليه يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما اى عذاب يوم لا يجزى اى
لا يغنى والد عن ولده ولا مولود اى المولد هو جاز عن والده شيئا مما عليه من الدين
او العذاب وانما جاء بالمعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية
لان الاسمية اكد من الفعلية اذ المقام مقام التوكيد قيل هذا فى الكفار
خاصة واما المومن فانه ينفع لقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم اى بشرط الايمان
اذا ينفع المومن والده ولا ولده للذين قضيا على الكفر بالشفاعة لهما
ان وعد الله اى البعث حق ثابت لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
اى زينتها بالاطمئنان بها وترك العمل للآخرة ولا يغرنكم بالله الغرور اى الشيطان
المضل عن سبيل الله بتزيين اعمالكم الخبيثة لكم قبل الغرة بالله ان يتمادى
الرجل فى المعصية ويتمنى على الله المغفرة قوله ان الله عنده علم الساعة الآية
نزل حين سأل الحارث بن عمرو رسول الله عليه السلام اخبرنى عن الساعة

متى قيامها

متى قيامها وانى زرعت الارض فمتى تمطر السماء وعن امرأتى ان ما فى
بطنها ذكر او انثى وانى علمت ما عملت امس فما اعلم غدا وهذا مولدى
قد عرفته فاين اموت فقال عليه السلام مفاتح الغيب خمس وهذه
الآية اى علم قيام الساعة عنده هو ينزل الغيث اذا شاء ويعلم
ما فى الارحام على اى وصف كان من سواد وبياض وذكر وانثى وغير
ذلك وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا من خير وشر وما تدرى نفس باى ارض اى
باى مكان تموت من بر او بحر او سهل او حزن قيل لا شئ اخص بالانسان
من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتها كان من معرفة ما
عداهما ابعد ان الله عليم بحقيقة كل امر خبير بكنهه فهو المختص بعلم هذه
الاشياء لا غير سورة السجدة مكية بسم الله الرحمن الرحيم الم
خبر مبتدا محذوف او مبتدا بناء على انه اسم السورة خبره تنزيل
الكتاب قيل الاوجه ان يكون تنزيل مبتدا قوله لا ريب فيه اعتراضا
بين المبتدا والخبر من رب العالمين فلا محل له من الاعراب والضمير فى
فيه راجع الى مضمون الجملة اى لا شك عند العاقل فى كونه منزلا من رب
الخلق وكونه اوجه بشهادة قوله ام يقولون افتراه اى اختلق القرآن
محمد لانه انكار لكونه من رب العالمين ويؤكده قوله بل هو الحق اى القرآن
حق ثابت من ربك لانه اضراب عن الانكار وتقرير انه من عند الله

لتنذر قوما هم العرب ما اتيهم من نذير اى لم يأتهم نذير من قبلك لان
العرب لم يبعث اليهم احد قبل النبى عليه السلام فلم يلزمهم الحجة بالرسالة
التى يوجب الشرايع بل يلزمهم الحجة بالدلالة العقلية على معرفة الله
وتوحيده لانهم كانوا عقلاء ومعهم ادلة العقل الموصلة الى ذلك فى كل
زمان لعلهم يهتدون اى لارادة اهتدائهم فيستعار لفظ الترجى للارادة
الله رفع بانه خبر مبتدأ محذوف وهو هو اى رب العالمين الله الذى خلق
السموات والارض وما بينهما من السحاب والرياح وغير ذلك فى ستة ايام
ليدل على التانى ولو شاء لخلقها فى ساعة واحدة ثم استوى على العرش
اى على فوق العرش فى غير استقرار عليه ما لكم من دونه اى دون عذابه من ولى
اى ناصر ينصركم ولا شفيع يشفع لكم اذا خلفتموه والمعنى ان ناصركم وشفيعكم
اى معينكم بطريق المجاز اذا اطعتموه افلا تتذكرون اى الا تتعظون بما ذكر فى
صنعه فتوحدونه يدبر الامر اى المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة
وغير ذلك وينزله او ينزل الوحى المدبر من السماء الى الارض بالملك وهو جبرئيل
ثم يعرج اليه اى يرجع الى مقره منها فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
من ايامكم لان المسافة مسيرة الف سنة فى الهبوط والصعود تعدادكم
لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وهو يوم من ايامكم لسرعة
جبرئيل تقويتنا ولا يشكل بيوم كان مقداره خمسين الف سنة لان المراد به

ما بين العرش

ما بين العرش وسدرة المنتهى الى الارض السفلى فان الملك يسيره فى
قدر يوم هبوطا وصعودا كما سياتى فى سورة المعارج وقيل يدبر امر
الدنيا من السماء الى الارض كل يوم وليلة الى قيام الساعة ثم يعرج اليه
ذلك الامر كله اى يرجع اليه ويكتب فى صحف ملائكته ليحكم فيه فى يوم كان
مقداره الف سنة وهو يوم القيمة ذلك المدبر فى الحقيقة عالم الغيب والشهادة
اى عالم الظاهر والباطن وهو العزيز فى ملكه الرحيم بخلقه الذى احسن كل شئ خلقه
وبنصب القاف بدل من كل اى احسن خلق كل شئ واتقنه على ما تقتضيه
الحكمة وبفتح اللام فعل صفة كل اى كل شئ خلقه فقد احسنه وقومه لعلمه
وان تفاوتت الى حسن واحسن وبدا خلق الانسان اى آدم من طين اى من
اديم الارض ثم جعل نسله اى ذريته من سلالة اى من نطفة لانها تنسل اى
تنفصل منه وتنسل من صلبه تخرج من ماء مهين اى ضعيف وهو المنى ومن
فيه للبيان ثم سواه اى قوم خلق آدم وعدله ونفخ فيه من روحه اى جعل فيه
من الشئ الذى اختص هو بعلمه ولذلك اضافه الى ذاته فقال من روحه
لقوله ويسئلونك عن الروح الآية فصار آدم بسبب ذلك الشئ حيا
حساسا بعد ان كان جمادا الا ان ثم حقيقة نفخ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
لتصرفوها كلها فى طاعة ربكم قليلا ما تشكرون رب هذه النعم اى لا تشكرونه
وقالوا القائل ابى بن كعب لانكار البعث ءاذا ضللنا فى الارض اى اذا غبنا فيها

وصرنا ترابا نبعث وهو عامل في الظرف يدل عليه قوله انا لفي خلق جديد
ولا يجوز ان يعمل فيه جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها قوله بل هم بلقاء ربهم
اضراب عن كفرهم بالانشاء الى ما ابلغ من الكفر اي انهم كافرون بجميع ما يكون
في العاقبة لا بالانشاء وحده قل يتوفيكم اي يقبض ارواحكم ملك الموت الذي
وكل بكم بقبض ارواحكم قيل حويت الارض لملك الموت وجعلت له
كالطست لديه يتناول منه ما يشاء وقيل ملك الموت يدعو الانفس فتجيبه ثم يأمر اعوانه
بقبضها ثم خاطبهم الله بالرجوع الى ربهم بعد توفي ملك الموت ارواحهم
بقوله ثم الى ربكم ترجعون بعد الموت احياء للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء
الله عز وجل ولو ترى يا محمد اذ المجرمون اي المشركون ناكسوا رؤسهم اي
مطاطئوها حياء وخجلا وندما عند ربهم يوم القيمة ارأيت امرا عظيما لا يدرك
وصفه ويجوز ان يكون او للتمني اي ليتك تراهم على تلك الحالة الرديه
الفظيعة من الخزي والغم التشمت بهم او هو خطاب عام فهم يقولون ربنا
ابصرنا معاصينا وسمعنا قول الرسل فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا
صالحا فيها انا موقنون بما انكرناه من البعث وقيل معناه قد امنا وايقنا
بالقيمة ولكن لا ينفعهم فقال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اي
رشدها على طريق القسر والالجاء ولكننا بنينا الامر على الاختيار دون
الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى ولكن حق اي وجب القول بالوعيد

على اهل

على اهل العمى مني وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من كفارهما
فذوقوا اي قلنا لهم يوم القيمة ذوقوا العذاب بما نسيتم اي بسبب
نسيانكم وذهولكم بالشهوات عن تذكر العاقبة او النسيان بمعنى الترك
اي بسبب ترككم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة والاستعداد له انا نسيناكم
اي جازيناكم جزاء نسيانكم وتركناكم في النار كما تركتم العمل بطاعتنا
لهذا اليوم وذوقوا عذاب الخلد اي الدايم في جهنم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي
الموبقة ثم قال تعالى مخبرا عن حال المخلصين من عباده انما يؤمن باياتنا
الذين اذا ذكروا اي وعظوا بها اي بتلك الايات خروا سجدا في الصلوة
وسجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا
بحمد ربهم اي نزهوا الله من نسبة القبايح اليه واثنوا عليه حامدين او
صلوا بامره وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة قوله تتجافى جنوبهم عن
المضاجع نزل في المتهجدين اي تتباعد وترفع جنوبهم عن الفراش
والوساد لترك النوم يدعون اي داعين ربهم اي عابدين له خوفا
وطمعا اي لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته او خوفا من القطيعه
وطمعا في الوصل ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون طوعا فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم ما استفهام مبتدا واخفي لهم مجهولا خبره والضمير في اخفي
راجع الى ما والجملة في محل النصب بتعلم سدت مسد المفعولين وقرئ

ما اخفي بسكون اللام على البناء للفاعل مستقبلا وهو الله وما بمعنى
الذي عامله تعلم او المعنى اي شيء عامله اخفي من قرة اعين شيء ما تقر به اعينهم
وتسكن اليه انفسهم في محل النصب حال من فاعل اخفي والمعنى لا تعلم
نفس ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع من الثواب ادخر الله لاولئك
واخفاه من جميع خلائقه ثم لا يعلمها الا هو جزاء بما كانوا يعملون من الخير هنا
قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
الافراد فيه محمول على لفظ من قوله لا يستوون جمع محمول على معناها اي لا يستوون
عند الله وفيما اعد لهم يوم القيمة ثم بين التفاوت بينهما فقال اما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فلهم استحقاقا وتكرما من الله تعالى جنات المأوى سميت به لان
ارواح الشهداء تأوي اليها نزل في علي والوليد بن عقبة لما قال لعلي اسكت
فانك صبي حين وقع بينهما كلام في بدر وقال انا احلد منك جلدا واحد منك
سنانا واشجع منك جنانا وارزب منك لسانا فقال علي اسكت فانك
فعمهما ومن في مثل حالهما قوله نزلا مصدر والمراد ما يعد للضيف عند
نزوله ثم صار عاما للعطاء بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم الصالحة واما
الذين فسقوا اي اشركوا بالله فمأويهم النار اي مكان النار للمشركين
ومكان جنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي من النار اعيدوا فيها اي

تقربهم الزبانية بمقامع من النار فتهوي بهم الى قعرها وقيل اي يقولون
لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به اي بعذابها تكذبون ولنذيقنهم من
العذاب الادنى اي الاقرب وهو العذاب الدنيا من القتل والاسر والجدب
سبع سنين والامراض دون اي قبل العذاب الاكبر وهو عذاب النار
او الادنى عذاب القبر والاكبر النار والمعنى انا نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان
يصلوا الى عذاب الآخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر باختيارهم
اذا اراد الله ذلك او من بقي منهم ومن اظلم ممن ذكر اي وعظ بآيات
ربه ثم اعرض عنها اي عن الآيات وحجتهم للايمان ان الاعراض عنها
عن الآيات بعد وضوحها وارشادها الى سواء السبيل مستبعد في العقل
انا من المجرمين كلهم منتقمون اي منتصرون ولم يقل انا منه لانه لما
جعله اظلم الظلمة ثم للمجرمين عامة بالانتقام فقد دل على ان نصيب الاظلم
من الانتقام هو النصيب الاوفر منه فلو قال منه لم يفد هذه الفائدة
ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية فلا تكن يا محمد في مرية اي شك من
لقائه الكتاب المعنى انا آتينا موسى الكتاب ولقيناه فلا تكن في شك
من انك لقيت مثله من الوحي لا من غيره ولا تشك يا محمد من لقاء
موسى التورية ولقيناه تلك كلها وجعلناه اي الكتاب المنزل على موسى
هدى لقومه اي جعل لبني اسرائيل خاصة دون بني اسمعيل لانهم

كانوا على دين ابراهيم دون موسى وجعلنا منهم ائمة اى قادة يهدون اى
يدعون الناس الى ما فى التورية من دين الله وشرائعه بامرنا لما صبروا بالشدة
اى جعلوا ائمة حين صبروا على نصرة الدين وثبتوا على ذلك فلم يرجعوا عنه
وقرئ لما صبروا بالتخفيف وكسر اللام اى جعلوا ائمة لصبرهم على ذلك وكانوا
بآياتنا يوقنون اى يصدقون بما اعطى موسى من المعجزات ان ربك هو يفصل
بينهم اى يقضى بين الانبياء وامهم او بين المؤمنين والمشركين فيميز
المحق فى دينه من المبطل يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون من الدين ههنا
ثم هددهم بقوله اولم يهد لهم عطف على مقدر اى الم يبعث الله الى
اهل مكة محمدا اولم يهد اى ولم يعرفهم كم اهلكنا من قبلهم كعاد وثمود وغيرها
من القرون فالفاعل الله والمفعول كم اهلكنا ويجوز ان يكون الفاعل ما
دل عليه كم اهلكنا اى اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون يمشون اى اهل
مكة فى مساكنهم اى يمرون فى متاجرهم على ديارهم بعد اهلاكهم ان فى ذلك
لآيات اى لعبرات افلا يسمعون المواعظ فيتعظون اولم يروا انا نسوق الماء بالسحاب
والانهار الى الارض الجرز اى التى قطع نباتها لعدم المطر او لغيره فيستدلون
على قدرتنا فيؤمنوا فنخرج به اى بالماء زرعا تأكل منه انعامهم كالتبن والورق
وانفسهم كالحبوب والفواكه افلا تبصرون ذلك فيؤمنون ويقولون متى
هذا الفتح اى الحكم علينا بالنار او الفصل بين المؤمنين واعدائهم او فتح مكة

نزل حين

نزل حين قال الكفار للمؤمنين متى قيام الساعة فيقضى بيننا وبينكم ان كنتم
صادقين فى الوعد وهذا السؤال استعجال منهم على وجه الاستهزاء والتكذيب
فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم بقوله قل لهم لا تستعجلوا
ولا تستهزؤا فان يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم وهو يوم القيمة او فتح
مكة او يوم بدر والمراد المقتولون منهم ولا هم ينظرون اى يمهلون بل
يعذبون بالقتل فلا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لم ينفع ايمان فرعون
ن يوم الغرق فاعرض عنهم وانتظر النصرة عليهم لصدق وعدى انهم
منتظرون هلاكك وانك احق ان تنتظر هلاكهم والملائكة فى السماء
ينتظرون لانهم هالكون لا محالة سورة الاحزاب مدنية بسم الله
الرحمن الرحيم يا ايها النبى اتق الله اى واظب على ما انت عليه من
التقوى نزل حين قدم ابو سفين وتابعه من اهل الشرك على النبى عليه السلم
فقالوا له وكانت بينه وبينهم موادعة ارفض ذكر الهتنا وقل انها
تنفع وتشفع ونحن ندعك وربك فشق ذلك على الرسول عليه السلام
وعلى المؤمنين وهموا بقتل اولئك فنهم الله تعالى بقوله يا ايها
النبى اتق الله واراد بالخطاب النبى واصحابه اى اتقوه فى نقض العهد
ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة
فيما طلبوا اليك وانما لم يقل يا محمد بصريح اسمه تشريفا له واما قوله محمد

رسول الله ونحوه فلتعليم الناس بانه رسول الله وتنبيههم على اتباعه المعنى
لا تطع الكافرين والمنافقين ان الله الذى يوحيه اليك كان بما يعملون خبيرا
بالبيان اى بما يعمل الكفار من كيدهم وبالثنا اى بما يصلح باعمالكم فلا حاجة
بكم الى الاستماع من الكفار وتوكل على الله اى اسند امرك اليه وكفى بالله وكيلا
اى كفى هو لك حافظا ومدبرا لكل امرك قوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى
جوفه نزل حين قال الكفار ان لمحمد قلبين قلب معنى وقلب مع اصحابه وقيل
نزل فى معمر بن اسد الفهرى وكان لبيبا حافظا بين العرب للوقايع والاخبار
التى يسمعها وكان قال ان لى قلبين افهم باحدهما اكثر ما يفهم محمد فانهزم
مع المشركين يوم بدر واحدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقيل له فى ذلك
فقال ما شعرت به وفائدة ذكر فى جوفه كالفائدة فى تعمى القلوب التى فى
الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور ليكون اسرع الى
الانكار لجوف مشتمل على قلبين وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن
امهاتكم ومعنى ظاهر من امرأته قال لها انت على كظهر امى اى انت على حرام
كبطن امى يعنى كفرجها عبر به عن الفرج وكنى الظهر عن البطن لانه قوام البنية
وعموده والمعنى ما جعل الله نسائكم اللائى تقولون لهن هذا القول امهاتكم
لكنه قول منكر وجب به عليكم كفارة ذكرت فى سورة المجادلة مع سبب
نزولها ووجه تعديته تظاهرون بمن تضمنه معنى البعد لان الظهار كان

طلاقا فى الجاهلية وكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون عن
المطلقة وقرئ يظّهّرون بتشديدين واحد مع الالف قوله وما جعل ادعياءكم
ابناءكم نزل فى شان زيد بن حارثة حين تبناه النبى عليه السلام فهو ادعياء
جمع دعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا وجمعه على افعلاء شاذ
لان القياس ان يجمع عليه ما كان من فعيل بمعنى فاعل كتقى اتقياء دون
رمى ونحوه اى لم يجعل الله الدعى ابناء حقيقة فى الحكم والحرمة والنسب
كما لم يجعل لرجل من قلبين فى جوفه فنسخ التبنى بهذه الاية لانه كان فى
الجاهلية ان الرجل اذا اعجبه عقل ولد وكياسته وظرافته ضمه الى نفسه
وجعل له نصيب الذكر من اولاده من ميراثه فكان ينسب اليه ذلكم
اى النسب قولكم بافواهكم هذا ابنى لا حقيقة له والله يقول الحق اى لا يقول
الا ما هو الحق ظاهرا وباطنا وهو يهدى السبيل اى الله لا يهدى الا سبيل
الحق وكان زيد يدعى بابن محمد فقال الله ما هو الحق وهدى الى سبيل
الحق ادعوهم اى انسبوهم لاباءهم هو اى دعاءهم باباءهم اقسط اى اعدل
عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم اى فهم اخوانكم يعنى ادعوهم اخوانا
فى الدين ومواليكم اى اولياءكم يعنى اذا جهل نسبه قل يا اخى يا مولاى
يريد الاخوة والموالاة فى الدين وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به من
التسمية قبل النهى او النسبة الى غير ابيه ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح اى

اى لا اثم عليكم اذا قلتم يا بنى لولد غيركم على سبيل الخطا، ولكن اذا قلتموه
متعمدين قيل ان كان معروف النسب لا يثبت نسبه وان كان عبدا له
عتق وان كان مجهول النسب واصغر منه سنا يثبت نسبه منه وكذا ان كان
عبدا مع العتق وان كان اكبر سنا يعتق عند ابى حنيفة ولم يثبت النسب
وعند غيره لا يعتق ولا يثبت النسب وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن
الخطا، وعن العمل اذا تاب العامد النبى اولى بالمؤمنين فى كل شئ من امور
الدين والدنيا اى ارحم بهم من انفسهم فيحكم فيهم بما شاء، وينفذ حكمه عليهم
من حكم انفسهم لانه اشفق عليهم واحب اليهم من انفسهم فاذا راى لهم
رايا فذلك اولى واحسن لهم من رايهم فيجب ان يجعلوا ما فداه اذا اعضل
خطب ويتبعوا الى ما دعاهم اليه ولا يتبعوا الى ما تدعوهم اليه انفسهم وقال
عليه السلام ما من مؤمن الا انا اولى به فى الدنيا والآخرة اى فى الشفاعة والرحمة
من انفسهم ومن ابائهم وقيل من لم ير نفسه فى ملك الرسول لم يذق حلاوة
سنته وازواجه امهاتهم اى ازواج النبى عليه السلام مثل امهاتهم فى تحريم
نكاحهن وحرمتهن دون النظر والخلوة والميراث فانهن فى ذلك كالاجنبيات
ولذلك لم تتعد هذا التحريم الى بناتهن فلا يقال لبناتهن اخوات المؤمنين
ولا لاخواتهن واخواتهن اخوال المؤمنين ولا خالاتهم وايضا هن امهات
الرجال لا امهات النساء لقول عائشة لست بام نسائكم وانا ام

الرجال قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض نزل حين كان النبى
عليه السلام يواخى بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقى منهما دون
عصبته واهله وطال ذلك ما شاء الله ثم نسخ بذلك اى ذووا القرابات
احق بالميراث فى كتاب الله اى فى اللوح او فيما اوحى الله الى النبى عليه السلام
وهو هذه الآية وقوله من المؤمنين والمهاجرين جاز ان يكون بيانا لاولى الارحام
بحق القرابات اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين
بحق الهجرة قوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم اى الا ان توصلوا الى الذين
يوالونكم ويواخونكم من المؤمنين والمهاجرين للولاية فى الدين معروفا
استثناء منقطع لاباحة الوصية للاجانب اى الاقارب احق بالميراث
من الاجانب لكن فعل الوصية اولى للاجانب من الاقارب لانه لا وصية
لوارث والمراد من المعروف الوصية بثلث المال لا بما زاد عليه كان ذلك
اى المذكور فى الآيتين جميعا فى الكتاب اى فى اللوح مسطورا ويجوز ان
يكون المشار اليه نسخ الميراث بالهجرة والمواخاة واذ اخذنا اى اذكر حين
اخذنا من النبيين عند اخراجهم من ظهر آدم كالامثال الذر ميثاقهم اى عهدهم
بان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته ويصدق بعضهم بعضا
ثم خص محمدا عليه السلام فقال ومنك ومن نوح اى اخذنا منك ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى جليل الشان

وعظيمة في بابه وهو العهد القديم الذي بعث عليه نوح ومن بعده وبعث عليه
محمد خاتم الانبياء وقيل هو اليمين بالله على الوفاء بما حملوه وانما قدم نبينا عليه
السلام على نوح ومن بعده لبيان انه افضل الانبياء عليه السلام ليسأل
الصادقين عن صدقهم تعليل لاخذ ميثاقهم اي اخذ الله ميثاقهم عند الخطاب
السابق بقوله الست بربكم قالوا بلى ليسأل الانبياء عليه السلام عن تبليغ
الرسالة وصدقهم فيها اثباتا للحجة على الكفار وقوله واعد للكافرين عطف على
اخذنا بطريق الالتفات من اخذنا او على ما دل عليه ليسأل الصادقين
اي فاثاب المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما اي مولما ثم من نقض العهد
فاهلك به عبرة للمؤمنين ومنة عليهم بقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم في الدفع عنكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود
هم احزاب من قريش ومن تبعهم من غيرهم كبني قريظة وبني النضير الذين
عاهدوا النبي عليه السلام على ان لا يكونوا عليه ولا معه فنقضوا عهدهم
فجاؤا الى المدينة لقتال النبي عليه السلام مع قريش وغيرهم وهم كانوا
عشرة الاف نزلوا قريبا من الغابة والنبي عليه السلام في ثلثة الاف
مخندو والنبي عليه السلام حول المدينة خندقا برأي سلمان يحول بين
المسلمين والكافرين فاحصر المؤمنون بضع عشرة ليال وقيل عشرين
فارسلنا عليهم ريحا ليلا وهي ريح الصبا فاطفأت نيرانهم واكفأت قدورهم

قال عليه السلام

قال عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا اي وارسلنا
جنودا وهم الف ملك لم تروها فكبرت الملائكة في جانب عسكرهم وقلعت
اوتاد خيامهم وقذف الله في قلوبهم الرعب وماجت الخيل بعضها في بعض
فقال طليحة بن خويلد اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء اي السرعة من
سحر محمد فارتحلوا ليلا منهزمين من غير قتال وكان الله بما تعملون بصيرا
اي عالما باعمالكم يوم الخندق حين خرج رسول الله عليه السلام في ثلثة
الاف من المسلمين وضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر
بالذراري والنساء في الحصون واشتد الخوف وظن المسلمون كل ظن
فظهر النفاق من المنافقين بقولهم كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن
لا نقدر ان نذهب الى الغائط قوله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم او عامله
مقدر اي اذكروا اذ جاء بنو غطفان من فوقكم اي من اعلى الوادي من قبل
المشرق وجاء من اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب قريشا
تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا واذ زاغت الابصار
اي مالت وتحيرت لكثرة العدد والعدو وبلغت القلوب الحناجر جمع
حنجرة وهي منتهى الحلقوم وهي مدخل الطعام والشراب وهو تمثيل
لشدة الخوف وتظنون بالله الظنون بالالف وصلا ووقفا على
اشباع الفتحة وبحذف الالف على ترك الاشباع وهو القياس وبحذفها

وصلا على الاصل واثباتها وقفا اشباعا والمعنى انكم ايها المؤمنون ظننتم
ظنونا مختلفة اذ المؤمنون باللسان اي المنافقون ظنوا ان المسلمين يستأصلون
وظن المخلصون انهم يبتلون وينصرون هنالك اي ثمة ابتلي المؤمنون الذين هم
ثبت القلوب والاقدام في الايمان وزلزلوا اي حركوا وازعجوا بالخوف
زلزالا شديدا اي اشد الازعاج واذ يقول المنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان
الا باللسان والذين في قلوبهم مرض اي الذين في قلوبهم ضعف الايمان ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا اي وعد غرور وقائله معتب حين راى الاحزاب قال يعدنا
محمد فتح فارس والروم ولا نقدر على الخروج الى البراز خوفا ما هذا الوعد الا
غرورا واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين يا اهل يثرب اسم المدينة
لا ينصرف للتعريف ووزن الفعل لا مقام لكم بالضم وبالفتح اي لا قرار
لكم هنا ولا مكان تقيمون فيه فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر
رسول الله عليه السلام او ارجعوا الى الكفر واتركوا محمدا والا فليست
يثرب لكم بمكان القرار ويستاذن فريق منهم النبي وهم بنو سلمة وبنو حارثة يقولون
ان بيوتنا عورة اي ذات عورة يعني ذات خلل تخاف منه العدو والسارق
اي غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فقال
تعالى وما هي بعورة الواو للحال ان يريدون الا فرارا من القتال فاكذبهم الله
بانهم لا يخافون وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم من اقطارها اي لو دخلت المدينة

او بيوتهم

او بيوتهم يعني لو دخل الاحزاب على المنافقين من نواحيها ثم سئلوا الفتنة
اي سئلوهم الشرك والردة ومقاتلة المسلمين لآتوها بالمد وبالقصر
اي لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها اي ما توقفوا بالمدينة عن اجابة الكفار
الا لبثا يسيرا وهو المقدار السؤال والجواب فقط والمعنى انهم ما لبثوا
بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا اي قليلا حتى يعذبوا الفرارهم عن نصرة
رسول الله عليه السلام ولقد كانوا عاهدوا الله اي لقد كان بنو حارثة هموا ان
يفشلوا مع بني سلمة ببدر فلما نزل فيهم ما نزل قالوا للنبي عليه السلام
اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي لا تشركوا به شيئا
وتعبدوه ولنفسي ان تمنعوا مني ما منعتموه من انفسكم واولادكم فقالوا فما
لنا اذا فعلنا ذلك قال لكم النصرة في الدنيا والجنة في الاخرى فقالوا
قد فعلنا ذلك وهو معنى قوله قد عاهدوا الله من قبل اي قبل حفر الخندق
او حلفوه ليقاتلن ولا يولون الادبار منهزمين او هم قوم غابوا عن وقعة
بدر فلما راوا ما اعطى الله البدريين من الكرامة قالوا لان اشهدنا الله
قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسئولا اي يسأل يوم القيمة من نقضه او
هو يطلب ويقتضي حتى يوفى به قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
والقتل واذا لا تمتعون اي لا تؤجلون الا قليلا اي يسيرا لكون الدنيا قليلة
لا محالة المعنى لا تغنيكم الفرار مما لابد لكم من نزوله بكم بقضاء الله من حتف

الف او قتل وان نفعكم مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا زمانا
قليلا قل من ذا الذي يعصمكم اي يمنعكم من قضاء الله ان اراد بكم سوء لا تقتل
ويقتل او يصيبكم سوء ان اراد الله بكم رحمة اي خيرا كالعافية والنصرة وهذا
من اختصار الكلام نحو قوله تقلدت سيفا ورمحا يعني ما ملا رمحا ولا يجدون لهم
من دون الله وليا اي قريبا ولا نصيرا اي مانعا قوله قد يعلم الله المعوقين اي المانعين
من القتال منكم والقائلين لاخوانهم اي لاوليائهم هلم الينا وهو كلمة يشترك
فيها الواحد وغيره نزل فيمن كان يصد الناس ويثبطهم عن القتال مع النبي
عليه السلام وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم هلموا الينا وخلوا
محمدا واصحابه وهم قليلون اي قربوا انفسكم الينا فخلوا واشربوا ودعوا
القتال معهم وكانوا يحضرون القتال فاذا غفل النبي عنهم وخلوا بيوتهم
فلذلك قال ولا يأتون البأس اي الحرب الا اتيانا قليلا وهو خروجهم مع
المؤمنين ثم لا يرونهم في القتال او يقولون ان لنا شغلا فيرجعون
الى المدينة قوله اشحة عليكم حال من فاعل يأتون اي لا يأتون الحرب
بالا بخلاء بالظفر للمسلمين وبما يصل اليهم من الغنيمة فاذا جاء الخوف
اي خوف العدو رأيتهم ينظرون اليك في تلك الحالة تدور اعينهم في رؤسهم
خوفا كالذي يغشى عليه من الموت اي دورانا كدوران المغشي عليه من
سكرات الموت جبنا وحذرا ولواذا بل فان من قربه من الموت

ذهب عقله وشخص بصره فلا يطرف فاذا ذهب الخوف سلقوكم اي اذوكم
بالغيبة والفحش بالسنة حداد اي سليطة وقيل بسطوا السنتهم فيكم عند
قسمة الغنيمة واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا
فانا شاهدنا القتال معكم وبنا نصرتم على اعدائكم قوله اشحة اي اضناء بكم
حال من فاعل سلقوكم اي شاحين المؤمنين عند القسمة حرصا على الخير
وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى اولئك لم يؤمنوا حقا
فاحبط الله اعمالهم اي ابطل جهادهم لنفاقهم وفيه ايذان ان كل عمل يوجد
من المنافق باطل لا ثواب له واتيانه كلا اتيان فلا يظن ان الايمان باللسان
يجدي عليه على ان الاعمال بلا تصحيح المعرفة كالبناء على الماء فهو هباء منثور
عند الله وبعث للمؤمن ان يحكم اساس علمه وهو الايمان الصحيح وكان ذلك
اي الاحباط على الله يسيرا يعني اعمالهم حقيقة خليقة بالاحباط لا يصرف
عنه صارف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي يحسب المنافقون لجبنهم
المفرط لم ينهزموا فينصرفوا الى المدينة عن الخندق لذلك وان يأت الاحزاب
كرة ثانية الى المدينة يودوا اي تمنوا لو انهم بادون في الاعراب اي
خارجون عن المدينة الى البدو وحاصلون بين الاعراب لئلا يقاتلوا يسئلون
عن انبائكم اي اخباركم وعن ما جرى عليكم ولو كانوا فيكم اي في الخندق
ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا اي رياء وسمعة

ورميا بالحجارة والنبال ليقيموا عذرهم قال تعالى لقد كان لكم ايها المنافقون
في رسول الله اي في نفسه اسوة حسنة بضم الالف وكسرها اي قدوة من حقها
ان يؤتسى بها ويقتدى وهي المواساة لانه واسى في القتال بنفسه حتى كسرت
رباعيته وجرح وجهه فلم لا تقتدون به وبفعله ولا تصبرون معه قوله لمن كان
يرجوا الله بدل من لكم اي يرجو فضل الله او يخاف حسابه و يرجوا اليوم
الآخر الذي هو يوم الله ورحمته وذكر الله ذكرا كثيرا في جميع اوقاته
واحواله باللسان والقلب ولما رأى المؤمنون الاحزاب واجتماعهم عليهم ثم رأوا
تزلزلهم واضطرابهم وخوفهم الشديد ورحيلهم منهزمين قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
في سورة الفرقان وصدق الله ورسوله من النصر ودخول الجنة لقوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الى قوله الا ان نصر الله قريب فايقنوا بالجنة
والنصر وما زادهم الخوف عند مجيء الاحزاب الا ايمانا بالله وبمواعيده
وتسليما لقضائه وقدره قوله من المؤمنين رجال صدقوا لانه نزل في رجال من الصحابة
نذروا وعاهدوا الله لقاتلن ولننصرن دينه اذا القوا حربا وهم مع رسول الله
عليه السلام حتى يستشهدوا وهم طلحة وسعيد وانس وحمزة ومصعب
فوفوا ما عاهدوا الله اي فيما عاهدوه عليه يقال صدقك فلان اذا وفى بما قاله
عليك وكذبك فلان اذا نكث عهده فمنهم من قضى نحبه اي مات كحمزة ومصعب
وانس ومنهم من ينتظر الموت كعثمان وطلحة قال عليه السلام من احب ان ينظر

الى شهيد

الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة والنحب النذر في الاصل
ثم استعير للموت لان كل حي لابد له منه فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات
فكانه وفى نذره وقيل قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاته بنذره
بالثبات مع رسول الله عليه السلام وما بدلوا اي ما اظهروا تغيير العهد هم لا
المستشهد ولا المنتظر للشهادة وفيه تعريض لمن بدلوا من اهل النفاق
والشك تبديلا اي تغييرا ما ليجزي الله الصادقين لام كي متعلق بقوله وما
بدلوا بصدقهم اي بجزاء وفائهم بالعهد ويعذب المنافقين اي يعذبهم
ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا فيهديهم الى الايمان ان الله
كان غفورا رحيما لمن تاب عن الكفر والنفاق واطاعه ورسوله ورد الله الذين
كفروا اي الاحزاب يوم الخندق بغيظهم اي ملتبسين بالغيظ
لم ينالوا اي لم يصيبوا خيرا من الظفر والغنيمة يعني رجعوا خائبين
غير ظافرين بمطلوبهم من المسلمين وهما حالان متداخلان او متعاقبان والثانية
بيان للاولى وكفى الله المؤمنين القتال بالريح الشديد والملائكة وكان الله
قويا بقهر اعدائه عزيزا بنصر اوليائه وبعد ذهاب الاحزاب الى بلادهم
رجع النبي عليه السلام الى المدينة بالمسلمين وشرع بغسل راسه فجاء جبرئيل
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب على فرسه الحيزوم والغبار على وجه
الفرس والسرج وقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح منذ اربعين ليلة

وانتم وضعتم اسلحتكم ان الله يأمركم بالسير الى بنى قريظة وانى مزلزل حصونهم
وان الله جعلهم لكم طعمة فاذن فى الناس ان من كان سامعا مطيعا
فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء
الاخرة لقول رسول الله ذلك وبعضهم صلوا العصر قبل ذلك مخافة خروج
الوقت ورضى النبى عليه السلام بما فعل الفريقان واللواء يومئذ فى يد على
فجاءه وغرزه عند حصن بنى قريظة فحاصرهم النبى عليه السلام خمسا وعشرين
ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله يا اخوة القردة والخنازير انزلوا
على حكم الله وحكم رسوله فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال سعد
لهم انزلوا من حصنكم فلما نزلوا قال حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم
وتقسم اموالهم فكبر النبى عليه السلام وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق
سبعة ارقعة ثم استنزلهم وحفر لهم خندق وضربت اعناقهم فيه وكانوا
سبعمائة فنزل فيهم قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب
اى عاونوا الاحزاب من صياصيهم اى من حصونهم والصيصية كلما يتحصن
به الحيوان من المخلب الديك والقرن للثور او جبل او مغارة وقذف فى قلوبهم
الرعب اى رمى فى قلوب بنى قريظة الخوف فريقا تقتلون منهم وهم
الرجال وكانوا ... وتأسرون فريقا ...
النساء والذرارى وكانوا استمائة وخمسين واورثكم ارضهم وديارهم اى جعل
مزارعهم ومساكنهم للمهاجرين دون الانصار و قسم اموالهم من العروض

والحيوانات ارضا لم تطئوها قيل انها خيبر او مكة وقيل فارس والروم
وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شئ قديرا من قهر الاعداء
وفتح بلادهم وغير ذلك قوله يا ايها النبى قل لازواجك الآية نزل حين اوذى
النبى عليه السلام نساؤه عليهن الى الدنيا وطلب زيادة النفقة ولبس
الثياب وكانت تسعا فقعد الى غرفة له فلبث فيها ولم يخرج الى اصحابه
اى قل لهن ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين اى جئن
الى ما اعرض عليكن امتعكن بشئ من الدنيا واسرحكن سراحا جميلا اى اطلقكن
باحسان من غير قصد سوء بكن يعنى لا ارجعكن حتى بنتن بالعدة قيل المتعة
واجبة للمطلقة التى لم يدخل بها ولم يعرض لها فى العقد عند ابى حنيفة ولساير
المطلقات مستحبة ويجب لكل مطلقة الا لمطلقة قبل الدخول وقد سمى لها
مهرا فان الواجب لها نصف المهر عند الشافعى وان كنتن تردن الله ورسوله
اى رضاهما والدار الآخرة اى الجنة فان الله اعد للمحسنات اى للمصيبات امرهما
منكن اجرا عظيما اى ثوابا جزيلا فى الجنة فاخبر بذلك عائشة وكانت احبهن
وخيرها وقرأ القرآن عليها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ففرح
رسول الله عليه السلام بذلك ثم اختارت جميعهن كذلك فشكر لهن الله ذلك
فانزل لا يحل لك النساء من بعد الآية قيل حكم التخيير فى الطلاق ان الزوج
اذا قال لها فقالت اخترت نفسى وقعت طلقة بائنة عند ابى حنيفة اذا

اذا كان ذلك فى المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض وطلقة
رجعية عند الشافعى واعتبر اختيار على الفور ثم قال تعالى تهديدا لهن يا نساء
النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة بفتح الياء وكسرها اى بمعصية ظاهرة من
نشوز او غيرها مما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله يضاعف لها العذاب ضعفين
وقرئ يضعف بالياء مجهولا بالتشديد وبالنون معلوما به ونصب العذاب
اى نحن نضعفه لها مثلى عذاب غيرها وانما ضوعف عذابهن لان قبح
من سائر النساء لكان اقبح منهن لانهن نساء النبى عليه السلام والذنب
يعظم بعظم جانيه وعلمه ولذلك ذم العالم العاصى اشد من ذم الجاهل العاصى
وكان ذلك اى عذابها على الله يسيرا اى هينا وفيه ايذان بان كونهن نساء
النبى عليه السلام ليس بمغنى عنهن شيئا بل هو سبب مضاعفة العذاب
ومن يقنت منكن لله ورسوله اى من يطع لامر الله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها
اى نعطها اجرها مرتين مثلى اجر غيرها لطلبها رضاه بحسن الخلق وطلب
المعاشرة والقناعة والتقوى قال مقاتل نعطها بالجنة عشرين واعتدنا
لها رزقا كريما اى حسنا هو الجنة يا نساء النبى لستن كاحد وهو يعم الذكر والانثى والواحد
والجماعة بخلاف الواحد فانه للمفرد المذكر اى ليس قدركن عندى كقدر غيركن
فى الفضل والسابقة من النساء ان اتقيتن ان تردن ان تكن متقيات من المعاصى
ومطيعات لله ولرسوله فلا تخضعن بالقول اى لا تلن قولا لينا مثل كلام

النساء المتوقعات فى الريب فيطمع الذى فى قلبه مرض اى ريبة وفجور
وقلن قولا معروفا اى عفيفا سليما من الريب واللين او بعيدا من طمع
الفاجر بجد وخشونة بمقتضى الاسلام وقرن بكسر القاف من وقر يقر
واصله اوقرن حذف الواو واستغنى عن الهمزة او من قر فى المكان يقر
والقرار السكون واصله اقررن بالكسر فمن قراءة نقلت حركة الراء
فيها الى القاف فحذف الراء واستغنى عن الهمزة والمعنى اثبتن واسكن
فى بيوتكن بالوقار ولا تبرجن اى لا تظهرن زينتكن شهوة للرجال تبرج
الجاهلية الاولى اى كاظهار الجاهلية القديمة وهى زمان ولادة ابراهيم
كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها
على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام قيل
الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والاخرى جاهلية الفسق فى الاسلام
فكان المعنى لا تحدثن بالتبرج جاهلية فى الاسلام تتشبهن بها باهل
جاهلية الكفر واقمن الصلوة اى الصلوة الخمس وآتين الزكوة لكن مال
واطعن الله ورسوله فيما امركن ونهاكن انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اى كل ذنب اهل البيت والمراد زوجات النبى عليه السلام وانما قال
عنكم دون عنكن لكونه عليه السلام بينهن فغلب او فاطمة وزوجها وابناهما
ويطهركم تطهيرا من التلوث بالارجاس واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من

آيات الله اي احفظن ما يقرأ عليكن من القرآن بالوحي ولا تنسين ذلك
فانها تدل على صدق النبوة باعجاز نظمها و من الحكمة اي شرائع الدين
وعلومها لارشاد الخلق ودفع الضلالة عنهم ان الله كان لطيفا يلطف بكم بانزاله
عليكم خبيرا حين علم ما ينفعكم وما يصلحكم في دينكم قوله ان المسلمين والمسلمات
الآية نزلت حين قالت ام سلمة يا رسول الله ذكر الله الرجال بخير
فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة فقال تعالى ان المسلمين
من الرجال والمسلمات من النساء المسلم الداخل في السلم بعد الحرب
المنقاد الذي لا يعاند والمؤمنين من الرجال والمؤمنات من النساء والمؤمن
المصدق بالله ورسوله وبما جاء به والقانتين والقانتات والقانت القائم بالطاعة
الدائم عليها والصادقين والصادقات الصادق الذي يصدق في قوله وعمله
ونيته والصابرين والصابرات والصابر الذي يصبر على الطاعة وعن المعصية
والخاشعين والخاشعات المتواضع لله بقلبه وجوارحه والمتصدقين والمتصدقات
والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل قيل من تصدق بدرهم
في كل اسبوع فهو من المتصدقين والصائمين والصائمات والصائم الذي
يصوم الفرض وقيل من البيض في كل شهر فهو من الصائمين والحافظين
فروجهم والحافظات والحافظ لفرجه الذي يحفظه عما لا يحل له واراد بالحافظات
الحافظاتها والذاكرين الله كثيرا والذاكرات والذاكر كثيرا الذي لا يخلو من

ذكر الله

من ذكر الله بقلبه او بلسانه او بهما والاشتغال بالعلم النافع وتلاوة القرآن
والدعاء من الذكر وقيل من صلى الصلوات الخمس فهو من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات
قوله اعد الله لهم خبر ان والعطف بالواو بين الذكور والاناث كالعطف بين
بين الضدين اذا اشتركا في حكم واحد واما عطف الزوجين على الزوجين
فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع وكان المعنى ان الله اعد للجامعين
والجامعات لهذه الطاعات العشر مغفرة واجرا عظيما وهو الجنة قوله
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة نزل حين خطب رسول الله عليه السلام زينب بنت
جحش على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله اي ما كان لمؤمن
وهو عبد الله ولا مؤمنة وهي زينب اذا قضى اي حكم الله ورسوله امرا وهو
خطبتها لزيد ان يكون لهم الخيرة وهي الاختيار والاصل ان يقال لها الخيرة
بتوحيد الضمير لكن المؤمن والمؤمنة لما وقعا تحت النفي عمّا كل مؤمن ومؤمنة
فرجع الضمير الى معنى الجميع فقال لهم الخيرة اي ليس لهم ان يختاروا من امرهم
شيئا بل الحق ان يريدوا ما اراد الله ورسوله ويجعلوا اختيارهم تبعا
لاختياره واختيار رسوله ومن يعص الله ورسوله في حكمهما فقد ضل ضلالا مبينا
اي بينا فهو وعيد لهم فرضيت زينب واخوها فانكحها اياه وساق عنه
قبل زيد ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من
طعام وثلثين صاعا من تمر وبقيت بالنكاح معه مدة فجاء النبي عليه السلام

يوما الى بيت زيد فرآها فاعجبته فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فجاء
زيد واخبرته بذلك فالقى فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله
عليه السلام فجاء النبى عليه السلام وقال اريد طلاق صاحبتى فقال مالك
ارابك شيئا منها قال والله ما رايت منها الا الخير لكنها تتعظم على لشرفها
وتوذينى فقال امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فنزل واذ تقول
للذى انعم الله عليه بالاسلام الذى اجل النعم وانعمت عليه بعتقه ومحبته
امسك عليك زوجك يعنى زينب واتق الله فلا تفارقها بالطلاق وقصده عليه
السلام نهى تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وتخفى فى نفسك
ما الله مبديه اى الذى الله مظهره والواو للحال يعنى تقول لزيد امسكها
مخفيا فى نفسك ارادة ان لا يمسكها لتعلق قلبك بها وتخشى الناس اى
اى تخفى خاشيا مقالة الناس والله اى والحال ان الله احق ان تخشاه
لئلا يجتمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس وهذا عتاب
شديد له عليه السلام فى ستر ما اراد الله ظهوره وهو فى نفسه مباح لا عيب
فيه عند الله لحكمة يعلمها قالت عائشة لو ان رسول الله كتم شيئا مما انزل
عليه لكتم هذه الآية فطلقها زيد فلما انقضت عدتها قال عليه السلام لزيد
انت اوثق لى من غيرك اذهب اليها واخطبها على فانطلق فاذا هى
تخمر عجينها قال فلم استطع ان انظر اليها لرسول الله فوليت ظهرى وقلت

يا زينب

يا زينب ابشرى ان رسول الله يخطبك ففرحت فقالت ما انا بصانعة شيئا
حتى اوامر ربى فقامت الى مسجدها فنزل قوله فلما قضى اى تم زيد منها وطرا اى
حاجة زوجناكها فتزوجها رسول الله عليه السلام ودخل بها وما اولم على امراة من
نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار لكيلا
يكون على المؤمنين حرج اى ضيق من تزوج زوجة الابن المتبنى لهم واللام
زائدة فى لكى لان كى يكفى للتعليل يعنى فعلنا ذلك لرفع الحرج عنهم فى
ازواج ادعيائهم الذى تبنوهم اذا قضوا منهن وطرا يعنى ليعلم ان نكاح زوجة
المتبنى حلال بخلاف زوجة الابن الصلبى وكانت زينب تفتخر على ازواج
النبى وتقول انتن زوجكن اباؤكن واما انا فرب العرش زوجنى من رسوله
وكان امر الله الذى يريد ان يكونه وهو تزوج النبى عليه السلام اياها مفعولا
اى مكونا لا محالة ما كان على النبى من حرج من زائدة بعد النفى وحرج اسم كان
الناقصة والخبر فيما فرض الله له اى فيما اوجب وقسم سنة الله اى سن
الله ذلك سنة فى الانبياء الذين خلوا اى مضوا من قبل اى من قبلك
وهى الاباحة والتوسيع عليهم فى باب النكاح بلا حرج ومؤاخذة فانهم كانوا
اكثر منك نساء كداود وسليمان فان له ثلث مائة امراة وسبع مائة سرية
ولابيه ثلثمائة سرية ومائة امراة وكان امر الله قدرا مقدورا اى قضاء
مقضيا يعنى حكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله محله من الاعراب يحتمل الجر

على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح حملا على هم او اعني قوله ويخشونه
ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله
احق ان تخشى اي الانبياء متصفون بانهم لا يخشون الا الله وكفى بالله حسيبا اي
كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية
من مثله ما كان اي لم يكن محمد ابا احد من رجالكم اي من الذين لم يلدهم فلا يحرم
عليه نكاح زوجة من تبناه بعد افراقها وانقضاء عدتها وقوله من رجالكم
موضح لذلك حيث لم يقل من رجاله ودخل الحسن والحسين في جملة بنيه لانهما
من رجاله لا من رجالكم فلا يكون ابا حقيقة لمن تبناه ولكن كان رسول الله
وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم والشفقة
والنصيحة لا في ساير الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء والادعاء والتبني
من باب الاختصاص والتقريب لا غير فزيد كذلك من رجالكم الذي ليسوا
باولاده حقيقة وكان حكمه حكمهم وخاتم النبيين بالنصب اي وكان
خاتم النبيين وبالرفع على هو خاتم النبيين فلو كان له ولد بالغ لكان نبيا
وروي انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا فلا نبي بعده
وان نزل عيسى بعده فهو نزل بشريعته ويصلي الى قبلته فكانه من امته
قرئ خاتم بفتح التاء كالطابع اي ختم به الانبياء وبكسرها اسم فاعل اي
ختم هو بنفسه الانبياء فلا نبي بعده اي لا ينبأ احد بعده وعيسى نبئ

نبي قبله وكان الله بكل شيء عليما اي بكل من يصلح للنبوة وغيره يا ايها
الذين آمنوا اذكروا الله اي اثنوا عليه بما هو اهله من ضروب الثناء كالتكبير
والتهليل والتقديس والتمجيد ذكرا كثيرا اي ذكرا دايما على كل حال الا ان
تكونوا مغلوبي العقل روي عنه عليه السلام انه قال تصدأ هذه القلوب
كما يصدأ الحديد قيل يا رسول فما جلاؤها قال تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله
وذكر الموت وروي ايضا ليس شيء من العبادات افضل من ذكر الله لانه لم
يقدر له مقدارا وامر بكثرته وسبحوه اي قولوا له التسبيح باللسان كسبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم قيل
هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب وقيل معناه صلوا له بكرة في الصبح
واصيلا اي في الظهر والعصر والمغرب والعشاء هو الذي يصلي عليكم
وملائكته فصلاته مغفرته ورحمته لخلقه وصلوة الملائكة الدعاء والاستغفار
للمؤمنين ليخرجكم من الظلمات الى النور اي يفعل ذلك بكم ليخرجكم من ظلمات
المعصية الى نور الطاعة او من الكفر الى الايمان او من النار الى الجنة برحمته
ودعاء ملائكته وكان الله بالمؤمنين اي الموحدين رحيما بادخالهم الجنة
قوله تحيتهم مصدر مضاف الى المفعول اي تحية الله اياهم يوم يلقونه
سلام فيعظمهم بسلامه عليهم يوم القيمة وقيل عند قبض ارواحهم
يقول ملك الموت الله يقرئك السلام وقيل يسلم الله عليهم عند دخول

الجنة او يسلمون على الله فيها او يسلم عليهم الملائكة عند خروجهم من القبور
او يسلم بعضهم على بعض فى الجنة استبشارا واعد لهم اى للمؤمنين اجرا كريما
هو الجنة يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا حال مقدرة من كاف ارسلناك
لانه لا شهادة له عليهم وقت الارسال اى مقدارا شهادتك على امتك
والرسل بالبلاغ ومبشرا بالجنة هو ونذيرا بالنار وداعيا الى الله اى مأذونا لك
فى الدعاء الى طاعته باذنه اى بتيسيره استعير الاذن له لانه قد حصل بقوله
وداعيا الى الله ضمنا وانما استعير له لان الدخول فى حق المالك متعذر
فاذا اذن تسهل وتيسر فوضع الاذن موضعه لانه سببه وذلك ان دعاء
اهل الشرك الى التوحيد امر فى غاية الصعوبة والتعذر فاذا كان باذن الله
تسهل وسراجا منيرا وصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيئ لفقوره اى
يهتدى بك فى الدين كما يهتدى بالسراج المنير فى الظلام وبشر المؤمنين بان
لهم من الله فضلا كبيرا اى فضلا عظيما على سائر الامم وهو ما يتفضل به عليهم
زيادة على الثواب قيل اذا ذكر المتفضل به بالتعظيم فما ظنك بالثواب اى
يكون الثواب اعظم ولا تطع الكافرين والمنافقين اى ارسلناك لدعوتهم الى طاعة
قدم واثبت على ما انت عليه ولا تطعهم فيما يخالف شريعتك ولا فى نقض
عهد ودع اذاهم اى اصبر على ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر
ونسخ هذا باية السيف وتوكل على الله لان من توكل عليه يسر كل عسير

عليه

عليه وكفى بالله وكيلا اى هو كافيك عن جميع خلقه مفوضا اليه امرك ثم
خاطب المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم اى اذا عقدتم على
المؤمنات عقد النكاح ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقرئ تماسوهن
اى تطؤهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اى تستوفون عددها بالاقراء
محل الفعل جر صفة عدة وهذا دليل على ان العدة حق واجب للرجال على
النساء وفائدة ثم نفى توهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها الزوج وهى
قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها به ثم يطلقها المعنى انكم اذا
طلقتموهن قبل المسيس فمتعوهن اى اعطوهن متعة اذا لم يكن ثمه
صداق سمى لهن وان كان فنصفه بلا متعة وهذه المتعة واجبة بالاتفاق
واذا سمى لهن مهر ففيها اختلاف فبعض على الندب وبعض على الوجوب
وسرحوهن اى خلوا سبيلهن سراحا جميلا من غير اضرار بهن ولا منع
واجب وحكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وانما خص المؤمنات بالذكر
لان نكاح الكتابيات لم يكن مباحا فى ذلك الوقت فلما احل الله نكاحهن
لحكم المؤمنات ثم خاطب النبى عليه السلام بقوله يا ايها النبى انا
احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اى اعطيت وفرضت فى العقد
لبيان المباحات له عليه السلام افضلها واطيبها اجورهن اى
مهورهن التى سميت فى العقد فانها افضل من ترك التسمية وان

وان وقع العقد جائزا وما ملكت يمينك من الاماء مما افاء اى رد الله عليك
من الكفار كصفية فانها الطيب من سبى ما كان له عهد فانه سبى خبثة لا سبى
طيبة وهو ما سبى من اهل الحرب ولذا قال مما افاء الله عليك لان فى الله
لا يطلق الا على الطيب ثم عطف على ازواجك قوله وبنات عمك وبنات
عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اى احللنا لك اللاتى هاجرن معك
منهن ولم تحل من لم تهاجر معك وقد نسخ شرط الهجرة بقوله وامراة مؤمنة
اى احللنا لك امراة مؤمنة دون المشركة ان وهبت نفسها للنبى ولا تطلب
مهرا منك من النساء المؤمنات ان اراد النبى ان يستنكحها اى يطلب نكاحها بغير
صداق وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبى للايذان بان هذا الحكم
مما خص به لاجل النبوة وتكريره تفخيم له قوله خالصة لك حال مؤكدة من ضمير
وهبت اى حلت لك اذا وهبت نفسها خاصة بلفظ الهبة بلا مهر لك
من دون المؤمنين لا يحل لهم فعلى هذا المعنى يكون خالصة متعلقا
بالاحلال الاخير وقيل خالصة مصدر مؤكد بمعنى خلص خلوصا اى خلص
لك احلال ما احللنا لك من اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها
مع هذا التعلق بالاحلالات الاربع وورد فى اثرها لتاكيدها قيل الواهبة
نفسها ام شريك بنت جابر او ميمونة بنت الحارث او خولة بنت حكيم قوله
ان وهبت نفسها ان اراد النبى شرطان اعترض احدهما الآخر فيلزم ان يكون

الشرط المؤخر لفظا مقدما معنى وكذلك حكم جميع الشروط المعترضة قالوا
عقد النكاح بلفظ الهبة سواء فيه الرسول والامة عند ابى حنيفة وقال الشافعى
لا يصح وقد خص رسول الله عليه السلام بمعنى الهبة ولفظها جميعا تمسكا
بالآية وينعقد نكاحه بلا شهود ولا مهر ولا ولى وله الزيادة على الاربع قد علمنا
ما فرضنا عليهم اى على المؤمنين فى ازواجهم من الاحكام بان لا يتزوجوا
باكثر من اربع وكذا فى ما ملكت ايمانهم من الاماء اى لانها مباحة لهم فوق
اربع زوجات هذه الجملة اعتراض وقوله لئلا يكون عليك حرج متصل بخالصة
لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب
فرضه على المؤمنين فى الازواج والاماء وعلى اى حد وصفة يجب ان
تفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة فى اختصاص رسول الله عليه السلام
بما اختصه به ففعل وفعله ليس بعبث ومعنى قوله لكيلا يكون تعليل
للاحلال اى احللنا لك ازواجك المذكورات والواهبة نفسها لك
لئلا يضيق نفسك فى دينك وكان الله غفورا للواقع للحرج اذا تاب
رحيما بالتوسعة على عباده قوله ترجى بالهمزة وتخفيفه من تشاء منهن
نزل حين اراد ان يفارق نسائه لطلبهن زيادة النفقة والقسم
بينهن فاباح الله لرسوله ان يكون الاختيار فى يده فيفعل بهن ما
يشاء من الطلاق وترك القسم وغيرها فقال ترجى اى تؤخر من تشاء

منهن عنك لطلاق وغيره خطبتها حتى تركها وهذا كله من خصائصه عليه السلام
ومن ابتغيت اي التي طلبت ممن عزلت اي تركتها فلا جناح عليك اي لا اثم في طلبك
بنسائك بلا تجديد عقد ذلك اي التفويض الى مشيتك ادنى اي اقرب الى
رضاهن ان تقر اعينهن اي تطمئن قلوبهن بتخييرهن ولا يحزن بترك القسم
لهن او بمخالفة الطلاق ويرضين بما آتيتهن من عزل وايواء لعلمهن ان
هذا التفويض من عند الله وتوجيه قوله كلهن بالرفع تأكيد لفاعل يرضين
وحقه التقديم وروي النصب تأكيد للمفعول في آتيتهن والله يعلم ما في قلوبكم
من الميل الى بعض نسائكم دون بعض وقلوبهن من عدم الرضاء منهن
بما دبر الله من التفويض الى مشية رسوله وفيه وعيد لمن لم يرض بذلك
وبعث على تواطئ القلوب على طلب رضاء رسول الله عليه السلام وكان
الله عليما عليما بما في الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة لا تحل لك النساء
بالياء وبالتاء من المسلمات والكتابيات من بعد اي بعد نسائك المسلمات
اللاتي خيرتهن فاخترنك ورضين بمرادك او بعد التسع لانه نصابك
من الازواج كما ان الاربع نصاب امتك منهن ولا ان تبدل اي لا تحل
لك ان تستبدل بهن غيرهن من ازواج اي ازواجا آخر وذلك كرامة
لهن من الله على اخترن رسول الله عليه السلام ومن زائدة لتاكيد
النفي وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة وحفصة وسودة وام سلمة

وصفية

وصفية وميمونة وزينب وجويرية والمعنى لا يجوز لك ان تطلق احدى
نسائك المخيرات ولا نكاح غيرهن ولو اعجبك حسنهن نصب على الحال
من فاعل تبدل اي مفروضا اعجابك بهن وقيل معناه ليس لك
ان تعطي غيرك زوجتك وتأخذ زوجته كان ذلك في الجاهلية
الا ما ملكت يمينك من السريات محله نصب استثناء من النساء او رفع
بدل منها وكان الله على كل شيء رقيبا اي حفيظا وهو وعيد لمن تخطى حلاله
الى حرامه روي عن عائشة ما مات رسول الله حتى احل له النساء يعني ان
الآية قد نسخت فحينئذ اما ان يكون الناسخ السنة او يكون قوله احللنا
لك ازواجك الآية وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف لان الناسخ
في المصحف مقدم ثم قال تعالى نهيا للمؤمنين عن الدخول في بيوت
النبي عليه السلام قبل اذنه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يؤذن لكم اي وقت ان يؤذن لكم الى طعام فهو ظرف في المعنى وله
غير ناظرين حال من فاعل تدخلوا اي لا تدخلوا الا غير ناظرين اناه اي
وقت الطعام يعني نضجه او ادراكه وتهيئه للاكل المعنى اجتنبوا دخول
بيته او لم تدعوا نزل في قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون
بيته ويقعدون منتظرين نضجه ما يبالهم ولكن اذا دعيتم للاكل فادخلوا
فاذا طعمتم اي فرغتم منه فانتشروا عن الطعام خارجين عن البيت

ولا مستأنسين جر عطف على ناظرين او نصب على ولا تدخلوها مستأنسين
لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم بعضا لاجل حديث
يتحدثونه بينهم وكان رسول الله عليه السلام كثير الحياء لا يمنعهم عن ذلك
فقال تعالى ان ذلكم اى الاستيناس بعد الاكل كان يؤذي النبي فيستحيي منكم
اى يأمركم بالخروج والله لا يستحيي من الحق اى لا يمتنع عن تعريفكم الحق والصواب
حياء منكم واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي عليه السلام ولم يذكرن
للدلالة الحال عليهن متاعا اى حاجة فسئلوهن المتاع من وراء حجاب
اى من خلف الحجاب ذلكم اى الاستيناس بعد الاكل اطهر لقلوبكم وقلوبهن
من الريبة قيل كان النبي عليه السلام يطعم ومعه بعض اصحابه في
بيته فاصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي عليه السلام ذلك
فنزلت آية الحجاب قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله بشئ ما ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده اى بعد موته وبعد تحريمهن قبل الموت ابدا نزل
حين قال بعضهم وهو طلحة بن عبد الله انهى ان نكلم بنات عمنا الا
من وراء الحجاب لئن مات محمد لاتزوجن عائشة فاعلم الله ان ذلك
محرم عليكم اى ما صح لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده لانهن
ازواجه في الدنيا لان المرأة لآخر ازواجها كذا روي عن حذيفة وسئل
رسول الله عليه السلام اذا كان للمرأة زوجان في الدنيا لايهما تكون

في الآخرة

في الآخرة قال انها تخير فتختار احسنهما خلقا معها ان ذلكم المذكور
كان عند الله عظيما اى عظيم العقوبة ان تبدوا شيئا من نكاحهن
على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما اى يعلم
ذلك كله فيعاقبكم به قوله لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا
اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن نزل حين نزلت آية
الحجاب وقال ذوو الارحام يا رسول الله نحن ايضا لا نكلمهن الا من وراء
حجاب فرخص الدخول على ذوات محرم بغير حجاب اى لا اثم عليهن في
ترك الاحتجاب من المذكورين ولم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين
ولا نسائهن اى في المسلمات فيحرم دخول الكتابيات والمراد جنس
النساء فيحل دخولهن ايضا عليهن ولا ما ملكت ايمانهن اى لا اثم عليهن في ان
لا يحتجبن من مماليكهن من الاماء والعبيد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب
ليدل على فضل تشديد وتهديد فقال واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب
والستر واحفظن طريقة التقوى في الامر والنهي ان الله كان على كل شيء من
السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا اى رقيبا لا يتفاوت
في علمه الاحوال ثم نزل تعظيما للنبي عليه السلام ان الله وملائكته اى الله يصلي
وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حذف الخبر لدلالة يصلون
عليه وصلوة الله الرحمة وصلوة الملائكة الاستغفار وصلوة المؤمنين

الدعاء فمعنى قوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه ادعوا ليترحم عليه الله
وسلموا تسليما ليسلم الله بقولكم الصلوة والسلام على رسول الله قيل
سئل رسول الله عليه السلام كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صلي على محمد وعلى
ال محمد وقال صلوا على فان الصلوة على زكوة لكم فبعض اوجبها كما ذكر لقوله
عليه السلام من ذكرت بين يديه فلم يصل على دخل النار وبعض اوجبها
مرة في المجلس وان كرر ذكره كسجدة التلاوة وتشميت العاطس وبعض
اوجبها في العمر مرة وكذا الخلاف في التشهدين والافضل ان يصلي عليه
كلما ذكر عليه السلام ثم الصلوة عليه في الصلوة ليست بشرط عند ابي حنيفة
والشافعي قد جعلها شرطا واما الصلوة على غير النبي فجائز على سبيل التبع
وافراد غيره بها مكروه لانها شعار لذكر رسول الله ولانه يفضي الى
الاتهام بالرفض قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية نزل حين
نسب اليهود والنصارى الى الله تعالى ما لا يليق به كالشريك والولد
والى رسوله الكذب والسحر وغيرها اي ان من يؤذي الله بنسبة
الولد والشريك اليه والمعصية عليه وهو منزه عن الاذى بفعل ما
يكرهه ويسخطه ويؤذي رسوله بتكذيبه وشج وجهه وكسر رباعيته لعنهم الله
في الدنيا بالقتل والآخرة بالنار واعد لهم عذابا مهينا اي عذابا يهانون به ابدا
ثم نزل نهيا عن اذى المؤمنين ظلما والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا

اي بغير

اي بغير استحقاقهم وقيل نزل في المنافقين الذين يؤذون عليا
ويسمعونه وقيل في زناة يتبعون النساء وهن كارهات فقد احتملوا
اي تحملوا بهتانا وإثما مبينا اي بينا قوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين نزل حين كانت النساء اول الاسلام غير صائنات انفسهن
كما في الجاهلية تبرز المراة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان
وكان اهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن
في النخيل والغيطان وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة وكانوا يقولون
حسبتها امة فامرت ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بستر الوجوه والرؤوس
ولبس الاردية والملاحف فقال قل للمذكورات او بين ازركن واسترن
قوله يدنين مقول القول اي يرخين عليهن من جلابيبهن جمع جلباب
وهو الثوب الذي تشتمل به المراة ومن فيه للتبعيض يعني لكل واحدة منهن
ان ترخي بعض جلبابها على راسها ووجهها الا عينا واحدة حتى تتميز
من الامة ذلك الفعل ادنى اي اقرب الى ان يعرفن فلا يؤذين بتعرض
ذي ريبة ونفاق لهن وكان الله غفورا لمن تاب عما سلف رحيما له بالجنة
ثم خوفهم ليتزجروا عن النفاق والعمل السوء فقال لئن لم ينته المنافقون
عن نفاقهم وفجورهم والذين في قلوبهم مرض وهم قوم فيهم ضعف الايمان
وقلة ثبات عليه والمرجفون في المدينة وهم ناس كانوا يرجفون اي يزلزلون

قلوب المسلمين بالاخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون هزموا او
قتلوا من الرجفة وهي الزلزلة او من الارجاف وهو الاخبار بالشيء على غير
حقيقته اي لئن لم ينته المذكورون عما يقولون ويفعلون لنغرينك بهم اي
لنسلطنك عليهم بان نفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم وتضطرهم الى طلب
الجلاء عن المدينة ثم لا يجاورونك جواب آخر للقسم المتقدم في لنغرينك عطف
عليه بثم لبعد حاله عن حال المعطوف عليه اي لا يساكنونك فيها اي في المدينة
الا زمانا قليلا حتى تخرجوا منها ريثما يتحملون عائلاتهم اذ لا قوله ملعونين
نصب حال من فاعل يجاورونك وقيل نصب على الشتم اينما ثقفوا اي وجدوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا اي قتلا كثيرا كما قتل اهل بدر سنة الله اي سن الله سنة
في الذين خلوا اي مضوا من قبل وهم الذين نافقوا الانبياء ان يقتلوا
حيث ما ادركوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تبدلا وتغيرا يعني استمر هذا
الحكم فيهم من غير تبديل قوله يسئلك الناس عن الساعة نزل حين كان المشركون
يسئلون عن رسول الله عليه السلام عن وقت قيام الساعة استعجالا
على سبيل الهزء واليهود يسئلونه عنها امتحانا لان الله عمى وقتها في التورية
وغيرها من الكتب فامر رسول الله بقوله قل انما علمها عند الله اي تجيبهم
بان علم الساعة عند الله اي هو مختص به لا يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم
اومي الى قربها فقال وما يدريك بها لعل الساعة تكون شيئا قريبا تهديدا للمستعجلين

واسكانا للمتحنين ان الله لعن اي عذب الكافرين وهم المكبوتون بالقتل ببدر
واعد لهم سعيرا اي نارا هي شديدة الاتقاد في الآخرة خالدين فيها ابدا
لا يجدون وليا اي قريبا ينفعهم ولا نصيرا يمنعهم من العذاب قوله يوم
تقلب وجوههم في النار ظرف لقوله لا يجدون ومعنى تقليب وجوههم
تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت والمراد
بالوجوه اربابها اي ترفعهم النار الى اعلاها ثم تخفضهم الى اسفلها وانما
قوله يقولون حال التابع والمتبوع يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا
اي الاتباع ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا في الكفر وهم مقدموهم ورؤساؤهم
الذين لقنوهم الشرك وزينوا لهم فاضلونا السبيلا اي اخطؤا بنا طريق
الهداية ربنا آتهم ضعفين من العذاب اي عذبهم مثلي عذاب غيرهم وارفع عنا
العذاب واجعله عليهم لانهم اضلونا والعنهم لعنا كبيرا بالباء من الكبر وبالثاء
من الكثرة اي عذبهم عذابا عظيما او دائما وزيادة الالف في الرسولا
والسبيلا والظنونا لاطلاق الصوت وفائدتها الوقف والدلالة على
قطع الكلام واستيناف ما بعده يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا في ايذاء النبي
عليه السلام كالذين آذوا موسى بان رموه بالادرة وهي مرض الخصيتين
والبرص في جسده فاطلعهم الله على انه بريء منه روي انه وضع ثوبه
على الحجر ليتوضأ ويغتسل فذهب الحجر بثوبه حتى وقف بين يدي ملأ بني اسرائيل

فادركه فضربه ثنتى عشرة ضربة فراه احسن الناس جسدا وهو معنى قوله
فبراه الله مما قالوا من العيب فى حقه فما موصولة اى من الذى قالوه
ويجوز ان يكون مصدرية اى من قولهم والمراد مضمونه وهو الامر المعيب
وكان موسى عند الله وجيها اى ذا قربة ووجاهة فكيف يوصف بعيب
ونقيصة وقيل قالت السفهاء فى حقه انه قتل هرون ودفنه وكان قد خرج
معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه
حتى عرفوا انه غير مقتول او احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى عن قتله
وقيل هو اتهامهم بالمراة الفاحشة التى ارادها قارون على قذفه بنفسها
فالمعنى انكم لا تؤذوا رسول الله كما اذت بنوا اسرائيل موسى فهلكوا بالخوض
فى حديث زينب واشباله من غير سداد بالقول وصدقه واكد النهى عن ايذاء
الانبياء وغيرهم بقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى عظموه بالصدق
وقولوا قولا سديدا اى قولا قاصدا الى الحق والعدل فالغرض من الآيتين
النهى عن الخوض فيما لا يعنيهم والبعث على حفظ اللسان فى كل باب
فانه راس الخير كله والمعنى راقبوا الله فى حفظ السنتكم وتسديد قولكم
يصلح لكم اعمالكم اى يوفقكم الله فى اتيان الاعمال الصالحة ويغفر لكم
ذنوبكم اى يكفر عنكم سيآتكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
اى نال عنده غاية مطلوبه ولما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق

بالطاعة الفوز العظيم واتبعه قوله انا عرضنا الامانة وهى الطاعة
فعظم امرها وفخم شانها وقيل الامانة كل ما افترض على العباد من صلوة
وصيام وزكوة واداء دين وكتم الاسرار وقيل الوفاء بالعهود فعرضت
الامانة بما فيها على هذه الاجرام العظام يعنى على السموات والارض والجبال
عرض تخيير فقلن مستفهمات وما فيها فقيل ان احسنتن جوزيتن بالثواب
وان عصيتن عوقبتن وقيل انه تمثيل والمثل به فى الآية مفروض لا محقق
والمفروضات تتخيل فى الذهن كالمحققات يعنى مثلت حال التكليف
فى صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على هذه الاجرام العظام
الجمادات فابين ان يحملنها واشفقن منها لعظم ذلك التكليف وثقل
محمله مع جماديتها وحملها الانسان فيكون العرض والاباء والاشفاق
مجازا ابين فرض ارادة التكليف منها وامتناعها من صعوبته وتجهيلا
للانسان حيث عرضت الامانة عليه وحملها مع ضعفه من غير وفاء
لها والمراد منه آدم او الكافر او الجنس انه اى الانسان كان ظلوما
لنفسه عاصيا لربه لكونه تاركا لاداء الامانة التى تحملها من ربه جهولا لما
افترض عليه وعاقبة تركه مخطئا عما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها
مع كونه حيوانا عاقلا صالحا للتكليف وقيل ان هذه الاجرام العظام
عرضنا الامانة ركب فيها عقل فقضى حالها ذلك وقيل اريد بها اهلها

فلا يكون تمثيلا ويكون الاباء والاشفاق حقيقة واللام في ليعذب الله

تعليل لعرض الامانة اى عرضها للانسان ليعذب الله المنافقين والمنافقات

والمشركين والمشركات وهم الذين خانوا الامانات ولم يفوا بها ويتوب

الله على المؤمنين والمؤمنات اى وليتوب على من وفى بها من اهل

الايمان يعنى يقبله ويثيب عليه فالمعنى ان عرض الامانة منه تعالى ليظهر

شقاوة هولاء وسعادة هولاء وكان الله غفورا لمن تاب رحيما لمن اطاع

قد تم الجلد الثالث من تفسير العيون والله اعلم

بما يسرون وما يعلنون فان عثرتم على

سهوى او خطا فى فلا تلومون

وانا الحقير الفقير

عبد الغنى

تم